الموازنة

بين أبى تمام حبيب بن أوس ، الطائى ، المتوفى بالموصل فى عام ٢٣١ ه
وأبى عُبَادة الوليد بن عُبَيْدٍ ، البحترى ، الطائىّ ، المتوفى فى عام ٢٨٤ ه

تصنيف

الإمام النقّادة أبى القاسم الحسن بن بِشْرِ بن يحيى ، الآمِدِىّ ، الْبَصْرِىّ
المتوفى فى عام ٣٧٠ من الهجرة

حقق أصوله ، وعلق حواشيه
محمد محيى الدين عبد الحميد
عفا الله تعالى عنه !

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم على جزيل نَعْمَائك ، وأسألك المزيدَ من صلواتك وبركاتك على خاتِمِ أنبيائك ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وأما بعد : فإنى ألفيتُ أشَقَّ ما يضطلع به أهلُ العلم من عملٍ أن يوكل إليهم تحقيقُ كتابٍ صُنِّف وكُتب قبل زمانهم ، وقد رأيت أنه على قدر بُعْد العهدِ بالتصنيف والكتابة يكون الجُهْدُ ، وتثقل التّبِعة ، وأن العمل يكون أكْثَرَ تعقُّداً وأثقَلَ تبِعة إذا لم يتيسَّر من نُسَخ الأصل سوى نسخة فريدة أو ما هو بمنزلة ذلك من النسخ التى أُخذ بعضها عن بعض ، وما من شك فى أنه لا يُقَدِّر هذا الجهدَ الجاهِدَ إلا مَنْ عرف ما يكابده العالمُ الحريصُ على بلوغ الغاية التى يَصْبُو إليها من الدقَّةِ والإتقان ، وهذا وحده عناء ليس من فوقه عناء .

وهذا كتاب « الموازنة بين الطائيَّيْنِ أبى تمام والبحترى » أحَدُ تصانيف الإمام النقادة أبى القاسم الحسن بن بِشْرِ بن يحيى ، الآمدى ، البصرىّ ، المتوفى فى عام ٣٧٠ من الهجرة ، أقدِّمُه لقراء العربية بعد الذى كابدتُ فى تحقيقه ، وأنا مطمئن ـ أو قريب من الطمأنينة ـ إلى أنهم سيجدون فيه طَلِبَةً طالما تاقت إليها نفوسُهم ، وأنهم سيقرءون نسخةً صحيحةً من كتابٍ نَشَره الورّاقون قبل اليوم ثلاث مراتٍ وكأنه لم يُنشَر ؛ لكثرة ما شاع فيه من تحريفٍ ، ونقصٍ ، وسوء ترتيب .

وقد كانت النية على أن أنشر ـ مع هذه الكلمة ـ بحثاً ضافياً أتعرض فيه لتاريخ فَنِّ النقد الأدبِىِّ ، ثم أرسم لك طريقة أبى القاسم الآمدى فى كتابه ، وأذكر لك ما تجمع لدىّ من الملاحظات عليه بعد أن صَحِبْتُهُ أمداً ليس بالقصير ، وأحدثك ـ على الأخص ـ عن تحامله على أبى تمام وإغضائه الإغضاء البالغ عن

البحترى . كما كانت النية منعقدةً على أن أنشر مع الكتاب أنواعاً من الفهارس الأبجدية أعددْتُهَا له ؛ ولكنّ ظروفاً قاهرة عاقَتْنِي عن كل ذلك ، وأهونها ظروف الحرب القائمة التى جعلت الحصول على الورق من أعقد الأمور ، وإنه ليهوّن على نفسى فَوَاتَ هذه الأغراض ، ويهوّنها على نفسك معى ، أنك لن تجد بُدًّا من استيعاب الكتاب قراءةً وتدبُّراً ، وأنك حين تنتهى من قراءته ستكون قد أدركت من ذلك الشىء الكثير .

والله المسئول أن ينفع بهذا العمل على قدر الإخلاص فيه ، وأن يُهَيِّئ له فرصة أخرى يخرج فيها للناس على وَجْهٍ أقْرَبَ إلى الكمال ؟

عن منيل الروضة فى { شعبان ١٣٦٣ / يوليه ١٩٤٤ }

كتبه المعتز بالله تعالى

محمد محيى الدين عبد الحميد

أبو تمـام(١)

١ — هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجّ بن يحيى بن مروان ابن مُرٍّ بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدىٍّ بن عمرو بن الغَوْث بن جَلْهَمَة ، وجلهمة هو طيِّء بن أدد بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

٢ — ولد بقرية جاسم ، وهى إحدى قُرَى الجيدور ، من أعمال دمشق ، وأثْبَتُ الأقوال المأثورة أن مولده كان فى سنة تسعين ومائة من الهجرة .

٣ — كان أبو تمـام أسْمَرَ اللون ، طويلاً ، حُلْوَ الـكلام ، غير أن فى لسانه حبسة ، وفى كلامه تمتمة يسيرة ، حتى قيل(٢) فيه :

يا نبىَّ الله فى الشِّعْـــرِ ، ويا عيسى بْنَ مَرْيَمْ
أنت من أشعر خلق اللـــه ما لم تتـكلَّمْ

وكان فَطِناً شديد الفطنة ، قوىّ العارضة ، حاضر البديهة . وقد وَاتَتْهُ هذه الخِلاَلُ ومكّنت له من الغَوْص على المعانى ؛ فـكان لا يزال يجدّ فى أثرها حتى يصل إلى ما يعسر على غيره مُتَنَاوَلُه .

٤ — كان لأبى تمـام مذهب فى المطابق والمجانس اشتهر به ، ونسب إليه . وهذا المذهب لم ينسب لأبى تمام لأنه اخترعه ؛ فقد طَرَقَه الشعراء من قبله ، وقالوا منه ، ولـكنه نسب إليه وعرف هو به لأنه فَضَلَ الشعراء جميعا فيه ، وأَكْثَرَ منه ، وسَلَكَ جميع شُعبه ، بل إنه كان مَثَارَ ما دار حوله من الجَدَل ، ومن جهته انطلقت ألسنة الناقدين عليه ، بحقٍّ أحيانا ، و بغير حق أحيانا أخرى ؛ ذلك بأنه

(١) انظر كلمة ابن المعتز عن أبى تمام فى مطلع كتابه « البديع »

(٢) ينسب هذان البيتان إلى أبى العميثل ، وينسبان تارة إلى عبد الصمد بن المعذل ، ونسبهما الصولى « فى أخبار أبى تمام » (٢٤١) إلى مخلد بن بكار الموصلى .

بالَغَ فى سلوك هذه السبيل وأُولِعَ بها ، حتى ليَنْدُرُ أن يخلو بيتٌ له منه ، فأوقعه هذا الوَلُوعُ فى التعسف وارتكاب مَتْن الشَّطط ، ولكن الذى لا شك فيه أن الجيد من شعره كثير ، وأنه لا يُلحق غُبَاره فى جيده .

٥ — اتصل أبو تمام برجال الدولة فى عصره ، ومدح وهَجا ورَثى ، وقال فى كل أغراض الشعر ، وقد أحْصَيْتُ عِدَّةَ مَنْ مَدَحَهم فألفيتهم ثمانية وأربعين ما بين خليفة وابن خليفة ووزير وكاتب وقاض وسَرِىٍّ : مدح أمير المؤمنين المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد ، ورثاه بعد موته ، ومدح أمير المؤمنين الواثق بالله ابن المعتصم ، ومدح محمد بن عبد الملك الزيات ، وأبا عبد الله أحمد بن أبى دُؤَاد ، والحسن بن وهب ، وأخاه سليمان بن وهب ، ومالك بن طَوْق ، وأبا دُلَفَ القاسمَ ابن عيسى العِجْلى ، وأبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى ، وأبا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة ، وإسحاق بن إبراهيم المُصْعَبى ، وإسحاق بن أبى ربعى كاتب أبى دُلَف ، ومحمد بن حسان الضبى ، وخالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ، وكان أكثر إنسان مدحه أبو تمام هو أبو سعيد محمد بن يوسف الثَّغْرِى ؛ فقد أحصينا له فيه سبعا وعشرين كلمة . ونريد أن نسجل ههنا أن أبا تمام الطائى كان كثيراً ما يمدح الطائيين ؛ فأبو سعيد طائى ، وأحمد بن عبد الكريم طائى ، وعمر بن عبد العزيز طائى ، وغير هؤلاء من ممدوحيه طائيُّونَ ؛ فهل كان يمدح على العصبية أو الرغبة فى الجائزة ؟ ذلك بحث لم يستقم لنا وَجْهُ الرأى فيه ، ولا هو مما تحتمله هذه العُجَالة فى هذه الظروف . وعسى أن يتهيأ لنا من بعدُ أن نفيض فيه .

٦ — وتوفى أبو تمام بالموصل سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وبَنَى عليه أحَدُ بنى حُمَيْدٍ الطوسى قبةً خارجَ الميدانِ ، وقبره الآن فى حديقة البلدية بالموصل .

البحترى

١ — هو أبو عُبَادةَ الوليدُ بن عُبَيْدِ بن يحيى ، البحترىّ ، الطائىّ ، أحد بنى بُحْتُر بن عَتُود ، ثم من طيىء .

٢ — وُلِدَ بِمَنْبِجَ فى عام ٢٠٦ من الهجرة ، ونشأ فى البادية بين قومه بنى طيء وغيرهم ، ورَوَى عن كثير من العلماء ، كأبى العباس المبرد ، ثم اتصل بأبى تمام ولزمه ، وما زال يترسَّمُ خُطَاه ، ويحذو حَذْوَه ، ويردّد صَداه ، ويقتفى قَفْوَه ، حتى طار فى الآفاق ذِكْرُهُ ، وعَلاَ كعْبُه .

٣ — كان – على فضله ، ونَصَاعة بيانه ، ورقَّةِ كلامه ، وبديع أسلوبه ، وجزيل شعره – من أبخل خلق الله ؛ فقد كان له أخ وغلام معه فى داره ، فكان يقتلهما جوعاً ، حتى إذا بلغ منهما الجهد أتيَاه يبكيان ، فيرمى إليهما بثمن أقواتهما مُضَيقا مُقتِّرا ، ويقول لهما مع ذلك : كُلاَ ، أجاع الله أكبادكما وأطال إجهادكما ! وكان – فوق ذلك – من أوسخ خلق الله ثوباً وآلةً ، وأبغضهم إنشاداً ، وأكثرهم افتخاراً بشعره ، حتى ليُرْوَى عنه أنه كان إذا أنشد شعراً قال لمستمعيه : لِمَ لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله مالا يقدر أحد أن يقول مثله !

٤ — قال أبو الفرج عنه : شاعر ، فاضل ، حسن المذهب ، نقىّ الكلام ، مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء ، وله تصرف حَسَنٌ فى ضروب الشعر ، سوى الهجاء ؛ فإن بضاعته فيه نَزْرَة ، وجيده منه قليل .

٥ — اتَّصَلَ بكثير من رجالات الدولة ، ومدح الكثيرين ، وأكثر مدائحه فى أمير المؤمنين المتوكل على الله ، ووزيره الفَتْح بن خاقان ، وما زال متصلا منهما بسبب : يختلف إليهما ، ويمدحهما ، إلى أن قُتِلاَ على مَشْهَدٍ منه ، فرجع إلى مَنْبِجَ ، وبقى يختلف إلى الرؤساء والعِلْيَةِ فى بغداد وسُرَّ من رأى ، ويمدحهم .

٦ — سئل أبو العلاء المعرى : أىّ الثلاثة أشعر ؟ أبو تمام أم البحترى أم المتنبى ؟ فأجاب : المتنبى وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحترىّ . وسُئل البحترى : أيكما أشعر ؟ أنت أم أبو تمام ؟ فأجاب : جَيِّدُ أبى تمام خيرٌ من جَيِّدِى ، ورديئى خير من رديئه . وقيل للبحترى يوماً : إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام ، فقال : والله ما ينفعنى هذا القولُ ، ولا يضرُّ أبا تمـام ، والله ما أكلت الخبزَ

إلاَّ به ! ولَوَدِدْت أن الأمر كما قالوا ، ولـكنى والله تابع له ، آخذٌ منه ، لائذ به ، نَسيمى يركُدُ عند هوائه ، وأرضى تنخفض عند سمائه .

٧ — أنشد البحترىّ أبا تمام يوماً شيئاً من شِعْرِهِ ، فلما انتهى تمثل أبو تمام بقول أوس بن حَجَر :

إذَا مُقْرِمٌ مِنَّا ذَرَا حدُّ نَابِهِ تَخَمَّطَ فينا نَابُ آخَرَ مُقْرِمِ

ثم قال له : نَعَيْتَ إلىَّ والله نفسى ، فقال : أعيذك بالله من هذا القول ! فقال: إن عمرى لن يطول وقد نشأ فى طيىء مثلُكَ . أما علمت أن خالد بن صَفْوَان رأى شبيب بن شَبّة – وهو من رَهْطِهِ – يتكلم فقال : يا بُنَىَّ ، لقد نَعَى إلىَّ نفسى إحسانُكَ فى كلامك ؛ لأنَّا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب إلا مات مَنْ قبله ، فقال : بل يبقيك الله و يجعلنى فداك . ومات أبو تمام بعد سنة .

٨ — وتوفى البحترىُّ فى عام ٢٨٤ من الهجرة .

الآمِدِىّ

١ — هو أبو القاسم الحسن بن بِشْرِ بن يحيى ، الآمِدِىُّ الأصل ، البصرى المولد والمنشأ .

٢ — كان حَسَن الفهم ، جيد الدراية والرواية ، أَخَذَ العلم عن الأخفش ، والزَّجَّاج ، وابن السَّرَّاج ، والحامض ، وابن دُرَيْد ، ونِفْطَوَيْهِ ، ومَنْ فى طبقة هؤلاء ، وله شعر حسن ، وتآليف جيدة تدل على بَصَرٍ صحيح واطّلَاع واسع ، وكان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يصنعه من التآليف .

٣ — كتب فى بغداد لأبى جعفر هارون بن محمد الضبِّىِّ . وكتب فى البصرة لأبى الحسن أحمد بن الحسن بن المثنّى ولأخيه أبى أحمد طَلْحَةَ بن الحسن بن المثنى ، ثم كتب بعدهما للقاضى أبى جعفر بن عبد الواحد الهاشمى على الوقوف التى يليها

القُضَاة ، وكان يكتب له بحضرته فى مجلس حكمه ، ثم من بعده كتب لأخيه القاضى أبى الحسن محمد بن عبد الواحد حين ولى قضاء البصرة ، واشتهر بهما حتى لقبوه « كاتب بنى عبد الواحد الهاشميين » ثم لزم بيته .

٤ — له تصانيف كثيرة ، نذكر منها ههنا :

(١) تفضيل امرىء القيس على شعر الجاهليين ، وهو يُشِير إليه فى الموازنة أحياناً (ص٣٤٩) .

(٢) تبيين غلط قُدَامة فى كتابه « نقد الشعر » . وقد أشار إليه فى الموازنة أيضاً (٢٦١) .

(٣) المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء ، وقد طبع فى مصر .

(٤) معانى شعر البحترى .

(٥) الردّ على ابن عمار فيما خَطّأ فيه أبا تمام .

(٦) فَرْق ما بين الخاص والمشترك من معانى الشعر .

(٧) كتاب فَعَلْت وأفْعَلْتُ .

(٨) الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، وهو هـذا الكتاب[١] .

٥ — وتوفى أبو القاسم الآمدى فى عام سبعين وثلثمائة (٣٧٠) من الهجرة .

* * *

(١) سماه ابن رشيق القيروانى فى كتابه « العمدة ، فى محاسن الشعر ونقده » (١ / ٢٣٣ طبعة ثانية بتحقيقنا) « كتاب الموازنة والترجيح بين الطائيين » وهو ينقل عنه كثيرا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الحمد لله ، والصلاة والسلام على رُسُلِ الله]

قال أبو القاسمِ الحسنُ بن بِشْرِ بنِ يَحْيَى الآمدِيُّ :

هذا ما حَثَثْتَ ـ أدام الله لك العز والتأييد ، والتوفيقَ والتسديدَ ـ على تقديمه من الموازنة بين أبي تمَّامٍ حبيبِ بن أوْسٍ الطائىّ وأبى عُبَادَةَ الوليدِ بن عُبَيْد البُحْتُرِىّ فى شعريهما ، وقد رَسَمْتُ من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وَهَب فيه السلامةَ ، وأحْسَنَ فى اعتماد الحقِّ وتجنُّب الهوى المعونةَ منه برحمته

ووجَدْتُ ـ أطال الله عمرك[1] ـ أكثرَ مَنْ شاهدتُه ورأيته من رُوَاة الأشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبي تمامٍ حبيبِ بن أوسٍ الطائى لا يتعلّق بجيده جيدُ أمثالِهِ ، ورديُه مطروحٌ ومرذول ؛ فلهذا كان مختلفاً لا يتشابه ، وأن شعر الوليدِ ابن عبيد البحترى صحيحُ السَّبْك ، حَسَنُ الدِّيباجَةِ ، وليس فيه سَفْسافٌ ولا رَدِىٌّ ولا مَطْروح ، ولهذا صار مُسْتَوِياً يُشْبه بعضُه بعضاً . ووجدتهم فَاضَلُوا بينهما لغزارة شعريهما وكثرة جيدهما و بدائعهما ، ولم يتفقوا على أيهما أشعر ، كما لم يتفقوا على أحدٍ ممن وقع التفضيلُ بينهم من شُعراء الجاهلية والإسلام والمتأخرين ، وذلك كمن فَضَّل البحترىَّ ، ونسبه إلى حلاوة اللَّفْظِ ، وحسن التخلص ، ووَضْع الكلام فى مواضعه ، وصحة العبارة ، وقُرْب المآتى ، وانكشاف المعانى ، وهُمُ الكُتَّابُ والأعرابُ والشعراء المطبوعون وأهلُ البلاغة ، ومِثْلُ من فَضَّل أبا تمامٍ ، ونسبه إلى غُموض المعانى ودِقّتها ، وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج ، وهؤلاء أهلُ المعانى والشعراء أصحابُ الصَّنعة ومَنْ يميل إلى التدقيق وفلسفىّ الكلام . و إن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقةً ، وذهب إلى[2] المساواة بينهما .

(١) فى الخطية «أطال الله بقاك» (٢) فى الخطية « وذهب قوم إلى المساواة »

وإنهما لمختلفان ؛ لأن البحترى أعرابىُّ الشعر ، مطبوعٌ ، وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عَمُودَ الشعر المعروف ، وكان يتجنَّب التعقيدَ ومُستَكرَهَ الألفاظ ووَحْشِىَّ الكلام ؛ فهو بأن يُقَاس بأشْجَعَ السُّلَمِى ومنصور وأبى يعقوب المكفوف وأمثالهم من المطبوعين أولى ، ولأن أبا تمامٍ شديدُ التكلف ، صاحبُ صنعةٍ ، ومستكرهُ الألفاظ والمعانى[1] ، وشِعرُه لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا على طريقتهم ؛ لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعانى المولَّدة ، فهو بأن يكون فى حَيِّز مسلم بن الوليد ومَنْ حَذَا حَذْوَهُ أحَقُّ وأشْبَهُ ، وعلى أنى لا أجد مَنْ أقرنه به ؛ لأنه يَنْحطّ عن درجة مسلم ؛ لسلامة شعر مسلم وحُسْنِ سبكه وصحة معانيه ، ويرتفع عن سائر مَنْ ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأسلوب ؛ لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته .

ولست أحِبُّ أن أطلق القولَ بأيهما أشعر عندى ؛ لتباين الناس فى العلم ، واختلاف مذاهبهم فى الشعر ، ولا أرى لأحَد أن يفعل ذلك فَيَسْتَهْدِفَ لذم أحد الفريقين[2] ؛ لأن الناس لم يتفقوا على أى الأربعة أشعر فى امرىء القيس والنابغة وزُهير والأعشى ، ولا فى جرير والفرزدق والأخطل ، ولا فى بشَّار ومرْوَان [والسَّيِّد] ، ولا فى أبى نُوَاس وأبى العتاهية ومُسْلم ؛ لاختلاف آراء الناس فى الشعر وتباين مذاهبهم فيه .

فإن كنت ـ أدام الله سلامتك ـ ممن يُفَضِّلُ سَهلَ الكلام وقريبه ، ويُؤْثر صحة السَّبْك وحسنَ العبارة وحُلْو اللفظ وكثرة الماء والرَّونق فالبحترىُّ أشعر عندك ضرورةً . وإن كنت تميل إلى الصَّنْعة ، والمعانى الغامضة التى تُسْتَخرج بالغَوْص والفكرة ، ولا تَلْوِى على غير ذلك فأبو تمام عندك أشعر لامحالة .

فأما أنا فلست أُفْصِح بتفضيل أحدهما على الآخر ، ولكنى أوازنُ بين قصيدتين من شعرهما إذا [اتَّفَقَتَا] فى الوزنِ والقافيةِ وإعرابِ القافية ، وبين مَعْنًى ومَعْنًى ،

(١) فى الخطية « ويستكره الألفاظ ـ إلخ » (٢) وفيها « إحدى الفرقتين »

فأقول : أيهما أشْعَر فى تلك القصيدة ، وفى ذلك المعنى ، ثم أحكُمْ أنت حينئذٍ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحَطْتَ عِلماً بالجيد والردىء .

* * *

وأنا أبتدىء بما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هٰذَيْنِ الشاعرين على الفرقة الأخرى ، عند تخاصمهم فى تفضيل أحدهما على الآخر ، وما ينعاه بَعْضٌ على بعضٍ ؛ لتتأمل ذلك ، وتزداد بَصِيرةً وقُوةً فى حكمك إن شئتَ أن تحكم ، أو اعتقادك فيما لعلك تعتقدهُ مع احتجاج الخصمين به :

١ — قال صاحبُ أبى تمام : كيف يجوز لقائل أن يقول إن البحترىّ أشعر من أبى تمام وعن أبى تمام أخذ ، وعلى حَذْوه احتَذَى ومن معانيه استَقَى ؟ و بارَاهُ حتى قيل : الطائى الأكبر ، والطائى الأصغر ، واعترف البحترى بأن جَيِّد أبى تمام خيرٌ من جيده ، على كثرة جيد أبى تمام ؛ فهو بهذه الخصال أن يكون أشعرَ من البحترى أولى من أن يكون البحترى أشعر منه .

٢ — قال صاحب البحترى : أما الصحبة فما صَحِبه ولا تَلْمَذَ له(١) ، ولا روى ذلك أحدٌ عنه، ولا نَقَله ، ولا رأى قَطّ أنه محتاج إليه، ودليلُ هذا الخبرُ المستفيضُ من اجتماعهما وتعارفهما عند أبى سعيدٍ محمدِ بن يوسفَ الثَّغْرى وقد دخل إليه البحترىُّ بقصيدته التى أولها :

* أأفَاقَ صَبٌّ مِنْ هَوًى فأُفِيقا(٢)؟ *

وأبو تمام حاضر ، فلما أنشدها عَلَق أبو تمام أبياتاً كثيرةً منها ، فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف(٣) فقال : أيها الأمير ، ما ظَنَنْتُ أحداً يُقْدم على أن يسرق شعرى و ينشده بحضرتى حتى اليوم ، ثم اندفع يُنشدماحَفِظه.

(١) يقال «تلمذله» على مثال دحرج ، و « تتلمذله » على مثال تدحرج ؛ إذا صار تلميذا له ، والتلميذ : من يسلم نفسه لمعلم كى يعلمه صنعته ، علما كانت الصنعة أم غيره .

(٢) تمامه * أم خان عهداً أم أطاع شفيقاً *
وقد وقع كاملا فى الخطية (الديوان ٢/١٤٥)

(٣) انظر القصة فى معاهد التنصيص (١٠٩ بولاق)

حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة ، فبُهِتَ البحتريُّ ، ورأى أبو تمام الإنكار في وجه أبي سعيد محمد بن يوسف ، فحينئذٍ قال له أبو تمام : أيها الأمير ، والله ما الشعرُ إلا لهُ ، وإنه أحْسَنَ فيه الإحسانَ كلَّه ، وأقبل يُقرِّظه ويَصِف معانيه ، ويذكر محاسنه ، ثم جعل يَفخَر باليمن ، وأنهم يَنبُوع الشعر ، ولم يَقنَع من محمد بن يوسف حتى أضْعَفَ للبحتريّ الجائزة .

فهذا الخبر الشائع يُبطل ما ادعيتم ؛ إذ كان مَنْ يقول هذه القصيدةَ التي هي من عَيْن شعره وفاخر كلامه ، وهو لا يعرفُ أبا تمام إلا أن يكون بالخبر ، يستغنى عن أن يَصْحَبه أو يتلمذ له أو لغيره في الشعر .

وقد أخبرني أنا رَجُلٌ من أهل الجزيرة ـ ويكنى أبا الوضاح ، وكان عالما بشعر أبي تمام والبحتري وأخبارهما ـ أنّ القصيدةَ التي سمعها أبو تمام من البحتري عند محمد ابن يوسف وكان [أول] اجتماعهما وتعارفهما القصيدةُ التي أولها :

* فِيمَ ٱبْتِدَارُ كُمَا ٱلْمَلَامَ وَلُوعاً[1] ؟ *

وأنه لما بلغ إلى قوله فيها :

فِي مَنْزِلٍ ضَنْكٍ تَخَالُ بِهِ ٱلْقَنَا بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ إِذَا ٱنْحَنَيْنَ ضُلُوعَا[2]

نهض إليه أبو تمام فقبّل بين عينيه : سروراً به ، وتحفِّياً بالطائية ، ثم قال: أبى الله إلا أن يكون الشعر يَمَنِيًّا .

٣ ــ قال صاحب أبي تمام[3] : إلا أنه ــ مع هذا ــ لا يُنْكَرُ[4] أن يكون قد استعار بعضَ معاني أبي تمام ؛ لقرب البلدين ، وكثرة ما كان يَطْرُق سمعَ البحتريّ من شعر أبي تمام فيَعْلَق شيئاً من معانيه ، معتمِداً للأخذ أو غيرَ معتمد .

(١) تمامه * أبكيت إلا دمنة وربوعا ؟ * وسينشده المؤلف مرتين فيما يلي (ص ٣٨٨ و ٣٩٧) انظر الديوان (٢ / ٨٤ طبع مصر) ، وفيه « فيم ابتداركم »

(٢) في الديوان والمخطوطة « في معرك » ، وسينشده المؤلف مرة أخرى كما في الديوان ، فانظر (ص ٣٠٤) (٣) في المطبوعات كلها ـ وكذا في مخطوطة دار الكتب ـ « صاحب البحتري » وليس بذاك (٤) في الخطية « إلا أنا مع هذا لا ننكر »

٤ — [قال صاحب البحترى] : ليس ذلك بمانع من أن يكون البحترىُّ أشعرَ منه ؛ فهذا كُثَيِّر قد أخذ من جَميل ، وتَلْمذ له ، واسْتَقَى من معانيه ، فما رأينا أحداً أطلق على كُثَير أن جَميلاً أشعر منه ، بل هو — عند أهل العلم بالشعر والرواية — أشعر من جميل . وهذا ابنُ سَلاّم الْجُمَحِيُّ ذكره فى كتاب الطبقات فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام ، [و] جعله مع الْبَعيث والْقُطَامى ، وذكر أنه عند أهل الحجاز خاصة أشعرُ من جرير والفرزدق والأخطل ، وجعل جَميلا فى الطبقة السادسة مع عبد الله بن قَيسِ الرُّقَيّاتِ والأحْوَص ونُصَيْب ، إلا أنه قال : إن جميلا يَتَقَدَّمه فى النسيب . وهذا غير مقبول منه ؛ لأنه إنما يحكيه عن نفسه ، وأهلُ الحجاز إنما قدموا كُثَيرا من أجل نَسيبه ، وحُسْن تَصَرفه فيه . و [قد] حكى عن جرير أنه قال فى بعض الروايات : كُثَير أنْسَبُنا . ويدلّ على تقدمه فى النسيب قولُ أبى تمام فى قصيدة يمدح بها أبا سعيد الكاتبى (١) أولها :

* مِنْ سَجَايَا الطلُول أنْ لا تُجِيبا (٢) *

لَوْ يُفاجِى رُكْنُ الْمَدِيحِ كَثِيراً بِمَعَانِيهِ خَالَهُنَّ نَسِيبا (٣)
طَابَ فِيهِ الْمَدِيحُ وَالْتَذَّ ، حَتّى فَاقَ وَصْفَ الدِّيَارِ وَالتشْبِيبا

أراد أن كُثَيراً لو فاجأه هذا المديحُ — على حُسْن نسيبه — لخَالَه نسيبا ، وخصَّ كُثَيراً لشهرته بالنسيب وبراعته ، واحتمل ضرورةَ الشعر ، وَرَدَّ كُثَيِّرا إلى التكبير فقال كَثِيراً ولم يقل جَميلا ولا جريراً ولا غيرَهما ، مما لا ضرورة فى اسمه . وعلى أنَّ « كُثَيِّراً » [قد] ذكر اسمه [فى شعره] مكبراً : إما ضرورة ، وإما اعتماداً لتفخيم اسمه وأن لا يأتى به مُحقَّراً ، فقال :

(١) فى الخطية « الصامتى » (٢) تكملة هذا المطلع قوله :

* فَصَوَابٌ مِنْ مُقْلَتِي أنْ تَصُوبَا *

وانظر الديوان (ص ٢٥ بيروت) وسينشده المؤلف مرة أخرى فى ص ٣٧٧

(٣) فى الديوان « لو يفاجى ذكر المديح » والبيت الثانى مقدم فيه على الأول .

وَقَالَ لِيَ الوَاشُونَ : وَيْحَكَ ! إِنَّهَا بِغَيْرِكَ ـ حَقًّا يا كَثِيرُ ـ تَهِيمُ

وقد ذكر أبو تمام كُثَيِّراً فى مواضعَ أُخَرَ فجاء به مكبراً فى قصيدة يمدح بها الحسنَ بن وَهْب[1] ويصفه بالبلاغة ، وهو قوله :

فَكَأَنَّ قُسًّا فى عُكَاظٍ يَخْطُبُ وَكُثَيِّرَ عَزَّةَ يَوْمَ بَيْنٍ يَنْسُبُ[2]

وذلك لعلم أبى تمام بتقدُّم كُثَيِّر فى النسيب على غيره ، وشهرتِه بالتجويد فيه ، على أن جَمِيلاً لا شعر له مما يُعتدُّ به إلا فى النسيب والغزَل .

فقد علمتم الآن أن هذه خَلَّةٌ[3] لا توجب لكم تفضيلَ أبى تمام على البحترى من أجل أنه أخذ شيئاً من معانيه .

وأما قول البحترى « جَيِّدُه خير من جَيِّدى ، ورديئى خير من رديئه » فهذا الخبر — إن كان صحيحاً — فهو للبحترىِّ ، لا عليه ؛ لأن قوله هذا يدلُّ على أن شعرَ أبى تمام شديدُ الاختلاف ، وشعرَه شديدُ الاستواء ، والمُسْتَوِى الشعرِ أولى بالتَّقدِمة من المختلف الشعر ، وقد اجتمعنا — نحن وأنتم — على أن أبا تمام يَعْلو عُلُوًّا حَسَناً وينْحَطّ انحطاطاً قبيحاً ، وأن البحترىّ يعلو بتوسُّطٍ ، ولا يسقط ، ومن لا يسقط ولا يُسَفْسِفُ أفضَلُ ممن يسقط ويسفسف .

والذى نرويه[4] عن أبى على محمد بن العلاء السجستانى ـ وكان صديق البحترى ـ أنه قال : سُئل البحترىُّ عن نفسه وعن أبى تمام ، فقال : هو أغْوَصُ على المعانى [منِّى] وأنا أقْوَمُ بعَمُودِ الشعر [منه]. وهذا الخبر هو الذى يعرفه الشاميون ، دون غيره .

وسمعت أبا علىّ محمدَ بن العلاء أيضاً يقول : كان البحترىُّ عند نفسه أشعرَ من أبى تمام و [من] سائرِ الشعراء المحدَثين .

---

(١) انظر الديوان (٣٨ / ٤٠) .

(٢) هـذا البيت ملفق من بيتين ، ورواية الديوان (٤٠) هكذا :

فكأن قسا فى عكاظ يخطب وكأن ليلى الأخيلية تندب
وكثير عزة يوم بين ينسب وابن المقفع فى اليتيمة يسهب

(٣) أى خصلة . وفى المطبوعات «هذه حالة» (٤) فى الخطية «والذى أرويه»

وقد ذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتابه الذى ذكر فيه أخبارَ الشعراء نحواً من ذلك[1] .

قال أبو عِلى محمد بن العلاء : كان البحترى إذا شَرِبَ وَأَنِسَ أنشدَ شعرَه ، وقال: ألا تسمعون ؟ ألا تعجبون ؟ قال : وكان ــ مع هذا ــ أحسنَ الناس أدبَ نفسٍ ، لا يُذكر شاعر مُحْسِنٌ أو غيرُ محسنٍ إلاَّ قَرَّظَه ، ومدحه ، وذكر أحْسَنَ ما فيه .

قال أبو على: ولِمَ لا يفعل ذلك ؟ وقد أسقط فى أيامه أكثرَ من خمسمائة شاعر ، وذهب بخيرهم[2] ، وانفرد بأخذِ جوائز الخلفاء والملوك دونهم؟ . فلو لم يفعل ذلك إلا اسْتِكْفَافاً وحَذَراً من بيتٍ واحد يندر فيبقى على الزمان لـكان من الحظ له أن يفعَـله .

[قال :] وكذلك كان أبو على دعْبِلُ بن على الخزاعى يهجو الملوك والخلفاء ولا [يكاد] يعرض لشاعر[3] إلا ضرورة ، وقد حَذَّر فى أول كتابه الذى ألفه فى الشعراء من التعرض للشاعر ، ولو كان من أدْوَنِ الناسِ صنعةً فى الشعر . وقال : رُبَّ بيت جرى على لسان مُفْحَم قيل فيه « رُبَّ رميةٍ من غير رامٍ » فسارت به الركبان ، ولذلك يقول فى بعض شعره[4] :

لاَ تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لِامْرِئٍ طَبِنٍ ... مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فى الشَّفَةِ
فَرُبَّ قَافِيَـــةٍ بالمَزْحِ جَارِيَةٌ ... مَشْئُومَةٌ لم يُرِدْ إِنمَاؤُهَا نَمَتِ

ثم نرجع إلى قول الخصمين :

٥ ــ قال صاحب أبى تمام : فأبو تمام انفرد بمذهبٍ اخترعه ، وصار فيه أوَّلاً وإماما متبوعاً ، وشُهر به حتى قيل : هذا مَذْهَبُ أبى تمام ، وطريقَةُ أبى تمام ، وسَلَكَ الناسُ نَهْجَه ، واقْتَفَوْا أثَرَهُ ، وهذه فضيلة عَرِى عن مثلها البحترى .

---

(١) فى الخطية «نحو ذلك» (٢) وفيها « بخبزهم » (٣) وفيها «لشاعرهم»

(٤) روى هذين البيتين أبو على القالى فى ذيل أماليه (١١١ و ١١٢) ثالث عشر ورابع عشر ستة عشر بيتا ، وفيه فى ثانيهما « بالمزح قاتلة » ورواهما ابن رشيق القيروانى فى العمدة (١ / ٧٧ بتحقيقنا) مع بيت ثالث .

٦ — قال صاحب البحترى : ليس الأمر لاختراعه لهذا المذهب على ما وصفته ، ولا هو بأوّلٍ فيه ، ولا سابقٍ إليه ، بل سلك فى ذلك سبيلَ مُسْلِم ، واحتذى حَذْوه وأفرط وأسرف ، وزال عن النَّهج المعروف ، والسَّنَن المألوف ، وعلى أن مسلماً أيضاً غيرُ مبتدع لهذا المذهب ، ولا هو أوّلٌ فيه ، ولكنه رأى هذه الأنواع التى وقع عليها اسمُ البديع — وهى : الاستعارة ، والطِّباق ، والتجنيس — منشورةً متفرقة فى أشعار المتقدمين ، فقَصَدها ، وأكثر فى شعره منها ، وهى فى كتاب الله عز وجل [أيضا] موجودة ، قال الله تعالى : (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً)(١) وقال تبارك وتعالى : (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النهَارَ)(٢) وقال : (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)(٣) ؛ فهذه من الاستعارة التى [هى مَجاز] فى القرآن . وقال امرؤ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لمّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ ... وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ (٤)

فجعل الليل يتمطّى ، وجعل له إردافا وكلكلاً . وقال زهير :

صَحَا القَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهْ ... وَعُرِّىَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ (٥)

فجعل للهوى أفراساً ورَوَاحل . [وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِىّ :

وَجَعَلْتُ كُورِى فَوْقَ نَاجِيَةٍ ... يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ (٦)

فجعل الرَّحْلَ يقتات السنام] وقال لَبِيدٌ الجُعْفِىّ :

---

(١) من الآية ٣ من سورة مريم (٢) من الآية ٣٧ من سورة يس

(٣) من الآية ٢٤ من سورة الإسراء

(٤) ورد فى الصناعتين (٢٨٢) وفى دلائل الإعجاز (٦٢ و ٢٧٥ و ٣٦٣) والموشح (٣١) والبديع (٧ أوربة) ويروى فيهن وفى الديوان والمعلقات « لما تمطى بصلبه » وسيذكره المؤلف ثانية فى (ص ٢١٤ الآتية) .

(٥) الصناعتين (٢٨٢) ومعاهد التنصيص (٢٦٠) والبديع (٨ أوربة) وسينشده المؤلف مرة أخرى فى (ص ٢١٤) . (٦) ورد فى الصناعتين (٢٨٣)

وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقِرَّةٍ إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا(١)

فجعل للشَّمال يداً ، وللغدَاة زماماً ؛ فهذه كلها استعارات .

وقال الله جل وعز فى التجنيس : (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ)(٢) ، (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ)(٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « عُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ ورسُولَهُ ، وغِفَارُ غَفَرَ الله لها ، وأَسْلَمَ سَالَمَهَا الله » . وقال القُطَامى :

ولمّا رَدَّهَا فى الشَّوْلِ شَالَتْ بِذَيَّالٍ يكونُ لهَا لفَاعَا(٤)

وقال أيضاً :

كَنِيَّةِ الحيِّ مِنْ ذِى القَيْظِ فاحْتَمَلُوا مُسْتَحْقِبِين فؤاداً ما لَهُ فادِ(٥)

وقال جرير :

وما زَالَ مَعْقُولاً عِقَالٌ عَنِ النَّدَى وما زالَ مَحْبُوساً عَنِ المَجْدِ حَابِسُ(٦)

وقال ذو الرمة :

كَأَنَّ البُرَى والعاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ على عُشَرٍ يَرْمِى بهِ السَّيْلَ أَبْطَحُ(٧)

(١) الصناعتين (٢٨٥) وأسرار البلاغة (٣٢) ودلائل الإعجاز (٥٣ و ٣٣٤ و ٣٥٤) والبديع (١١ أوربة) .

(٢) من الآية ٤٤ من سورة النمل (٣) من الآية ٤٣ من سورة الروم

(٤) الصناعتين (٣٢٨) وفيه « فلما ردها » والبديع ٢٦ ، والشول : هى الناقة التى خف لبنها ، والذيال : الطويل الذيل ، واللفاع : الملحفة أو الكساء ، وسيذكره المؤلف مرة ثانية فى بيان ماجاء فى شعر أبى تمام من قبيح التجنيس (ص ٢٢٦)

(٥) الشعراء ٤٥٤ ، وسر الفصاحة ١٨٤ ، ومستحقبين فؤادا : أراد أخذوه معهم كما يأخذون متاعهم فى حقائبهم ، وفى نسخة « من ذى القيظة احتملوا »

(٦) الصناعتين (٣٢٨) وأخبار أبى تمام ٢٦٤ ، وسر الفصاحة ١٨٤ ، وفيهن « محبوسا عن الخير » وسينشده المؤلف مرة أخرى فى (ص ٢٢٧)

(٧) الصناعتين (٣٢٧) والبديع ٢٦ ونقد الشعر ٦١ ، والبرى : جمع برة بوزن كرة ، وهى حلقة تجعل فى أنف البعير ، وعيجت : عطفت ، وكان فى الأصول « نهى به السيل » وفى الكامل « نهى به السيل » .

وقال امرؤ القيس :

لقدْ طَمَحَ الطَّماحُ مِنْ بُعْدِ أرْضِهِ لِيُلبِسَنِي مِنْ دائِهِ ما تلَبَّسا[١]

وقال الفرزدق :

خُفَافُ أخَفَّ اللهُ عنــهُ سَحَابَهُ وَأَوْسَعَهُ مِنْ كلِّ سافٍ وحَاصِبِ[٢]

ذكر ذلك كله أبو العباس عبدُ الله بن المعتز فى كتاب البديع . قال : ومن الطِّبَاقِ قولُ الله تعالى : (ولكُمْ فى القِصَاصِ حَيَاةٌ)[٣] وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنكم لتَكْثُرُونَ عندَ الفَزَعِ ، وتَقِلُّونَ عند الطَّمَعِ » . وقال زهير :

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إذا ما كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أقْرَانِهِ صَدَقا[٤]

فطابق بين الصدق والكذب . وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِىُّ :

بِسَاهِمِ الوَجْهِ لم تُقْطَعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وَهْوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ[٥]

فطابق بين قوله « يصان » و بين قوله « مبذول » .

فتتبع مسلمُ بن الوليد هذه الأنواعَ ، واعتدَّها ، ووشَّح شعره بها ، ووضعها فى موضعها ، ثم لم يَسْلم مع ذلك من الطعن ، حتى قيل : إنه أول من أفسد الشعر ، رَوَى ذلك أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، قال : وحدثنى محمد بن قاسم بن مهرويه ، قال : سمعت أبى يقول: أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، ثم اتبعه أبو تمام ، واستحسن

(١) الصناعتين (٣٢٣و٣٢٥) وكامل المبرد ٢/١٢ خامس ستة أبيات ، والبديع ٢٧ وسينشده المؤلف مرة أخرى فى (ص ٢٢٥)

(٢) الصناعتين (٣٢٥) ونقد الشعر ٦١ والبديع ٢٧

(٣) من الآية ١٧٩ من سورة البقرة

(٤) الصناعتين (٣١٢) والبديع ٣٨ وفيه « إذا ما الليث كذب عن أقرانه » وعثر ـ بوزن بقم ـ أرض مأسدة بناحية تبالة ، وسينشده المؤلف مرة أخرى فى ص ٢٣٣

(٥) الصناعتين (٣١٢) والبديع ٣٩ ، وساهم الوجه : متغيره ، والأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق فى الفرس والبعير بمنزلة الأكحل فى الإنسان ، وسينشده المؤلف مرة أخرى فى ٢٣٣

مذهبه ، وأحبَّ أن يجعل كل بيت من شعره غيرَ خالٍ من بعض هذه الأصناف ، فسلك طريقاً وَعْراً وَاُسْتَكْرَه الألفاظ والمعانى ، ففسد شعره ، وذهبت طُلاوته ، ونَشِفَ ماؤه ؛ وقد حكى عبد الله بن المعتز فى هذا الكتاب الذى لقَّبه [بكتاب] البديع[1] أن بَشَّاراً وأبا نُوَاس ومُسلم بن الوليد ومَنْ تَقَيَّلهم[2] لم يَسْبِقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثر فى أشعارهم فعُرف فى زمانهم . ثم إن الطائى تفرَّعَ فيه ، وأكثر منه ، وأحسن فى بعض ذلك ، وأساء فى بعضٍ ، وتلك عُقْبَى الإفراط ، وثمرة الإسراف

قال: وإنما كان الشاعر يقول من هذا الفن البيتَ والبيتين فى القصيدة ، وربما قرىء فى شعر أحدهم قصائدُ من غير أن يُوجَدَ فيها بيتٌ واحدٌ بديعٌ ، وكان يُسْتَحسن ذلك منهم إذا أتى قَدَراً ، ويزداد حُظوة بين الكلام للرسل . وقد كان بعضهم يُشَبِّه الطائىَّ فى البديع بصالح بن عبد القُدُّوسِ فى الأمثال ، ويقول : لو كان صالحٌ نثرَ أمثاله فى تضاعيف شعره وجعل منها فصولا فى أبياته لسبق أهلَ زمانه ، وغلب عَلَى مَيْدَانه . قال ابن المعتز : وهذا أعْدَلُ كلامٍ سمعته .

قال صاحب البحترى : فقد سقط الآن احتجاجُكُمْ باختراع أبى تمام لهذا المذهب وسَبْقِهِ إليه ، وصار استكثاره منه وإفراطه فيه من أعظم ذنوبه ، وأكبر عيوبه ، وحصل للبحترى أنه ما فارق عَمُودَ الشعر وطريقته المعهودة ، مع ما نجدهُ كثيراً فى شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة ، وانفرد بحسن العبارة ، وحلاوة الألفاظ ، وصحة المعانى ، حتى[3] وقع الإجماعَ على استحسان شعره واستجادته ، ورَوَى شعرَهُ واستحسنه سائرُ الرواة عَلَى طبقاتهم واختلاف مذاهبهم ؛ فمن نَفَقَ على الناس جميعا أَوْلَى بالفضيلة ، وأحقّ بالتقدمة .

٧ — قال صاحب أبى تمام : إنما أعْرَضَ عن شعر أبى تمام مَنْ لم يفهمه ؛

(١) انظر البديع (ص ١) وفى العبارة بعض مخالفة

(٢) تقيلهم : تبعهم ، واقتفى أثرهم (٣) فى المطبوعات «وحيث وقع» تحريف

لدقّة معانيه ، وقُصُور فهمه عنه ، وفَهِمَه العلماء والنقّادُ فى علم الشعر ، وإذا عرَفَتْ هذه الطبقةُ فضيلته لم يَضُرّه طعنُ مَنْ طعن بعدها عليه .

٨ — قال صاحب البحترى : إن ابن الأعْرَابِيّ وأحمَدَ بن يحيى الشيبانى — وقبلهما دِعْبِل بن علىّ الخُزَاعى — قد كانوا عُلماء بالشعر وكلام العرب ، وقد علمتم مذاهبهم فى أبى تمام ، وازدراءهم شعره[1] ، وطَعْن دِعْبِلٍ عليه ، وقولَهُ : إن ثُلُث شعره محال ، وثلثه مسروق ، وثلثه صالح . ورَوَى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الشعراء عن محمد بن القاسم بن مهرو يه عن الهيثم بن داود عن دِعْبِلٍ أنه قال : ما جَعَله الله من الشعراء ، بل شعره بالخُطَبِ والكلام المنثور أشبه منه بالشعر ، ولم يُدْخله فى كتابه المؤلّف فى الشعراء . وقال ابن الأعرابى فى شعر أبى تمام : إن كان هذا شعراً فكلامُ العربِ باطلٌ ، رَوَى ذلك أبو عبد الله محمد ابن داود عن البحترى عن ابن الأعرابى . وحكى محمد بن داود أيضاً عن محمد بن القاسم بن مهرو يه عن حذيفة بن محمد — وكان عالماً بالشعر — أنه قال : أبو تمام يريد البديع فيَخْرُج إلى المحال . ورَوَى عنه أنه قال : دخل إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصِلى عَلَى الحسن بن وهب وأبو تمام يُنْشِده ، فقال له إسحاق : يا هذا لقد شَدّدْتَ عَلَى نفسك[2] . وذكره أيضاً أبو العباس عبدُ الله بن المعتز فى كتاب البديع . وغيرُ هؤلاء العلماء ممن أسْقَطَ شعره[3] كثيرٌ : منهم أبو سعيد الضرير ، وأبو العَمَيْثل الأعرابى صاحبا عبد الله بن طاهر [القَيّمان بأمر خزانة الحكمة[4]] بخراسان ، وكانا من أعلم الناس بالشعر ، وكان عبدالله بن طاهر لا يسمع من شاعر إلا إذا امْتَحَنَاه وأنشدها شعره ورضياه ، فقصدها أبو تمام بقصيدته التى يمدح فيها عبد الله بن طاهر وأولها :

(١) كذا ، ولعله « إزراءهم بشعره » أو « ازدراءهم شعره » ، وفى الخطية « وإرذالهم لشعره »

(٢) انظر فى الوساطة ٦٤ البيت الذى من أجله قال له إسحاق ذلك ، وفيه « لقد شققت على نفسك ، إن الشعر لأقرب مما تظن » .

(٣) فى المطبوعات « ممن أفسد واشعره » (٤) زيادة عن الخطية

هُنَّ عَوَادِى يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهْ فَعَزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ النُّجْحَ طَالِبُهْ(١)

فلما سمعا هذا الابتداء أعرضا عنه ، وأسقطا القصيدة ، حتى عاتبهما أبو تمام ، وسألهما النظر فيها ، فلولا أنهما ظفرا ببيتين مسروقين فيها استحسناهما فعرضا القصيدة على عبد الله بن طاهر وأخذا له الجائزة لكان قد افتضح ، وخابت سَفْرته ، وخَسِرَت صَفْقته ، والبيتان :

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ(٢)
لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

أخذ معنى البيت الأول من قول الْبَعيث :

أَطَافَتْ بِشُعْثٍ كَالأَسِنَّةِ هُجَّدٍ بِخَاشِعَةِ الأَصْوَاءِ غُبْرٍ صُحُونُهَا(٣)

وأخذ معنى البيت الثانى من قول الآخر(٤) :

غُلَامُ وَغًى تَقَحَّمَهَا فَأَبْلَى فَخَانَ بَلَاءَهُ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ
وَكَانَ عَلَى الْفَتَى الإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَتِ الْمَنُونُ

---

(١) الديوان (٤٣) وفيه « أهن عوادى » وفيه « أدرك السؤل » .

(٢) فى أخبار أبى تمام (٥٢ و ١١٦ و ١١٧) « والليل داج غياهبه » .

(٣) شعث : جمع أشعث ، وهو المغبر الرأس المتلبد الشعر ، والأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح ، وهجد : جمع هاجد ، وهو النائم ، والأصواء : جمع صوى ، وهو جمع صوة ، وهو حجر يوضع فى الطريق ليهتدى به السائر ، ومعنى « خاشعة الأصواء » أن هذه العلامات قد تغيرت ، والصحون : جمع صحن ، وهو ساحة وسط الفلاة ، وفى الخطية « بخاشعة الأصوات » ويراد به أن السائر فيها لايرفع صوته لخوفه ورهبته ، وسينشده مرة أخرى فى ٥٣

(٤) فى أخبار أبى تمام (٥٢) «دهر خؤون» والصناعتين(٢٠٦) «الزمن خؤون» ورواهما فى اللسان (م ن ن) عن عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه ، وفيه فى صدر الثانى «فإن على الفتى» وروى الشريشى فى شرح المقامات الحريرية (١ / ٣٥٣) ثانى هذين البيتين ، وسيأتى للمؤلف ينشدهما مرة أخرى (ص ٥٢ من هذا الكتاب)

ولما أوصلا إليه الجائزة قالا له : لم تقول مالا يفهم ؟ فقال لهما . لم لا تفهمان ما يقال ؟ فكان هذا مما استحسن من جوابه[١] .

وهذا أبو العباس محمدُ بن يَزيد المبردُ ، ما علمناه دَوَّنَ له كبير شيء ، وهذه كتبه وأماليه وإنشاداته تَدُلُّ على ذلك ، وكان يفضل البحتريَّ ، ويستجيد شعره ، ويكثر إنشاده ، ولا يُمْليه[٢] ؛ لأن البحترى كان باقياً فى زمانه ، أخبرنا أبو الحسن الأخفش قال : سمعت أبا العباس محمدَ بن يزيدَ المبرِّدَ يقول : ما رأيت أشعر من هذا الرجل ، يعنى البحترى ، لولا أنه ينشدنى لِما أنشدكم للأتُ كتبى وأماليّ من شعره .

[قال صاحب البحترى : فقد بطل احتجاجكم بالعلماء ، وتفضيلكم شِعْرَهُ

٩ — قال صاحب أبى تمام : أما احتجاجكم بدعْبِلٍ فغيرُ مقبولٍ ولا مُعَوَّلٍ عليه] ؛ لأن دِعْبِلاً كان يَشْنأ أبا تمام ويحسُده ، وذلك مشهور معلوم منه ؛ فلا يقبل قول شاعر فى شاعر ، وأما ابن الأعرابى فكان شديدَ التعصُّبِ عليه ؛ لغرابة مذهبه ، ولأنه كان يَرِد عليه من معانيه مالا يفهمه ولا يعلمه ، فكان إذا سُئل عن شيء منها يأنَفُ أن يقول لا أدرى فيعدل إلى الطعن عليه ، والدليلُ على ذلك أنه أُنْشِدَ يوماً أبياتاً من شعره ، وهو لا يعلم قائلها ، فاستحسنها وأمر بكَتْبها ، فلما عرف أنه قائلها قال : خَرِّقوه[٣] ، والأبياتُ من أرجوزته التى أولها[٤] :

---

(١) انظر القصة والأبيات فى أخبار أبى تمام (٥٢ و ١١٧) والصناعتين (٢٠٦) وهبة الأيام (١٣٤) ولعل الأفضل أنهما قالا له « لم لاتقول مايفهم ؟ » وكذلك هو فى الخطية

(٢) فى المطبوعات « ولا يستمليه » والسياق يقتضى ماأثبتنا موافقا لما فى الخطبة .

(٣) التخريق : التمزيق ، يريد مزقوا الورقة التى كتبت فيها هذه الأرجوزة

(٤) هى أرجوزة يقولها فى هجاء صالح بن عبد الله الهاشمى (الديوان ٥٠٤) وانظر قصة ابن الأعرابى حيال هذه الأرجوزة فى أخبار أبى تمام (١٧٥) وفى مروج الذهب المسعودى ٤ / ٧٣ طبعة ثانية بتحقيقنا .

وَعَاذِلٍ عَذَلْتُهُ فِي عَـــذْلِهِ فَظَنَّ أَنِّي جَاهِلٌ مِنْ جَهْلِهِ

وكان ابن الأعرابى — على علمه وتقدُّمِه — قد حَمَل نفسه على هذا الظلم القبيح والتعصب الظاهر ، فما تُنكرون أيضاً أن تكون حالُ سائر من ذكرتموه مثلَ حاله ؟

١٠ — قال صاحب البحترى : لا يلزم ابْنَ الأعرابى من الظلم والتعصب ماادَّعيتم ، ولايلحقه نقصٌ فى قصور فَهْمه عن معانى شاعرٍ عَدَلَ فى شعره عن مذاهب العرب[المألُوفَةِ] إلى الاستعارات البعيدة المُخْرِجة للكلام إلى الخطأ أو الإحالة ، بل العيبُ والنقص فى ذلك يلحقان أبا تمام ؛ إذ عدل عن المَحَجَّة إلى طريقةٍ يجهلها ابْنُ الأعرابى وأمثاله ، وأما ما استحسنه ابن الأعرابى من شعر أبى تمام [على أنه لأعرابىٍّ] فأمر بكَتْبه ، ثم أمر بتخريقه لَمَّا علم أنه قائلُه ، فذلك غير مُنْكَر ، ولا يُدْخِل ابْنَ الأعرابى فى التعصُّب والظلم ؛ لأن الذى يورده الأعرابى - وهو محتذٍ على غيرِ مثال - أحلى فى النفوس ، وأشهى إلى الأسماع ، وأحق بالزيادة والاستجادة مما يورده المحتَذِى على الأمثلة ، وعُذْرُ ابن الأعرابى فى هـذا وَاضِحٌ ، وقد سبقه الأصمعى ، وذلك أن إسحاق(١) بن إبراهيم الموصلى أنشد الأصمعى :

هَلْ إِلَى نَظْرَةٍ إِلَيْكِ سَبِيلُ فيروِّى الصَّدَى وَيُشْفَى الْغَلِيلُ؟

إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكِ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ

فقال[الأصمعى] : لمن تنشدنى ؟ فقال : لبعض الأعراب ، فقال : هذا والله هو الدِّيباجُ الخسروانى ، قال: إنهما لليلتهما ، فقال: لاجرمَ والله إن أثر الصنعة والتكلُّف بَيِّنٌ عليهما . حدثنا بهذا الحديث أبو الحسن علىُّ بن سليمانَ الأخفشُ النحوىُّ ، قال : حدثنا أبو الحسن المهرانى ، قال : حدثنى أبو خالد يزيد بن محمد المهلبى ، قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى(١)، قال : أنشدت الأصمعى ، إلا أنه ذكر عن إسحاق أنه قال له : إنهما لليلتهما ، فقال الأصمعى : أفسدتهما ؛ فالأصمعى

(١) انظر الصناعتين ٣٩٥ والوساطة ١٧٩ ، وانظر القصة والبيتين فى الوساطة ٤٧.

فى هذا غيرُ ظالم ؛ لأن إسحاق ـ مع علمه بالشعر ، وكثرة روايته ـ لا ينكر له أن يُورِدَ مثلَ هذا ؛ لأنه يقوم فى النفس أنه قد احْتَذَاه على مثال ، وأخذه عن متقدِّم ، وإنما يُسْتَطْرَف مثلُه من الأعرابى الذى لا يُعَوِّل إلا على طبعه وسليقته ، وابْنُ الأعرابى فى أبى تمام أعْذَرُ من الأصمعى فى إسحاق ؛ لأن أبا تمام كان مُغْرَماً مشغوفاً بالشعر ، وانفرد به ، وجعله وُكْدَه ، وألَّفَ كتباً فيه ، واقتصر من كل علم عليه ، فإذا أورد المعنى المستغرَبَ لم يكن ذلك ببِدْع له ؛ لأنه يأخذ المعانِيَ ويحتذيها ، فليس لها فى النفوس حَلاَوَةُ ما يورده الأعرابى [الْقُحُّ] .

١١ — قال صاحب أبى تمام : فقد أقررتم لأبى تمام بالعلم والشعر والرواية ، ولا محالة أن العلم فى شعره أظهر منه فى شعر البحترى ، والشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم .

١٢ — قال صاحب البحترى : فقد كان الخليل بن أحمد عالماً شاعراً ، وكان الأصمعى عالماً شاعراً ، وكان الكسائى كذلك ، وكان خَلَفُ [بن حَيَّان] الأحمر أشعرَ العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقةَ مَنْ كان فى زمانهم من الشعراء غير العلماء ؛ فقد كان التجويد فى الشعر ليست علتُه العلم ، ولو كانت علته العلم لكان مَنْ يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم ؛ فقد سقط فضل أبى تمام من هذا الوجه على البحترى ، وصار [البحترىّ] أفضلَ وأولى بالسبق ؛ إذ كان معلوما شائعاً أن شعر العلماء دون شعر الشعراء ، ومع ذلك فإن أبا تمام تَعَمَّدَ أن يَدُلَّ(١) فى شعره على علمه باللغة وبكلام العرب ؛ فيعمد لإدخال ألفاظ غريبة فى مواضع كثيرة من شعره ، وذلك نحو قوله :

هُنَّ الْبَجَارِىُّ يا بُجَـيْرُ أَهْدَى لَهَا الأَبْؤُسَ الْغُوَيْرُ(٢)

(١) فى المطبوعات « يعمل على أن يدل — إلخ »

(٢) ليس هذا البيت فى الديوان ، والبجارى : الدواهى والأمور العظمية وبعضه إشارة إلى المثل « عسى الغوير أبؤسا » قالته الزباء فى قصة مشهورة ، وأنشده صاحب الوساطة ٢٦

وقوله :

* قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فى الْغُلَوَاءِ *(١)

وقوله :

* أَقَرْمَ بكرٍ تُبَارِى أَيُّهَا الْخَفَضُ *(٢)

وهذا فى شعره كثير موجود ، والبحترى لم يقصد هذا ، ولا اعْتَمَدَهُ ، ولا كان له عنده فضيلة ، ولا رأى أنه علم ؛ لأنه نشأ ببادية مَنْبِجَ ، وكان يتعمّد حذف الغريب والوَحْشِيِّ من شعره ؛ ليقرب به مِنْ فهم مَنْ يمتدحه ، إلا أن يأتيه طبعُه باللفظة بعد اللفظة فى موضعها من غير طلب لها ، و يرى أن ذلك أنفَقُ له ؛ فَنَفَقَ ، و بلغ المراد والغرض ؛ و يدلك على ذلك أنه كان يُكنى أبا عُبَادة ، ولما دخل العراق تكَنَّى أبا الحسن ؛ ليزيل الْمُنْبِجِيّة والأعرابية ، و يساوى فى مذاهبه أهل الحاضرة ، و يتقرب بهذه الكنية إلى أهل النباهة والكُتَّاب من الشيعة ، وقد ذكر بعضهم أنه كان يكنى أبا الحسن ، وأنه لما اتصل بالمتوكل وعَرف مذهبه عدَلَ إلى أبى عُبَادة ، والأول أثبَتُ ، وقد حكى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح [فى كتاب الشعراء] أن أبا عُبَادة كنية البحترى القديمة ، فشتّان ماهما ، مِنْ حَضَرِىّ

(١) انظر الديوان (ص ٢) وقدك : معناه يكفيك . واتئب : استح ، وأربيت : زدت ، والغلواء ههنا : مجاوزة الحد ، وتمامه:

* كم تعذلون وأنتم سجرائى ؟ *

والسجراء : جمع سجير ، وهو الصديق والأنيس. وانظر أيضا الموشح(٣٠٥) والصناعتين ٤٣٥ ، وسينشد المؤلف البيت كاملا فى ص ٣٩١

(٢) هذا صدر مطلع قصيدة ، وتمامه :

* ونجمها أيهذا الهالك الحرض *

انظر الديوان (١٨٠) والقرم : السيد ، والخفض : أصله الجمل الضعيف ، وتبارى : تفاخر ، والحرض : الذى أضناه المرض ، وفى التنزيل الكريم:(تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا) وأبو تمام يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ويهجو رجلا فاخره فى المجلس .

تشبّه بأهل البدو فلم ينفق بالبادية ، ولا عند أكثر الحاضرة ، وبَدَوِيٌّ تحضَّرَ فنفَقَ فى البدو والحضر .

١٣ — قال صاحب أبى تمام : فقد عرَّفنا كم أن أبا تمام أتى فى شعره بمعانٍ فلسفية ، وألفاظٍ غريبة ، فإذا سَمِع بعضَ شعره الأعرابىُّ لم يفهمه ، فإذا فُسِّر له فهمه واستحسنه .

١٤ — قال صاحب البحترى : هذه دعاوٍ منكم على الأعراب فى استحسان شعر صاحبكم إذا فهموه ، ولا يصح ذلك إلا بالامتحان ، ولكنكم معترفون ومُجْمعون مع مَنْهو معكم وعليكم أن لصاحبكم إحساناتٍ وإساءاتٍ ، وأن الإحسان للبحترى دون الإساءة ، ومَنْ أحْسَنَ ولم يسىء أفضلُ ممن أحسن وأساء .

١٥ — قال صاحب أبى تمام : ماأجمعنا معكم أن صاحبكم لمُ يسِىء ، بل [هو] قد أساء فى قوله(١) :

يُخْفِى الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا ... فى الكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إناءِ

وهذا وصف للإناء لا للشراب ؛ لأنه لو مَلأ الإناء دِبْسًا لكان هذا صفته .

وقال(٢) :

ضَحِكاتٌ فى إثْرِهِنَّ العَطَايَا ... وَبُروقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهْ

فأقام البرقَ مُقَامَ الضحك ، والرعدَ مقام العطايا ، وإنما كان يجب أن يُقيم الغيثَ مُقام العطايا ، لا الرعد ، ولهُ لُحُون فى شعره معروفة نحو قوله(٣) :

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ج ١ ص ٤) والبيت فى وصف الخمر ، وسيذكره ثانية فى سرقات البحترى ص ٢٥١ وثالثة فى باب ماعيب به البحترى مما ليس بعيب ص ٣١٩ .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان ج ١ ص ١٦٩) وانظر موشح المرزبانى (٣٤٢) .

(٣) هو عجز بيت من قصيدته التى يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ج ١ ص ٥) ، وصدر البيت قوله : =

* وَنَصَبْتَهُ عَلَماً بِسَامُرَّاء *

وقوله(١) :

* نبرَاتُ مَعْبَدَ فى الثَّقِيلِ الأوَّلِ *

وقوله(٢) :

عَرِّجْ بِذِى سَلَمٍ فَثَمَّ المنزِلُ لِيَقُولَ صَبٌّ ما يشاء وَيَفعَلُ

وأشباه لهذا كثيرة ؛ فقد تساويا فى الغلط .

١٦ — قال صاحب البحترى : ما نَعَيْنَا على أبى تمام اللحنَ ـ وهو فى شعره كثير لو تتبِّع ـ فتنعوا مثله على البحترى ؛ لأن اللحن لا يكاد يَعْرَى منه أحد من الشعراء المُحْدَثِينَ ، ولا يسلم منه شاعر من الشعراء الإسلاميين ؛ وقد جاء فى أشعار المتقدمين ماعلمتم من الإقْوَاء وغير الإقوَاء مما لايقوم العذرُ فيه إلا بالتأويلات البعيدة ، وعلى أنه ليس شىء مما عبتم به البحترى [من اللحن] خارجا عن مقاييس العربية ، ولا بعيداً من الصواب ، بل قد جاء مثله كثير فى أشعار القدماء والأعراب والفصحاء ، ولو كان هذا موضع ذكرهِ لذكرناه ، ونحن لو رُمْنَا أن نُخْرِج

= * أخليت منه البذ وهى قراره *

والبيت فى الحديث عن بابك الخرمى .

(١) لم أجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع ، وفى هذا الشطر منع صرف « معبد » وهو لايستحق ذلك ؛ لأنه لم تجتمع فيه مع العلمية علة أخرى تقتضيه ، وله مع ذلك نظائر فى شعر من يحتج بشعرهم ، وقد ذكر البيت صاحب ديوان الصبابة (٢ / ٤٩ بولاق ، بهامش تزيين الأسواق) وقال : إنه يصف فيه صهيل فرس ، وصدره قوله :

* هزج الصهيل كأن فى نغماته *

وذكره فى زهر الآداب (٢ / ٢٤) ضمن قطعة عدتها ثلاثة عشر بيتا ، وفى معناه يقول على بن محمد الإيادى يصف فرس جعفر بن أبى القاسم :

حلو الصهيل تخال فى لهواته حاد يصوغ بدائعا من لحنه

(٢) فى المطبوعات كلها « عرج على حلب » تحريف ماأثبتناه عن المخطوطة .

ما فى شعر أبى تمام من اللحن لكثر ذلك واتسع ، ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه ، ولا يجد المتأوِّلُ له مخرَجاً منه إلاَّ بالطلب والحيلة والتمحل الشديد ، وذلك مثل قوله[١] :

ثَانِيهِ فى كَبِدِ السَّماءِ ، ولم يَكُنْ لِاُثنَيْنِ ثَانٍ إذْ هُما فى الغَارِ

معنى هذا البيت أن بابكَ صار جاراً فى الصَّلْبِ لمازيَّار[٢] ، وهو ثانيه فى كبد السماء ، ولم يكن ثانيا لاثنين إذ هما فى الغار : أى هو ثانى اثنين فى الصَّلب لمازيَّار الذى هو رَذيلة ، وليس هو ثانياً فى الغار ؛ لأن هذه فضيلة ؛ فكان يجب أن يقول فى البيت « ولم يكن لاثنين ثانياً[٣] » ؛ لأنه خبر يكن ، واسمها هو اسم بابك مضمر فيها ؛ فليس إلى غير النصب سبيل فى البيت ، و إلا بطل المعنى وفسد ، وفسادُهُ أنك إذا أخليت « يكن » من ضمير بابك وجعلت قوله « ثانى » اسْمَهَا كان ذلك خطأً ظاهراً قبيحاً ؛ لأنك إذا قلت : كان زيد وعمرو اثنين ولم يكن لهما ثان ، كنت مخطئاً ؛ لأن [كلّ] اثنين أحدهما ثانٍ للآخر ، وكذلك إذا قلت : كانوا ثلاثةً ولم يكن لهم ثالث ، كنت مخطئاً ؛ لأنّ أحد الثلاثة هو ثالثهم ، و إنما تكون مصيباً إذا قلت : كانا اثنين ولم يكن لهما ثالث ، وثلاثةً ولم يكن لهم رابع ،

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم ويذكر إحراق الأفشين (الديوان ص١٥٤)

(٢) قبل البيت الذى أنشده المؤلف ـ وبذكره يظهر المعنى ـ قوله :

ولقد شفى الأحشاء من برحائها أن صار بابك جار مازيار

(٣) قد ورد لذلك نظائرُ فى شعر من يحتج بشعرهم ، وإن كان معدودا عند العلماء من ضرورات الشعر ؛ من ذلك قول الشاعر :

كفى بالنأى من أسماء كاف وليس لهجرها إن طال شاف

فقد كان من حق الكلام أن يقول « كفى بالنأى من أسماء كافيا » ومن ذلك قول الآخر :

ولو أن واش باليمامة داره ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا

فقد كان من حق الكلام أن يقول « ولو أن واشيا »

وأيضًا فإنه لو أراد هذا المعنى لم يكن فى البيت فائدة البتة ؛ لأنه كان يكون المعنى حينئذٍ أن بابك ثانى مازيّار ، فأىُّ فائدة فى هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش ؟ وأىُّ تعلق لهذا المعنى بما قبله فى البيت ؟

وقال فى آخر قصيدة (١) :

شَامَتْ بُرُوقَكَ آمَالِى بِمِصْرَ ، وَلَوْ أَضْحَتْ على الطُّوسِ لم تَسْتَبْعِدِ الطُّوسَا

فأدخل فى طوس الألفَ واللامَ ، وهى اسم بلدة معروفة ، وقال (٢) :

* إحْدَى بَنِى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاهِ *

وإنما هى مَنَاة فى الإدراج ، كما قال الله تبارك وتعالى (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى) (٣) وإنما تكون بالهاء فى الوقف ، لا فى الحركة والدَّرْج .

وقال فى هذه القصيدة :

* لَوْلاَ صِفَاتٌ فى كِتَابِ البَاهِ *

وإنما هى الباءة بالمد فى تقدير الباعة ، وإن كان قد حكى الباه فى بعض اللغات الرديئة ، والردىء لا يُعْتَدُّ به .

وقال (٤) :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها عياش بن لهيعة (الديوان ص ١٧٢) وفيه :

* أضحت بطوس لما قصرت عن طوسا *

ولا اعتراض على هذه الرواية من الجهة التى ذكرها المؤلف

(٢) هو صدر مطلع قصيدة له يمدح فيها يحيى بن عبد الله (الديوان ٣٤١) وعجزه : * بين الكثيب الفرد فالأمواه *

وانظر معاهد التنصيص ٤١٩ بولاق ، وانظر فى أخبار أبى تمام (٢٦٠) تعليقا على هذا البيت عن شرح التبريزى .

(٣) الآية ٢٠ من سورة النجم

(٤) هو من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٣٤٣) ومطلعها قوله :

ألا ويل الشجى من الخلى وبالى الربع من إحدى بلى

فَكَمْ لِيَ مِنْ هَوَاءٍ فِيكِ صَافٍ   غَذِىٍّ جَوُّهُ ، وَهَوًى وَبِىٍّ

فقال غذىّ وهو غَذٍ بالتخفيف .

وقال فى قصيدة[(١)] :

* عَلى الأَعادِى مِيكالٌ وَجِبْرِيلُ *

فأوقع الإعراب على [الياء من] الأعادى ، وذلك غير جائز لمتأخر[(٢)] . وقال :

سِتِّينَ أَلْفاً وَسَبْعِيناً وَمِثْلُهُمَا   كَتَائِبُ الْخَيْلِ تَحْمِيهَا الأَرَاجِيلُ[(٣)]

فَنوَّنَ النون من « سبعينٍ » وهذا لا يُسَوِّغُهُ محدَثٌ ، ونحو هذا مما ليست بنا حاجة إلى ذكره ؛ لأنا لم نتتبعه ولا عبناه به ؛ لِماَ وصفناهُ فى باب اللحن وكثرته فى أشعار المتأخرين ، وإنما عبناه بخطائه فى معانيه ، وإحالته فى استعاراته ، وكثرة مايورده من الساقط والغثّ البارد ، مع سوء سَبْكه ، ورداءة طبعه ، وسخافة لفظه ، مما سنذكره فى باب آخر من الاحتجاج عليكم .

فأما ما عبتم به البحترى من قوله :

يُخْفِى الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا   فى الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءِ

فما زالت الرواة وشيوخُ أهل الأدب والعلم يستحسنون هذا البيت ويستجيدونه له ، وذكَرَهُ عبدُ الله بن المعتز بالله ـ وقد علمتم[(٤)] فضله وعلمه بالشعر ـ فى باب ما اختاره

---

(١) ليس له وجود فى نسخ الديوان

(٢) قد ورد منه قول جرير يهجو الفرزدق :

وَعِرْقُ الفَرَزْدَقِ شَرُّ العُرُوقِ   خَبِيثُ الثَّرَى كَابِىُ الأَزْنُدِ

وقول الآخر :

لا بارَكَ اللهُ فى الغَوَانِىِ هَلْ   يُصْبِحْنَ إِلاَّ لَهُنَّ مُطَّلَبُ

وهو كثير فى الشعر العربى المحتج به ، وإن كان معدودا فى ضرورات الشعر ، ومجازه عندهم معاملة حروف العلة ـ مع ضعفها عن احتمال الحركة ـ معاملة الحروف الصحيحة الجلدة

(٣) ليس له وجود فى نسخ الديوان   (٤) فى الخطية « وقد عرفتم »

من التشبيه فى كتابه الذى نسبه إلى البديع ، ولـكنكم أبيتم إلا إفساده ، ثم أجْلَبْتُمْ وأ كثرتم أن تَنْعَوْا على شاعر مُحْسِن بيتاً واحداً ، فما زلتم تبحثون وتتمحلون حتى وجدتم أبياتاً تحتمل من التأويل ما يحتمله الأول ، وهو قوله :

ضَـحِكَاتٌ فى إثْرِهِنَّ الْعَطَايَا وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْـلَ رُعُودِهْ

وكلا البيتين إلى الصواب أقرب ، ومن الخطأ أبعد ، فأما قوله :

يخفِى الزجاجَةَ لَوْنُهَا فَـكأنها فى الْـكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَـيْرِ إنَاءِ

فإنما قصد إلى وصف هيئة الشراب فى الإناء ، ولم يقصد إلى وصف الشراب خاصة ، ولا إلى الإناء ، كما ادعيتم ، ولو أراد وصف الإناء لـكان مُصِيباً ؛ لأن الزجاجة أيضاً يُوصَفُ ما فيها ، وتقع المبالغة فى نَعْتها ، وقد جاء فى وصف أوانى الشراب ما جاء ، ومن أحسن ما قيل فى ذلك قول على بن العباس بن جُرَيج الرومى يصف قَدَحاً :

تنفذُ العينُ فيه حتى تراها أخطأتْهُ من رقة الْمُسْتَشَفِّ[1]

كهواء بلا هَبَاء مَشُـوب بضياء ، أرْقِقْ بذاك وأصْفِ

وَسَطُ القَدْر : لم يُكَبَّرْ لجَرْعٍ مُتَوالٍ ، ولم يُصَغَّر لرَشْفِ

لا عجول على العقول جهول بل حليم عنهنَّ من غير ضَعْفِ

فالزجاجة إذا رقّت وصَفَت وسلمت من الـكدر اشتدَّ صفاؤها وبَرِيقها ، فإذا

(١) كان ابن الرومى يملك قدحا ، وكان يزعم أنه كان من قبل فى ملك هارون الرشيد أمير المؤمنين ، ثم أهدى هذا القدح إلى على بن يحيى المنجم ، وقال فيه هذه الأبيات ، وقبلها قوله :

وبديع من البدائع يَسْبِى كلَّ عقل ، ويَطَّبِى كلَّ طَرْفِ

وُفِّىَ الحسنَ والملاحَةَ ، حتى مَا يُوَفِّيهِ واصفٌ حقَّ وَصْفِ

قَدَحٌ كان للرشيد اصْطَفَاهُ خَلَف من ذكوره غيرُ خَلْفِ

كفم الحِبِّ فى الحلاوة ، بل أحـلَى ، وإن كان لا يُنَاغِى بحَرْفِ

وقع فيها الشراب الرقيقُ اتصل الشعاعان ، وامتزج الضوءان ، فلم تكد الزجاجة تتبين للناظر ، ولو صَبَبْنا[١] دِبْساً أو عَسَلا أو لبناً أو ماء كَدِراً فى إناء هذه صِفَتُهُ فى الرقة لما خَفِىَ الإناء على الناظر ؛ لأن هذه الأشياء لا شعاع لها ولا ضياء يتصل بشعاع الإناء وضوئه ، وقد سبقه إلى هذا المعنى علىُّ بن جَبَلَة فقال :

كأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنهَا شُعاعاً لا تُحِيطُ عَلَيْهِ كاسُ[٢]

وقال الآخر ، أنشده أبو الحسن علىُّ بن سليمانَ الأخفشُ :

وَإذا مَا مُزِجَتْ فِى كَأسِهَا فَهْىَ وَالْكأسُ مَعاً شَىْءٌ أَحَدْ[٣]

فأنتم فى هذه المعارضة بالخطأ أجْدَرُ ، و بالعيب أحْرَى .

فأما قوله :

* وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهْ *

فإنه أقام الرعد مُقامَ الغيث ؛ لأنه مُقَدِّمة له ، وعَلَمٌ من أعْلاَمه ، ودليل من أقوى دلائله ، ألا ترى أن بَرْق الْخُلَّب لا رَعْدَ له ، وقد قال الأعشى :

وَالشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا اُسْتَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلاَ[٤]

فجعل الرعدَ هو الذى يستنزل المطر ، وقال الكميت :

وَأَنْتَ فى الشَّتْوَةِ الجماد إذا أَخْلَفَ مِنْ أَنْجُمٍ رَوَاعِدُها[٥]

و إذا كان البرق ذا رَعْدٍ فقلَّما يُخْلِفُ . ومثل هذا فى كلام العرب ــ مما يَنُوب [فيه] الشىء عن الشىء ، إذا كان متصلا به ، أو سبباً من أسبابه ، أو مجاوراً له ــ كثيرٌ ؛ فمن ذلك قولهم للمطر : سماء ، ومنه قولهم : ما زلنا نَطَأُ السماءَ حتى أتينا كم، قال الشاعر :

(١) فى المطبوعات « ولوجعلها »

(٢) سيذكره المؤلف فى سرقات البحترى ص ٢٥١ ، وفى باب ماعيب به البحترى مما ليس بعيب ص ٣٢٠ (٣) سيذكره المؤلف فى ص ٣٢٠ ثانى بيتين

(٤ و ٥) سيذكره المؤلف مرة أخرى فى ص ٣٢١

إذا نَزَلَ السماء بِأَرْض قَوْمٍ رَعَيْناهُ وَإنْ كانُوا غِضـاباَ[١]

يريد إذا سقط المطرُ رعيناه ، يريد رعينا النَّبْتَ الذى يكون عنه ، ولهذا سمى النبت نَدًى ؛ لأنه عن النَّدَى يكون، وقالوا : ما به طِرْقٌ ، أى مابه قوة ، والطِّرْقُ : الشَّحْمُ ، فوضعوه موضع القوة ؛ لأن القوة عنه تكون ، وقولُهم للمَزَادة : راوية ، وإنما الراوية البعيرُ الذى يسقى عليه الماء ، فسمى الوعاء الذى يحمله باسمه ، ومن ذلك الحَفَضُ متاعُ البيتِ ، فسمى البعير الذى يحمله حفضاً .

ومن ذلك قول المسيَّب بن عَلَسٍ :

* وَتَمُدُّ ثِنْيَ جَدِيلِها بِشِرَاعِ[٢] *

أراد بدَقَلٍ ، فقال : بشراع ؛ لأن الشراع عليه يكون .

وهذا باب واسع ، وأيْسَرُ من أن يحتاج إلى استقصائه .

وبعد ؛ فلو كان هذان البيتان خطأ ــ كما ادعيتم وأخذتم على هذا الشاعر المجتَمَعِ على إحسانه غلطاً من غيرها فى شعره ــ لمـا كان بذلك داخلا فى جملة المسبوقين ، ولا الخاطئين فى الشعر ؛ لجودة نظمه ، واستواء نَسْجِهِ، ووقوع لفظه فى مواقعه ، ولأن

---

(١) ينسب هذا البيت لجرير ، وهو خطأ ، والصواب أنه لمعاوية بن مالك ابن جعفر الذى يلقب معود الحكماء ، من قصيدة أولها قوله :

أجد القلب من سلمى اجتنـابا وأقصر بعد ماشابت وشابا

وانظره فى معاهد التنصيص (٣٠٣) وفى الصناعتين (٢٧٦)

(٢) هذا عجز بيت له ، وصدره قوله :

* وكأن غاربها رباوة مخرم *

والغارب : مابين السنام والعنق ، والرباوة ــ مثلث الراء ــ منقطع الغلظ من الجبل ، والمخرم : منقطع أنف الجبل ، والجديل : الزمام ، وثنيه : ماانثنى منه باليد ، وأراد تمد جديلها بعنق طويل ، فشبهها بشراع السفينة ، ولكنه أراد الدقل (الصارى) وقد ذكره صاحب الصناعتين (٧١) فيما يعاب من الشعر ، وانظر الوساطة (ص ١٧) أيضا ، والمفضليات ١/ ٦٠ .

معانيه تصح بالنقد ، وتخلصُ على السبك[١] . وأبو تمام يَتَبَهْرَجُ شعرُهُ عند التفتيش والبحث ، ولا تصح معانيه على التفسير والشرح .

١٧ — قال صاحب أبي تمام : لئن أسرفتم في الذمّ ، و بالغتم على صاحبنا في الطعن ، وتجاوزتم الحدَّ الذى يقف عنده المحتجُّ المُناظر ، إلى مذهب المسْقِط المغالِطِ ، والمتعصِّب المتحامل — فلسنا نمنع أن يكون صاحبُنا قد وهِمَ في بعض شعره ، وعَدَل عن الوجه الأوضح في كثير من معانيه ، وغيرُ منكرٍ لفكر نَتَج من المحاسن ما نَتَج ، وولَّد من البدائع ما ولَّد ، أن يلحقه الكَلاَلُ في الأوقات ، والزلل في الأحيان . بل من الواجب لمن أحسن إحسانَه أن يُسامَحَ في سهوه ، ويُتَجاوز له عن زَلَله ، فما رأينا أحداً من شعراء الجاهلية سلم من الطعن ، ولا مِنْ أخْذِ الرُّوَاة عليه الغلطَ والعَيْبَ .

هذا الأصمعي قد عاب امرأ القيس بقوله :

وَأَرْكَبُ في الرَّوْعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرْ[٢]

وقال[٣] : شبَّه شعَرَ الناصية بسَعَف النخلة ، والشَّعر إذا غطَّى العينَ لم يكن الفرس كريماً ، وذلك هو الغَمَم ، والذى يُحمَد من الناصية الجَثْلَةُ ، وهى التى لم تُفْرط في الكثرة فتكونَ الفرسُ غمَّاء ، والغَمَم مكروه ، ولم تُفرِط في الخِفَّة فتكونَ الفرس سَفْواءَ ، والسفا أيضاً مكروهٌ في الخيل ، والجيِّدُ ما قال عَبيد :

(١) في الخطية « على التفسير » .

(٢) انظر البيت والاعتراض عليه في الموشح (٣٥ وما بعدها) وفي الصناعتين (٩٤) وفي صحاح الجوهرى (خ ى ف) وفي الوساطة (١٦) والبيت في صفة فرس والخيفانة في الأصل : الجرادة ، شبه بها فرسه

(٣) قد عنى كثير من العلماء ببيان ماأخذوه أو أخذه غيرهم على الشعراء ، وانظر في ذلك فصلا جيدا كل الجودة في الصناعتين عنوانه « الفصل الثانى في التنبيه على خطأ المعانى وصوابها » غير ماتناثر في الكتاب من بيان خطأ الشعراء في كل نوع من أنواع البلاغة التى تعرض لها ، وانظر كذلك مطلع الوساطة للجرجانى ، والعمدة في هذا الموضوع هو كتاب الموشح لمحمد بن عمران المرزبانى المتوفى في سنة ٣٨٤ من الهجرة

مُضَبَّرٌ خَلْقُها تَضْــبِيراً يَنْشَقُّ عَنْ وَجْهِهَا السَّبِيبُ(١)

ورَوَى ذلك عنه أبو حاتِمٍ سَهْلُ بن محمد السِّجِسْتَانى .

وقال أيضاً : سمعت الأصمعى يقول : أخطأ امرؤ القيس فى قوله :

لهَا مَتْنَتَانِ خَظَاتَا كَمَا أَكَبَّ عَلى سَاعِدَيْهِ النَّمِرْ(٢)

لأن المتن لا يوصف بكثرة اللحم ، ويُستحب منه التَّعريق ، وكذلك الوجه كما قال طُفَيْلٌ :

* مُعَرَّقَةُ الأَلْحِى تَلُوحُ مُتُونُهَا *

وأُخِذَ عليه فى قوله فى وصف الفرس :

فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ ، ولِلسَّاقِ دِرَّةٌ وللزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبُ(٣)

---

(١) المضبر : اللزز الخلق المكتنز اللحم ، والسبيب : شعر الذنب والعرف والناصية وانظر الموشح (٣٥) .

(٢) المعيب فى هذا البيت قوله « خظاتا » وقد اختلف الكسائى والفراء فى بيان وجه الخطأ فى هذه الكلمة ؛ فأما الكسائى فقال : إن هذه الكلمة فعل ماض متصل بتاء التأنيث وألف الاثنين ، وأصله خظا يخظو ، مثل دعا يدعو ، أو خظى يخظى ، مثل رضى يرضى ، وكان من حق العربية عليه أن يقول على الأول « خظتا » كما تقول دعتا وسمتا ؛ فيحذف الألف التى هى لام الفعل ، كما يحذفها فى «خظت» ودعت وسمت إلا أنه أخطأ النهج فأثبت الألف ، وأما الفراء فقال : إن « خظاتا » اسم مثنى يقع صفة لقوله «متنتان» وكان من حق العربية عليه أن يقول «خظاتان» كما قال أبو دواد

ومتنــــان خظاتان كزحلوف من الهضب

إلا أنه حذف نون المثنى ، وانظر لسان العرب مادة خ ظ ى .

(٣) انظر الصناعتين (٧٤) والموشح (٢٩) وفيه رواية « فللزجر ألهوب » وفى الديوان « وللزجر منه وقع أهوج متعب » والألهوب : شدة الجرى ، والدرة : أصلها اسم لما در من اللبن ، والأخرج : الظليم ، وهو الذكر من النعام ، والمهذب : الشديد العدو . قال أبو هلال : ولو وصف أخس حمار وأضعفه مازاد على ذلك ، والجيد قوله :

وقال : هذه الفرس بطيئة ؛ لأنها تحوِجُ إلى السوط ، وإلى أن تُرْكَضَ بالرِّجْلِ وتُزْجَرَ ؛ ويقال : إن أول مَنْ عابه بهذا البيت زوجَتُه لمّا احتكم إليها هو وعَلْقَمةُ الفَحْلُ ، فغلَّبت علقمةَ ، فطلَّقها . وقد أُخِذَ أيضاً عليه قولُه :

* أَغَرَّكِ مِنِّى أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِى *(١)

وقال : إذا لم يَغُرَّ هذا فأىُّ شىء يغر ؟

وعِيبَ زهير بن أبى سُلْمَى بقوله :

يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَاتٍ ماؤُهَا طَحِلٌ على الجُذُوعِ يَخَفْنَ الغَمْرَ والغَرَقَا (٢)

وقالوا : ليس خروج الضفادع من الماء خوفَ الغَمْرِ والغَرَقِ ، وإنما ذلك لأنها تَبيض فى الشطوط .

وعِيبَ على كعبٍ ابْنِهِ قولُه :

* ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا فَعْمٌ مُقَيَّدُهَا *(٣)

= على سابح يعطيك قبل سؤاله أفانين جرى غير كز ولا وان

وقول علقمة :

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

قال أبو رجاء : ومن المعيب قول امرىء القيس فى هذا المعنى أيضا :

وللسوط منها مجال كما تنزل ذو برد مهمر

(١) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله : * وأنك مهما تأمرى القلب يفعل * وانظر الموشح (٣٦) والصناعتين (٧٣)

(٢) الشربات : جمع شرب — بفتح الشين والراء — وهو حويض يصنع حول النخلة بقدر مايسع ريها ، والطحل — بفتح الطاء وكسر الحاء — الماء الفاسد المنتن من حمأة ونحوها . وانظر الاعتراض على هذا البيت فى الموشح (٤٧) وفى الصناعتين (٧٢) . وانظر الوساطة ١٦ والعمدة لابن رشيق القيروانى ٢ / ٢٥١

(٣) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله : * فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل * والمقلد : العنق ، سمى العنق بذلك لأنه موضع القلادة ، والفعم : الممتلىء ، والمقيد : أراد الرجلين ؛ لأنهما موضع القيد .

وقالوا : إنما توصف النجائب برقة المَذْبَحِ .

وأُخِذَ على النابغة قولُه يصف عُنُقَ المرأة بالطول :

إذَا ارْتَعَشَتْ خَافَ الْجَبَانُ رِعَاثَهَا ۝ وَمَنْ يَتَعَلَّقْ حَيْثُ عُلِّقَ يَفْرَقِ (١)

وهذا قريب من قول أبى نُوَاس :

[وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إنَّهُ] ۝ لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

بل أبو نُوَاس أعْذَرُ ؛ لقوله « لتخافك » يريد لتكاد تخافك ، والشعراء تُسْقِطُ « تكاد » فى الشعر وهى تريدها .

وجاء فى القرآن مثل ذلك ، قال الله عزّ وجلّ : (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)(٢) ، وقال الشاعر :

يَتَقَارَضُونَ إذَا الْتَقَوْا فِي مَوْطِنٍ ۝ نَظَراً يُزِيلُ مَوَاطِىءَ الأَقْدَامِ (٣)

أى : نظراً يكاد يُزيل ، فأضمر « يكاد » ، واللام إذا جاءت كانت أدلّ عليها ، [و] قال الله عز وجل : (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ)(٤) أى : كادت .

وأُخِذَ على النابغة قولُه :

أَلِكْنِي يَا عُيَيْنَ إلَيْكَ قَوْلاً ۝ سَتَحْمِلُهُ الرُّوَاةُ إلَيْكَ عَنِّي (٥)

وقالوا : قوله « ألكنى » أى : كُنْ لى رسولا ، فكيف يكون ألكنى إليك عنى ؟ فاعتذر له الأصمعى ، وقال : هذا مما حملته الرواة على النابغة ! كأنه يدفع أن يكون قاله .

---

(١) ارتعشت : لبثت الرعاث ، وهو ـ بزنة الكتاب ـ حلية من حلى الأذن ، ويفرق : يخف ، وسيذكره المؤلف مرة أخرى (ص ١٣٨) ويخرجه

(٢) من الآية ٤٦ من سورة إبراهيم ، ومثل بها فى الصناعتين ٣٥٧ فى مباحث اللغو .

(٣) انظره فى الصناعتين ٣٥٧ فى مبحث اللغو .

(٤) من الآية ١٠ من سورة الأحزاب

(٥) انظره فى الصناعتين (٧٧)

وأُخِذَ على المسَيب قولُه :

وَقَدْ أتَنَاسَى الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ (١)

قال : الصيعرية صفةٌ للنوق ، لا للفحول ، فسمعه طَرَفَةُ بن العَبْدِ ـ وهو صبي ـ فقال : اسْتَنْوَقَ الجملُ ، وضحك منه ، ويقال : إن المسيب قال : أَخْرِجْ لسانك يا فَتَى ، فأخرَجَهُ ، فقال : وَيْلٌ لهذا من هذا ، يعنى رأسه من لسانه .

وأُخِذَ على المرقّش قوله :

صَحَا قَلْبُهُ عَنْهَا سِوَى أَنَّ ذِكْرَةً إذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الأَرْضُ قَائِمَا (٢)

قالوا : مَنْ إذا ذَكَر دارت به الأرضُ ليس بِصَاحٍ .

وأُخِذَ على عديّ بن زيد قوله :

* يَبُذُّ الجِيَادَ فَارِهاً مُتَتَابِعاً * (٣)

---

(١) نسب صاحب الصناعتين (٨٥) هذا البيت إلى المتلمس ، وليس كما ذكر ، بل البيت ـ كما قال المؤلف هنا ـ للمسيب بن علس ، من قصيدة أولها :

ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم نحييك عن شحط وإن لم تكلم

وانظر الموشح فى الاعتراض على البيت وفى قصة طرفة (٧٦) وفيه «عند ادكاره» وانظره فى اللسان (ص ع ر)

(٢) ورد هذا البيت مع الاعتراض عليه فى الصناعتين (٧٣) ، والبيت للمرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة ، وهو عم طرفة بن العبد ابن سفيان . قال أبو هلال : وكيف صحا عنها من إذا ذكرت له دارت به الأرض ؟ والجيد فى السلو قول أوس :

صحا قلبه عن سكره وتأملا وكان بذكرى أم عمرو موكلا

(٣) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* فَصَافَ يُفَرِّى جُلَّهُ عَنْ سَرَاتِهِ *

قال ابن منظور (ف ر ه) : « فأما قول عدى بن زيد فى صفة فرس (وأنشد البيت) فزعم أبو حاتم أن عديا لم يكن له بصر بالخيل ، وقد خطىء عدى فى ذلك » اهـ .

وقالوا : لا يقال للفرس فَارِهٌ ، وإنما يقال له : جواد ، وكريم ، والفارهُ : البغل والحمار .

وأُخِذَ عليه أيضاً قولُه فى صفة الخمر :

وَالْمُشْرِفُ الهَيْدَبُ يَسْعَى بِهِ أَخْضَرَ مَطْمُوثاً بِمَاءِ الْحَرِيصْ(١)

الحريص : سحابة تحرص وجه الأرض : أى تَقْشِره لشدّتها ، ويقال : الحريص اسم نهر بناحية الحِيرَة ، فوَصَفَ الخمر بالخضرة ، وما وصفها بذلك أحد غيره .

وأُخِذَ على الأعشى قوله :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتْبَعُنِي شَاوٍ شَلُولٌ مِشَلٌّ شُلْشُلٌ شَوِلُ(٢)

وقالوا : هذه الألفاظ كلُّها التى بعد « شاوٍ » متقاربة فى المعنى .

وقرىء على الأصمعى قولُ أبى ذُؤَيْبٍ الهذلى(٣) :

---

(١) قال أبو هلال (٩٦) : « ومما لم يسمع مثله قط قول عدى بن زيد فى الخمر ، ووصفه إياها بالخضرة ، حيث يقول (وأنشد البيت كما أثبتناه) » والهيدب : الذى عليه أهداب تتذبذب من بجاد ونحوه ، وكان فى أصول هذا الكتاب حتى الخطية « والمشرف الهندى يسقى به » وهو تحريف من عدة وجوه . والحريص : بالصاد المهملة كما فى القاموس وغيره ، ووقعت فى المطبوعات بالضاد معجمة ، وهو تحريف أيضا ، ووقع على الصواب فى الصناعتين .

(٢) غدوت : أصله الذهاب غدوة ، ثم أريد منه مطلق الذهاب ، والحانوت : دكان الخمار ، والشاوى : الذى يشوى اللحم ، والشلول والمشل والشلشل والشول : كلهن بمعنى الخفيف فى العمل والخدمة والحاجة ، وسيذكر المؤلف عجز هذا البيت مرة أخرى عند الكلام على مايستكره من جناس أبى تمام (ص ٢٣٠) .

(٣) البيتان من مرثيته لأبنائه الذين ماتوا فى مصر ، وهى فى المفضليات والجمهرة ، وانظر الصناعتين (٧٨) والوساطة ١٧

قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشُرِّجَ لَحْمُهَا   بِالنَّىِّ فَهْىَ تَثُوخُ فِيهَا الإِصْبَعُ[(١)]

تَأْبَى بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا اسْتُكْرِهَتْ   إِلا الْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ[(٢)]

فقال : هذه الفرس تُساوى دِرْهمين ؛ لأنه جَعَلَهَا كثيرة اللحم ، رِخْوَةً ، يدخل فيها الإصبعُ ، حَرُونا ، إذا حُرِّكت قامت ، إلا العرق فإنه يسيل .

وقرىء على الأصمعى قولُ أبى النجم :

* يَسْبَحُ أُولاَهُ وَيَطْفُو آخِرُهْ *[(٣)]

فقال : حِمَار الكُسَاح إذاً أفْرَهُ منه .

وعاب الأصمعىُّ ذا الرّمَّة فى قوله :

حَتَّى إِذَا دَوَّمَتْ فِى الأَرْضِ أَدْرَكَهَا   كِبْرٌ وَلَوْ شَاءَ نَجَّى نَفْسَهُ الْهَرَبُ[(٤)]

وقال : الفصحاء لا يقولون دَوَّمَ فى الأرض ، وإنما يقولون : دَوَّمَ فى الهواء ، إذا حلَّقَ ، ودَوَّى فى الأرض ، إذا ذهب .

وكان الأصمعى أيضاً يَعِيبُه فى قوله :

---

(١) قصر : حبس ، والصبوح : شرب الغداة ، وشرج : خلط ، والنى : الشحم ، وتثوخ : تغيب .

(٢) «ماستكرهت» مامصدرية، وفى الجمهرة: ماستصعبت، وفى المفضليات: ماستغضبت، وتأبى بدرتها : تمتنع ، لاتعطيه كل جريها ، والحميم : العرق ، ويتبضع ــ بالضاد المعجمة وبالصاد المهملة ــ يرشح ويجرى قليلا قليلا ، يقول : إن جلدها يرشح بالعرق .

(٣) هذا بيت من الرجز المشطور ، فى صفة فرس ، وروايته هكذا :

جاء كلمع البرق جاش ماطره   يسبح أولاه ويطفو آخره

* فما يمس الأرض إلا حافره *

انظر الصناعتين (٨١) وديوان المعانى ٢ / ١٠٨ والوساطة ١٧ والشعر والشعراء ٥٨٦ .

(٤) فى الجمهرة : * حتى إذا دومت فى الأرض راجعه كبر . *

* وَنَقْرِي عَبِيطَ الشَّحْمِ والماءُ جَامِسُ *[١]

وقال : إنما يقال للجامد من السَّمْنِ وما أشبهه جامس ، ورَوَى ذلك عنه أبو حاتم .

وحكى أبو نصر عن الأصمعى قال : كنا نظن الطِّرِمَّاحَ شيئاً حتى قال :

وَأَكْرَهُ أَنْ يَعِيبَ عَلَيَّ قَوْمِي هِجَائِي الأَرْذَلِينَ ذَوِي الحِنَاتِ

لأنها إِحْنَةٌ وإِحَنٌ ، ولا يقال حِنَاتٌ .

وأخذ على الآخرِ قوله :

فَمَا رَقَدَ الوِلْدَانُ حتى رَأَيْتُهُ عَلَى البَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وحافِرِ[٢]

فسمَّى رِجْلَ الإنسان حافراً ، وهذه استعارةٌ فى نهاية القبح . وكذلك قول الآخر :

قَدْ أَفْنَى أَنامِلَهُ عَضُّهُ فَأَضْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الوَظِيفَا[٣]

فجعل له وظيفا مكان الرِّجْل . وكذلك قول الآخر :

---

(١) هذا عجز بيت ، وصدره :

* نَغَارُ إذا ما الرَّوْعُ أَبْدَى عَنِ البُرَى *

وانظر الصناعتين (١١٠) وحماسة ابن الشجرى ٥٤ ومختار الخالديين ٢٢٣ وفيه « سديف الشحم » ونغار : مضارع من الغيرة ، والروع : الفزع ، وأبدى : أظهر ، والبرى : يقال هو كالورى وزنا ومعنى ، والمراد إذا اشتد الفزع نخرج من أجله الناس جميعا ، ونقرى : من القرى وهو إطعام الضيف ، وأراد بقوله «والماء جامس» حين اشتداد البرد ؛ لأن وقت الشتاء عندهم هو زمان القحط الذى يعز فيه الجود ويندر .

(٢) البيت لجبيهاء الأسدى ، وقد ورد فى الموشح (٦٤ و ٩١) وفيه « فما برح الولدان » وفى الصناعتين ١٦٣ و ٣٠١ وفى الصحاح (ح ف ر) كما فى الموشح ، وفى اللسان (ح ف ر) مع بيت سابق عليه ، وقال : إنه يصف ضيفا طارقا أسرع إليه .

(٣) ورد فى الصناعتين ٣٠١ ، وفيه « قد افنى أنامله أزمه »

سَأَمْنَعُها أَوْ سَوْفَ أَجْعَلُ أَمْرَها ... إلى مَلِكٍ أَظْلافُهُ لَمْ تُشَقَّقِ (١)

وقال الُحطيئة :

قَرَوْا جارَكَ الْعَيْمانَ لَمَّا جَفَوْتَهُ ... وقَلَّصَ عن بَرْدِ الشَّرابِ مَشافِرُه (٢)

وعيب على أَيْمَنَ بن خُرَيْم قوله يمدح بشر بن مروان :

فإنَّا قَدْ وَجَدْنا أُمَّ بِشْرٍ ... كأُمِّ الأُسْدِ مِذْ كاراً وَلُوداً (٣)

وقالوا : أخطأ فى أنْ جَعَلَ أم الأسد وَلُودا ؛ لأن الحيوانات الكريمة عَسِرَةٌ نَزْرَة النتاج ، والصوابُ قول كُثَيِّر :

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُها فِراخاً ... وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ (٤)

وقال جرير :

صارَتْ حَنِيفَةُ أَثْلاثاً ؛ فَثُلْثُهُمُ ... مِنَ الْعَبِيدِ، وَثُلْثٌ مِنْ مَوَالِيها (٥)

فقيل لرجل من بنى حنيفة : من أى الأثلاث أنت ؟ فقال : من الثلث المُلْغَى .

وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلى عمارة بن عقيل ينشد لجرير :

---

(١) ورد فى الصناعتين ٣٠١ أيضا .

(٢) ورد فى الموشح (٩١) وفى الصناعتين ٣٠١ وفيه « سقوا جارك » والعيمان : وصف من العيمة ، وهى اشتهاء اللبن .

(٣) ورد فى الموشح (٣٢٢) وفى الصناعتين (١٠٠) وقبله قوله :

ولو أعطاك بشر ألف ألف ... رأى حقا عليه أن يزيدا

وأعقب مدحتى سرجا خلنجا ... وأبيض جوزجانيا عقودا

قال العسكرى : « جميع هذا الكلام جار على غير الصواب ، إلا فى ابتداء وصفه بالتناهى فى الجود ، ثم انحط إلى مالا يقع مع الأول موقعا ، وهو السرج وغيره ، وأتى فى البيت الثالث (وهو البيت الذى أنشده مؤلفنا) بما هو أقرب إلى الذم منه إلى المدح ؛ لأن الناس مجمعون على أن نتاج الحيوانات الكريمة أعسر ، وأولادها أقل »

(٤) انظره فى زهر الآداب ٧١/٢ من كلمة عدتها تسعة أبيات ، ولها قصة ، وانظره فى الموشح ٢٢٣ وفى نقد الشعر ١١٢ والصناعتين ١٠٠ .

(٥) الموشح (١٢٦) والصناعتين ٢٤٣ وفيه « وثلث من موالينا » .

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بالدَّيْرَيْنِ أرَّقَنِي صَوْتُ الدَّجاجِ وَقَرْعٌ بالنَّوَاقيسِ (١)

فقال : أخطأ والله أبوك ، التأذينُ لا يكون فى أول الليل ، وقال مَنْ طلب العذر لجرير : أرقنى انتظار صوت الدجاج .

وعاب الأخطل الفرزدقَ فى قوله(٢) :

أبنِي غُـــدانَةَ إنَّنِي حرَّرْتُكم فَوَهَبْتُكمْ لِعَطِيَّـــةَ بْنِ جعالِ

لوْلاَ عطيَّةُ لاجتدَعْتُ أنُوفَكم مِنْ بَيْنِ ألامِ أعْيُنٍ وَسِبالِ

قال : وكيف وهبهم له وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء ؟ وقال عطية حين بلغه الشعر : ما أسْرَعَ ما رجع أخى فى هبته !

ومدح الفرزدقُ الحجاج وقد دخل عليه ببيت واحد ، فقال :

وَمَنْ يَأمَنُ الْحَجَّاجَ — وَالطَّـــيْرُ تَتَّقِي

عُقُوبَتَهُ — إلاَّ ضَـــعِيفُ الْعَزائِمِ ؟ (٣)

---

(١) الصناعتين (١١٠) والدجاج ههنا : الديكة

(٢) ورد البيتان فى الصناعتين (٨٨) منسوبين إلى جرير ، قال العسكرى قبل إنشادهما: «وأراد جرير أن يذكر عفوه عن بنى غدانة حين شفع فيهم عطية بن جعال ، فهجاهم أقبح هجاء ، فقال (وأنشدها) فلما سمع عطيه هذا الشعر قال : ماأسرع مارجع أخى فى عطيته »

(٣) الصناعتين (١٠١) وفيه « اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج ، فقال : من مدحنى منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفتى فهذه الخلعة له ، فقال الفرزدق (وأنشد البيت) وقال جرير :

فمن يأمن الحجاج ؟ أما عقابه فمر ، وأما عقده فوثيق

يسر لك البغضاء كل منافق كما كل ذى دين عليك شفيق

فقال الحجاج للفرزدق : ماعملت شيئا ، إن الطير تنفر من الصبى والخشبة . ودفع الخلعة إلى جرير » وورد مثل ذلك فى الموشح (١١٣) وفيه أن الحجاج قال للفرزدق « كلام لاخير فيه ؛ لأن الطير تتقى كل شىء : الثوب ، والصبى ، وغير ذلك » وكان فى المطبوعات « الطير تتقى الثور وتتقى الظبى » وهو تحريف .

فقال له الحجاج : الطير تتَّقى الثوبَ ، وتتقى الصبيَّ ، ماجِئْتَ بشىء ! و إنما أراد الفرزدق الطائر الذى يطير فى السماء فليست تناله يدٌ .

وأُخِذَ على الأخطل قولُه فى عبد الملك بن مروان :

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الْخِلَافَةَ مِنْهُمُ
لِأَبْيَضَ لا عَارِى الْخِوَانِ وَلا جَدْبِ (١)

وهذا لا يُمْدَح به خليفة . . وأراد أن يمدح رجلا من بنى أسد كان أجاره ، فهجاه ؛ وكان يقال لقوم الرجل : الْقُيُون ، يُعَيَّرون بذلك ، فقال :

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَيْنا وَأُنْبَؤُهُ فالْيَوْمَ طُيِّرَ عَنْ أثْوَابِهِ الشَّرَرُ (٢)

أى : فاليوم نَفَى ذلك عن نفسه ، فما زاد على أن نبَّه عليه ، وقد كان له فى المادح مُتَّسعٌ . وأراد أن يهجو سُوَيْدَ بن مَنْجُوفٍ فمدحه ، وذلك قوله :

فَما جِذْعُ سُوءٍ خَرَّبَ السُّوسُ وَسْطَهُ
لِمَا حَمَّلْتَهُ وَائِلٌ بِمُطِيقِ (٣)

وأخذ على الفرزدق قولُه يمدح وكيع بن أبى سويد :

إذا الْتقَتِ الأبْطالُ أبصَرْتَ وَجْهَهُ مُضيئاً، وَأعناقُ الْكُماةِ خُضوعُ (٤)

فقالوا : أساء القِسْمة ، وأخطأ الترتيب ؛ و إنما كان يجب أن يقول : أبصرته ساميا وأعناق الملوك خضوع ، أو أبصرت لونه مضيئاً وألوان الكُماة كاسفةً .

ومن خطأ الشعر قولُ عَدِى بن الرِّقاع يذكر البارى تبارك وتعالى :

وَكَفُّكَ بَسْطَةٌ وَنَدَاكَ سَحٌّ وَأَنْتَ الْمَرْءُ تَفْعَلُ ما تقولُ (٥)

---

(١) الموشح (١٤١) والصناعتين (٧٥)

(٢) الصناعتين (٨٦) وفيه زيادة بيت قبله ، والموشح (١٣٤) وفيه زيادة بيتين أحدهما قبله والآخر بعده ، وفى كل منهما قصة .

(٣) انظر الموشح (١٣٥) وفيه « خرق السوس وسطه » والصناعتين (٨٦)

(٤) ورد فى الصناعتين ٣٤٣ منسوبا إلى الأخطل .

(٥) انظره فى الصناعتين (١٠١) وفيه « وكفك سبطة ونداك غمر » .

فجعل ر به مرءاً ، وعابه الأصمعي فى قوله :

لَهُمْ رَايةٌ تَهْدِى الجوعَ كأنَّهَا إذاخَطَرَتْ فِى ثَعْلَبِ الرُّمْحِ طائرُ(١)

وقال : الراية لاتخطر ، إنما الخطران للرمح .

ومن فاسد اللفظ وقبيحه قولُ ذى الرمّة :

فأَضْحَتْ مَبَادِيهــا قِفاراً رُسُــومُهَا
كَأنْ لَمْ ـ سِوَى أَهْلٍ مِنَ الْوَحْشِ ـ تُؤْهَلِ(٢)

أراد : كأن لم تُؤْهَلْ سوى أهل من الوحش .

ومن خطأ المديح قولُ الـكميت يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

إلى السِّرَاجِ الْمُنِــيرِ أَحْمَدَ لاَ تَعْدِلُ بِى رَغْبَــةٌ وَلاَ رَهَبُ(٣)
عَنْهُ إلى غَــيْرِهِ ، وَلَوْ رَفَعَ النَّــاسُ إلَىَّ الْعُيُــونَ وَارْتَقَبُوا
وَقِيلَ أَفْرَطْتَ ، بَلْ قَصَدْتُ ، وَلَوْ عَنَّفَــنِي الْقائلونَ أَوْ ثَلَبُوا
لَجَّ بِتَفْضِــيلِكَ اللِّسان ، وَلَوْ أُكْثِرَ فِيكَ الضَّجَاجُ وَاللَّجَبُ

فمن يعنفه و يؤنبه على مدح رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى يكثر عليه فيه الضجاج واللجَب ؟ وهذا لو كان قاله بين المشركين وفى صَدْرِ الإسلام لعل العذر كان يتسع له فيه ، وقد اعتذر له معتذر واحتجَّ محتج بأن قال : لم يرد النبى عليه الصلاة والسلام خاصةً بهذا الخطاب ، و إنما أراد أهلَ بيته ؛ لأنه قد قال فيهم من الشعر ما قال ، ولأن بنى أمية كانت تعنف من يمدحهم ، وتنكر أشدَّ الإنكار على

(١) الصناعتين (٩٦)

(٢) « مباديها » حيث تبدو فى الربيع ، وهذه رواية ملفقة من روايتين (انظر الخزانة ٣ ـ ٢٢٦) ووقع فى المطبوعات «مناديها» وهو تحريف

(٣) «إلى السراج » متعلق ببيت قبله ، وهو :

فاعتتب الشوق من فؤادى والـشعر إلى من إليــه معتتب

ويروى « لاتعدلنى » فى مكان « لاتعدل بى » وانظر الهاشميات (ص ٨٢ طبع ليدن عام ١٩٠٤)

من يَتَخوَّنهم[(١)] ، ويُغرِقُ في الثناء عليهم والوصفِ لهم .

وعيب أيضاً الـكُمَيْتُ بأن جمع كلمتين لا تُشْبِه إحداهما الأخرى ، وذلك قوله :

وَقَدْ رَأَيْنَا بِهَا حُوراً مُنَعَّمَــةً ... رُوداً تَكامَلَ فيها الدَّلُّ وَالشَّنَبُ[(٢)]

وقال : الدَّلُّ إنما يكون مع الْغَنَج أو نحوه ، والشَّنَبُ إنما يكون مع اللَّعَسِ أو ما يجرى مَجْرَاه من أوصاف الثغر والفم ؛ والجيِّدُ ما قاله ذو الرمة :

لَمْياء فِي شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ ... وفى اللثاتِ وفى أنيابها شَنَبُ

ولو استقصينا هذا البابَ لطال جداً ، و إنما أوردنا ههنا منه مثالا لتعلموا أن فحولَ الشعراء ـ الذين غلبوا عليه، وافتتحوا معانيه، وصاروا قُدْوة ، واتبعهم الشعراء، واحتذَوْا على حذْوهم ، وبَنَوْا على أصولهم ـ ما عُصِمُوا منَ الزلَلِ ، ولا سلموا من الغلط .

هذا فى المعانى التى هى المَقْصِدُ والمرمى والغرض ، فأما ما بوَّبه النحويون من عيوب الشعر فى الإقواء والإكفاء والسِّناد ، وغير ذلك مما هو عَيْبٌ فى اللفظ دون المعنى ، فليست بنا حاجةٌ إلى ذكره ؛ لـكثرته وشهرته . وكذلك ما أخذَته الرُّوَاة على المحدَثين المتأخرين ـ من الغلط والخطأ واللحن ـ [فَاشٍ أيضا و] أشهرُ أيضاً من أن يحتاج إلى أن نبرهنه أو ندلَّ على ذلك ؛ فلم يك أحد من متقدِّم ولا متأخر فى خطئه ولا سَهْوه وغلطه مجهولَ الحق ، ولا بمجحود الفضل، بل عَفَّى عندكم إحسانُه على إساءته ، وعلا تجويدُه على تقصيره ، فـكيف خَصَصْتم أبا تمام دون غيره بالطعن ، وعِبْتُمُوهُ دون مَنْ سواه بالزلل والوهن؟ ولم يك بذلك بِدْعاً ، ولا منفرداً ، ولا إليه سابقاً ؛ فبَخَسْتم حقَّ الإحسان الذى انتشر فى الآفاق ، وسارت به الرُّكْبَانُ ، وتمثل به المتمثل ، وتأدَّبَ بحفظه و إنشاده المتأدبُ ، مما إنْ ذكرناه لم تنكروه ، وأقررتم بفضله ، وأجمعتم على استجادته واستحسانه ، فهل الظلم المستقبَحُ والتعصُّبُ المستهْجَن إلا ما أنتم مُرْتكبوه وخابطون فيه ؟

(١) يتخونهم : يتعهدهم ، وأراد يواليهم ويكون لهم نصيراً ، وفى الخطية « على من يتحقق بهم » . (٢) انظر الموشح (١٩٣) وفيه « بيضا تـكامل » .

١٨ — قال صاحب البحترى : أما أخذ السهو والغلط على مَنْ أخذ عليه من المتقدمين والمتأخرين ؛ ففي البيت الواحد ، والبيتين ، والثلاثة ؛ وربما سَلِمَ الشاعرُ المكثِرُ من ذلك بتَّةً ، وتعرَّى منه ، حتى لا تؤخذ عليه لفظة ؛ وأبو تمام لاتكاد تخلو له قصيدةٌ واحدةٌ من عِدَّة أبيات يكون فيها مخطئاً ، أو مُحيلا ، أو عن الغرض عادلا ، أو مستعيراً استعارة قبيحة ، أو مفسداً للمعنى الذى يَقْصِدهُ بطلب الطِّباق والتَّجْنيس ، أو مُبْهِماً بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم ، ولا يوجد له مخرج ، مما لو عَدَدْناهُ لكان كثيراً فاحشاً ، فكيف يكون ما أخذ على الشعراء من الوَهْم وقليلِ الغلطِ عذراً لمن لا تُحْصَى معايبُه ومواقعُ الخطإ فى شعره ؟ . . . وعلى أن أكثر ما عَدَدْتُمُوهُ — مما أخذته الرواة على الشعراء — صحيح ، والسهو فيه إنما دخل على الرواة ، ولو كان هذا موضعَ ذكره لذكرناه .

١٩ — قال صاحب أبى تمام الطائى : فَبِمَ تدفعون قول البحترى يرثى أبا تمام وَدِعْبلاً ، ويذمُّ مَنْ بقى بعدهما من الشعراء(١) :

قَدْ زَادَ فى حُزْنِى ، وَأَوْقَدَ لَوْعَتِى
مَثْوَى حَبِيبٍ ـ يَوْمَ مَاتَ ـ وَدِعْبِلِ(٢)
وَبَقَاءُ ضَرْبِ الخَثْعَمِيِّ وَشِبْهِهِ
مِنْ كلِّ مُضْطَرِبِ القَرِيحَةِ مُجْبِلِ(٣)

(١) الأبيات غير موجودة فى ديوان البحترى ، ويوجد أولها ورابعها وخامسها فى « هبة الأيام » (ص ٥٠) وفى معاهد التنصيص (٢٧٧ بولاق) ، وخمستها موجودة فى أخبار أبى تمام ٢٧٤ .

(٢) فى الأخبار « قد زاد فى كلفى » :

(٣) كان فى مطبوعات الكتاب « وتقاصرت بالخثعمى وشبهه » وهو تصحيف الذى أثبتناه عن الخطية والأخبار ، وفيه «مضطرب القريحة مهمل» ووقع فى المطبوعات « مخبل » مكان « مجبل » وما أثبتناه عن الخطية هو الصواب .

أهلُ المعانى المستحيلة إن هُمُ ... طَلَبُوا البرَاعَةَ بالـكلامِ المُقفَلِ (١)
أَخَوَىَّ لاَ تزَلِ السماء مُخيـلَةً ... تَغْشَاً كُمَا بحيَا السَّحَابِ المُسْبِلِ (٢)
جَدَثٌ لَدَى الأَهْوَازِ يبْعُدُ دُونَهُ ... مَسْرَى النَّعِىِّ وَرِمَّةٌ بالمَوْصِـلِ

فمحال أن يرثى البحترى أبا تمام ويذكر مَنْ بَعْدَه من الشعراء بأن قرائحهم مضطربة ومعانيهم مستحيلة ، وعنده أن أبا تمام تلك صفته ، فلم تنـكرون فضلَ مَنْ يعترف البحترىُّ بفضله ، ويشهد فى الشعر له ، وتنسبُون العيبَ إليه وهذه صفته عنده ، وتُلْحِقُونه به وهو يبرئه منه ؟

٢٠ — قال صاحب البحترى : ولِمَ لا يفعل البحترى ذلك وقد كان هو وأبو تمام ـ بعد اجتماعهما وتعارفهما ـ متصافِيَيْنِ على القرب والبعد ، متحابين متلائمين على الدنو والشَّحَط ، يجمعهما الطلب والنسَبُ والمـكْتَسَب ، ولم يكن فى زمانهما شاعر مشهور يَفِدُ على الملوك ويَجْتَدِى بالشعر وينتسب إلى طَيِّءٍ سواهما ، فليس بمُنكَرٍ أن يشهد أحدهما لصاحبه بالفضل ، ويصفه بأحسن ما فيـه ، ويَنْحَله ما ليس فيه ، وخاصةً فى الشعر ؛ ثم [فى] تأبينِ الميت فإن العادة جرت بأن يُعْطَى من التقريظ ، والوصف ، وجميلِ الذكر ، أضعافَ ما كان يستحقه ، فلاتَدْفَعُوا العِيان ؛ فلن يَمْحَقَ وصفُ البحترى أبا تمام فى حياته وتأبينُه إياه بعد وفاته ما ظهر من مَقَابحه وفضائح شعره .

٢١ — قال صاحب أبى تمام : فقد علمتم وسمعتم الرواة وكثيراً من العلمـاء بالشعر يقولون : جيد أبى تمام لا يتعلق به جيد أمثاله ، وإذا كان كل جيـد دون جيده لم يضر ما يؤثَرُ من رديئه .

٢٢ — قال صاحب البحترى : إنما صار جيد أبى تمام موصوفاً لأنه يأتى فى تضاعيف الردىء الساقط ؛ فيجىء رائقاً لشدة مباينته مايليه ، فيظهر فضله بالإضافة ،

(١) فى الأخبار «طلبوا البداعة والكلام المقفل» بعطف «الكلام» على «المعانى».
(٢) فى الأخبار « بحيا مقيم مسبل »

ولهذا قال له أبو هَفَّان : إذا طَرَحْتَ دُرَّةً فى بحر خَرْء فمن الذى يغوص عليها ويخرجها غيرك ؟ والمطبوعُ الذى هو مستوِى الشعرِ قليل السقط لا يبين جيده من سائر شعره بينونَةً شديدةً ، ومن أجل ذلك صار جيد أبى تمام معلوماً وعَدَدُهُ محصوراً

وهذا عندى ـ أنا ـ هو الصحيح ؛ لأنى نظرت فى شعر أبى تمام والبحترى وتلقَّطت محاسنهما ، ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مَرِّ الأوقات ؛ فما من مرة إلا وأنا أُلحِقُ فى اختيار شعر البحترى ما لم أكن اخترته من قبل ، وما أعلم أنى زِدْتُ فى اختيار شعر أبى تمام ثلاثين بيتاً على ما كنت اخترته قديما .

٢٣ ـ قال صاحب أبى تمام : أفتنكرون كثرة ما أخَذَهُ البحترىُّ من أبى تمام ، وإغراقَهُ فى الاستعارة من معانيه ؟ فأيهما أولى بالتقدمة : المستعيرُ ، أو المستعارُ منه ؟

٢٤ ـ [قال صاحب البحترى[1]] : قد ابتدأنا بالجواب عن هذا فى صدر كلامنا، ونحن نُتِمُّه فى هذا الموضع إن شاء الله تعالى : أما ادِّعاؤكم كثرةَ الأخذ منه فقد قلنا إنه غير منكَرٍ أن يكون أخذ منه مِنْ كثرة ما كان يرد على سمع البحترى من شعر أبى تمام ؛ فيعتلق معناه : قاصداً الأخذَ ، أو غيرَ قاصدٍ ، لكن ليس كما ادعيتم وادعاه أبو الضياء بشر بن يحيى[2] فى كتابه ؛ لأنا وجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه ، وتجرى طباع الشعراء عليه ، فجعله مسروقاً ، وإنما السَّرَق يكون فى البديع الذى ليس للناس فيه اشتراك ، فما كان من هذا الباب فهو الذى أخذه البحترى من أبى تمام ، لا ما ذكره أبو الضياء وحَشَا به كتابه ، وأنا أذكر هذين الشيئين فى موضعهما من الكتاب ، وأبين ما أخذه البحترى من أبى تمام على الصحة ، دون ما اشتركا فيه ؛ إذ كان غير منكر لشاعرين متناسبين من أهل بلدين متقاربين أن يتفقا فى كثير من المعانى ، لاسيما ما تقدم الناس فيه ، وتردد فى الأشعار ذكره ، وجرى فى الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله .

(١) قد سقط من صدر هذا الكلام فى كل المطبوعات عبارة «قال صاحب البحترى» وهى ثابتة فى الخطية .

(٢) فى المطبوعات « بشر بن تميم »

و بعد ؛ فينبغى أن تتأملوا محاسن البحترى ، ومختار شعره ، والبارعَ من معانيه والفاخرَ من كلامه ؛ فإنكم لا تجدون فيه على غَزْره وكَثْرته حرفاً واحداً مما أخذه من أبي تمام ، و إذا كان ذلك إنما يوجد فى المتوسط من شعره فقد قام الدليل على أنه لم يعتمد أخْذَه ، وأنه إنما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيوردُه .

تَمَّ احتجاج الخصمين بحمد الله .

* * *

وأنا أبتدىء بذكر مساوى هذين الشاعرين ؛ لأختمَ بذكر محاسنهما ، وأذكر طرَفاً من سرقات أبي تمام ، و إحالاته ، وغَلَطه ، وساقط شعره ، ومساوى البحترى فى أخْذِ ما أخَذَه من معانى أبي تمام ، وغير ذلك من غلطٍ فى بعض معانيه ، ثم أوازنِ من شعريهما بين قصيدتين[1] إذا اتفقتا فى الوزن والقافية و إعراب القافية ، ثم بين معنًى ومعنًى ؛ فإن محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك ، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوَّده من معنًى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وأفرد بابا لما وَقَعَ فى شعريهما من التشبيه ، و بابا للأمثال ، أختم بهما الرسالة ، وأتبِعُ[2] ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما ، وأجعله مؤلفاً على حروف المعجم ؛ ليقرب مُتَنَاوَلُه ، و يسهل حفظه ، وتقع الإحاطة به ، إن شاء الله تعالى .

سرقات أبى تمام

كان أبو تمام مشتهراً بالشعر ، مشغوفاً به ، مشغولا مدةَ عمرِه بتخيره ودراسته، وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة ؛ فمنها : الاختيار القبائلىّ الأكبر اختار فيه من كل [قبيلٍ] قصيدةً ، وقد مر على يَدَىَّ هذا الاختيار ، ومنها اختيارٌ آخَرُ ترجمته القبائلى ، اختار فيه قطعاً من محاسن أشعار القبائل ، ولم يُورِدْ فيه كبيرَ شىء للمشهورين ؛ ومنها : الاختيار ، الذى تلقط فيه محاسنَ شعرِ الجاهلية والإسلام ، وأخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى إلى إبراهيم بن هَرْمَةَ ، وهو اختيار

(١) فى الخطية «بين قصيدة وقصيدة» وانظر ص ١١ (٢) فى المطبوعات «وأضع ذلك»

مشهور معروف باختيار شعراء الفحول ، ومنها اختيار تلقَّطَ فيه أشياء من الشعراء المُقلِّين والشعراء المغمورين غير المشهورين ، وبَوَّبه أبواباً ، وصَدَّره بما قيل فى الشجاعة ، وهو أشهر اختياراته ، وأكثرها فى أيدى الناس ، ويُلقَب بالحماسة ، ومنها اختيار المُقَطَّعَات ، وهو مُبوَّب على ترتيب الحماسة ، إلا أنه يذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم والقدماء والمتأخرين ، وصَدَّره بذكر الغَزَلِ ، وقد قرأتُ هذا الاختيار ، وتَلَقَّطْتُ منه نُتَفاً وأبياتاً كثيرة ، وليس بمشهور شهرة غيره ، ومنها اختيار مجرد فى أشعار المحدَثِينَ ، وهو موجود فى أيدى الناس ؛ وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ، وأنه اشتغل به ، وجعله وُكْدَه ، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه ؛ فإنه ما شَىْء كبير من شعر جاهلى ولا إسلامى ولا محدث إلا قرأه واطلع عليه ، ولهذا أقول : إن الذى خفى [من] سرقاته أكثرُ مما قام منها ، على كثرتها .

وأنا أذكر ما وقع إلىَّ فى كتب الناس من سرقاته ، وما استنبطته أنا منها واستخرجته ؛ فإن ظهرتُ بعد ذلك منها على شىء ألحقته بها ، إن شاء الله .

١ — قال الكُمَيْتُ الأكبر ، وهو الكميت بن ثعلبة :

وَلاَ تُكْثِرُوا فِيهِ اللَّجَاجَ ؛ فَإِنَّهُ
مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا(١)

---

(١) كان ابن دارة — وهو سالم بين مسافع بن عقبة بن يربوع — قد هجا فزارة هجاء مقذعاً ، فبلغ هجاؤه زميل بن أبير أحد بنى عبد الله بن مناف الفزارى ، فحلف ألا يأكل لحماً ولا يغسل رأسه ولا يأتى امرأة حتى يقتل ابن دارة ، ثم أمكنته فيه الفرصة فقتله ، وقال فى قتله إياه :

أنا زميل قاتل ابن داره وغاسل المخزاة عن فزاره
* ثم جعلت عقله البكاره *

وفى مقتل ابن دارة يقول الكميت بن ثعلبة هذا البيت ؛ وهو الكميت الأكبر

أخذه الطائي فقال :

* السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ *(١)

وذلك أن أهل التنجيم كانوا حكموا بأن المعتصم لا يَفْتَح عمورية ، وراسَلَتْهُ الرومُ: إنا نجد في كُتُبنا أن مدينتنا هذه لاتفتح إلا في وقتِ إدراكِ التينِ والعنبِ ، و بيننا و بين ذلك الوقتِ شهورٌ يمنعك من المُقَامِ فيها البردُ والثلج ، فأبى أن ينصرف ، وأكبَّ عليها حتى فتحها وأبطل ما قالوه ؛ فلذلك قال الطائي :

* السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ *(١)

وهو أحسن ابتداءاته .

٢ — وقال النابغة يصف يوم الحرب :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لاَ النُّورُ نُورٌ وَلاَ الإِظْلاَمُ إِظْلاَمُ(٢)

أخذه الطائي ، فقال وذَكَرَ ضوء النهار وظلمة الدخان في الحريق الذي وصفه :

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحًى شَحِبِ

فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا ، وَقَدْ أَفَلَتْ وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا ، وَلَمْ تَجِبِ

٣ — وقال الأعشى :

وَإِنَّ صُدُورَ الْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ثَنَاءٌ عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ

(١) هو صدر مطلع قصيدة يقولها أبو تمام في مدح أمير المؤمنين المعتصم بالله بن هارون الرشيد ، وعجزه قوله :

* في حده الحد بين الجد واللعب *

وانظر الديوان (ص ٧)

(٢) وذكر صاحب الصناعتين (١٩٧) أن النابغة أخذ هذا البيت من قول وهب ابن الحارث بن زهرة :

تبدو كواكبه والشمس طالعة يجرى على الكأس منه الصاب والمقر

وأنشده في ديوان المعاني ٢ / ٦٧ مع تغيير في عجزه ، وأنشده فيه مرة أخرى ٢ / ٧٠ مع بيت سابق عليه .

أخذه الطآئى فقال(١) :

مِنَ الْقِلاَصِ اللَّوَاتِى فِى حَقَائِبِهَا   بِضَاعَةٌ غَيْرُ مُزْجَاةٍ مِنَ الْكَلِمِ

٤ — وقال مسلم بن الوليد فى صفة الخمر :

قُتِلَتْ وَعَاجَلَهَا المدير ولم يُقِدْ   فإذا به قد صَيَّرَتْهُ قَتِيلاَ

أخذه الطائى وأحسن الأخذ فقال :

إِذَا الْيَدُ نَالَتْهَا بِوِتْرٍ تَوَفَّرَتْ   عَلَى ضِغْنِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرِّجْلِ(٢)

فإن كان أخذها من دِيكِ الْجِنِّ فلا إحسان له ؛ لأنه أتى بالمعنى بعينه ، قال ديك الجن :

تَظَلُّ بأيدينا تُقَعْقِعُ رُوحَهَا   وتأخذ من أقدامنا الرَّاحُ ثَأرَهَا

كذا وجدته فيما نقلته ، وليس ينبغى أن يُقْطَع على أيهما أخذ من صاحبه ؛ لأنهما كانا فى عصر واحد .

٥ — وقال الأعشى :

وَأَرَى الْغَوَانِىَ لاَ يُوَاصِلْنَ امْرأً   فَقَدَ الشَّبَابَ ، وَقَدْ يَصِلْنَ الأَمْرَدَا

أخذ الطائى المعنى والصفة فقال(٣) :

أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً   مَنْ كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا

---

(١) البيت من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق أولها :

سلم على الربع من سلمى بذى سلم   عليه وسم من الأيام والقدم

انظر الديوان (٢٦٨)

(٢) البيت من قصيدة له يصف فيها تقتير الرزق عليه وهو بمصر (الديوان ٤١٩) وأولها قوله :

أصب بحميا كأسها مقتل العذل   تكن عوضا ـ إن عنفوك ـ من النبل

(٣) البيت من غزل قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ص ٨٨) وأولها قوله :

طلل الجميع لقد عفوت حميدا   وكفى على رزئى بذاك شهيدا

٦ — وقال البَعيث :

وَإنَّا لَنُعْطِى الْمَشْرَفِيَّـةَ حَقَّهَا فَتَقْطَعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتَقطَّعُ(١)

فقال الطائى :

فمَا كُنْتُ إلاَّ السَّيْفَ لاَقَى ضَرِيبةً فَقطَّعَهَا ثُمَّ أُنْثَنَى فَتَقَطَّعَا(٢)

٧ — وقال الطائى :

وَرَكْبٍ كأطْرَاف الأسِنَّةِ عرَّسُوا على مِثْلِها وَاللَّيْلُ تَسْطُو غيَاهِبُهْ(٣)

لِأمْرٍ عَلَيْهِمْ أنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أنْ تَتِمَّ عوَاقِبُهْ

أخذ صَدْرَ البيت الأول من قول كُثَيِّر :

وَرَكْبٍ كأطْرَاف الأسِنَّةِ عرَّجُوا قَلاَئِصَ فِي أَصْلاَبِهِنَّ نُحُولُ

و يشبه قول البَعيث :

أَطَافَتْ بِشُعْثٍ كالأسِنَّة هُجَّدٍ بِخَاشعة الأصْوَاء غُبْرٍ صُحُونُهَا

وأخذ معنى البيت الثانى من قول الآخر :

غُـــلاَم وَغًى تقحَّمهَا فَأَبْلَى فَخَانَ بلاَءَهُ الدَّهْرُ الخَؤُونُ

فَـكاَنَ على الْفَتَى الإقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنت الْمَنُونُ

٨ — وقال جِرَانُ الْعَوْدِ يصف الخيال :

سَقْياً لِزَوْرِكَ مِنْ زَوْرٍ أَتَاكَ بِه
حَديثُ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهْوَ مَشْغُولُ

---

(١) ورد فى أخبار أبى تمام (١٠٠)

(٢) لايوجد هذا البيت فى الديوان ، وهو فى أخبار أبى تمام (٩٨) ثانى اثنين

(٣) سبق ذكر هذين البيتين وبيان ماأخذهما منه (انظر ص ٢٢ من هذا الكتاب) وماذكرناه هناك من المراجع ، ثم انظر (ص ١٠٤ من هذا الكتاب) ثم انظر كتاب الصناعتين ص ٢٠٥

فذكر العِلَّةَ فى طروق الخيال ، وهو السابق إلى هذا المعنى ، فأخذه العباس ابن الأحنف فقال :

خَيَالُكِ حِينَ أَرْقُدُ نُصْبُ عَيْنِي إِلَى وَقْتِ انْتِبَاهِي مَا يَزُولُ
وَلَيْسَ يَزُورُنِي صِلَةً ، وَلَكِنْ حَدِيثُ النَّفْسِ عَنْكِ هُوَ الْوَصُولُ

فتبعه الطائى فقال :

زَارَ الْخَيَالُ لَهَا ، لاَ ، بَلْ أَزَارَكَهُ فِكْرٌ إِذَا نَامَ فِكْرُ الْخَلْوِ لَمْ يَنَمِ (١)

وقال فى هذا المعنى أيضاً :

نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخَيَالُ ، وَلٰكِنَّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ (٢)

٩ — وقال أبو تمام الطائى(٣) :

أَمَّا الهِجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ فِيكَ ، كَمَا عَلِمْتَ ، جَلِيلُ
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ ؛ إِنَّهُ عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

أخذه من قول هشام المعروف بالحلو(٤) أحد الشعراء البصريين يهجو بشار ابن برد :

بِذِلَّةِ وَالِدَيْكَ كَسَبْتَ عِزًّا وَبِاللُّؤْمِ اجْتَرَأْتَ عَلَى الْجَوَابِ (٥)

(١) هو من غزل قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٢٦٨) وفيه « إذا نام فكر الخلق » وكذلك هو فى الخطية ، وما هنا أحسن

(٢) من أبيات فى الغزل (الديوان ٤٥٩) . قلت : ومن قوله فى هذا المعنى أيضاً
استزارته فكرتى فى المنام فأتانى فى خيفة واكتتام
(انظر الديوان ص ٤٦٠) وربما كان أصله « فى خفية »

(٣) نسبهما فى أخبار أبى تمام (٤١) إلى مسلم بن الوليد ، وهما فى ديوان مسلم (٢٤٢) ونسبهما فى الكامل إلى دعبل بن على الخزاعى ، ونسبهما فى هبة الأيام (١٦٠) إلى أبى تمام .

(٤) فى الخطية « من أبى هشام المعروف بالحلق »

(٥) فى أخبار أبى تمام (٤٢) وسمى قائله أباهشام كما فى الخطية ، ونسبه فى المنتحل (١٤٤) إلى البحترى

فأخذه إبراهيم بن العباس فقال وأجاد وأحسن :

نجَا بِكَ عِرْضُكَ مَنْجَى الذُّبَابِ حَمَتْهُ مَقَاذِرُهُ أنْ يُنَالا[1]

١٠ — وقال الطائي :

وَالشَّيْبُ إنْ طَرَدَ الشَّبابَ بياضُه كالصُّبحِ أحْدَثَ لِلظَّلَامِ أُفُولا

أراد قول الفرزدق :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كأنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ

فقصَّر عنه .

١١ — وقال قيس بن ذَرِيح :

بَليغٌ إذا يَشْكُو إلى غَيْرِها الْهَوَى وَإنْ هُوَ لاقاها فَغَيْرُ بَليغِ

أخذه الطائي فقال :

لِمَ تُنْكِرِينَ مَعَ الْفِراقِ تَبلُّدِي وَبَرَاعَةُ الْمُشْتَاقِ أَنْ يَتَبَلَّدَا؟![2]

١٢ — وقال الحطيئة :

إذَا هَمَّ بالأعْدَاءِ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ حَصَانٌ عَلَيْهَا لُؤلُؤٌ وَزَبَرْجَدُ

فأخذه كُثَير فقال :

إذا هَمَّ بِالأعْدَاءِ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ حَصَانٌ عَلَيهَا عِقْدُ دُرٍّ يَزِينُهَا

أخذه الطائي فخلَطَ ؛ لقصده إلى مجانسة اللفظ ، فقال :

---

(١) فى أخبار أبى تمام (٤٣) مع بيت سابق عليه ، وذكر أن صاحبه هو إبراهيم ابن العباس بن محمد بن صول تكين الصولى ، وهو عم أبى بكر الصولى صاحب أخبار أبى تمام والمقول له هذا البيت محمد بن عبد الملك بن أبان ، ونسبه فى اليتيمة ٢ / ٢٥٨ إلى ابن الزيات ، وكذلك فى معاهد التنصيص ٤ / ٥٣ بتحقيقنا ، وذكر معه أبياتا فى معناه ، ومنها مايوافقه فى بعض ألفاظه .

(٢) هو من غزل قصيدة يمدح فيها أحمد بن عبد الكريم (الديوان ص ١٢٥) وأولها قوله :

يا دار ، دار عليك أرهام الندى واهتز روضك فى الثرى فترأدا

عَدَاكَ حَرُّ الثغور المُسْتَضَامَةِ عَنْ
بَرْدِ الثغورِ ، وَعَنْ سَلْسَالِهَا الخَصِبِ (١)

١٣ — وقال مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقْنَ بِهَا فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فِى كُلِّ مُرْتَحَلِ

أخذه الطائى فقال :

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبَانُ أعلامِهِ ضُحًى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فى الدِّمَاء نَوَاهِلِ (٢)
أقامتْ معَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأنَّها مِنَ الْجَيْشِ ، إلاَّ أنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

فأتى فى المعنى زيادةً ، وهى قوله « إلا أنها لم تقاتل » وجاء به فى بيتين .

وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى ؛ فأولُ من سبق إليه الأفْوَهُ الأَوْدِىّ ، وذلك قوله :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلى آثارِنا رأْىَ عَيْنٍ ثِقَةً أنْ سَتُمَارْ

فتبعه النابغة فقال :

إذا مَاغَزَوْا بالْجَيْشِ حَلّقَ فَوْقَهُمْ عَصائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بِعَصَائِبِ (٣)
جَوَانِحُ قَدْ أيقَنَّ أنَّ قَبِيلَهُ إذا ما الْتَقَى الْجَمْعَانِ أوَّلُ غَالِبِ

فأخذه حُمَيْد بن ثور فقال يصف الذئب :

---

(١) من قصيدته فى مدح المعتصم بعد فتح عمورية (الديوان ص ١٠) وعداك : صرفك ، والثغور الأولى : المواضع التى تخشى المخافة من جهتها ، والمستضامة : التى أصابها الضيم ، والثغور الثانية : الباسم ، والسلسال : العذب البارد

(٢) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ص ٢٤٨) وأولها قوله :

غدا الملك معمور الحرا والمنازل منور وحف الروض عذب المناهل

وانظر مع ذلك معاهد التنصيص (٥٤٠ بولاق)

(٣) فى دلائل الإعجاز (٣٦٠) « إذا ماغدا » وفيه فى الثانى « إذا ماالتقى الصفان » وفى معاهد التنصيص والديوان كما هنا

إذَا مَا غدَا يَوْماً رَأيْتَ غمَامَةً مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الذِى هُوَ صَانِعُ[(١)]

وقال أبو نُوَاس :

تَتَأيَّا الطَّيْرُ غَزْوَتَهُ ثِقَةً بالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهْ

أى : تتعمد وتقصد[(٢)] .

١٤ — وقال منصور النَّمَرِىُّ يمدح الرشيد[(٣)] :

وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبرِيَّةِ طَرْفُهَا سَوَاءٌ عليْهِ قُرْبُها وَبَعِيدُها

أخذه أبو تمام فقال :

أطَلَّ على كُلَى الآفاقِ حَتَّى كأنَّ الأرْضَ فى عَيْنَيْهِ دَارُ[(٤)]

عجز هذا البيت حَسَنٌ جداً ، وبيت النمرى[(٣)] أحبُّ إلىَّ ؛ لأن معناه أشرح.

١٥ — وقال مسلم بن الوليد :

فلمَّا انتضَى اللَّيْلَ الصَّبَاحُ وَصَلْتُهُ بحَاشِيَةٍ مِنْ لَوْنِهِ الْمُتَوَرِّدِ

أخذه أبو تمام فقال :

حُطَّتْ على قُبَّةِ الإسلامِ أرْحُلُهُ
والشَّمْسُ قَدْ نَفَضَتْ وَرْساً على الأُصُلِ[(٥)]

---

(١) فى المطبوعات الثلاث

* إذا ماغزا يوما رأيت غيابة *

وما أثرناه عن معاهد التنصيص ، وهو أليق

(٢) تتأيا : من قولهم تأيا فلان الشىء ، إذا تحرى آيته وقصد إليها ، وآية الشىء : شخصه ، وجزر الطير والسباع : اللحم .

(٣) فى المطبوعات « منصور النميرى » وليس بشىء .

(٤) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٤١) وكلى الآفاق : جوانبها ونواحيها

(٥) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى ويذكر حجه (الديوان ٢٥٠) وفيه « إلى عمدة الإسلام » . والورس : نبات أصفر اللون ، والأصل — بضمتين — جمع أصيل ، وهو الوقت قبيل غروب الشمس

هذا ما ذكره ابن المنجم ، والذى أظنه أنه أخذه من قول الآخر :

* والشَّمْسُ صَفْرَاءُ كَلَوْنِ الْوَرْسِ *

١٦ — وقال مرار الْفَقْعَسِيُّ في وصف الأثافيّ :

أَثَرُ الْوَقُودِ عَلَى جَوَانِبِها بِخُدُودِهِنَّ كأنَّهُ لَطْمُ

أخذه أبو تمام فقال :

أَثَافٍ كَالْخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْنًا وَنُؤْيٌ مِثْلَمَا انْفَصَمَ السِّوَارُ[(١)]

أوردَ المعنى فى مصراع ، وأتى بالمصراع الثانى بمعنى آخرَ يليق به فأجاد ، إلا أن بيت المرار أشرح وأوضح معنًى ؛ لقوله « أثر الورود على جوانبها » فأبان المعنى الذى من أجله أشبه الخدودَ الملطومة .

١٧ — وقال أبو نُوَاس :

فالْخَمْرُ يَاقُوتَةٌ وَالْكَأْسُ لُؤْلُؤَةٌ مِنْ كَفِّ لُؤْلُؤَةٍ مَمْشُوقَةِ الْقَدِّ

أخذه أبو تمام فقال وأساء :

أَوْ دُرَّةٌ بَيضاءُ بِكْرٌ أُطْبِقَتْ حَبَلًا على يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءِ[(٢)]

لأن قوله «أطبقت حبلا» كلام قبيح مستكره جداً .

١٨ — وقال أبو تمام[(٣)] :

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

---

(١) الديوان (١٤١) ، والأثافى : الحجارة التى تنصب عليها القدر ، والنؤى بوزن القفل : حفيرة كانوا يصنعونها حول خيامهم لتمنع تسرب المطر إلى داخلها ، وانفصم : انقطع ، والسوار : واحد الأساور ، وسينشده المؤلف مرة أخرى فى ص ٤٠٥

(٢) من قصيدة يمدح فيها يحي بن ثابت (الديوان ٣) وفيه «أطبقت حملا » وقبل هذا البيت :

وكأن بهجتها وبهجة كأسها نار ونور قيدا بوعاء

(٣) الديوان (٤٥٧) من أربعة أبيات فى الغزل ، وبعده :

كم منزل فى الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل =

أخذه من قول كُثَيِّر :

إذا وَصَلَتْنَا خُلَّةٌ كَىْ تُزِيلَهَا أَبَيْنا،وقُلْنا : الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ[(١)]

وذكر محمد بن داود بن الجراح فى كتابه أنه أخذ المعنى من قول ابن الطَّثْرِيَّةِ[(٢)] إذ يقول :

أتَانِى هَوَاها قَبْلَ أنْ أعْرِفَ الْهَوَى
فَصَادَفَ قَلْباً فَارِغاً فَتَمَكَّنَا

وهذا أجود ما قيل فى هذا المعنى ؛ لأنه ذكر العلة .

١٩ — وقال أبو تمام[(٣)] :

وَمَا سَافَرْتُ فى الآفاقِ إلاَّ ومِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِى وَزَادِى
مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ والأَمَانِى وَإِنْ قَلِقَتْ رِكَابِى فى الْبِلادِ

أخذه من قول أبى نُوَاس :

وَإِنْ جَرَتِ الألفَاظُ يَوْماً بِمِدْحَةٍ لِغَيْرِكَ إِنْسَاناً فأَنْتَ الذِى نَعْنِى

وقد كان ابن أبى دُؤَاد[(٤)] سأله عن هذا المعنى حين أنشده القصيدة ، فقال : أهو مما اخترعته ؟ فقال : أخذته من قول ابن هانى :

= وانظر أخبار أبى تمام (٢٦٣)ومابعدها،والصناعتين(٢٠٤) وأسرار البلاغة١٠٢ ودلائل الإعجاز ٢٧٩ والبيان والتبيين ٢ / ٤٥ وشرح الشريشى على المقامات ١ / ١٥

(١) فى دلائل الإعجاز ٢٧٩ « إذا ما أرادت خلة أن تزيلنا » وفى أخبار أبى تمام (٢٦٤)«إذا وصلتنا خلة لتزيلها» وانظر طبقات ابن سلام ١٢٢ ، وابن قتيبة ٣١٦و٣٢٩

(٢) فى المطبوعات « من قول الطثرية » وليس بشىء ، وابن الطثرية : هو يزيد ابن سلمة الخير ، من بنى عامر بن صعصعة ، وأمه من طثر ، بطن من عنزة ، ونسب البيت فى البيان والتبيين (٢/٤٥) لمجنون بنى عامر قيس بن الملوح

(٣) من قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٧٩) وانظر أخبار أبى تمام (١٤١) والصناعتين ٢٠٧ وجدواك : عطائك ومنحك ، وراحلتى : ناقتى

(٤) فى المطبوعات « ابن أبى داود » وهو تحريف يعلم صوابه من الديوان ومن أخبار أبى تمام

* وَإِنْ جَرَتِ الأَلفَاظُ يَوْماً بِمَدْحةٍ *

٢٠ — وقال ابن الخياط[1] فى قصيدة يمدح بها المهدى ، فأجازه بجائزة ففرّقها فى الدار ، فبلغه فأضْعَفَ له الجائزة ، فقال :

لَمَسْتُ بِكَفِّى كَفَّهُ أَبْتَغِى الْغِنَى   وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِى

أخذه أبو تمام فقال :

عَلَّمَنِى جُودُكَ السَّمَاحَ ؛ فمَا   أَبقَيْتُ شَيْئاً لَدَىَّ مِنْ صِلَتِكْ[2]

و بيت ابن الخياط أبلغ وأجود .

٢١ — وقال دِعْبِلُ بن على :

وَإِنَّ امْرَأً أَسْدَى إِلَىَّ بِشَافِعٍ   إِلَيْهِ وَيَرْجُو الشكْرَ مِنِّى لَأَحْمَقُ[3]

شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فى الْحَوَائِجِ ؛ إِنهُ   يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهْوَ يَخْلَقُ

فأخذه أبو تمام فقال وألطف المعنى وأحسن اللفظ :

فلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطائِهِ   وَلَقِيتَ بَيْنَ يَدَىَّ مُرَّ سُؤَالِهِ[4]

وَإِذا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً   مِنْ جَاهِــهِ فَكأَنهَا مِنْ مَالِهِ

٢٢ — وقال مسلم بن الوليد فى الحجاب ، وأخطأ فى المعنى :

كَذٰلِكَ الْغَيْثُ يُرْجَى فى تَحَجُّبِهِ   حتى يُرَى مُسْفِراً عنْ وَابِلِ الْمَطَرِ

أخذه أبو تمام فقال :

(١) هو عبدالله بن محمد بن سالم بن يونس ، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، انقطع أولا إلى آل الزبير ومدحهم ، وانظر الصناعتين أيضا (٢٠٠) والوساطة ١٧٢ .

(٢) ليس هذا البيت فى الديوان ، وانظر أخبار أبى تمام (١٥٨ وما بعدها) فقد ذكره أول أربعة أبيات ، وذكره فى الوساطة (١٧٢) والصناعتين (٢٠٠) مفردا كما هنا

(٣) الصناعتين (٢١٣ أول بيتين كما هنا) أسدى إليك : منحك وأعطاك ، يريد أن الذى لا يعطيك إلا بعد أن تتوسل إليه بالشفعاء لا يستحق مديحا على عطائك ، إنما يستحقه الشفعاء .

(٤) من ستة أبيات يقولها فى إسحاق بن أبى ربعى كاتب أبى دلف يسأله أن يشفع له (الديوان ٢٤٠) وانظر الصناعتين ٢١٣ وأخبار أبى تمام ٦٤ .

لَيْسَ الحِجَابُ بمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلاً ... إنَّ السماءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ[(١)]

إلا أن لبيت أبي تمام وجهاً من الصواب ، وقد ذكرته في باب في هذا الكتاب مع ما أُخذ على مسلم [بن الوليد] في بيته من العيب .

٢٣ — وقال النابغة الجَعْدِيُّ :

وَتَسْتَلِبُ الدَّهْرَ التى كانَ رَبُّهَا ... ضَنِيناً بهَا ، والحَرْبُ فيهَا الحَرَائِبُ[(٢)]

فأخذه أبو تمام فقال وقصّر عنه :

لمَّا رَأَى الحَرْبَ رَأْيَ العَيْنِ تُوفَلِسٌ

والحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنَى مِنَ الحَرَبِ[(٣)]

أو أخذه من قول إبراهيم بن المهدى :

وَسَعَّرُوا الحَرْبَ وَاسمُ الحربِ - قَدْ عَلِمُوا

لَوْ يَنْفَعُ العِلْمُ - مُشْتَقٌّ مِنَ الحَرَبِ[(٤)]

٢٤ — وقالت مريم بنت طارق[(٥)] ترثى أخاها ، فى أبيات أنشدها

---

(١) من أربعة أبيات يعتب بها على أبى دلف ، وقيل : على عبد الله بن طاهر (الديوان ٢٢) وأخبار أبي تمام ٢٢١ ، وفيه ذكر الخلاف فيمن قيلت له على أربعة أقوال

(٢) أنشده أبو هلال فى ديوان المعانى ٦٦/٢ والصولى فى أخبار أبى تمام مع بيتين سابقين عليه ٥٤ و ٥٥ .

(٣) من مدحته فى المعتصم بعد فتح عمورية (الديوان ١٠) والحرب - بفتحتين - سلب الأموال ، وانظر الأخبار (٥٤)

(٤) فى المطبوعات «ومسعر الحرب » وفى أخبار أبى تمام « هم هيجوا الحرب » وسعروها : أوقدوا نارها

(٥) نسبه فى أخبار أبى تمام (١٣٣) إلى صفية الباهلية ، ووجد فى ديوان الخنساء (١٣٤) ونسبه فى ديوان المعانى ١٧/١ إلى صفية الباهلية ، مع بيت قبله ، وسيذكره المؤلف مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام ٢٩٢ .

ابن الأنبارى فى أماليه :

كُنَّا كَأَنْجُمِ لَيْـــلٍ بينهاَ قمرٌ
يَجْلُو الدُّجَى ، فهوَى مِنْ بينهــا القَمَرُ

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى ، فقال :

كَأَنَّ بَنِي نَبْهَــانَ يومَ وَفاتِهِ نُجُومُ سَماء خَرَّ مِنْ بَيْنِهاَ البَــدْرُ

أو أخذه من قول جرير يرثى الوليد بن عبد الملك :

أمْسَى بَنُوهُ وقد جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهاَ القَمَرُ

ولست أدرى أيهما أخذ من صاحبه ؟ أمريم أخذت من جرير ، أم جرير أخذ منها ؟

وروى دِعْبِل بن على الخزاعى لأبى سُلْمَى المزنى ، من ولد زُهَيْر ، واسمــه مكنفٌ [وهو [1]] الذى [كان[1]] يهجو بَنِي القَعْقاعِ آلَ ذفَافَةَ العَبْسيِّ فيقول :

إنَّ الضُّـرَاطَ بِهِ تعاظَمَ مَجْدُكُمْ فتَعَاظَمُوا ضَرِطاً بَنِي القَعْقَاعِ[2]

قال دعبل : فلما مات ذُفَافَةُ رَثَاه أبو سُلْمَى فقال :

أَبعْدَ أَبِى العَبَّاس يُسْتَعْتَبُ الدَّهْرُ وما بَعْدَهُ لِلدَّهْرِ عُتْبَى وَلاَ عُذْرُ؟
أَلاَ أَيُّهاَ النَّاعِي ذُفَافَةَ ذا النَّدَى تَعِسْتَ وَشَلَّتْ مِنْ أَنامِلِكَ العَشْرُ
ولا مَطَرَتْ أَرْضاً سماء،ولاجرَتْ نجومٌ ، ولا لَذَّتْ لِشَارِبِهــا الخَمْرُ
كَأَنَّ بَنِي القَعْقَاعِ بَعْدَ وَفاتِهِ نجومُ سماء خَرَّ مِنْ بينهــا البَدْرُ
تُوُفِّيَتِ الآمالُ بَعْــدَ ذُفافَةٍ فأَصْبَح فى شُغْلٍ عَنِ السَّفْرِ السَّفْرُ

(١) زيادة يقتضيها السياق

(٢) فى الخطية وفى أخبار أبى تمام (٢٠٠) «تصاعد جدكم» وفيه سبعة أبيات من الرثاء اشتركت مع سبعة الأبيات الآتية فى ١و٢ و٣ و ٤ و٥ مع تخالف فى الترتيب وفيها بيتان زائدان عماهنا ، كما أن فى ماهنا زيادة بيتين ، وفى الوساطة ١٥٢ رواية سبعة الأبيات على ترتيب روايتها هنا ، إلا أنها هناك ثمانية بزيادة بيت بين الثانى والثالث

يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ العُلاَ ... ويَبْكِى عليهِ البَأْسُ والمجدُ والشِّعْرُ
وما كانَ إلاّ مالَ مَنْ قَلَّ مالُهُ ... وذُخْراً لِمَنْ أَمْسَى وليسَ لهُ ذُخْرُ

قال أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح : قال أبو محمد اليزيدى : أنشدنى دِعْبِلٌ هذه القصيـدَةَ ، وجعل يعجّبنى من الطائى فى ادعائه إياها ، وتغييره بعضَ أبياتها .

٢٥ — وقال مسلم بن الوليد يرثى :

فَاذْهَبْ كما ذَهَبَتْ غَوادِى مُزْنَةٍ ... أَثْنَى عَلَيهـَا السَّهْلُ والأَوْعَارُ

أخذ أبو تمام المعنى وقَصَّر فى العبارة ، فقال(١) :

وَقَفْنا فَقُلْنَا بعدَ أن أُفْرِدَ الثَّرَى ... بِهِ مَا يُقَالُ فى السَّحَابَةِ تُقْلِعُ

وتقصيرُه عن مسلمٍ أن مسلماً قال « أثنى عليها السهل والأَوْعَارُ » فأراد أن هذه السحابة عَمَّتْ بنفعها ، وفى قول أبى تمام « ما يقال فى السحابة تقلع » إبهـام ؛ لأنه لم يُفْصِحْ بالثناء عليها وأنها نفعت ، وقد يقال فى السحابة إذا أَقْلَعَتْ ما هو غير المدح والثناء ، إذا نزلت فى غير حينها ، وفى غير وقت الحاجة إليها ، وكثيراً ما يضرُّ المطر إذا كانت هذه حالَه ، وإن كان أبو تمـام لم يُرد هذا القِسْمَ ، وإنمـا أراد القسم الآخر فقط ؛ فقصَّر فى العبارة والشرح ، ألا ترى إلى قول الشاعر الأول ما أحْسَن ما شَرَط ، وهو طَرَفَةُ :

فَسَقَى دِيَارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِهَا ... صَوْبُ الرَّبيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِى(٢)

قال « غير مفسدها » لما دعا لها بالسُّقْيا التى تدومُ ، وقال البحترى :

أَلَحَّ جُوداً فَلَم تَضْرُرْ سَحَائِبُهُ ... ورُبَّمَا ضَرَّ عنـدَ الحاجَةِ المطَرُ

(١) من قصيدة يرثى فيها إدريس بن بدر السامى (الديوان ٣٧٣) وفيه
* وقمنا فقلنا بعد أن أفرد الندى *
وفى المطبوعات فى قول مسلم « السهل والأجبالِ »

(٢) من كلمة له يمدح فيها قتادة بن مسلمة الحنفى ، وكان قد بذل لقوم طرفة فى عام جديب (انظر العقد الثمين ٢١ والديوان ٦٢ ومعاهد التنصيص ١٦٣ بولاق)

وقول أبى تمام «ما يقال فى السحابة تُقْلِعُ» يحتاج إلى تفسير مع سرقته [المعنى] .

٢٦ — وقال العباس بن الأحنف :

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا
وتَسْكُبُ عَيْنَاىَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا(١)

أخذه الطائى فقال :

أآلِفَةَ النَّحِيبِ ، كَمِ افْتِرَاقٍ أظلَّ فكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعِ ؟(٢)

وبيت الأعرابى — وهو عُرْوَةُ بن الوَرْد — أجْوَدُ من بيتيهما ، وهو قوله :

تقولُ سُلَيْمى : لَوْ أقَمْتَ بأرْضِنَا ، ولم تَدْرِ أنِّى لِلْمُقَامِ أُطَوِّفُ(٣)

٢٧ — وقال أبو تمام :

أُسَرْبِلُ هُجْرَ القَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ
إذاً لَهَجَانِى عنهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِى(٤)

أخذ المعنى من قول بعض الخوارج(٥) وسَامَه قَطَرِىّ بن الفُجاءة قِتَالَ الحجاج

---

(١) انظر معاهد التنصيص (٢٤ بولاق) والصناعتين (٢١٩) والوساطة ١٨٠

(٢) من قصيدة يمدح فيها ابن أصرم (الديوان ١٩٣) . وفيه « ألم فكان » والنحيب : البكاء ، وألم : نزل وعرض ، وفى الوساطة ١٨٠ « أطل فكان » بالطاء المهملة ، وفى معاهد التنصيص ٢٥ « أظل فكان » بالظاء المعجمة كما هنا .

(٣) انظر ديوان عروة بن الورد (٩٣ طبع الجزائر) وفيه وفى الخطية «لو أقمت لسرنا» وأطوف — بتشديد الواو — أكثر الطواف والجولان ، وانظر الصناعتين (٢٢٠ و ٢٢٤) والوساطة ١٨٠ والأغانى ٣ / ٨٢ الدار ، والمعاهد ٢٥ وفيه قصة طريفة جرت بين ثعلب والمبرد بشأن بيت أبى تمام .

(٤) من قصيدة يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقى ، ويعتذر إليه (الديوان ١٢٩) وانظر معاهد التنصيص (١٧ بولاق) والصناعتين ٢١٥ وقبل البيت المذكور :

فكيف وما أخللت بعدك بالحجى وأنت فلم تخلل بمكرمة عندى

(٥) انظر حديثه فى أخبار أبى تمام (٢٠٥) وفيه خمسة الأبيات التى يرويها هنا مع اختلاف يسير ، ومعها هناك سادس . وانظر الصناعتين (٢١٥) ودلائل الإعجاز (٢٦٠)

فأبى ؛ لأن الحجاج كان مَنَّ عليه ، فقال :

أَأُقَاتِلُ الحجَّاجَ عن سُلْطانِهِ بيَدٍ تُقِرُّ بأنَّهـا مَوْلاتُهُ
إنِّى إذاً لأخُو الدَّنَاءَةِ ، وَالَّذِى غَطَّتْ على إحْسَانِهِ جَهَلاَتُهُ
ماذا أقولُ إذا وَقَفْتُ إزَاءَهُ فى الصَّفِّ فاحْتَجَّتْ له فَعلاَتُهُ
أأقولُ جارَ عَلَىَّ ؟ لا ، إنِّى إذاً لأحَقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وُلاَتُهُ
وتحَدَّثَ الأقْوَامُ أنَّ صَنَائِعاً غُرِسَتْ لَدَىَّ فَحَنْظَلَتْ نَخَلاتُهُ

٢٨ — وقال قيس بن الْخَطِيم[1] :

قَضَى لَهَا اللهُ حينَ صَوَّرَها الْخَالِقُ أن لا يُكِنَّهَا سُدَفُ

أخذه أبو تمام فقال :

فَعَجِبْتُ مِنْ شَمْسٍ إذا حُجِبَتْ بَدَتْ
مِنْ نُورِها ، فَكَأَنَّهَا لم تُحْجَبِ[2]

أو أخذه من قول أبى نُوَاسٍ :

تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ ظاهِرِ الكَأْسِ ظاهِراً
عليكَ ، وَلَوْ غَطَّيْتَهَا بِغِطَاءِ

٢٩ — وقال مسلم بن الوليد :

---

(١) انظر ديوانه (١٧ طبع ليبزج) والسدف — بفتحتين — الظلمة ، ومثله السدفة - بضم فسكون - وجمعها سدف كغرفة وغرف ، ويكنها : يسترها . ويروى « يجنها » وفى المطبوعات الثلاث « وقضى الله حين صورها » والوزن به غير قائم ؛ فالبيت من قصيدة من المنسرح أولها قوله :

رد الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا ؟

والتصويب عن الديوان ، وانظر الأغانى ٣/٢٣ الدار ، وشرح مختار الخالديين ١٤٢

(٢) من قصيدة يمدح فيها عمر بن طوق (الديوان ١٢) وفيه « فنعمت من شمس » ، وفى الخطية « إذا احتجبت » .

يُصِيبُ مِنْكَ مَعَ الآمالِ طالِبُهَا حِلْماً وعِلْماً ومَعْرُوفاً وإسْلاَمَا

أخذه أبو تمام فقال(١) وبَرَّز عليه وإن كان بيت مسلم أجْمَعَ للمعنى :

نَرْمِى بأشْبَاحِنَا إلى مَلِكٍ نأخُذُ مِنْ مَالِهِ ومِنْ أدَبِهْ

٣٠ — وقال أبو نُوَاس :

تَبْكِى البُدُورُ لِضِحْكِهِ والسَّيْفُ يَضْحَكُ إنْ عَبَسْ

أراد [هٰهُنَا] بالبدور جمع بَدْرة ، فأخذه أبو تمام فقال وقَصَّر عنه :

كُلَّ يومٍ لهُ وكلَّ أوَانٍ خُلُقٌ ضَاحِكٌ وَمالٌ كَئِيبُ(٢)

فبإزاء هذا البيت قولُ أبى نواس « تبكى البدور لضحكه » وقولُه « والسيف يضحك إن عبس » فَضْلٌ .

٣١ — وقال جرير(٣) :

* وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ أرْكَانَا *

أخذه أبو تمام فجعله فى الخمر ، فقال :

وَضَعِيفَةٍ فإذا أصابَتْ فُرْصَةً قَتَلَتْ ، كذلكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ(٤)

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى (الديوان ٥٢) وقبل البيت قوله :

لست من العيس أو أكلفها وخدا يداوى المريض من وصبه

للمصطفى محتدا أبى الحسن انـصعن انصياع الكدرى فى قربه

(٢) من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ٥٨)

(٣) هذا عجز بيت مشهور ، وقبله :

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به وهن أضعف — إلخ

وانظر الشعراء لابن قتيبة

(٤) من قصيدة يمدح فيها يحيى بن ثابت (الديوان ٣) وقبله :

عنبية ذهبية سبكت لها ذهب المعانى صاغة الشعراء

صعبت وراض المزج سيء خلقها فتعلمت من حسن خلق الماء

خرقاء يلعب بالعقول حبابها كتلاعب الأفعال بالأسماء

وفى الخطية « فإذا أصابت خلسة »

٣٢ — وقال رجل من بنى أسد ، وكان أبو عبد الله الجرشى[(١)] ـ أحد شعراء الشاميين ـ أنْشَدَنيه لبعض شعراء بنى أسد :

تَغَيَّبْتُ كَىْ لا تَجْتَوِينى دِيَارُكُمْ ولوْ لم تَغِبْ شمسُ النَّهارِ لَمُلَّتِ[(٢)]

[وظننته مَصْنُوعا حتى وجدت عبد الله بن المعتز بالله ذكر فى كتابه المؤلف فى سرقات الشعر عجز هذا البيت * ولَوْ لَمْ تَغِبْ شَمْسُ النهارِ لَمُلَّتِ * للكميت بن زيد[(٣)]] فأخذه الطائى فقال :

فإنى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً
إلى الناسِ إذْ لَيْسَتْ عليهم بِسَرْمَدِ[(٤)]

فأما قول الإيادى :

فَإنى رَأَيْتُ القَطْرَ يُسْأَمُ دَائِباً ويُسْأَلُ بالأيْدِى إذا هُوَ أَمْسَكَا[(٥)]

فمن أبى تمامٍ أخَذَهُ ؛ لأنه متأخر بعده .

٣٣ — وقال مسلم بن الوليد :

مُوفٍ على مُهَجٍ وَاليَوْمُ ذُو رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَـــلٌ يَسْعَى إلى أَمَلِ

فأخذه الطائى فقال وقصَّرَ :

رَآهُ العِلْجُ مُقْتَحِماً عليهِ كما اقْتَحَمَ الفنَاءُ على الخلودِ[(٦)]

---

(١) كذا ، ولم أعثر على تحقيقه ، وفى الشعراء المغمورين من اسمه أبو عبد الله الجدلى ، ومن اسمه أبو عبد الله السلمى ، وفى الخطية « أبو عبد الله الحوشى »

(٢) فى المطبوعات الثلاث « كى لا تحتوينى » بالحاء المهملة .

(٣) زيادة عن الخطية .

(٤) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ١٠١) وفيه وفى الخطية « أن ليست عليهم » وأنشده الصولى فى أخبار أبى تمام ٦١ مع أبيات سابقة عليه ، وأنشده الجرجانى فى أسرار البلاغة ١٠٦ مع بيت سابق عليه .

(٥) أنشده الشريشى ١ / ٢٧٠ ثانى اثنين

(٦) الديوان (١٠٥) والعلج ـ بكسر فسكون ـ الرجل الضخم من كفار العجم

٣٤ — وقال قَطَرِىّ بن الفُجَاءة :

ثمّ انثنَيْتُ وقد أصَبْتُ ولم أُصَبْ جَذَعَ البَصِيرَةِ قَارِحَ الإقْدَامِ (١)

أخذه أبو تمام فقال [وكأنه عكس المعنى ، وكلاهما جيد حسن] :

وَمُجرَّبُونَ سقاهُمُ مِنْ بَأْسِهِ
فإذا لَقُوا فَكأَنّهُمْ أَغْمَارُ (٢)

وقد كرَّرَ هذا المعنى فى بيتٍ آخر فقال:

كَهْـلُ الأناةِ ، فَتَى الشّذَاةِ ، إذا غدَا
لِلحَرْبِ كانَ الماجِدَ الغِطْرِيفَا (٣)

٣٥ — وقال آخر :

يَبيعُ ويَشْترى لهُمُ سـواهم ولٰـكِنْ بالطِّعَانِ هُمُ تِجَارُ

ويروى « بالرماح » ، أخذه الطائى فقال وقصَّرَ وغير المعنى وجاء بغرض آخر:

لُفُظٌ لِأَخلاقِ التِّجَارِ ، وَإنّهُمْ
لَغَداً بِمَا ادَّخَرُوا لَهُ لَتِجَارُ (٤)

(١) انظر شرح الحماسة للتبريزى (١ / ١٣٠) وجذع البصيرة : حال من الضمير المستتر فى « انصرفت »

(٢) الديوان (١٤٨) لقوا : التقوا بالعدو ، وأغمار : غير مجربين ، وانظره فيما يلى (ص ٢٩٤ طبعة أولى)

(٣) الديوان (٢٠٧) وفيه « إذا عدا » وفيه « كان القشعم الغطريفا » والأناة : الحلم ، والشذاة : القوة ، أو بقيتها ، والقشعم : الأسد ، والغطريف : السيد الشريف

(٤) لفظ ـ بضمتين ـ جمع لافظ ، على غير قياس ، واللافظ للشىء : الطارح له المهمله ، يعنى أنهم يتركون أخلاق التجار لدناءتها ، ولـكنهم ـ لـكثرة ما أحرزوا من المحامد والمـكرمات ، ولـكثرة ما اكتسبوا بها من ثناء وحمد ـ يشبهون التجار ، فقد اشتروا حمد الناس وثناءهم عليهم بكريم سجاياهم ؛ فـكانوا الرابحين . وانظر الديوان (١٤٨) وفيه : * وإنهم بكثير مافضلوا به لتجار *
وكان فى المطبوعات « لقط » بالقاف والطاء المهملة ، وهو تحريف ، صوابه عن الحطية والديوان.

٣٦ — وقال أبو نُوَاس يمدح الخصيب[1] :

فَمَا جَازَهُ جُودٌ ، وَلاَ حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ

[أخذه أبو تمام فقال [يمدح ابن أبى دُؤَاد ، وقصَّر عنه] :

إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ يَصِيرُ فَمَا يَعْدُوكَ حَيْثُ تَصِيرُ]

٣٧ — وقال جرير يهجو الأخطل :

مَازِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلاً تَكُرُّ عَلَيْكُمُ وَرِجَالاَ

أخذه أبو تمام فقال :

حَيْرَانَ يَحْسَبُ سِجْفَ النَّقْعِ مِنْ دَهَشٍ نَقًى يُحَاذِرُ أَنْ يَنْقَضَّ أَوْ جُرُفَا[2]

وأخذ جرير المعنى من قول الله تعالى : (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ)[3] .

٣٨ — وقال مسلم يرثى :

سَلَكَتْ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعُلَى حَتَّى إِذَا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ دَارُوا

نَفَضَتْ بِكَ الآمَالُ أَحْلاَسَ الْمُنَى وَاسْتَرْجَعَتْ نُزَّاعَهَا الأَمْصَارُ

(١) سقط هنا من جميع المطبوعات بيت أبى تمام الذى يقال إنه مسروق المعنى من بيت لأبى نواس ، وقد بحثت أولا ديوان أبى تمام حتى عثرت على البيت الذى أثبته بين المعقوفين ، وهو يشبه بيت أبى نواس لفظا ومعنى ، وهو من أبيات يمدح فيها أحمد ابن أبى دواد ، ثم رأيت بعد ذلك بيت أبى نواس وبيت أبى تمام فى الخطية ، وفى الوساطة ٢١٩ ومعهما أبيات لشعراء مختلفين فيهم الأسبق من أبى نواس وأبى تمام جميعا ، وعثرت فى ثمرات الأوراق ٢١١ على بيتين للفرزدق يقولهما فى طلحة بن عبيد الله .

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا دلف العجلى (الديوان ٢٠٢) وقبله قوله :

ومر بابك مر الريح منجذبا مخلوليا دمه المعسول لو رشفا

وفى الخطية « سقفا يحاذر ـ إلخ » (٣) من الآية ٤ من سورة المنافقين

أخذه أبو تمام فقال :

تُوُفِّيَتِ الآمَالُ بَعْــدَ مُحَمَّدٍ فَأَصْبَحَ مَشْغُولاً عَنِ السَّفْرِ السَّفْرُ(١)

أو أخذ ذلك من أبى سُلْمى يرثى ذُفَافَةَ العبسىَّ كما حكى دِعْبِلٌ(٢) .

٣٩ — وقال تَوْبة بن الُحمَيِّر :

يَقُولُ أُنَاسٌ : لا يَضُرُّكَ نَأْيُهَا بَلَى كُلُّ مَاشَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُهَا

أخذه أبو تمام فقال وزاد فيه :

لاَ شَيْءُ ضَائِرُ عَاشِقٍ ، فَإِذَا نَأَى عَنْهُ الْحَبِيبُ فَكُلُّ شَيْءٍ ضَائِرُهْ(٣)

٤٠ — وقال عنترة :

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ

لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ

أخذه أبو تمام فقال(٤) :

يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ، سُمْرُ الْقَنَا بِإِهَابِهِ أَوْلَى مِنَ السِّرْبَالِ

قال ذلك لأنه ظن أن عنترة أراد الثيابَ نفسَها ، وإنما أراد عنترة بقوله « ثيابه » نفْسَه .

٤١ — وقال مسلم بن الوليد :

يَكْسُو السُّيُوفَ نُفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ

وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِيجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ(٥)

---

(١) من قصيدته فى رثاء محمد وقحطبة وأبى نصر ، بنى حميد الطوسى (الديوان ٣٦٨) انظر (١٠٤ من هذا الكتاب) (٢) انظر (ص ٦٤ و ٦٥) من هذا الكتاب

(٣) من غزل قصيدة يمدح فيها نصر بن منصور بن بسام (الديوان ١٥٥)

(٤) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله ويذكر أخذ بابك (الديوان ٢٦١)

(٥) سيذكره المؤلف فى سرقات البحترى مرة أخرى (ص ٢٨٥) وفيه « يكسو السيوف رءوس الناكثين به » وسينشد بيت جرير هناك أيضا بغير اختلاف ، وانظر ثلاثة الأبيات فى الوساطة ١٧٦ .

أخذه أبو تمام وأساء الأخذ وتعسّف اللفظ فقال[(١)] :

أَبْدَلْتَ أَرْؤُسَهُمْ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ مِنْ
قَنَــا الظُّهُورِ قَنَا الْخَطِّيِّ مُدَّعَمَا

أو أخذا المعنى جميعاً من قول جرير :

كَأَنَّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا
غَدَاةَ الْوَغَى تِيجَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا

٤٢ — وقال امرؤ القيس :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَّ حَبَابِ الْمَـاءِ حَالاً عَلَى حَالِ

أخذه أبو تمام وعدَلَ به إلى وجه المديح فقال :

سَمَا لِلْعُـلاَ مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهْ[(٢)]

وما قيل فى إخفاء الحركة والدبيب أبلغ ولا أبرع من بيت امرىء القيس هذا .

٤٣ — وقال الفرزدق يهجو جريرا :

أَنْتُمْ قَرَارَةُ كُلِّ مَدْفَعِ سَوْأَةٍ وَلِـ كُلِّ سَائِلَةٍ تَسِـيلُ قَرَارُ[(٣)]

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى جميعاً فقال :

وَكَانَتْ لَوْعَةً ثُمَّ اطْمَأَنَّتْ كَذَاكَ لِـكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارُ[(٤)]

---

(١) من قصيدة يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبي (الديوان ٣٠٣) والخطى: المنسوب إلى الخط ، وأراد به الرمح ، ومدعما : مسندا .

(٢) من قصيدة يمدح فيها عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب (الديوان ٤٥) وفيه « عباب المـاء » والعباب : معظم الماء ، وجاشت : زخرت أو اضطربت ، وغواربه : أعالى موجه

(٣) أنشده فى ديوان المعانى ١ / ١٧٥ ، وفيه « كل معدن سوءة » وفى المطبوعات « سائلة تسير »

(٤) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٤١) وورد فى ديوان المعانى ١/١٧٥ وفيه «وكانت زفرة»

٤٤ — وقال محمد بن بَشِيرٍ الخارجىُّ من خارجة عَدْوَانَ :

وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الأَرْحَامِ

أخذه أبو تمام فقال :

فَلَوْ أَبْصَرْتَهُمْ وَالزَّائِرِيهِمْ لَمَا مِزْتَ الْحَمِيمَ مِنَ الْبَعِيدِ[(١)]

فقصر عن الأول .

٤٥ — وقال بعض الأعراب يصف المصلوبَ ، أنشده ثعلب :

قَامَ وَلَمَّا يَسْتَعِنْ بِسَاقِهِ آلف مَثْوَاهُ عَلَى فِرَاقِهِ

* كَأَنَّمَا يَضْحَكُ فِي إِشْرَاقِهِ *

أخذ أبو تمام قوله « آلف مثواه على فراقه » فقال :

لاَ يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَآهُمْ خَالَهُمْ
أَبَداً عَلَى سَفَرٍ مِنَ الأَسْفَارِ[(٢)]

٤٦ — وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سَبَقَ إليه :

لاَ يَسْتَطِيعُ يَزِيدُ مِنْ طَبِيعَتِهِ عَنِ الْمُرُوءَةِ وَالْمَعْرُوفِ إِحْجَامَا

أخذ أبو تمام المعنى فكشفه وأحسن اللفظ وأجاد فقال :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوَ انَّهُ دَعَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهْ[(٣)]

٤٧ — وقال ذو الرّمة[(٤)] :

وَلَيْلٍ كَجِلْبَابِ الْعَرُوسِ ادَّرَعْتُهُ بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِى الْعَيْنِ وَاحِدُ
أَحَمُّ عِلَافِىٌّ ، وَأَبْيَضُ صَارِمٌ وَأَعْيَسُ مَهْرِىٌّ ، وَأَرْوَعُ مَاجِدُ

---

(١) ليس لهذا البيت وجود فى الديوان

(٢) من قصيدة يمدح فيها المعتصم ، ويذكر إحراق الأشفين (الديوان ١٥٤)

(٣) من قصيدة يمدح فيها المعتصم (الديوان ٢٣٢) وفيه وفى الخطية «ثناها لقبض لم تطعه»

(٤) العلافى : الرحل العظيم ، والأحم : الأسود ، وقيل : الأبيض ، والأعيس من الإبل : مافى لونه أدمة (وانظر الصناعتين ٢٤٣ و ٢٤٧) .

أخذه أبو تمام فقصّر وليس هو المعنى بعينه ، فقال :

الْبِيدُ وَالْعِيسُ وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعاً ثلاثةٌ أبداً يُقْرَنَّ فى قَرَنِ[1]

والذى اتَّبعَ ذا الرمة فأحسن الاتباع البحترىُّ فى قوله[2] :

يَا خَلِيلَىَّ بِالسَّوَاجِيرِ مِنْ أُدَّ بْنِ مَعْنٍ وَبُحْتُرِ بْنِ عَتُودِ

اُطْلُبا ثالثاً سِوَاىَ ؛ فإنِّى رَابِعُ الْعِيسِ وَالدُّجَى وَالْبِيدِ

٤٨ — وقال النابغة الذبيانى ، وكان الأصمعى يتعجب من جَوْدَته :

وَعَيَّرْتنِى بَنُو ذُبْيَانَ خَشْيَتَهُ وَهَلْ عَلَىَّ بِأَنْ أَخْشَاكَ مِنْ عارِ؟

أخذه أبو تمام فقال وزاد ذكر الموت :

خَضَعُوا لِصَوْلَتِكَ التى هِىَ عِنْدَهُمْ

كالْمَوْتِ يَأْتِى لَيْسَ فيهِ عارُ[3]

٤٩ — وقال كعب بن زهير يمدح قريشاً :

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاَّ فى نُحُورِهِمُ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

أخذه أبو تمام ـ كما قال لى بعض الرواة ـ فقال يرثى بنى حُمَيد :

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسن على بن قرة (الديوان ٣٣٤) وفيه « العيس والهم والليل التمام » والعيس : الإبل ، والقرن ، بالتحريك : الحبل ، وانظر أخبار أبى تمام (٨٢ ومابعدها) وسيذكره المؤلف مرة أخرى فى ٢٦٧

(٢) من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان : ١ / ٢٠٥) وفيه « ياندىمى بالسواجير من ود ـ إلخ » وسيذكر المؤلف ثانى هذين البيتين فى ٢٦٧ ، وفى الشريشى ١ / ٧١ بيتا ذى الرمة وبيتا البحترى وبيت آخر لأبى تمام رواه المؤلف فى ٨٤ من هذا الكتاب ، وفى الشريشى أيضا أبيات أخرى فى المعنى لشعراء آخرين وانظر الحيوان للجاحظ ٣ / ٢٥٠ وديوان المعانى ٢ / ٣٤٢ والعمدة ٢ / ٢٩

(٣) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ١٤٦) وفيه « خشعوا » وانظر أخبار أبى تمام (٩٩) .

لَوْ خَــرَّ سَيْفٌ مِنَ الْعَيُّوقِ مُنْصَـــلِتاَ
ما كَانَ إلاَّ على هَامَاتِهِــمْ يَقَعُ(١)

روى الشاميون أن أبا تمام سئل عن هذا المعنى ، فقال : آخذته من قول نادبة : لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما أخطأ ، فأما قول كعب « لا يقع الطعن إلا فى نحورِهِمُ » فإنما أراد أنهم لا يُوَلُّونَ الدبر ، وليس من معنى أبى تمام فى شىء .

٥٠ — وقال يصف الراية :

تَخْفِـــقُ أَثْنَاؤُهَا عَلى مَلِكٍ يَرَى طِرَادَ الأبطَالِ مِنْ طَرَدِهْ(٢)

أخذه من قول أبى نواس :

* تَعُدُّ عَـيْنَ الْوَحْشِ مِنْ أَقْوَاتِهَا *

وأخذه أبو نُوَاسٍ من قول أبى النجم :

* تَعُدُّ عَانَاتِ اللِّوَى مِنْ مالِهَا *

٥١ — وقال أبو تمام يستهدى نبيذاً :

وَهْيَ نَزْرٌ لَوْ أنهَا مِنْ دُمُوعِ الصَّـــبِّ لَمْ تَشْفِ مِنْهُ حَرَّ الْغَلِيلِ(٣)

أخذه من قول الآخر ، أو أخذه الآخر منه ، والمعنيان متشابهان :

لَوْ كانَ ما أَهْدَيْتَهُ إِثْمِدًا لَمْ يَكْفِ إلاَّ مُقْلَةً واحِدَهْ

---

(١) من قصيدة يرثى فيها بنى حميد (الديوان ٣٧١) وفيه وفى الخطية « منصلت » وهى خير مما هنا ، وخر : سقط ، والعيوق : نجم ، ومنصلت : ماض نافذ فى ضريبته . وانظر الأخبار ١٣٨ ، وكان فى المطبوعات «يرثى حميداً» وفى الخطية «من الجوزاء»

(٢) من قصيدة يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٩٣) وأثناؤها : منعطفاتها ، والطرد : مزاولة الصيد

(٣) من كلمة يعتب فيها على أبى على موسى القمى (الديوان ٤٠٧) والنزر : القليل ، والغليل : العطش ، وانظره فى أخبار أبى تمام ٢١٣ سابع ثمانية ، وفى زهر الآداب ١/١٣٧

٥٢ — وقال يصف مغنية تغنّى بالفارسية :

وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيهَا ، ولٰكِنْ
شَجَتْ كَبِدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجاها(١)

أخذه من قول الحسين بن الضحاك [الخليع] على ما في قول الخليع من المناقضة(٢) :

وَما أفهَمُ ما يَعْنِي مُغَنِّينَا إذا غَنَّى
سِوَى أنِّيَ مِنْ حُبِّ لَهُ أَسْتَحْسِنُ الْمَعْنَى

لأنه قال : « ما أفهم ما يعنى » ثم قال : « أستحسن المعنى » وإنما أراد بالمعنى اللَّحْنَ ، لا معنى القول .

وأجود من ذلك كله قول حُمَيْد بن ثَوْر يصف الحمامة :

وَلَمْ أَرَ مِثْلِي شاقَهُ صَوْتُ مِثْلِها وَلا عَرَبِيًّا شاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمَا(٣)

٥٣ — وقال الفرزدق يرثى امرأة له ماتت حاملا(٤) :

وَجَفْنِ سِلاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فلَمْ أَنُحْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عليهِ الْبَواكيا
وَفى بَطْنِهِ مِنْ دارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ لَوَ أنَّ الْمَنايا أَمْهَلَتْهُ لَيالِيا

فقال أبو تمام وأجاد اللفظ وأحسن الأخذ وأصاب التمثيل ، فقال يرثى ابنين صغيرين ماتا لعبد الله بن طاهر :

---

(١) الديوان ٤٦٧ ، وفيه فى الخطية «ورت كبدى» وشجت : أحزنت ، وورت : أوقدت ، وشجاها : طربها أو حزنها ، وأنشده الشريشى ١/١٩ كالديوان

(٢) روى صاحب أخبار أبى تمام ٢١٥ هذين البيتين ، وروى قبلهما ثلاثة أبيات ، وذكر أن من الناس من يذكر أنها لأبى نواس ، ولا يثبت ذلك عنده

(٣) يروى * ولم أر مثلى هاجه اليوم مثلها *

وهذا البيت رواه الصولى فى أخبار تمام أبى ٢١٥ و ٢١٦ ثالث ثلاثة ، وصاحب زهر الآداب ١ / ٢٠١ والمبرد فى الكامل ، والجاحظ فى الحيوان ٣ / ١٩٧ وخزانة الأدب ٤/٢٩٩ بولاق .

(٤) انظر البيتين فى أخبار أبى تمام ٢٢ وزهر الآداب ١ / ٢١٠ وديوان المعانى ٢/١٧٧ والصناعتين ٢٠٦ وقد قال بعد إنشاده «لا يقع بيت الفرزدق مع أبيات أبى تمام موقعا»

لَهفِى على تِلكَ المَخَايلِ فِيهما لَوْ أُمْهِلَتْ حتى تكُونَ شَمَائلا[١]
إنَّ الهِلَالَ إذا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْراً كامِلا

٥٤ — وقال أبو تمام :

صَلتانُ أعدَاؤُهُ حيثُ حَلُّوا فى حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِهِ مُسْتَفَاضِ[٢]

فأخطأ فى قوله « مستفاض » وإنما هو مستفيض ، وقد احتجَّ له محتج بأن قال : أرادَ مستفاض فيه ، و إنما جعلهم يُفيضون فى ذكره لأنهم أبداً على حال وَجَلٍ واحتراسٍ من إيقاعه بهم ؛ فهم لايقطعون ذِكْرَه من شدة الخوف منه ، ألا تراه قال « حيث حلوا » أى هم بهذه الحال قريباً كانت دارهم منه أو بعيدا .

وأخذ هذا المعنى من قول أعشى باهِلَةَ يرثى أخاه لأمه المنتشِرَ :

لا يأمَنُ القَوْمُ مُمْسَاهُ وَمُصْبَحَهُ فى كلِّ فجٍّ و إنْ لم يَغزُ يُنتَظَرُ[٣]

أو من قول عُرْوَة الصَّعَاليك :

و إنْ بَعُدُوا لا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الغائبِ المُتَنَظَّرِ[٤]

وهذان البيتان جميعاً أوضحُ وأشرحُ وأجْوَدُ من بيت أبى تمام ، وقد قيل : إنه أراد أن أعداءه يُقرُّون بفضله ، ويُفيضون فى ذكر مناقبه ، وذلك محتمل ، والمعنى الأول أقْوَى وأفشَى فى كلامهم .

(١) الديوان (٣٨٠) وفيه « على تلك الشواهد » وفيه « أيقنت أن سيعود » وسيذكر المؤلف ثانى هذين البيتين فى سرقات البحترى ص٢٧٩ ،وقد أنشدهما فى أخبار أبى تمام ٢١٧ و ٢١٨ وفى ديوان المعانى ٢ / ١٧٨ وفى زهر الآداب ١ / ٢١٠ وفى الصناعتين ٢٠٦ وأسرار البلاغة ١٠٧ والكامل المبرد

(٢) من قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ١٨٧) والصلتان: الشجاع الجرىء

(٣) جمهرة أشعار العرب (١٣٧ بولاق) (٤) ديوان عروة (٨٠) وفيه « فإن بعدوا » وسيذكره المؤلف فى سرقات البحترى ٢٦٠ على رواية الديوان

٥٥ — وقال بشار بن بُرْد :

شَرِبْنَا مِنْ فُؤَادِ الدَّنِّ حَتَّى ... تَرَكْنَا الدَّنَّ لَيْسَ لَهُ فُؤَادُ

أخذه أبو تمام فقصَّرَ عنه فقال :

غَدَتْ وَهْيَ أَوْلَى مِنْ فُؤَادِي بِعَزْمَتِي

وَرُحْتُ بِمَا فِي الدَّنِّ أَوْلَى مِنَ الدَّنِّ (١)

٥٦ — وقال الأخطل :

تَدِبُّ دَبِيباً فِي العِظَامِ كَأَنَّهَا ... دَبِيبُ نِمَالٍ فِي نَقاً يَتَهَيَّلُ

أخذه أبو تمام فأفسد المعنى فقال :

إذا الرَّاحُ دَبَّتْ فِيهِ تَحْسَبُ جِسْمَهُ

لِمَا دَبَّ فِيهِ قَرْيَةً مِنْ قُرَى النَّمْلِ (٢)

٥٧ — وقال أبو دُوَاد الإيادى :

لا أَعُدُّ الإِقْلالَ عُدْماً ، ولكِنْ ... فَقْدُ مَنْ قد فَقَدْتُهُ الإِعْدَامُ (٣)

أخذ أبو تمام صَدْرَ البيت فقال :

لا يَحْسَبُ الإِقلالَ عُدْمًا، بَلْ يَرَى ... أَنَّ المُقِلَّ مِنَ المُرُوءَةِ مُعْدِمُ (٤)

٥٨ — وقال أبو الهندى :

وَتَرَى سُهَيْلاً فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ ... ثَوْرٌ يُعَارِضُهُ هِجَانُ الرَّبْرَبِ (٥)

---

(١) جاء فى الديوان (٣٣٩) : « قال غير الصولى : قال أبو تمام : شربت عند الحسن بن وهب ، فغلب على السكر ، فأخبرت أنى كسرت آنية ، فحملت بين أربعة ؛ فلما أفقت كتبت إليه بهذه الأبيات » وهى اثنا عشر بيتا ثانيها هذا البيت .

(٢) من قصيدة له يصف فيها تقتير الرزق عليه فى مصر (الديوان ٤٢٠)
وفيه * إذا هى دبت فى الفتى خال جسمه *

(٣) يروى « لا أعد الإقتار » وانظره فى الشريشى ١ / ١٠٤

(٤) من قصيدة يمدح فيها محمد بن حسان الضبى (الديوان ٢٨٤)

(٥) سهيل : نجم ينقضى بطلوعه القيظ . والربرب : القطيع من بقر الوحش ، وفى الحطية « وعارضه هجان الربرب »

أخذه أبو تمام فقال :

أُرَاعِى مِنْ كَوَاكِبِهِ هِجانًا سَوَامًا لاَ تُرِيعُ إلى المُسِيمِ (١)

٥٩ — وقال أبو نُوَاس :

شُقِقْتُ مِنَ الصِّبَا وأُشْتُقَّ مِنِّى كما أُشْتُقَّتْ مِنَ الـكَرَمِ الـكُرُومُ

أخذه أبو تمام فقال :

أَلَذُّ مُصـافَاةً مِنَ الظِّلِّ فى الضُّحَى

وأَكْرَمُ فى اللأْوَاءِ عُوداً مِنَ الـكَرْمِ (٢)

٦٠ — وقال مسلم بن الوليد :

تَمْضِى المَنَـايَا كما تَمْضِى أَسِنَّتُهُ كأَنَّ فى سَرْجِهِ بَدْراً وضِرْغَامَا (٣)

أخذه أبو تمام فقال :

فَتًى مِنْ يَدَيْهِ البَأْسُ يَضْحَكُ وَالنَّدَى

وفى سَرْجِـهِ بَدْرٌ وَلَيْثٌ غَضَنْفَرُ (٤)

٦١ — وقال ابن هَرْمة :

---

(١) من قصيدة يمدح فيها بعض الطائيين (الديوان ٢٢٨) وقبل هذا قوله :

وليل بت أكلؤه ، كأنى سليم ، أو سهرت على سليم

وأكلؤه : أحرسه ، يريد يرعى نجومه ، والسليم : اللديغ ، وفى أمثالهم « السليم لاينام ولا ينيم » والهجان : الكرام ، والسوام : السائمة

(٢) من كلمة يعاتب فيها أبا القاسم بن الحسن بن سهل (الديوان ٤١١) وقبل هذا البيت قوله :

يداك لنا شهرا ربيع كلاهما إذا جف أطراف النخيل من الأزم

(٣) انظره فى ديوان مسلم ٥٤ وفى كامل المبرد ، وفى شرح مختار الخالديين ٢٣٣.

(٤) من قصيدة يمدح فيها جعفرا الخياط (الديوان ١٥٩) والبأس : الشجاعة ، والندى : الـكرم ، والليث والغضنفر جميعاً من أسماء الأسد ، وقد جعل أحـدهما صفة للآخر .

اسْتَبْقِ عَيْنَيْكَ لاَ يُودِ الْبُكاَ بِهِماَ
وَاكْفُفْ بَوَادِرَ مِنْ عَيْنَيْكَ تَسْتَبِقُ
لَيْسَ الشُّؤُونُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ
وَلاَ الْجُفُونُ عَلَى هٰذَا وَلاَ الْحَدَقُ

أخذه أبو تمام فقال :

وَلاَ يَبْقَى عَلَى إِدْمَانِ هٰذَا ... وَلاَ هٰذَا الْعُيُونُ وَلاَ الْقُلُوبُ(١)

٦٢ — وقال أبو تمام يهجو السَّرَّاجَ :

يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ لِمْ تُعَرِّضُ صَخْرَةً ... صَمَّاءَ مِنْ مَجْدِى لِعِرْضِ زُجَاجِ ؟(٢)

أخذه من قول الآخر وأظنه بشارا :

ارْفُقْ بِعَمْرٍو إِذَا حَرَّكْتَ نِسْبَتَهُ ... فَإِنَّهُ عَرَبِىٌّ مِنْ قَوَارِيرِ

٦٣ — وقال الشاعر [العُدَيْلُ بن الفرخ] :

مَهَامِهُ أَشْبَاهٌ كَأَنَّ سَرَابَهَا ... مُلاَءٌ بِأَيْدِى الْغَاسِلاَتِ رَحِيضُ(٣)

أخذه أبو تمام فقال :

وَبِساطٌ كَأَنَّمَا الآلُ فِيهِ ... وَعَلَيْهِ سَحْقُ الْمُلاَءِ الرَّحِيضُ(٤)

---

(١) ليس لهما وجود فى الديوان .

(٢) له كلة فى هجاء يوسف السراج الشاعر (الديوان ٤٩١) ولكن ناشرى الديوان فى بيروت أسقطوا كثيراً من باب الهجاء .

(٣) البيت للعديل بن الفرخ العجلى ، والمهامه : الصحارى ، وأشباه : متشابهة ، والسراب — ومثله الآل — مايرى ماء وليس بماء ، والرحيض : المغسول ، والبيت ثانى اثنين رويا فى خزانة الأدب ٢ / ٣٦٨ وثانى ثلاثة فى البيان ١ / ٢٨٠ وفى شرح مختار الخالديين ٢٦٢ والبيت الأول السابق على هذا قوله :

ودون يد الحجاج من أن تنالنى ... بساط لأيدى الناعجات عريض

وفى شرح المختار « ملاء بأيدى الناسجات » وفى البيان « لأيدى اليعملات »

(٤) من قصيدة يمدح فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٨٢)

٦٤ — وقال أبو تمام :

فَاشْمَأَلُّوا يُلَجْلِجُونَ دُؤُوبًا مُضَغًا لِلْكَلَالِ فِيهَا أَنِيضُ(١)

أخذه من قول زهير :

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أَنِيضٌ أَصَلَّتْ فَهْىَ تَحْتَ الْكَشْحِ دَاءُ(٢)

٦٥ — وقال أبو نُوَاس :

سَنَّ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدُوا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنِ

أخذه أبو تمام فقال :

مَضَوْا وَكَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمُ لِكَثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ(٣)

٦٦ — وقال فى الغزل :

مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَحْتَوِيكَ الظُّنُونُ كَيْفَ يُحْوَى مَالاَ تَرَاهُ الْعُيُونُ(٤)

غَيْرَ أَنَّا نَقُولُ : إِنَّكَ خَلْقٌ حَرَكَاتٌ مَخْلُوقَةٌ وَسُكُونُ

أخذه من قول أبى نُوَاس وقصَّر عنه :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينِ

يَسُوقُهُ مِنْ قَرَارٍ إِلَى قَرَارٍ مَكِينِ

حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتٌ مَخْلُوقَةٌ مِنْ سُكُونِ

٦٧ — وقال أبو العتاهية :

كَمْ نِعْمَةٍ لاَ يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا لِلّٰهِ فِى طَىِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَهْ

أخذه الطائى فقال وأحسن ؛ لأنه جاء بالزيادة التى هى عكس الشىء الأول :

---

(١) فى الديوان « اشمعلوا » وهما واحد ، ومعناه ساروا متفرقين من المرح ، ويلجلجون : يضجون،والدءوب : الجد والمتابعة ، والكلال:التعب ، والأنيض:الخفقان

(٢) العقد الثمين (٣٠) وسيذكره المؤلف مرة أخرى فى ص ٢٢٢ .

(٣) من قصيدة له يفتخر فيها بقومه ويذكرهم (الديوان ٤٧٩)

(٤) هذان البيتان غير موجودين فى ديوانه المطبوع

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بالْبَلْوَى وَإنْ عَظُمَتْ ... وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ[(١)]

٦٨ — وقال آخر ، ولست أدرى أهو قبل الطائى أو فى أيامه :

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ بَحْراً زَاخِراً ... عَمَّ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا إرْوَاءَ

أَضْحَى دَفِيناً فى ذِرَاعٍ وَاحِدٍ ... مِنْ بَعْدِ مَا مَلَكَ الْفَضَاءَ فضَاءَ

فقال الطائى ، وأبرَّ عليه[(٢)] وعلى كل من ذكر هذا المعنى :

وَكَيْفَ احْتِمَالِي لِلسَّحَابِ صَنِيعَةً ... بإسقائها قَبْراً وَفِي لَحْدِهِ الْبَحْرُ[(٣)]

٦٩ — وقال آخر :

نُؤْىٌ كَمَا نَقَصَ الْهِلَالَ مَحَاقُهُ ... أَوْ مِثْلَ مَا فَصَمَ السِّوَارَ الْمِعْصَمُ

أخذه أبو تمام فقال[(٤)] :

* وَنُؤْىٌ مِثْلَمَا انْفَصَمَ السِّوَارُ *

٧٠ — وقال آخَرُ فى السحاب :

كَأَنَّ عَيْنَيْنِ بَاتَا طُولَ لَيْلِهِمَا ... يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِهِ الْمُقَلَا

فقال الطائى ، وحوّل المعنى ، وأجاد :

كَأَنَّ الْغَمَامَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا ... حَبِيباً ؛ فَمَا تَرْقَى لَهُنَّ مَدَامِعُ[(٥)]

---

(١) من كلمة يقولها فى مرض الياس بن أسد (الديوان ٣١٦) وانظر الصناعتين (٢٢٧) وقبل هذا البيت قوله :

فلهنك الأجر والنعمى التى سبغت ... حتى جلت صدأ الصمصامة الخذم

وسيأتى البيت مرة أخرى فى ص ٢٣٤

(٢) أبر عليه : زاد عليه .

(٣) من مرثيته فى بنى حميد الطوسى (الديوان ٣٧٠) وفيه « وكيف احتمالى الغيوث » وسيذكره المؤلف فى سرقات البحترى من أبى تمام ص ٢٦٨

(٤) قد مضى ذكر مأخذ صدر هذا البيت (انظر ص ٦٠ من هذا الكتاب) .

(٥) من قصيدته فى وصف قومه والافتخار بهم (الديوان ٤٧٨) وفيه « كأن السحاب الغر »

٧١ — وقال الطائى :

وَلَيْسَتْ بِالْعَوَانِ الْعَنْسِ عِنْدِى ... وَلاَ هِيَ مِنْكَ بِالْبِكْرِ الْكَعَابِ (١)

أخذه من قول الفرزدق (٢) :

وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَهُمْ ... رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ تَرَى بِهِمُ فَقْرَا

قُعُودٌ لَدَى الأَبْوَابِ طَالِبُ حَاجَةٍ ... عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةً بِكْرَا

٧٢ — وقال الآخَرُ ، وهو معبد الهذلى (٣) :

أَىُّ عَيْشٍ عَيْشِى إِذَا كُنْتُ مِنْهُ ... بَيْنَ حِلٍّ وَبَيْنَ وَشْكِ الرَّحِيلِ ؟

كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلاَدِ كَأَنِّى ... طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولِ

فقال الطائى :

كَأَنَّ لَهَا دَيْنًا عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ

مِنَ الأَرْضِ ، أَوْ ثَأْراً لَدَى كُلِّ مَغْرِبِ (٤)

٧٣ — وقال آخر ، وأنشده ابن أبى طاهر والأخفش للأرقط بن دِعْبِلٍ :

نَهْنِهْ دُمُوعَكَ مِنْ سَحٍّ وَتَسْجَامِ ... الْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِى وَأَسْقَامِى

وَمَا أَظُنُّ دُمُوعَ الْعَيْنِ رَاضِيَةً ... حَتَّى تَسُحَّ دَماً هَطْلاً بِتَسْجَامِ

أخذ الطائى معنى البيتين ولفظهما فقال (٥) :

مَا الْيَوْمُ أَوَّلَ تَوْدِيعِى وَلاَ الثَّانِى ... الْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِى وَأَحْزَانِى

---

(١) من مدحة له فى أبى الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٥٥) والعوان : المرأة فى نصف عمرها ، والعنس : التى طال مكثها بغير زواج ، والكعاب : البارزة النهد وسيأتى مرة أخرى فى ص ١٣٨ .

(٢) سيذكر المؤلف هذين البيتين مرة أخرى فى ص ١٤٢ ، وروى العباسى فى معاهد التنصيص ٢٣ بولاق أول هذين البيتين ثانى ثلاثة أبيات ومعها قصة .

(٣) فى الخطية « وهو منقذ الهلالى »

(٤) من قصيدة يمدح فيها عياش بن لهيعة (الديوان ٢٤) .

(٥) أولها مطلع قصيدة فى مديح ابن حسان الضبى ، وبينه وبين الثانى ثلاثة أبيات (الديوان ٣٢٣)

وَمَا أُظُنُّ النَّوَى تَرْضَى بِمَا صَنَعَتْ حَتَّى تُبَلِّغَنِي أَقصى خُرَاسَانِ

٧٤ — وأنشدنى ابنُ أبى طاهر لدعبل :

إِنْ جَاءَهُ مُرْتَغِباً سَائِلٌ آلَتْ إِلَيْهِ رَغْبَةُ السَّائِلِ[١]

أخذه أبو تمام فقال :

وَإِنِّى لأَرْجُو عَاجِلاً أَنْ تَرُدَّنِي مَوَاهِبُهُ بَحْراً تُرَجَّى مَوَاهِبِي[٢]

٧٥ — وقال دِعْبلُ بن على :

وَأَسْمَرُ فِي رَأْسِهِ أَزْرَقٌ مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي

أخذه الطائى فقال :

مُثَقَّفَاتٌ سَلَبْنَ الرُّومَ زُرْقَتَهَا وَالْعُرْبَ أُدْمَتَهَا ، وَالْعَاشِقَ الْقَضَفَا[٣]

فزاد المعنى بأن شبّه زُرْقتها بزرقة الروم ، وسمرتها بسمرة العرب ، ولكن قول دِعْبل « مثل لسان الحية الصادى » ليس لحسنه نهاية .

٧٦ — وقال أبو نُوَاس :

وَأَطْعَمَ حَتَّى مَا بِمَكَّةَ آكِلٌ وَأَعْطَى عَطَاءً لَمْ يَكُنْ بِضِمَارِ

أخذ الطائى معنى صَدْرِ البيتِ فقال :

فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ
وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحَارِبُهْ[٤]

---

(١) يريد إن جاءه سائل أعطاه كثيراً حتى يصير معقدا لرجاء السائلين .

(٢) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٤٣) .

(٣) من قصيدة يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠٣) وفيه «والعرب سمرتها» ومثقفات : مقومات معدلات ، والأدمة : السمرة ،والقضف : النحافة ، وفى الخطية « والعرب ألوانها » .

(٤) من قصيدة يمدح فيها أبا العباس عبد الله بن طاهر (الديوان ٤٥) ونول : أعطى ، وينيله : يعطيه ، مضارع أنال ، وسيأتى مرة أخرى فى ص ١٠٤

٧٧ــ وقال أبو نُوَاسٍ فى أرجوزة يصف فيها الحمام و يمدح فيها قوما :

بِشْرُهُمُ قَبْـلَ النَّوَالِ اللاَّحِقِ   كالبَرْقِ يَبْدُو قَبْلَ جَوْدٍ دَافِقِ
وَالْغَيْثُ يَخْـفَى وَقْعُـهُ لِلرَّامِـقِ   إنْ لَمْ يَجِدْهُ بِدَلِيـلِ البَارِقِ

أخذ المعنى أبو تمام فقال :

يَسْتَنْزِلُ الأَمَلَ البَعِيدَ بِبِشْرِهِ   بِشْرَ الْخَمِيـلَةِ بالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ[1]
وكَذَا السَّحَائِبُ قَلَّمَا تَدْعُو إلى   مَعْـرُوفِها الرُّوَّادَ ما لَمْ تَبْرُقِ

٧٨ ــ وقال أبو العتاهية[2] :

وَإِنَّا إذا ما تَرَكْنا السُّؤَا   لَ مِنْهُ فلَم نَبْغِـهِ يَبْتَدِينَا
وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَبْغِ مَعْرُوفَهُ   فَمَعْرُوفُهُ أبَدًا يَبْتَغِينـا

وقال مسلم بن الوليد فى معنى بيت أبى العتاهية الأول :

أخٌ لِيَ يُعْطِينِي إذا ما سَأَلْتُهُ   وَلَوْ لَمْ أعَرِّضْ بالسُّؤَالِ ابْتَدَانِيَا

أخذ أبو تمام معنى هذا البيت ومعنى بيت أبى العتاهية الأول فقال :

وَرَأَيْتَنِي فسَـأَلْتَ نَفْسَكَ سَيْبَهَا
لِي ثُمَّ جُدْتَ وَما انْتَظَرْتَ سُؤَالِي[3]

أو لعله أخذه من قول منصور النمرى :

رَأَيْتُ الْمُصْطَفَى هارُونَ يُعْطِى   عَطاءً لَيْسَ يَنْتَظِرُ السُّـؤَالا

وأجود من هذا كله قول سَلْم الخاسر :

أعْطَاكَ قبـلَ سُـؤَالِهِ   فـكفاكَ مَـكْرُوهَ السُّؤَالْ

---

(١) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢١٣) وفيه « بشرى الخميلة» والخميلة : الروضة الكثيرة الشجر ، والمغدق: الكثير المطر ، والرواد ــ فى البيت الثانى ــ جمع رائد ، وهو طالب الكلأ والعشب والماء ، وسيذكر ثانيهما مرة أخرى فى ص ٣٢١

(٢) انظر هذه الأبيات فى الوساطة ٦٧ وفيه زيادة بيت آخر لأبى تمام فى نفس المعنى.

(٣) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن رجاء (الديوان ٢٤٧) .

وأخذ أبو تمام معنى بيت أبي العتاهية الثاني فقال :

كالغَيثِ إنْ جِئْتَـهُ وَافاكَ رَيِّقُـهُ   وإنْ تحمَّلْتَ عنهُ كانَ في الطَّلَبِ (١)

٧٩ — وقال مسلم :

وما كانَ مِثْلِي يَعْـتَرِيكَ رَجَاؤُهُ

وَلٰـكِنْ أساءَتْ شِيمةٌ مِنْ فتًى مَحْضِ

أخذه أبو تمام وزاد زيادة حسنةً ، فقال :

فإنْ كانَ ذَنْـبِي أنَّ أحْسَنَ مَطْلَـبِي   أساءَ فَفِي سُوءِ القَضَاءِ لِيَ العُذْرُ (٢)

٨٠ — وأنشد أبو تمام فى الحماسة :

تَرِدُ السِّباعُ مَعِي فأُلْـــفَى كالمُدِلِّ مِنَ السِّباعِ

أخذ المعنى من فيه فقال :

أبَنَّ مَعَ السِّباعِ الماءَ حَتَّى   لخَالَتْـهُ السِّباعُ مِنَ السِّباعِ (٣)

٨١ — وقال النظار بن هاشم الأزدى (٤) :

يَعِفُّ المَرْءُ ما اسْتَحْيا وَيَبْقَى   نَباتُ العُودِ ما بَقِيَ اللِّحاءُ

وما فى أنْ يَعِيشَ المَرْءُ خَيْرٌ   إذَا ما المَرْءُ زايَلَهُ الحَياءُ

أخذ أبو تمام معنى البيتين وأكْثرَ لفظهما ، فقال :

---

(١) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن سهل (الديوان ١٦) وفيه « وإن ترحلت عنه لج » والغيث : المطر ، وريقه ، هنا : صافيه ، وفى الخطية « جد فى الطلب » .

(٢) من قصيدة له فى الفخر (الديوان ٤٧٥) وقبله قوله :

ومن قامر الأيام عن ثمراتها   فأحج به أن ينجلى ولها القمر .

وانظره فى أخبار أبى تمام ٥١

(٣) من قصيدة يمدح فيها ابن أصرم (الديوان ١٩٣) وفيه « أبن مع السباع الغيل » وأبن ـ ومثله بن ـ بمعنى أقام ، وضمنه معنى سكن فنصب به « الغيل » أو « الماء » والمراد بالماء موارده ، وخالته : حسبته وظنته . (٤) فى الخطية « الأسدى »

يَعِيشُ الْمَرءُ ما استَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللِّحاءُ[1]
فَلاَ وَاللهِ مَا فى الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلا الدُّنْيا إذا ذَهَبَ الْحَيَاءُ

٨٢ — وقال أبو نُواس :

أَبِنْ لِى كَيْفَ صِرْتُ إلى حَرِيمى وَنجمُ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَارِ

أخذه الطائى فقال :

إِلَيكَ هَتَكْنَا جِنْحَ لَيلٍ كأنهُ قَدِ اكْتَحَلَتْ مِنْهُ الْبِلاَدُ بِإِثْمِدِ[2]

٨٣ — وسَمِعَ أبا نواس يقول :

تَبْكِى فَتُذْرِى الدرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَتَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَّابِ

فقال وأساء كل الإساءة [وقصّر] وقبّح صدر البيت :

مَلْطُومَةٌ بالْوَرْدِ أُطْلِقَ طَرْفُهَا
فى الْخَلْقِ ؛ فَهْوَ معَ الْمَنُونِ مُحَكَّمُ[3]

٨٤ — وقال أبو تمام :

وَمِمَّا كَانَتِ الْحُكَمَاءُ قَالَتْ : لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ[4]

أخذه من الْجَعْدِ بن ضِمام أحد بنى عامر بن شَيْبان[5] ، ذكره أبو تمام فى اختيارات القبائل :

إنّ البَيَانَ مَعَ الفُؤَادِ ، وَإنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ بِمَا يَقُول رَسولا

---

(١) من أبيات يعرض فيها ببعض بنى حميد ، ولم يصرح فيها بهجائه ؛ لأنه كان كثير المدح لهم ، ولأنهم طائيون (الديوان ٤٨٥)

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ١٠٣) وأنشده الشريشى ١ / ٧١ ، وارجع إلى الهامشة رقم٢ فى ص ٧٥ من هذا الكتاب .

(٣) من غزل قصيدة يمدح فيها محمد بن حسان الضبي(الديوان ٢٨٤) وفيه«مظلومة للورد » .

(٤) من قصيدة يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٨٠).

(٥) فى المطبوعات « الجعد بن صمام أحد بنى عامر بن سنان »

٨٥ — وقال طريح الثقفي يرثى قوماً :

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى قط حادِثاً
كَفَرْسِ الْكِلاَبِ الْأُسْدَ يومَ الْمُشَلَّلِ (١)

أخذه أبو تمام فأجاد فى الأخذ فقال :

مَنْ لَمْ يُعايِنْ أبَا نصرٍ وَقَاتِلَهُ
فَما رَأَى ضَبُعاً فى شِدْقِهَا سَبُعُ (٢)

وهذا مَعْنًى مُتَدَاوَل ، وقد يجوز أن يكون أخذه الطائى من غير هذا الموضع .

٨٦ — وقال مروان بن أبى حَفْصة :

مَا ضَرَّنى حَسَدُ اللِّئَامِ ، وَلَم يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِير

أخذه أبو تمام ، فقال :

* وَذُو النَّقْصِ فى الدُّنْيَا بِذِى الفَضْلِ مُولَعُ (٣) *

٨٧ — وقال أبو دهبل الجمحى (٤) :

مَا زِلْتَ فى العَفْوِ للذُّنُوبِ وَإطْلاَقِ لِعَانٍ بِجُرْمِهِ غَلِقِ
حَتى تَمَنَّى الْبُرَاةُ أنهُمُ عِنْدَكَ أمْسَوْا فى الْقِدِّ وَالْحَلَقِ

---

(١) فرس : هو مصدر فرسه يفرسه — من باب ضرب — بمعنى دق عنقه ، وكل قتل فرس ، والفريس : القتيل ، وفى الخطية « فى شدقه سبع » .

(٢) من كلة يرثى فيها بنى حميد (الديوان ٣٧٢) وأنشده الشريشى ١ / ١١٦ مع بيت تال له ، وذكر أنه أخذه من بيتين ليزيد المهلبى يرثى فيها المتوكل .

(٣) هذا عجز بيت من قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ١٩٠) وصدره قوله : * لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف *

(٤) وقع فى المطبوعات « أبو ذهيل » وهو تحريف ، وانظر الصناعتين (٢٠٥) والوساطة ٦٥ ، وفيهما : * عندك أسرى فى القد والحلق *

أخذه أبو تمام فقال :

وَتَكَفَّلَ الأَيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدِدْنَا أَنَّنَا أَيْتَامُ (١)

٨٨ — وقال زَيْدُ الخيلِ الطائى :

وأَسْمَر مَرْبُوعٌ يَرَى مَا أَرَيْتَهُ بَصِيرٌ ـ إذا صوَّبْتَه ـ بالْمَقاتِلِ (٢)

أخذه أبو تمام فقال :

مِنْ كلِّ أَسْمَرَ نَظَّارٍ بِلاَ نَظَرٍ إلى الْمَقَاتِلِ مَا فى مَتْنِهِ أَوَدُ (٣)

٨٩ — وقال أبو نُخَيْلة فى مَسْلَمَة بن عبد الملك :

وَنَوَّهْتَ مِنْ ذِكْرِى ، وَمَا كَانَ خَامِلاً

وَلَـٰكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِن بَعْضِ (٤)

أخذه أبو تمام فقال :

لَقَدْ زِدْتَ أَوْضَاحِى امْتِدَاداً ، ولم أَكُنْ

بَهِيماً ، وَلا أَرْضِى مِنَ الأَرْضِ مَجْهَلا (٥)

---

(١) من قصيدة يمدح فيها المأمون (الديوان ٢٨٠) وانظر الصناعتين (٢٠٥)

(٢) عنى بالأسمر الرمح ، والمربوع : الذى ليس بالطويل ولا القصير .

(٣) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ٩٩) وفيه « من كل أزرق » وقبل هذا البيت قوله :

أنهبت أرواحه الأرماح إذ شرعت فما ترد لريب الدهر عنه يد

كأنها — وهى فى الأوداج والغة وفى الـكلى — تجد الغيظ التى تجد

(٤) ذكر مؤلف هذا الكتاب فى كتابه المؤتلف والمختلف أنه يقول هذا فى مسلمة ابن هشام بن عبد الملك ، وروى هناك صدره «وأحييت لى ذكرا» انظره (ص ١٩٣) وفى الحطية « ونوهت لى باسمى » وانظره مع بيتين سابقين عليه فى المستطرف ١/ ٢٨٠

(٥) من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ٢٥٢) وفيه « فألفت بى أغر محجلا » والأوضاح : جمع وضح ، وهى الغرة ، والمجهل : الأرض التى لا أعلام فيها .

وَلٰكِنْ أَيادٍ صادَفَتْنِي جِسامُها أَغَرَّ فَوافَتْ بِي أَغَرَّ مُحَجَّلا

٩٠ — وقال المسيب بن عَلَس :

هُمُ الرَّبيعُ عَلَى مَنْ كانَ حَلَّهُمُ وَفي العَدُوِّ مَنا كيدُ مَشائِيمُ

وقال عِلاقة بن عركي التَّيْمِي(١) يرثي قوماً :

وَكُنْتُمْ قَدِيماً في الحُروبِ وَغيْرِها مَيامِينَ لِلأَدْنَى لِأَعْدائكُمْ نُكْدا

ومثله قول كعب بن الأَجْذَم(٢) :

بَنُو رَافِعٍ قَوْمٌ مَشائِيمُ لِلعِدَى مَيامِينُ لِلْمَوْلَى وَلِلْمُتَحَرِّمِ

أخذ الطائي هذا المعنى فقال في مَدْحِ أبي سعيد :

إذا ما دَعَوْناهُ بأَجْلَحَ أَيْمَنٍ دَعاهُ وَلَمْ يَظْلِمْ بأَصْلَعَ أَنْكَدِ(٣)

٩١ — وقال دُكَيْنٌ الراجز :

* عَارِي الحَصَى يَدْرُسُ ما لَمْ يُلْبَسِ *

أخذه أبو تمام فقال :

تُجَدَّدُ كُلَّما لُبِسَتْ ، وَتَبْقَى إذا ابْتُذِلَتْ ، وتَخْلُقُ في الحِجابِ(٤)

---

(١) في المطبوعات « غلافة بن عركي التيمي » . (٢) وفيها « بن الجزم »

(٣) (الديوان ١٠١) والضمير المستتر في «دعاه» يعود إلى بابك ، وقبل البيت قوله:

رمى الله منه بابكا وجيوشه بقاصمة الأصلاب في كل مشهد

بأسمح من صوب الغمام سماحة وأشجع من صرف الزمان وأنجد

والأجلح : الشديد المقدام ، والأيمن : المبارك ، والأصلع : الشديد أو المنحسر شعر رأسه ، والأنكد : المشئوم ، يريد أنه مبارك ميمون لنا ؛ لأننا أولياؤه ، مشئوم على بابك ؛ لأنه معاديه . وفي الخطية « دعوناه بأبلج أيمن »

(٤) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسن محمد بن الهيثم (الديوان ٥٦) وقبل البيت قوله:

ذكرت صنيعة لك ألبستني أثيث المال والنعم الرغاب

وأثيث المال : كثيره ، والنعم : جمع نعمة ، والرغاب : الكثيرة ، وابتذلت : امتهنت ، وتخلق : تبلى .

أو أخذه من قول الراجز :

عَوْدٌ على عَوْدٍ مِنَ القُدْمِ الأُوَلْ ... يُمِيتُهُ التَّرْكُ وَيُحْيِيهِ العَمَلْ

يعنى طريقاً .

٩٢ — وقال تميم بن أُبَىّ بن مُقْبِل :

قَدْ كُنْتُ رَاعِيَ أَبْكَارٍ مُنَعَّمَةٍ ... فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ أَرْعَى جِلَّةً شُرُفَا (١)

يريد عجائز ، أخذه الطائى فقال وعدَل بشطر البيت إلى وجه آخر فأحسن :

كُنْتُ أَرْعَى الْخُدُودَ ، حَتى إذا مَا ... فارَقُونِى بَقِيتُ أَرْعَى النجُومَا (٢)

٩٣ — وقال حسان بن ثابت الأنصارى :

والمالُ يَغْشَى رجالا لا طَبَاخَ بِهِم ... كالسيل يغشى أصول الدِّنْدِنِ البالى (٣)

أخذه الطائى فقال :

لا تُنْكِرِى عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الغِنَى ... فالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ العَالِى (٤)

٩٤ — وقال أبو تمام فى وصف الشِّعْرِ :

وَلٰكِنَّهُ صَوْبُ الْعُقُولِ : إذا انجَلَتْ ... سَحَائِبُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ (٥)

---

(١) الجلة ـ بكسر الجيم وتشديد اللام ـ ذو السن العالية من الآدميين ومن الإبل ، يطلق هذا اللفظ على الواحد والمثنى والجمع وعلى المذكر والمؤنث ، والشرف ـ بضم الشين والراء جميعا ـ جمع شارف أو مشارفة ، وهى الناقة المسنة الهرمة

(٢) هو ثانى أبيات قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٩٠) وفيه: « كنت أرعى البدور » وفيه « أمسيت أرعى النجوما »

(٣) « لا طباخ بهم » لاقوة ولا سمن ، والدندن : ماسود من النبات لقدمه

(٤) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن رجاء (الديوان ٢٤٦)

(٥) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٤٣) والصوب : المطر

أخذه من قول أَوْس :

أَقُولُ بِمَا صَبَّتْ عَلَيَّ غَمَامَتِي ... وَدَهْرِي،وفي حَبْلِ العَشِيرَةِ أَحْطِبُ(١)

٩٥ — وقال أُمَيَّة بن أبي الصَّلْتِ :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِامْرِئٍ إِنْ حَبَوْتَهُ ... بِخَيْرٍ ، وما كلُّ العطَاءِ يَزِينُ(٢)

أخذه الطائي فقال :

ما زِلْتُ مُنْتَظِراً أُعْجُوبَةً زَمَناً ... حتى رَأَيْتُ سُؤَالاً يَجْتَنِي شَرَفَا(٣)

٩٦ — وقال كُثَيِّر :

وَنَازَعَنِي إلى مَدْحِ ابْنِ لَيْلَى ... قَوَافِيهَا مُنَازَعَةَ الغراب

أخذه الطائي فقال :

تَغَايَرَ الشِّعْرُ فيهِ إذْ سَهِرْتُ لَهُ ... حتى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَتِلُ(٤)

٩٧ — وقالت مُحَيَّاة بنت طليق من بني تَيْم الله بن ثَعْلبة :

نَعَى ابْنَيْ مجــل صَوْتُ نَاعٍ أَصَمَّنِي

فَلا آبَ مَحْمُوداً بَرِيدٌ نَعَاهُمَا(٥)

وقال سفيان بن عبد يَغُوثَ النَّصْرِي(٦) :

صَمَّتْ لهُ أُذُنَايَ حِينَ نَعَيْتَهُ ... وَوَجَدْتُ حُزْناً دائِماً لم يَذْهَبِ

أخذه الطائيُّ فقال :

---

(١) أنشده في أخبار أبي تمام ٥٤ ، وفيه « بما صبت على غمامتي وجهدي في حبل العشيرة » وانظر زهر الآداب ١ / ٩٩ ، وفي الحطية « بما صابت على غمامتي » .

(٢) انظره مع بيت تال له في الصناعتين (٤١) وأمية يقولهما في مديح عبد الله بن جدعان ، وانظر ديوان أمية ٦٣

(٣) من قصيدة يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى (الديوان ٢٠١) وفيه « أعجوبة عننا » أي ظاهرة .

(٤) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٢٧) .

(٥) في الحطية « فلا آب محبورا »

(٦) وفيها « البصري » .

أَصَمَّ بكَ النَّاعِى وإنْ كانَ أَسْمَعَا
وَأَصْبَحَ مَغْنَى الجُـــودِ بَعْدَكَ بَلْقَعَا (١)

ونحوه قول الحارث بن نهيك الدارمى :

فَفَقَّأَ عَيْـــنَىَّ تَبْكَاؤُهُ وَأَوْرَثَ فى السَّمْعِ مِنِّى صَمَمْ

٩٨ — وقال شقران بن عرباض القشيرى (٢) :

فما السَّائلُ المَحْرُومُ يَرْجِعُ خائباً وَلٰــكِنْ بَخِيلُ الأَغْنِيَاءِ يَخِيبُ

وقال آخر — وهو الشجاع الهاتف (٣) — فى خبر عن ابن الكلبى ، ورواه ابن دُرَيْدٍ:

لا تَزْهَدَنْ فى اصْطِنَاعِ العُرْفِ مِنْ أَحَدٍ
إنَّ الذى يُحْرَمُ المَعْرُوفَ مَحْــرُومُ

أخذه أبو تمام فقال :

وَإِنِّىَ ما حُورِفْتُ فى طَلَبِ الْغِنَى ولكِنَّمَا حُورِفْتُمُ فى الْمَــكَارِمِ (٤)

٩٩ — وقال عنترة :

* وَالطَّعْنُ مِنِّى سَابِقُ الآجَالِ *

وإنما أراد الآجال سابقة طعنى ؛ لشدة خوفه إذا سَدَّد سنانه للطعن .

أخذه الطائى فغيره تغييراً حسناً فقال :

يَكادُ حِينَ يُلاقِى القِرْنَ مِنْ حَنَقٍ قَبْلَ السِّنَانِ على حَوْبَائِهِ يَرِدُ (٥)

---

(١) مطلع مرثية له فى أبى نصر محمد بن حميد الطائى (الديوان ٣٧٤) وأصم : أفقد السمع ، والناعى : الذى يخبر بموت الميت ، والمغنى : المنزل ، والبلقع : الخالى .

(٢) فى المطبوعات «سفران بن عرياض القسرى» . (٣) فى المطبوعات «الفائق»

(٤) هذا البيت لا يوجد فى الديوان المطبوع ، وقد ذكره المؤلف مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام فى ص ٣٠٣ .

(٥) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٩٧) والقرن =

١٠٠ — وقال عديّ بن الرِّقاع يمدح بعض بنى مروان :

وإذا رَأَيْتَ جَماعَةً هُوَ فِيهِمُ ... نُبِّئْتَ سُؤْدَدَهُ وَإِنْ لم تَسْأَلِ

أخذه الطائى فقال :

يَحْميـــهِ لَألاؤُهُ وَلَوْذَعِيَّتُهُ ... عَنْ أَنْ يُذَالَ بِمَنْ أَوْ مِمَّنِ الرَّجُلُ (١)

فقصّر عدىٌّ بالممدوح ؛ إذ جعله إذا كان فى جماعة لم يُعْرَف حتى تنبىء عنه شمائله ، وتبعه أبو تمام فى التقصير .

١٠١ — وقال (٢) :

طَلَبُ المَجْدِ يُورِثُ المَرْءَ خَبْلاً ... وَهُمُوماً تُقَضْـقِضُ الحَيْزُومَا

فَتَرَاهُ ، وَهْوَ الخَلِيُّ ، شَجِيًّا ... وَتَرَاهُ ، وَهْوَ الصَّحِيحُ ، سَقِيمَا

أخذ قوله « وهموماً تقضقض الحيزوما » من قول لَقيط الإيادى :

لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إلاَّ رَيْثَ يَبْعَثُهُ ... هَمٌّ يَكَادُ حَشَاهُ يَحْطِمُ الضِّلَعَا

١٠٢ — وأخذ معنى قوله :

وَلَّهَتْهُ العُلَى فَلَيْسَ يَعُدُّ الـــبُؤْسَ بُؤْساً وَلاالنَّعِيمَ نَعِيماَ

من قول لَقيطٍ أيضاً :

لامُتْرَفاً إنْ رَخاءُ العَيْشِ سَاعَدَهُ ... ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا

= ـ بكسر فسكون ـ البطل المائل ، والحنق : الغيظ ، والسنان : الرمح أو أعلاه ، والحوباء : النفس ، يريد أن رعبه يبطش بقرنه فيميت نفسه قبل أن ينال منه

(١) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٢٨) ولألاؤه : ضياؤه وإشراق وجهه ، ولوذعيته : ذكاؤه ، ويذال : يمتهن ، وفى الديوان « من أن يذال » ، وسيأتى مرة أخرى ص ١٠٤ .

(٢) ثلاثة الأبيات التى زعم أنه أخذ معناها من قول لقيط هى من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٩٢ و ٢٩٣) وفيه أول الثالث « تيمته العلى » والخبل : الهوج والبله ، وتقضقض : تحطم وتكسر ، والحيزوم : ما استدار بالبطن والظهر . وولهته : صيرته والها ، كتيمته صيرته متيما .

١٠٣ — وقال أبو العارم الطائى :

غَبِيُّ العَيْنِ ، أو فَهِمٌ تَغَابَى عن الشَّذَّانِ وَالفِكَرِ القَوَاصِى(١)

أخذه أبو تمام ، فقال وزاد عليه وأحسن :

ليسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فى قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتَغَابِى(٢)

أو أخذه من قول دِعْبِل :

تُخَالُ أَحْيَانًا بِهِ غَفْلَةٌ مِنْ كَرَمِ النَّفْسِ ، وَمَا أَعْلَمَهْ !

١٠٤ — وتمثلتْ فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم عند وفاته عليه السلام فيما رُوى عنها ، ولا أعلم صحته :

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلى الأَيَّامِ عُدْنَ لَيَالِيَا

ومثله قول الطائى :

عادَتْ لهُ أَيَّامُهُ مُسْوَدَّةً حَتى تُوُهِّمَ أَنَّهُنَّ لَيَالِي(٣)

١٠٥ — وقال ابنُ أُذَيْنة(٤) :

أَسْعَى لهُ فَيُعَنِّينِي تَطَلُّبُهُ ولَوْ قَعَدْتُ أَتَانى لا يُعَنِّينِي

أخذه الطائى فقال :

---

(١) فى المطبوعات « عن الشدات والفكر القواصى »

(٢) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق التغلبى (الديوان ٢) والغبى : القليل الفطنة ، والمتغابى : الذى يظهر الغباء وليس بغبى

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن رجاء (الديوان ٢٤٦)

(٤) فى عامة المطبوعات « أبو أذينة » وليس بشىء ، وابن أذينة صاحب هذا البيت هو عروة بن أذينة . والبيت من أبيات له قالها فى أثناء مدحته لهشام بن عبد الملك ، وقبله قوله :

لقد علمت وما الإشراف من خلق أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

وانظره فى الشريشى ١ / ٢٨٩ ثانى ثلاثة أبيات ، وفى ثمرات الأوراق ٤ أول بيتين مع قصة للشاعر ، وانظره ثانى اثنين مع قصة فى المستطرف ١ / ٨٦

الرِّزْقُ لا تَكْمَدْ عليهِ ؛ فإنهُ يَأتِي ولم تَبْعَثْ إليهِ رَسُولا[١]

١٠٦ — وقال الطائى :

وَجَّهَ العِيسَ وَهْيَ عِيسٌ إلى اللّهِ فَآضَتْ مِنَ الهَوَاجِرِ شِيما[٢]

أخذه من قول ابن هَرْمَة :

بَدأتُ عَلَيْهَا وَهْيَ عِيسٌ فأَصْبَحتْ مِنَ السَّيْرِ جُوناً لاحِقَاتِ الغَوَارِبِ[٣]

١٠٧ — وأنشد الأشْنَانْدَانِيُّ فى المعانى يذكر الإبل :

رَدَّتْ عَوَارِيَّ غِيطَانِ الفَلاَ ، وَنَجتْ

بِمِثْلِ إِيبَالَةٍ مِنْ حَائِلِ العُشَرِ[٤]

---

(١) من قصيدة يمدح فيها نوح بن عمر السكسكى من كندة (الديوان ٢٤٣) وفيه « الرزق لا تحرص عليه »

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٩٢) وفيه « فآلت مثل القسى حطما » والعيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ، والناقة عيساء ، والجمل أعيس ، وآلت : رجعت ، والقسى : جمع قوس ، وحطما : محطومة ، وآضت : صارت أو رجعت ، والهواجر : جمع هاجرة ، وأصلها نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو عند زوالها إلى العصر ، سمى هذا الوقت بذلك الاسم لأن الناس يستكنون فيه كأنهم قد تهاجروا ، وتطلق الهاجرة على شدة الحر ، وأراد أبو تمام «من سير الهواجر» والشيما : النوق السود ، أصل عينها واو أو همزة ، يريد أن الممدوح خرج بهذه الإبل فى سبيل الله وهى بيضاء ، فرجع بها وهى سوداء من لفح الهجير .

(٣) الجون هنا : السود ، ولاحقات : جمع لاحقة ، وهى الضامرة ، وفعله لحق كسمع لحوقا ، وفى الخطية « داميات » ، والغوارب : جمع غارب ، وهو الكاهل ، أو هو مابين السنام والعنق .

(٤) الغيطان : جمع واحده غوط ، وهو المطمئن الواسع من الأرض . يريد أنها كانت قد رعت الغيطان فسمنت ، فلما سافر عليها هزلت ، فكأنها ردت على الغيطان ما كانت قد استعارته من الشحم والسمن ، والإيبالة : الحزمة من الحطب . والحائل : الذى أتى عليه حول ، والعشر — بزنة عمر — ضرب من الشجر . يريد أنها نجت وقد صارت مثل الإيبالة من النحول ، وانظر معانى الشعر للأشناندانى (٥٠ و ٥١) وانظر أيضا الشريشى ١/٢١٤ .

أخذه أبو تمام فقال :

فَكَمْ جِزْعَ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غَارِبٍ
وَبالأَمْسِ كانَتْ أَتْمَكَتْهُ مَذانِبُه (١)

١٠٨ — وقال أبو تمام :

لوْ أَصَخْنَا مِنْ بَعْدِهَا لَسَمِعْنَا لِقُلُوبِ الأَيَّامِ مِنْكَ وَجِيبَا (٢)

أخذه من قول أبى نُوَاس :

حتى الذى فى الرَّحْمِ لم يَكُ نُطْفَةً لِفُؤَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ

١٠٩ — وقال آخر :

يا حَبَّذا رِيحُ الجَنُوبِ إذا غَدَتْ بالفجْرِ وَهْيَ ضَعِيفةُ الأنفَاسِ
قدْ حُمِّلَتْ بَرْدَ الثَّرَى ، وتَحَمَّلَتْ عَبَقًا مِنَ الجَثْجَاثِ والبَسْبَاسِ

أخذه الطائى فقال :

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى ، وَتَنَفَّسَتْ نَفَسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفَا (٣)

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا العباس عبدالله بن طاهر (الديوان ٤٤) وجزع الوادى : جانبه ، وجب : قطع ، والغارب : الكاهل ، وذروته : أعلاه ، وأتمكته : سمنت تامكه ، وهو السنام ، ومذانب الوادى : مجاريه الضيقة ، وأراد العشب الذى ينبت فيها ، وفى الخطية « ومن قبل كانت أتمكته » ، وأنشده الشريشى ١/١٢٤

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى (الديوان ٢٧) وفى مطبوعات هذا الكتاب « من بعده » وهو تحريف صوابه عن الديوان والخطية ، ويؤيده أن قبل هذا البيت

فضربت الشتاء فى أخدعيه ضربة غادرته قودا ركوبا

والأخدعان : عرقان فى العنق ، والقود ـ بفتح فسكون ـ مايقاد بالمقود من الخيل ، يريد أن هذه الضربة ذللته وسهلت قياده ، وأصخنا : استمعنا وأصغينا ، والوجيب : الرجفان

(٣) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٠٦) وفيه « أرسى بعرصتك » وأرسى كرسا : ثبت وأقام ، وعرصة الدار : ساحتها ، والندى : بلل الماء ، والعقوة =

١١٠ — وقال نُصَيب :

وَقَدْ عَادَ مَاءُ الأَرْضِ مِلْحاً ؛ فَزَادَنِى
عَلَى ظَمَئِى أَنْ أَبْحَرَ المَشْرَبُ العَذبُ(١)

أخذه أبو تمام فقال :

كَانَتْ مُجاوَرَةُ الطُّلولِ وَأَهْلِهَا زَمَناً عِذَابَ الوِرْدِ فَهْىَ بِحَارُ(٢)

١١١ — وقال غيلان بن سلمة الثقفى يصف فرساً :

نَهْدٍ كَتَيْسٍ أَقَبَّ مُعْتَدِلٍ كَأَنَّمَا فِى صَهِيلِهِ جَرَسُ

أخذه أبو تمام فقال :

صَهْصَلِقٌ فِى الصَّهِيلِ تَحْسَبُهُ أُشْرِجَ حُلْقُومُهُ عَلَى جَرَسِ(٣)

١١٢ — وقال الفرزدق :

قِيَامٌ يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ هِلاَلاَ

أخذه أبو تمام فقال :

رَمَقُوا أَعَالِىَ جِذْعِهِ فَكَأَنَّمَا رَمَقُوا الهِلاَلَ عَشِيَّةَ الإِفْطَارِ(٤)

= ـ بفتح فسكون ـ ماحول الدار أو الساحة ، والبيت دعاء للمنزل بأن يقيم فيه الخصب وطيب الهواء ، وقبل البيت قوله :

يا منزلا أعطى الحوادث حكمها لا مطل فى عدة ولا تسويفا

(١) رواه فى اللسان (ب ح ر) منسوبا إلى نصيب أيضا ، وفيه فى أول عجزه «على مرضى» فى مكان «على ظمئى» .

(٢) من مدحة فى أبى سعيد أيضاً (الديوان ١٤٥) وفيه « وهى بحار »

(٣) من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق ويطلب منه فرسا (الديوان ١٧٠) وصهصلق : شديد ، والصهيل : صوت الفرس ، وأشرج : شد إليه ، وفى الخطية «شرج» بالبناء للمجهول مع التضعيف ، ومما يستحب فى الخيل أن يكون صوت الفرس شديداً ؛ لأنه يدل على سعة الصدر

(٤) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله ، ويذكر إحراق الأفشين (الديوان ١٥٣) وانظر أخبار أبى تمام ٩٥ .

١١٣ — وقال ابن مناذر فى البرامكة :

إِذَا وَرَدُوا بَطْحَاءَ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ ... بِيَحْيَى وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرِ

لَهُمْ رِحْلَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَى الْعِدَى ... وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُسَتَّرِ

أخذه أبو تمام فقال :

حِينَ عَنَّى مَقَامَ إِبْلِيسَ سَامَى ... بِالْمَطَايَا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَا[1]

١١٤ — وقال أبو تمام :

فَحَيَّوْا بِالْأَسِنَّةِ ثُمَّ ثَنَّوْا ... مُصَافَحَةً بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ[2]

أخذ قوله « فحيوا بالأسنة » من قول مسلم [بن الوليد] :

فَحَيَّوْا بِأَطْرَافِ الْقَنَا ، وَتَعَانَقُوا ... مُعَانَقَةَ الْبَغْضَاءِ غَيْرِ التَّوَدُّدِ

وأخذ قوله « مصافحة بأطراف الرماح » من قول أبى إسحاق[3] التغلبى :

دَنَوْتُ لَهُ بِأَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ ... كَمَا يَدْنُو الْمُصَافِحُ لِلسَّلَامِ[4]

١١٥ — وقال جرير فى يزيد بن معاوية :

اَلْحَزْمُ وَالْجُودُ وَالإِيمَانُ قَدْ نَزَلُوا
عَلَى يَزِيدَ أَمِينِ اللهِ فَاخْتَلَفُوا

ألم به أبو تمام فقال :

مِنَ الْبَأْسِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْجُودِ وَالتُّقَى
عِيَالٌ عَلَيْهِ ، رِزْقُهُنَّ شَمَائِلُهُ[5]

فقال « عيال عليه » وهو نحو قول جرير « نزلوا على يزيد » ولعل أبا تمام أخذه من قول دِعْبِلٍ :

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد ، وكان قد قدم من مكة (الديوان ٢٩٢) .

(٢) لايوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع ، وفى الخطية « بأطراف الصفاح »

(٣) فى الخطية « أبى اللحام » . (٤) فى الخطية « دلفت له » .

(٥) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٣٠)

تَنَافَسَ فِيهِ الْحَزْمُ وَالْبَأْسُ وَالتُّقَى
وَبَذْلُ اللُّهَى حَتَّى اصْطَحَبْنَ ضَرَائِرَا

١١٦ — وقال الكميت يصف الخيل :

يَفْقَهْنَ عَنْهُمْ إِذَا قَالُوا ، وَيَفْقَهُهُمْ
مُسْتَطْعِمٌ صَاهِلٌ مِنْهُمْ وَمُنْتَحِمُ

أخذه أبو تمام فقال :

وَهْوَ إِذَا مَا نَاجَاهُ فَارِسُهُ   يَفْهَمُ عَنْهُ مَا تَفْهَمُ الإِنْسُ(١)

١١٧ — وقال الكميت أيضاً :

وَأَلْقَيْنَ الْبُرُودَ عَلَى خُدُودٍ   يُزَيِّنَّ الْفَدَاغِمَ بِالأَسِيلِ(٢)

يريد بالفداغم الوجوه اللحيمة ؛ فقال أبو تمام :

وَثَنَوْا عَلَى وَشْيِ الْخُدُودِ صِيَانَةً   وَشْيَ الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدِ(٣)

١١٨ — وقال الأبيرد الرياحي :

وَكُنْتُ أَرَى هَجْراً فِرَاقَكَ سَاعَةً
أَلاَ ، لاَ ، بَلِ الْمَوْتُ التَّفَرُّقُ وَالْهَجْرُ(٤)

---

(١) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١٦٧) .

(٢) الفداغم : جمع فدغم بزنة جعفر — وهو الوجه الحسن الممتلىء ، والأسيل — بزنة أمير — الخد الطويل المسترسل ، وفعله من باب كرم ، وسينشده المؤلف مرة أخرى فى ص ٢٠١

(٣) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ١١١) وثنوا : عطفوا ، والوشى : النقش ، وأرادوا بوشى الخدود زينتها من حمرة وتلوين ، والبرود : الثياب ، واحدها برد بزنة قفل ، وأراد بوشى البرود الثياب المطرزة ، والمسجف : الستار المرخى ، والممهد : الممدود ، وسينشده المؤلف مره أخرى فى ص ٢٠١ .

(٤) البيت من قصيدة له يرثى فيها أخاه بريدا ، وفيها يقول :

أحقا عباد الله أن لست لاقيا   بريدا طوال الدهر ما لألأ العفر

أخذه أبو تمام فقال :

المَوْتُ عِنْـدِى وَالْفِرَا قُ كِلاَهُمَا مَالاَ يُطَاقُ(١)

١١٩ — وأنشد أبو العباس المبرد للعُتْبِىّ :

أَضْحَت بِخَدِّى لِلدُّمُوعِ رُسُومُ أَسَفاً عَلَيْكَ ، وَفِى الْفُؤَادِ كُلُومُ
وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِى الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلاَّ عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّهُ مَـذْمُومُ

قال : وأخذه الطائى فقال فى إدريس بن بَدْر السامى(٢) :

دُمُوعٌ أَجَابَتْ دَاعِىَ الْحُزْنِ هُمَّعُ تُوَصِّلُ مِنَّا عَنْ قُلُوبٍ تَقَطَّعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لاَبِسُ الصَّبْرِ حَازِماً فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِماً حِينَ يَجْزَعُ

قال : وجاء به الطائى فى موضع آخر ، فقال :

الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنَّ تَلَذُّذِى فِى الْحُبِّ أَحْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلاَ(٣)

١٢٠ — وقال الراجز ، أنشده يعقوبُ بن السِّكيت :

قَدْ أَضْحَتِ الْعُقْدَةُ صَلْعَاءَ اللِّمَمْ وَأَصْبَحَ الأَسْوَدُ مَخْضُوباً بِدَمْ(٤)

العُقْدَةُ : موضعٌ ذو شجر لا يَفنى فيذهب ، وصلعاء اللِّمَم : الجماجم ، وهو جمع لِمّة ، فجعله مثلا لرؤوس النبت أَكَلَتْه الإبل فصارت لِمَمُه صُلْعاً ، والأسود : الحية تطؤه الإبل فتقتله ؛ فظفر بهذا أبو تمام فقال :

---

(١) البيت خامس سبعة أبيات له فى الغزل (الديوان ٤٥٣) وأولها قوله :

نأى وشيك وانطلاق وعليك شوق واحتراق

(٢) فى المطبوعات والخطية «الشامى» بالشين معجمة ، وهو تحريف ، وإنما هو بالسين مهملة نسبة إلى سامة بن لؤى ، وهو أحد بنيه (انظر الديوان ٣٧٢) وأول البيتين مطلع القصيدة ، وثانيهما يقع بعده بتسعة أبيات .

(٣) البيت من غزل قصيدة يمدح فيها نوح بن عمر السكسكى (الديوان ٢٤٢) وفيه « غير أن تلذذا » وأحرى : أجدر وأليق .

(٤) انظره فى الوساطة ١٦٥ وفيه « أصبحت العقدة »

حَتَّى تَعَمَّمَ صُلْعُ هَامَاتِ الرُّبَى مِنْ نَوْرِهِ وَتَأَزَّرَ الأَهْضَامُ[(١)]

والأهضام : ما انخفض من الأرض .

* * *

ووجدت ابن أبى طاهر خَرَّج سرقاتِ أبى تمام ، فأصاب فى بعضها ، وأخطأ فى البعض ؛ لأنه خَلَط الخاصَّ من المعانى بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقا .

١ — فمن السَّرَق قولُ أبى تمام :

كَمَا كَادَ يُنْسَى عَهْدُ ظَمْيَاءَ بِاللِّوَى وَلٰكِنْ أَمَلَّتْهُ عليهِ الحَمَائِمُ[(٢)]

أخذه من قول العَتَّابى :

بكَى وَاسْتَمَلَّ الشَّوْقَ مِنْ فِى حَمَامَةٍ أَبَتْ فِى غُصُونِ الأيْكِ إلاَّ التَرَنُّمَا

أظن قوله « فى حمامة » أراد [به] من صوت[(٣)] حمامة ، دعته إليه الضرورة ، وليس هذا موضع « فى » وقوله « أَمَلَّتْهُ » من قول العتَّابى « واستَمَلَّ » . وقد جاء مثله فى أشعارهم[(٤)] :

(١) من قصيدة يمدح فيها المأمون (الديوان ٢٧٩) والصلع : جمع صلعاء ، وصف من الصلع ـ بفتحتين ـ وهو انحسار شعر الرأس ، والهامات : جمع هامة ، وهى الرأس ، وتأزر : لبس الإزار ، وفسر المؤلف الأهضام ، وانظر الوساطة ١٦٥

(٢) من غزل قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٢٨٥) ، أملته ـ بتضعيف اللام ـ من الإملال ، وهو بمعنى الإملاء ووزنه ، وفى الكتاب الكريم : (فليملل الذى عليه الحق) وانظره فى الوساطة ١٦٥ مع بيت العتابى

(٣) بل ترى أن « فى حمامة » معناه « فم حمامة » واستمع إلى قول حميد ابن ثور :

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ، ولم تفغر بمنطقها فما

(٤) اقرأ منه جملة صالحة فى الكامل للمبرد (٨٤٨ طبع مطبعة الحلبى)

٢ — وقال : أخذ قوله :

لا تَنْشِجَنَّ لها فإنَّ بُكاءها ضَحِكٌ ، وإنَّ بكاءكَ استغرامُ[١]

من قول الآخر :

فإن إنْ بكيتُ بكيتُ حقًّا وإنكِ في بكائكِ تكذيبا

٣ — وقال :

* فنوَّلَ حتى لم يجدْ منْ يُنيلُه[٢] *

أخذهُ من قول على بن جَبَلة :

أعطيتَ حتى لم تجدْ لكَ سائلاً وبدأتَ إذْ قطعَ العُفاةُ سؤالها

وقد ذكرتُ أخذهُ هذا المعنى فيما تقدم من غير ابن جَبَلة[٣] :

٤ — وقال :

إني لأعجبُ ممَّنْ في حقيبتهِ منَ المنيِّ بحورٌ كيفَ لا يلدُ

أخذه من مروان في قوله :

لوْ كانَ يحملُ منْ هذا الورى ذكرٌ

لكنْتَ أوَّلَ خلـــقِ اللهِ بالولَدِ

ومن قوله أيضاً :

لوْ كانَ يُخلقُ في بطنِ امرىءٍ ولدٌ لأصبحَ البطنُ منهُ ضامناً ولدا

٥ — وقال :

يحميهِ لألاؤهُ ولوذعيَّتُـــهُ عنْ أنْ يُذالَ بمنْ أوْ ممَّنِ الرَّجلُ

(١) الديوان (٢٧٩) وفيه « لاتشجين لها » وما هنا أنسب ، وتقول : نشج الرجل — من باب ضرب — نشيجا ، إذا غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب .
ورواه الشريشى ١ / ١٩ ثانى ثلاثة أبيات .

(٢) تمامه : * وحارب حتى لم يجد من يحاربه *

(٣) انظر (ص ٨٥ من هذا الكتاب)

أخذه من [قول] حسان :

إِذَا مَا تَرَعْرَعَ فِينَا الْغُلَامُ   فَمَا إِنْ يُقَالُ لَهُ مَنْ هُوَهْ

وقد ذكرتُ أخذه هذا المعنى فيما تقدم من غير حسان[1] .

٦ — وقال :

فَلَا تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ فى جُفُونِهَا   فَقَدْ أُسْكِنَتْ بَيْنَ الطُّلَى وَالْجَمَاجِمِ[2]

أخذه من قول عنترة :

وَلَمْ يَعْلَمْ جُوَيَّةُ أَنَّ نَبْلِي   يكونُ جَفِيرَهَا الْبَطَلُ النَّجِيدُ[3]

٧ — وقال :

يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ ثُمَّ يَخَافُهَا   فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ[4]

أخذه من قول أبى العتاهية :

لَمْ تَنْتَقِصْنِى إِذْ أَسَأْتُ وَزِدْتَنِى   حَتَّى كَأَنَّ إِسَاءَتِى إِحْسَانُ

٨ — وقال الطائى :

أَجَلْ أَيُّهَا الرَّبْعُ الذى خَفَّ آهِلُهْ   لَقَدْ أَدْرَكَتْ فِيكَ النَّوَى ما تحاوِلُهْ

---

(١) انظر (ص ٩٥ هذا الكتاب) .

(٢) من قصيدة يرثى فيها هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعى (الديوان ٣٨٧) وكان فى المطبوعات الثلاث «فى جنونها» والتصويب عن الديوان والخطية ، والجفون : جمع جفن ، وهو قراب السيف ، والطلى — بضم الطاء — الأعناق ، والجماجم : الرؤوس ، يريد لاتبحثوا عن سيوف هؤلاء فى جفونها ؛ فإنكم إن بحثتم عنها فى الجفون لم تجدوها ؛ لأنها أغمدت فى أعناق أعدائهم ورءوسهم فبقيت ساكنة فيها .

(٣) الجفير — بفتح الجيم — جعبة من جلود لاخشب فيها ، أو جعبة من خشب لاجلود فيها ، يريد أن مكان سيفى وغمده الذى أضمه فيه هو البطل النجيد .

(٤) الديوان (٢٨٠) وكان فى المطبوعات « يتجنب الأيام» والتصحيح عن الديوان والخطية .

أَخَذَه من قول العَرْجِىِّ :

أَلاَ أَيهــاَ الرَّبْعُ الذِى بانَ آهِـلُهْ
لَقَدْ أَدْرَكتْ فِيكَ النَّوَى ما تُحَاوِلُهْ(١)

٩ — وقال :

لا تُذِيلَنْ مَصُــونَ هَمِّكَ وَانظُرْ
كَمْ بِذِى الأَيْكِ دَوْحَةً مِنْ قَضِـيبِ(٢)

أخذه من قول الأشهب [بن رُمَيْلَةَ] :

عَلَّ بَنِيَّ يَشُـدُّ اللهُ أَزْرَهُمُ وَالدَّوْحُ يَنْبُتُ عِيدَاناً فَيَكْتَهِلُ(٣)

١٠ — وقال :

أَظَـلَّهُ الْبَيْنُ حتى إِنَّهُ رَجُلٌ لوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِه بالْبَيْنِ ما عَلِمَا(٤)

أخذه من قول أبى الشِّيصِ :

وَكَمْ مِنْ مَيْتَةٍ قَدْ مُتُّ فِيهِ وَلٰكِنْ كانَ ذاكَ وَمَا شَعَرْتُ

١١ — وقال فى وصف الرماح :

(١) هو مطلع قصيدة يمدح فيها المعتصم (الديوان ٢٢٩) وكان فى المطبوعات « ماتحاول » والتصحيح عن الديوان والخطية ، وقد سقط من جمع المطبوعات البيت الذى يقال إنه أخذ هذا منه ، وهو ثابت فى الخطية كما ذكرناه .

(٢) هو من قصيدة يمدح فيها سليمان بن وهب (الديوان ٣٦) وفيه « لاتذيلن صغير همك » وهى أصح ، وفيه أيضا « كم بذى الأثل » وتذيل : تحتقر ، والدوحة : الشجرة العظيمة ، و « من قضيب » يعنى به أنها نشأت منه ، والمراد لا تحتقر الأمور الصغيرة فإنها تعود عظيمة كبيرة * ومعظم النار من مستصغر الشرر *

(٣) اكتهل النبت : تناهى وعظم ، ونبت كهل ومكتهل .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٢) وقبل البيت قوله :

نأوا فظلت لوشك البين مقلته تندى نجيعا ويندى جسمه سقما

كأنهَا - وَهْيَ فِي الأَكْبَادِ وَالِغَةٌ ... وَفي الْكُلَى - تجِدُ الْغَيْظَ الذى تجِدُ(١)

أخذه من قول النَّمرِيِّ :

وَمُصْلَتَاتٍ كأَنَّ حِقْداً ... مِنهَا عَلى الْهَامِ وَالرِّقَابِ

١٢ — وقال :

إذا ما أَغَارُوا فاحْتَوَوْا مالَ مَعْشَرٍ ... أغارَتْ عليهمْ فاحتَوَتْهُ الصَّنائِعُ(٢)

أخذه من قول الآخر :

إذا أَسْلَفَتْهُنَّ المَلَاحِمُ مَغْنَماً ... دَعَاهُنَّ مِنْ كَسْبِ المَكارِمِ مَغْرَمُ

١٣ — وقال :

وَرَكْبٍ كأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ عرَّسُوا ... عَلى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ

وقد ذكرتُ أخذ هذا المعنى فيما تقدم من كُثَيِّر(٣) .

١٤ — وقال :

تُوُفِّيَتِ الآمَالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... فَأَصْبَحَ مَشْغولاً عَنِ السَّفْرِ السَّفْرُ

أخذه من قول عصام الجرجانى(٤) :

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ٩٩) وفيه « كأنها وهى فى الأوداج » والأوداج : جمع ودج ، وهو بالتحريك عرق فى العنق ، ووالغة : شاربة ، والكلى : جمع كلوة أو كلية ، وفى الوساطة ١٩١ « كأنها وهى فى الأرواح » .

(٢) من قصيدته التى يمدح فيها قومه ويفتخر بهم (الديوان ٤٨٠) وكان فى الأصول « أغار عليهم » وما أثبتناه عن الديوان ، والصنائع : جمع صنيعة .

(٣) ارجع إلى (ص٢٢ و ٥٥) من هذا الكتاب .

(٤) كذا فى جميع المطبوعات ، ولعله « عصام الزمانى » وهو عصام بن عبيد ، أحد بنى زمان بن مالك ، شاعر أموى ، وكان يناقض يحيى بن أبى حفصة مولى مروان بن الحكم ، وفى الخطية « عصابة الجرجانى » .

أَلاَ فى سَبِيلِ اللهِ آمالُكَ التى   تُوُفِّينَ لَمَّا اغْتالَكَ الحَــدَثانُ

وقد تقدم ذكر هذا وأنه أخذه من موضع آخر (١) .

١٥ — وقال :

* تَعْليفُهَا الإِسْرَاجُ وَالإِلْجَامُ (٢) *

أخذه من قول جرير :

حَرَاجِيجُ يُعْلَفْنَ الذَّمِيلَ ، كأنهــا
مَعَاطِفُ ظَبْيٍ أو حُنِيُّ الشَّرَاجِـعِ (٣)

١٦ — وقال :

ذَاكَ الَّذِى كانَ لَوْ أنَّ الأنامَ لهُ   نَسْلٌ لَما عَابَهُمْ جُبْنٌ وَلا بُخَلُ (٤)

أخذه من قول أبى السِّمْطِ :

لَوْ كانَ جَدُّكُمُ شَرِيكٌ وَالِداً   لِنَّاسِ لم تَلِدِ النِّسَــاءُ بَخِيلا

١٧ — وقال :

حَمْرَاءُ مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ كَسَوْتُهَا
بَيْضَــاءَ مِنْ حَلَبِ الْغَمَامِ الرَّقْرَقِ (٥)

---

(١) انظر (ص ٧٢ من هذا الكتاب) .

(٢) عجز بيت ، وصدره قوله : * بسواهم لحق الأياطل شزب *
والسواهم : الضوامر ، والأياطل : الخواصر ، والشزب : المضمرة ، وهو من قصيدة يمدح فيها المأمون (الديوان ٢٨) وفيه « تعليقها الإسراج » وما هنا هو الصواب

(٣) الحراجيج : جمع حرجوج ، وهو الناقة الطويلة ، والذميل : السير اللين ما كان فوق العنق ، والحنى : الجوانب ، والشراجع : جمع شرجع ، وهو سرير الموتى ، تشبه به الناقة ، وفى الخطية « معاطف نبع » .

(٤) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٢٨) وفيه وفى الخطية «لما راضهم» وراضهم : ذللهم ، وما هنا أنسب وأوضح

(٥) لايوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع

أخذه من قول مُسْلِم :

صَفْرَاءُ مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ كَسَوْتُهَا
بَيْضَاءَ مِنْ حَلَبِ الْغُيُومِ الْبُجَّسِ

١٨ — وقال : أخذ قوله :

* بَيَاضُ الْعَطَايَا فِى سَوَادِ الْمَطَالِبِ (١) *

[من قول بعض العرب :

هُمَامٌ عَطَايَاهُ بُدُورٌ طَوَالِعٌ عَلَى آمِلِيهِ فِى سَوَادِ الْمَطَالِبِ]

ومن قول الأخطل :

رَأَيْنَ بَيَاضًا فِى سَوَادٍ كَأَنَّهُ بَيَاضُ الْعَطَايَا فِى سَوَادِ الْمَطَالِبِ

١٩ — وأخذ قوله :

نَاجَيْتُ ذِكْرَكَ ، وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ فَكَانَ يَا سَيِّدِى أَحْلَى مِنَ الشَّهَدِ (٢)

من قول ابن أبى أمية :

كَمْ لَيْلَةٍ نَادَمَنِى ذِكْرُهُ يُسْعِدُنِى الْمَثْلَثُ وَالزِّيرُ

٢٠ — وأخذ قوله :

* وَالْعَيْشُ غَضٌّ ، وَالزَّمَانُ غُلامُ (٣) *

من قول الأخطل :

سَعَيْتَ شَبَابَ الدَّهْرِ لَمْ تَسْتَطِعْهُمُ
أَفَالْآنَ لَمَّا أَصْبَحَ الدَّهْرُ فَانِيَا ؟

---

(١) هو عجز بيت ، وصدره قوله :

* وأحسن من نور تفتحه الصبا *

والبيت من قصيدة يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٤٢) والنور : زهر النبت ، والصبا ، بفتح الصاد : الريح .

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع .

(٣) هذا عجز بيت ، وصدره قوله : * ولقد أراك فهل أراك بغبطة *

(الديوان ٢٧٩) وكان فى المطبوعات «والظلام غلام» وهو تحريف تصويبه عن الديوان والخطية

٢١ — و [قال] أخذ قوله :

ذَاكَ الذى أحْصَى الشُهُورَ وَعَدَّهَا طَمَعاً لِيَنْتِجَ سَقْبَةً مِنْ حَائِلِ(١)

من قول أعرابى :

إنَّا وَجَدْنَا طرد الحوامل خيراً من التاتان والمسايل(؟)

وعدة العـام وعام قابل ملقوحة فى بطن ناب حائل

٢٢ — وأخذ قوله :

يَغْلُونَ حَتَّى ما يَشُكُّ عَدُوُّهُمْ أنَّ المَنَايَا الحُمْـرَ حَىٌّ مِنْهُمُ(٢)

من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ أنَّ قَوْماً يَخْلُقُونَ مَنِيَّةً مِنْ بَأسِهِمْ كانُوا بَنِى جِبْرِيلاَ

٢٣ — وأخذ قوله :

لَوْ كانَ فى الدُّنيَا قَبِيلٌ آخَرٌ بإزائِهِمْ ما كانَ فِيهَا مُعْـدِمُ(٣)

من قول بشار [بن بُرْد] :

لو كانَ مِثْـلَكَ آخَرُ ما كانَ فى الدُّنيَا فَقِيرُ(٤)

(١) هذا بيت من أبيات له يقولها فى هجاء موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ٥٠٢) والسقبة ــ بفتح فسكون ــ الأنثى من أولاد الناقة ساعة تولد ، وقد اختلف علماء اللغة فى جواز إطلاق هذا اللفظ بالتاء على الأنثى ، والحائل : الناقة التى حمل عليها فلم تلقح ، وتجمع على حيال ، والمراد أنه يطلب المستحيل .

(٢) من قصيدة يمدح فيها محمد بن حسان الضبى (الديوان ٢٨٥) ، وفى الخطية « يخشون بالشك — إلخ » .

(٣) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه .

(٤) نسب أبو الفرج هذا البيت فى الأغانى (٣/٢٨٩ الدار) إلى ابن المولى ، أحد مخضرمى الدولتين ، من قصيدة يمدح فيها يزيد بن حاتم ، وقبله قوله :

يا واحد العرب الذى أضحى وليس له نظير

وذكر البيتين فى ترجمة بشار (٣ / ١٧٨ الدار) ونسبهما إليه ، وقال : إنه يمدح بهما عقبة بن سلم ، فى قصة له مع أبى الشمقمق وعقبة .

٢٤ — وقال في قوله :

ذُقْنَا الصُّدُودَ ، فَلَمَّا اقْتَادَ أَرْسُنَنَا حَنَّتْ حَنِينَ عَجُولٍ بَيْنَنَا الرَّحِمُ(١)

من قول الأسود بن يَعْفُر :

سَمَا بَصَرِي لَمَّا عَرَفْتُ مَكَانَهُ وَأَطَّتْ إِلَيَّ الوَاشِجَاتُ أَطِيطَا(٢)

٢٥ — وأخذ قوله :

صَفْرَاءُ صُفْرَةَ صِحَّةٍ قَدْ رَكَّبَتْ جُثْمَانَهُ فِي ثَوْبِ سُقْمٍ أَصْفَرِ(٣)

من قول على بن رزين الكوفى(٤) :

* بَيْضَاءُ رُعْبُوبَةٌ صَفْرَاءُ مِنْ غَيَرٍ *

٢٦ — وقال في قوله :

* لَمْ تَكْمَدِي فَظَنَنْتِ أَنْ لَمْ تَكْمَدِي *(٥)

---

(١) من أبيات له في العتاب (الديوان ٤١٠) والعجول — بفتح العين — الثكلى ، أو الواله من النساء والإبل ، قيل لها ذلك لعجلتها في حركتها جزعا .

(٢) تقول : أطت الإبل أطيطا ؛ إذا أنت من التعب أو الحنين ، والواشجات : جمع واشجة ، وهى الرحم المشتبكة ، وتقول : وشجت بك قرابته تشج ـ مثل وعد يعد ـ ووشجها الله تعالى توشيجا .

(٣) من قصيدة يعاتب فيها عياش بن لهيعة (الديوان ٣٩٦) وقبله :

أما الذى فى جسمه فسل التى هجرته وهو مواصل لم يهجر

(٤) فى الخطية « من قول على بن أديم الكوفى »

(٥) هذا عجز بيت ، وصدره قوله

* كشف الغطاء فأوقدى أو أخمدى *

وهذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها المعتصم (الديوان ١١١) «وأوقدى أوأخمدى» معناه اعذليه إن شئت فأججى نيران غرامه أو اتركى عذله فتنطفىء لوعته ، ومعنى « لم تكمدى » لم تحزنى على حبيب ظعن أو هجر « فظننت » فشككت وتوهمت أن ما يظهره المحبون من الحزن والألم غير صحيح ، و « أن » هو بفتح الهمزة على أن لام التعليل مقدرة قبله ، أى : أن علة شكك فى ما يظهره المحبون=

من قول بعضهم :

لا تُنْكِرِى جزَعَ المُحِبِّ؛ فإنَّهُ يَطْوِى على الزَّفَرَاتِ غَيْرَ حَشَاكِ

[أو أخذه من قول مسلم بن الوليد :

قد أوْلَعَتْهُ بطول الهجر غرتُهُ لو كان يَعْرِفُ طعم الهجر ما هَجَرا]

٢٧ — وقال فى قوله :

سَقَى الغَيْثُ غَيْثاً وَارَتِ الأرْضُ شَخْصَهُ

وَإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلاَ قَطْرُ(١)

من قول عقيق بن سليك العامرى(٢) :

* سَقَاكَ الغَيْثُ إنَّكَ كُنْتَ غَيْثاً *(٣)

٢٨ — وقال فى قوله :

أَمِنْ بعْدِ طَىِّ الحادِثَاتِ محمداً يَكُونُ لأثْوَابِ العُلَى أَبداً نَشْرُ(٤)

من قول أبى نُوَاس :

طَوَى المَوْتُ ما بَيْنِى وَبَيْنَ محمدٍ وليسَ لِمَا تَطْوِى المَنِيَّةُ نَاشِرُ

= هو أنك لم تذوقى حرقة الهوى ولا احترقت بنيرانه ، هذا ما يظهر لى فى هذا البيت ، ونظيره فى المعنى قول أبى تمام نفسه :

برح الخفاء فأججى نار الملام وأخمديها

لم تعشقى فعذلتنى لو ذقته لم توقديها

(١) من قصيدته فى رثاء بنى حميد الطوسى (الديوان ٣٧٠)

(٢) كذا فى مطبوعات هذا الكتاب ، وفى الخطية « من قول شقيق بن سليل الغاضرى » ، وقائل هذا البيت هو «عدى بن ربيعة التغلبى» وهو المهلهل أخو كليب وائل ، فلعل ما فى الأصل محرف عن هذا . (٣) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله :

* ويسرا حين يلتمس اليسار *

والبيت من مرثية للمهلهل فى أخيه كليب يقول فيها :

أجبنى يا كليب خلاك ذم لقد فجعت بفارسها نزار

(٤) الديوان (٣٦٩) وفيه « يكون لأثواب الندى »

٢٩ — وقوله أيضاً :

* وَمِنَ العَجَائِبِ نَاصِحٌ لا يُشْفِقُ *(١)

من قول المخبّل :

ولا يعْدَمُ الغَاوِى على الغَىِّ لائمًا وَإِنْ هُوَ لم يُشْفِقْ عَلَيْـهِ يَلُومُ

٣٠ — وأخذ قوله :

مَنْ شَرَّدَ الإعْدَامَ عَنْ أَوْطَانِهِ بالْبَذْلِ حتى اُسْتُطْرِفَ الإعْدَامُ(٢)

من قول الأعشى :

هُمْ يَطْرُدُونَ الفقْرَ عَنْ جَارِهِمْ حتى يُرَى كالغُصُنِ النَّـــاضِرِ

وفى قول أبى تمام زيادةٌ حسنة ، وهى قوله : « حتى استطرف الإعدام » .

٣١ — وأخذ قوله :

حَلَفْتَ ، إِنْ لَمْ تَثَبَّتْ ، أَنَّ حَافِرَهُ
مِنْ صَخْرِ تَدْمُرَ ، أَوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانِ(٣)

---

(١) هذا عجز بيت من كلمة يهجو فيها عتبة بن أبى عاصم ، وهو مع صدره برواية الديوان (٤٩٩) هكذا :

عمرى لقد نصح الزمان ، وإنه لمن العجائب ناصح لا يشـفق

(٢) من قصيدة يمدح فيها المأمون (الديوان ٢٨٠) والإعدام : الفقـر ، وتقول : أعدم فلان ، وهو معدم ، ومعناه أنه لا يجد شيئاً . والبذل : العطاء ، واستطرف — بالبناء للمجهول — أى عده الناس طريفاً ، والطريف : الجديد

(٣) هذا رابع أربعة أبيات يهجو فيها عثمان بن إدريس السامى ، ولم تذكر فى الديوان المطبوع فى بيروت ، ونشرت فى نسخة الديوان المطبوع بمصر (طبع المطبعة الوهبية ١٢٩٢ من الهجرة) وهاك هذه الأبيات الأربعة :

وسابح هطل التعداء هتان على الجراء أمون غير خوان
أظمى الفصوص ولم تظمأ قوائمه فخل عينيك فى ظمآن ريان
فلو تراه مشيحا والحصى قلق تحت السنابك من مثنى ووحدان
حلفت — إن لم تثبت — أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان

من قول الآخر :

لَوْ كَانَ حَافِرُ بِرْذَوْنِي كَأَوْجُهِهِمْ بَنِى بُدَيْلٍ ، لمــــا أَنعَلْتُهُ أَبدَا

* * *

[باب]

ومما نسبه فيه ابن أبى طاهر إلى السَّرَق ما ليس بمسروق[1] ؛ لأنه مما يشترك فيه الناسُ من المعانى والجارى على ألسنتهم ، ومنه ما نسبه إلى السَّرَق والمعنيان مختلفان .

٣٢ — [فمن الأول][2] قول أبى تمام :

أَلَمْ تَمُتْ يا شَقِيقَ الجودِ مُـــذْ زَمَنٍ ؟

فقالَ لى : لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُهُ[3]

وقال : أخذه من [قول] العتَّابى :

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ فَكأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

ومثل هذا لا يقال له مسروق ؛ لأنه قد جرَى فى عادات الناس — إذا مات الرجل من أهل الخير والفضل ، وأُثْنِىَ عليه بالجميل — أن يقولوا : ما مات مَنْ خَلَّف مِثلَ هذا الثناء ، ولا مَنْ ذُكِرَ بهذا الذكر . وذلك شائع فى كل أمة ، وفى كل لسان .

٣٣ — وقال أبو تمام :

إذا عُنِيتُ بِشَىْءٍ خِلْتُ أَنِّىَ قَدْ أَدْرَكْتُهُ أَدْرَكَتْنِى حِرْفَةُ الأَدَبِ[4]

(١) فى الخطية « وليس بمسروق »

(٢) زيادة لابد منها لتصحيح السياق ، وفى الخطية « فمما نسبه إلى السرق وليس بمسروق »

(٣) البيت سادس ستة أبيات يقولها فى رثاء محمد بن حميد (الديوان ٣٨٧) وقبله قوله :

فقلت ، والدمع من حزن ومن فرح يجرى ، وقد خدد الخدين منسجمه

(٤) من قصيدة له فى الفخر (الديوان ٤٧١) وفيه « إذا عنيت بشأو » وعنيت ـ بالبناء للمجهول ـ اهتممت ، والشأو : الغاية التى يقصدها ، ويراد بحرفة الأدب الفقر .

وقال : أخذه من [قول] الخُرَيْمِيّ :

أَدْرَكَتْنِي ـ وَذَاكَ أَوَّلُ دائي ـ بِسِجِسْتَانَ حِرْفَةُ الآدَابِ

و « حرفة الآداب » لفظة قد اشترك الناسُ فيها ، وكثرت على الأفواه ، حتى سقط [أن نظنّ] أن واحداً يستملّها من آخر ، هذا قول ابن أبي طاهر .

ولم يقل أبو تمام «أدركتني حرفة الأدب » إنما قال « أدركتني حرفة العرب » وقد ذكرتُ غلطه في هذه اللفظة عند ذكر البيت في الموازنة .

٣٤ — وقال في قوله :

لَوْ يَعْلَمُ العَافُونَ كَمْ لَكَ في النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ أَوْ فَرْحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ (1)

أخذه من [قول] بشار :

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلاَ الْخَوْفِ ، وَلٰكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ (2)

وما إخاله احْتَذَى في هذا البيت على قول بشـار ؛ لأن بشاراً قال : ليس يعطيك رغبة في جزاء يرجوه ، ولا خوفاً من مكروه ، ولكن لالتذاذه العطيةَ ، وأراد أبو تمام أن الطالبين لو علموا التذاذه الندى لم يحمدوه ، والمعنيان إنما اتفقا في طريق التذاذ الممدوح بعطائه فقط ؛ وهذا ليس من بديع المعاني التي يختص بها شاعر فيقال : إن واحداً أخذه من الآخر ؛ لأن العادة جارية بأن يقال : فلان

(١) البيت من قصيدة يقال : إنه مدح بها المأمون ، والأولى أنه مدح بها المعتصم (الديوان ١١٣ بيروت) وما آثرناه هنا عن الخطية ، وفي المطبوعات «من لذة وقريحة ، وكلمة « لم تحمد » بالحاء المهملة هي رواية الديوان المطبوع في مصر (ص ٥٧) وعليها يتعين أن يكون قوله « لم تحمد » من الحمد الذي هو الثناء ، ويكون « لم تحمد » جواب لو في أول البيت ، وفي نسخة من نسخ الديوان « لم تخمد » بالخاء المعجمة على أن هذه الجملة صفة لقريحة ، وفي نسخة ثالثة من الديوان (ص ٢٦٤ طبع بيروت ١٩٢٨) :

لم يعلم العافون كم لك في الندى من لذة وقريحة لم تحمد

وسيأتي ذكر هذا البيت مرة أخرى في ص ١٩٥ .

(٢) انظره في شرح مختار الخالديين ٩٣ثاني ثلاثة أبيات . وفيه « للرجاءوللخوف »

لا يعطى متكارهاً ولا متكلِّفا ، بل يُعْطِى عن نية صادقة ، ومحبة لبذل المعروف تامة ، ونحو هذا من القول.

٣٥ — وقال فى قوله :

* لَوْ كانَ يَنفُخُ قَيْنُ الحىِّ فى فَحَمِ *[1]

من قول الأغلب :

قَدْ قاتَلوا لَوْ يَنْفُخُونَ فى فَحَمْ   ما جَبُنُوا ولا تَوَلَّوْا مِنْ أَمَمْ

وهذا معنى شائع من معانى العرب ، وجارٍ فى الأمثال أن يقولوا : قد فَعَلْتَ كذا ، واجتهدت فى كذا لو كنت تنفخ فى فحمٍ ؛ لأن النفخ فى الفحَم يُحيى النار ويُشْعِلُها ، والنفخ فى حطب ليس بفحم ولا أخَذَت النار فيه لا يُورِى ناراً .

٣٦ — وقال فى قوله[2] :

* والمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَال سَؤُولِ *

من قول محمود :

وَأرْغَبْ إلى مَلِكِ المُلُوكِ ، وَلا تَكُنْ
بَادِى الضَّرَاعة طَالِباً مِنْ طَالِبِ

ومثل هذا لا يكون مسروقاً ؛ لأنه جارٍ على الألسُنِ أن يقال : وقع سائل على سائل ، ومُجْتَدٍ على مجتدٍ ، ووقع البائس على الفقير ، وأمثال هذا .

---

(١) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* لم يألكم مالك صفحا ومغفرة *

والبيت من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٢٦٩) .

(٢) لم أجـــد هذا المصراع فى ديوانه ، ولـكن له من قصيدة يهجو فيها موسى ابن إبراهيم الرافقى بيتا فىهذا المعنى ، وهو قوله

ماخلفت حواء أحمق لحية   من سائل يرجو الغنى من سائل

الديوان (٥٠٢) ومحمود الذى يقال إنه أخذ معناه هو محمود بن الحسن الوراق ، وهو معاصر لأبى تمام ، توفى فى أيام المعتصم ، وأكثر شعره فى المواعظ

٣٧ — وقال فى قوله :

هِمّةٌ تَنْطِحُ النُّجُومَ ، وَجَدٌّ آلِفٌ لِلحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ (١)

من قول أعرابى :

هِمَّتُهُ قَدْ عَلَتْ وَقُدْرَتُهُ فى اللَّحْدِ بَيْنَ الثَّرَى مَعَ الكَفَنِ

وهذا أيضاً من المعانى المشتركة الجارية فى العادة أن يقولوا : همته فى علاء ، وجده فى سفال ، وهمته ناطقة وجَدُّه أخرس ، وهمة ذات حِرَاكٍ وَجَدٌّ ساكن ، وهمة فلان ترفعه وجَدُّه يَضَعه ؛ وما أشبه هذا .

٣٨ — وقال فى قوله (٢) :

تُقَبِّلُ الرُّكْنَ رُكْنَ البَيْتِ نَافِلَةً وَظَهْرُ كَفِّكَ مَعْمُورٌ مِنَ القُبَلِ

من قول عبد الله بن طاهر :

أَعْلَتْ لَهُ ذِكْرَهُ فَكَافَأَهَا بِأَنْ تَوَالَى فى ظَهْرِهَا القُبَلُ (٣)

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر قُبَل الكف ، وهذا ليس من المعانى المبتدَعَة ؛ لأن الناس أبداً يقولون : ما خُلق وجههُ إلا للتحية ، وكفّه إلا للقُبَلِ ، كما قال دِعْبل (٤) :

---

(١) من أبيات يتحدث فيها عن نفسه أثناء قصيدة يمدح فيها أبا الغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٨١) وقبل هذا البيت قوله :

أثأرتنى الأيام بالنظر الشز ر وكانت وطرفها لى غضيض

كيف يمسى برأس علياء مضحٍ وجناح السمو منه مهيض

وانظر الصناعتين (٢٢٦) وسيذكر المؤلف هذا البيت مرة أخرى فى سرقات البحترى ص ٢٩٢ وينشد معه بيت البحترى المأخوذ منه .

(٢) البيت التالى من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، ويذكر حجه (الديوان ٢٥١) ووقع فى الخطية هنا « ومما نسبه إلى السرق والمعنيان مختلفان قوله »

(٣) وقع فى المطبوعات « أعلت له ذكره مكافأة » وماأثبتناه عن الخطية .

(٤) نسب أبو هلال هـذا البيت إلى إبراهيم بن العباس ، من أبيات يقولها فى =

فَبَاطِنُهَا لِلنَّـدَى وظَاهِرُهَا لِلقُبَلْ

ومثل هذا ، مما نطقوا به كثيراً ، فلا يكون عندى مسروقاً .

٣٩ — وقال فى قوله(١) :

نَظَرَتْ فَالْتَفَتُّ مِنْهَا إلى أَحْـلَى سَـوَادٍ رَأَيْتُهُ فى بَيَاضِ

من قول كُثَيِّر :

وَعَنْ نَجْلَاءَ تَدْمَعُ فى بَيَاضٍ إذا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ فى سَوَادِ

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر البياض والسواد ، والألفاظُ غير محظورة ، وأبو تمـام إنما قال « فالتفتّ منها إلى أحلى سواد » يعنى حَدَقَتها « فى بياض » يعنى شَحْمة عينها ، وهذا هو الصحيح ، وقد قيل : سواد عينها فى بياض وجهها ، وكُثَيِّر أراد أن عينها تدمع فى بياض إذا دمعت ، يريد خدّها ، وتنظر فى سواد ، يعنى حدقتها ، وهذا المعنى غير ذاك .

٤٠ — وقال فى قوله (٢) :

وَكَمْ يَدٍ لَكَ لَوْلاَ مَا أُخَفِّفُهَا بِهِ مِنَ الشُّكْرِ لَمْ تُحْمَلْ وَلَمْ تُطَقِ

بِاللهِ أَدْفَعُ عَنِّى ثُقْلَ فَادِحِهَا فَإنَّنِى خَائِفٌ مِنْهَا عَلَى عُنُقِى

= الفضل بن سهل ، وقبل هذا البيت قوله :

لفضل بن سهل يد تقاصر عنهـا المثل

فبسطتهـا للغنى وسطوتهـا للأجـل

انظر الصناعتين (٢٢٤) وذكرها الحصرى فى زهر الآداب ٢ / ١٦ منسوبين لإبراهيم بن العباس أيضا ، وهى موجودة فى ديوان إبراهيم بن العباس الصولى القطعة رقم ٢٩ ص ١٣٦ .

(١) من غزل قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ١٨٧) .

(٢) آخر ستة أبيات يقولها فى مدح إسحاق بن أبى ربعى (الديوان ٢٠٩) وفيه « يامنة لك لولا » .

من قول أبي نُوَاس ، والمعنيان مختلفان ؛ لأن أبا نُوَاس قال :

لاَ تُسْـــدِيَنَّ إلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُـكْرِ مَا سَلَفَا[(١)]
أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَّلْتَنِي نِعَماً أَوْهَتْ قُوَى شُـكْرِى فَقَدْ ضَعُفَا

فذكر أن نِعَم الممدوح قد غلبت الشكر ، فاستعفاه من نعمة أخرى حتى يقوم بشكر نعمته السالفة ، وأبو تمام قال : لولا ما أخففها به من الشكر لم أطق حملها ، ثم أحْسَنَ وألْطَفَ في قوله «فإنني خائف منها على عنق » ومعنى أبي نُوَاس أجْوَد وأبرع .

٤١ — وقال في قوله[(٢)] :

أَعْمِلِ النَّتْفَ وَالطِّلاَ وَقَدِيماً كَانَ صَعْباً أَنْ تُشْعَبَ الْقَارُورَهْ

من قول الأعشى :

كَصَدْعِ الزّجَاجَةِ مَا تَسْتَطِيـــعُ كَفُّ الصَّنَاعِ لَهَا أَنْ تحِيرَا

قلت : ووقع في شعر الأعشى أيضاً قوله :

فَبَانَتْ وَفِي الصَّـدْرِ صَدْعٌ لَهَا كَصَدْعِ الزّجَاجَةِ لاَ يَلْتَئِمْ .[(٣)]

وهذا معنى متداول مشهور مبذول من معانيهم في الزجاج ، قد نطق به الناس ، وأكثروا فيه حتى سقط أن يقال : إن أبا تمام أخذه من الأعشى ، وقد تقدم فيه المسيَّب بن عَلَس فقال :

بَانَتْ وَصَدْعُ الْقَلْبِ كَانَ لَهَا صَدْعَ الزّجَاجَةِ لَيْسَ يَتَّفِقُ

وقال آخر :

---

(١) انظر الصناعتين (٢١٥) والشريشي ١ / ٢٦٨ وزهر الآداب ٢ /٣٨ رابع وثاني أربعة أبيات ، والعمدة لابن رشيق ٢ / ٢٤٣

(٢) هو ثالث خمسة أبيات يقولها في هجاء كاتب ديوان اسمه عبدون ، ويوجد في الديوان (ص ١٨٧ طبع مصر عام ١٢٩٢ هـ) وفيه « إذ تشعب » ، وفي الخطية « أعمل النتف والطلاء فقدما »

(٣) وقع هذا البيت في الخطية متأخرا بعد بيت المسيب بن علس وغير منسوب إلى الأعشى

[* مِثْلُ صَدْعِ الزُّجَاجِ أَعْيَا الصَّنَّاعَا *

وقال آخر :]

وَتَفَرَّقَتْ نِيَّاتُهُمْ فَتَصَدَّعُوا صَدْعَ الزُّجَاجَةِ مَا لَهَا تِيفَاقُ

ومثله كثير .

٤٢ — وقال فى قوله :

إِذَا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى الْهَامِ حَاكِماً
غَدَا الْعَفْوُ مِنْهُ وَهْوَ فِى السَّيْفِ حَاكِمُ(١)

من قول مسلم بن الوليد :

يَغْدُو عَدُوُّكَ خَائِفاً ؛ فَإِذَا رَأَى أَنْ قَدْ قَدَرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَا

والمعنيان مختلفان ؛ لأن أبا تمام قال : إذا حَكَمَ سيفُ الممدوح على الهام حكم عفوُه على السيف ، ومسلم قال : إن عَدُوَّ الممدوح يخافه ؛ فإذا رأى أنْ قد قَدَرَ على العقاب رَجاه ؛ فليس هذا المعنى من ذلك فى شىء .

٤٣ — وقال فى قوله :

فَإِنْ هَزِئْتُمْ سَلَلْنَاهَا وَقَدْ غَنِيَتْ دَهْراً وَهَامُ بَنِى بَكْرٍ لَهَا غُمُدُ(٢)

من قول سعد بن ناشب(٣) :

فَإِنَّ أَسْيَافَنَا بِيضٌ مُهَنَّدَةٌ عُتُقٌ ، وَآثَارُهَا فِى هَامِهِمْ جُدُدُ

والمعنيان مختلفان ؛ لأن أبا تمام قال : « وهام بنى بكر لها غمد » وهذا قال : « وآثارها فى هامهم جدد » فهذا غير ذلك .

٤٤ — وقال فى قوله :

(١) من قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٢٨٧)
(٢) لا يوجد هذا البيت فى إحدى نسخ الديوان ، وفى الخطية أوله «فإن هربتم» .
(٣) فى الخطية « سعد بن ثابت »

فَلَوْ كانَتِ الأَرْزَاقُ تَجْرِى عَلَى الحِجَى
هَلَكْنَ إذاً مِنْ جَهْلِهِنَّ البَهَائِمُ (١)

من قول أبى العتاهية :

إنَّمَا النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ فِى الرِّزْ ق ، سَوَاءٌ جَهُولُهُمْ وَالْحَلِيمُ

و بين المعنيين خلاف ؛ فإن أبا العتاهية أراد أن رزق كل نفس يأتيها ـ جاهلةً كانت أو عالمةً ـ كما يأتى البهائم ، وهذا قائم فى الفطرة والعقول ؛ فتتفق الخواطر فى مثله . وأبو تمام قال : إن الرزق لو جرى على قَدْرِ العقل لهلكت البهائم ، وهذه زيادة فى المعنى حسنة ، و إن كان إلى مذهب (٢) أبى العتاهية يؤول .

٤٥ — وقال فى قوله :

وَأَشْجَيْتُ أَيَّامِى بِصَبْرٍ حَلَوْنَ لِى
عَوَاقِبُهُ ، وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ صَبْرُ (٣)

من قول أبى الشيص :

يُصَبِّرُنِى قَوْمٌ بَرَاءٌ مِنَ الهَوَى وَلَلصَّبْرُ تَارَاتٍ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ

فقول الناس : الصبر مُرٌّ ، والصبر كاسمه صبر ، وقولهم : الصبر محمود العاقبة ، وإن كان مُرًّا ؛ لا يكون مسروقاً فيقال : إن واحداً أخذه من آخر ، وقول

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٢٨٦) وفيه « ولو كانت الأقسام » وفى الخطية « فلو كانت الأقدار » والحجى ـ بكسر الحاء المهملة ـ العقل ، وقبل البيت قوله :

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ويكدى الفتى فى دهره وهو عالم

(٢) فى الخطية « وإن كان إلى معنى أبى العتاهية »

(٣) من قصيدة له فى الفخر (الديوان ٤٧٥) وكان فى المطبوعات « والصبر عنداسمه صبر » وفى الخطية « والصبر مر عواقبه » ثم قال بعد إنشاده « كذا رواه ابن أبى طاهر » وما أثبتناه عن الديوان . وأشجيت : أحزنت .

أبى الشيص : إن للصبر تارات يكون فيها أمَرَّ من الصبر ، أى : له تارات يكون فيها شديدَ المرارة ، وقول أبى تمام : أشجيت أيامى بصبر حلت لى عواقبه ، ثم قال : والصبر مر عواقبه ، يريد فى الحلقِ ، أى لو جُرِّعْتَهُ لكان مقطعه شديدَ المرارة ، وإنما قال هذا ليجتمع له فى البيت حلاوة عواقبه ومرارة عواقبه ، هذا تفسيره على ما رواه ابن أبى طاهر ، ولم يقل أبو تمام والصبر مر عواقبه ، وإنما قال : والصبر مثل اسمه صبر .

٤٦ — وقال فى قوله :

لَئِنْ ذَمَّتِ الأَعْدَاءُ سُوءَ صَبَاحِهَا
فَلَيْسَ يُؤَدِّى شُكْرَهَا الذِّئْبُ وَالنَّسْرُ(١)

من قول مسلم :

لَوْ حَاكَمَتْكَ فَطَالَبَتْكَ بِذَحْلِهَا شَهِدَتْ عَلَيْكَ ثَعَالِبٌ وَنُسُورُ(٢)

وذِكْرُ وقوعِ الذئاب وغيرها والنسور وما سواها من الطير على القَتْلَى مَعْنًى متداوَلٌ ومعروفٌ ، وهو فى بيت أبى تمام غيره فى بيت مسلم ؛ لأن مسلماً قال لممدوحه : لو حاكمتك — يريد الفِرْقة والعُصَب التى لَقِيَتْكَ — فى مطالبتك [بثأر] مَنْ قتلتَ منها لشهِدَتْ عليك الثعالب والنسور ، وأبو تمام قال على سبيل الاستهزاء : لئن ذَمَّتِ الأَعْدَاءُ سُوءَ صباحها فليس يؤدِّى الذئبُ والنسر شكرها ؛ لكثرة ما أكلاَ منها ، وهذا المعنى غير ذاك ، والله أعلم .

تم الجزء الأول من الموازنة
على ما جزّأه مؤلفه ، والحمد لله

---

(١) من قصيدة له فى الفخر (الديوان ٤٧٧) وفيه « فإن ذمت » .

(٢) فسر المؤلف الضمير المستتر فى « حاكمتك » بالفرقة والعصب التى التقى الممدوح بها فى الحرب ، والذحل — بفتح فسكون — الثأر ، وجواب « لو » هو قوله « شهدت عليك ثعالب — إلخ »

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرِ بن يَحْيَى الآمِدِيُّ عفا الله عنه :

قد ذكرتُ في الجزء الأول احتجاجَ كل فرقة من أصحاب أبي تمام حبيب ابن أوْسٍ الطائي وأبي عُبَادة الوليد بن عُبَيْدٍ البُحْتُرِي على الأخرى في تفضيل أحدهما على الآخر ، وقلت : إني أبتدىء - بعد هذا الباب - بذكر معايبهما ؛ لأختم الكتابَ بوصف محاسنهما ؛ فأتبعتُ ذلك بما خرَّجْته من سَرِقات أبي تمام وبَيَّضت آخر الجزء لألحق به ما وَجَدْته منها في دواوين الشعراء فعلّمت عليه ، وما أجده بعد ذلك ؛ فإنه كثير السرق [جدا] .

وقد سمعت(1) أبا عليّ محمدَ بن العلاء السجستاني يقول : إنه ليس له مَعْنًى انفرَدَ [به] فاخترَعَه إلا ثلاثة مَعَانٍ ، وهي قوله(2) :

تَأْبَى عَلَى التَّصْرِيدِ إلاَّ نَائِلاً ... إلاَّ يَكُنْ مَاءً قَرَاحاً يُمْذَقِ(3)

نَزْراً كَمَا اسْتَكْرَهْتَ عَائِرَ نَفْحَةٍ ... مِنْ فَأْرَةِ الْمِسْكِ الَّتِي لَمْ تُفْتَقِ(4)

وقوله(5) :

بَنِي مَالِكٍ قَدْ نَبَّهَتْ خَامِلَ الثَّرَى ... قُبُورٌ لَكُمْ مُسْتَشْرِفَاتُ المَعَالِمِ(6)

---

(1) انظر كتاب العمدة لابن رشيق ٢ / ٢٤٤ بتحقيقنا

(2) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ، ويصف فرسا له (الديوان ٢١١)

(3) تأبى : تمتنع ، والتصريد : التقليل ، والنائل : العطاء ، والقراح : الخالص غير المشوب ، ويمذق : يخلط ويمزج .

(4) النزر : القليل ، وفأرة المسك : وعاؤه ، وتفتق : تفوح رائحتها .

(5) من قصيدة له يرثي فيها هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي (الديوان ٣٨٦)

(6) الخامل : الذي لا ذكر له ، والثرى : التراب ، ومستشرفات : عالية ، والمعالم : الآثار .

رَوَاكِدُ قِيسَ الْكَفِّ مِنْ مُتَنَاوِلِ
وَفِيهَا عُلًى لاَ تُرْتَقَى بِالسَّلاَلِمِ(١)

وقوله(٢) :

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلاَ اشْتِعَالُ النَّارِ فِيماَ جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ

ولست أرى الأمر على ما ذكره أبو علىّ ، بل أرى أن له — على كثرة مآخذه من أشعار الناس ومعانيهم — مُخْتَرَعَاتٍ كثيرةً ، وبدائع مشهورة ، وأنا أذكرها عند ذكر محاسنه إن شاء الله تعالى .

ومع هذا فلم أرَ المنحرفين عن هذا الرجل يَجْعلون السرقاتِ من كبير عيوبه ؛ لأنه باب ما يَعْرَى منه أحدٌ(٣) من الشعراء إلا القليل ، بل الذى وجدتهم يَنْعَوْنه عليه(٤) كثرة غلَطِه ، وإحالته ، وأغاليطه(٥) فى المعانى والألفاظ .

وتأملت الأسباب التى أدَّته إلى ذلك ؛ فإذا هى ما رواه أبو عبد الله محمدُ بن داود بن الجرَّاح فى كتاب الورقة(٦) عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن

---

(١) الرواكد : جمع راكد ، والمراد به الثابت ، و « قيس الكف » أى قدر الكف ، وفى الديوان « قيد الشبر » .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد ، ويعتذر إليه ، ويستشفع له فى ذلك بخالد بن يزيد (الديوان ٨٥) والنشر : الظهور ، والطى : الاستتار ، وأصلهما طى الثوب ونشره ، وأتاح لها : قدر وهيأ أسبابها ، والعود : ضرب من الخشب له رائحة طيبة ، وعرفه — بفتح فسكون — رائحته ، وسيذكر المؤلف هذا البيت مرارا بعد ذلك ، فانظر ص ٢٦٢ و ٣٥٠ .

(٣) أى : لا يخلو منه أحد .

(٤) « ينعونه عليه » مأخوذ من قولهم : فلان ينعى على فلان ذنوبه ، إذا كان يظهرها ويشهرها .

(٥) فى الخطية « كثرة خطئه وإخلاله وإحالاته وأغاليطه فى المعانى والألفاظ »

(٦) وجدت ابن خلكان ينقل عن كتاب الورقة هذا كثيرا ، فانظر مثالا لذلك ترجمة إبراهيم بن العباس الصولى ، وقد طبع هذا الكتاب حديثا بمصر .

أحمد[١] أن أبا تمام يريد البديعَ فيخرج إلى المُحَال ، وهذا نحوُ ما قاله أبو العباس عبدُ الله بنُ المعتزّ بالله فى كتابه الذى ذكر فيه البديع ، وكذلك ما رواه محمد بن داود عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبيه أن أول مَنْ أفسد الشعر مُسْلِم بن الوليد، وأن أبا تمام تَبِعه[٢] فسلك فى البديع مذهَبَه فتحير فيه ، كأنهم يريدون إسرافَه فى طلب[٣] الطِّباق والتجنيس والاستعارات ، و إسرافه فى التماس هذه الأبواب وتوشيحِ شعره بها ، حتى صار كثيرٌ مما أتى [به] من المعانى لا يُعْرَف ولا يعلم غرضه فيها إلا مع الكدِّ والفكر وطول التأمل ، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظن والحَدْسِ ، ولو كان أخَذَ عَفْوَ هذه الأشياء ولم يُوغِلْ فيها ، ولم يجاذب الألفاظ والمعانى مجاذَبة ويَقْتَسرها مُكارَهة ، وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجَمَامِهِ غيرُ مُتْعَب ولا مكدود ، وأورد من الاستعارات ما قرُب فى حسن[٤] ، ولم يُفحش ، واقتصر من القول على ما كان محذُوًّا حَذْوَ الشعراء المحسنين ؛ ليسلم من هذه الأشياء التى تُهَجِّن الشعر وتُذْهِبُ ماءه ورونقه ، ولعل ذلك أن يكون ثلثَ شعره أو أكثر منه — لظننته كان يتقدَّم عند أهل العلم بالشعر أكْثَرَ الشعراء المتأخرين ، وكان قليلُه حينئذٍ يقوم مقامَ كثير غيره ؛ لما فيه من لطيف المعانى ومستغرَب الألفاظ ، ولكنَّهُ شَرِهَ إلى إيراد كل ما جاش به خاطره ولَجْلَجَهُ فكرهُ ، فخَلط الجيدَ بالردىء ، والعينَ النادر بالرَّذْل الساقط ، والصوابَ بالخطأ . وأفرط المتعصبون له فى تفضيله ، وقدَّموه على مَنْ هو فوقه من أجل جيده ، وسامحوه فى رديئه ، وتجاوزوا له عن خطائه ، وتأولوا له التأول البعيد فيه ، وقابَلَ المنحرفون عنه إفراطًا [بإفراط] فبَخَسوه حَقَّه ، واطَّرَحوا إحسانه ، ونَعَوا سيئاته ، وقدَّموا عليه مَنْ هو دونه . وتجاوز ذلك بعضُهم إلى القَدْح فى الجيد من شعره ، وطَعَنَ فيما لا يُطعَن عليه [فيه] ، واحتجَّ بما لا تقوم حجة به ، ولم يقنع بذلك مذاكرة وقَوْلاً حتى ألَّف

(١) فى الخطية « حذيفة بن محمد الطائى » (٢) وفيها « اتبعه وسلك »
(٣) وفيها « إغراقه فى طول طلب ـ إلخ » (٤) وفيها « ماقرب وحسن» .

فى ذلك كتاباً ، وهو أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطربلى المعروف بالفريد[1] ، ثم ما علمته وَضَع يده من غلطه وخطئه إلا على أبيات يسيرة ، ولم يُقم على ذلك الحجة ، ولم يهتد لشرح العلة ، ولم يتجاوز فيما نَعاهُ[2] بعدها عليه الأبياتَ التى تتضمن بَعِيدَ الاستعارة وهَجِينَ اللفظ ، وقد بينت خطأه فيما أنكره عليه من الصواب فى جزء مفرد إن أَحَبَّ القارىء [له] أن يجعله من جملة هذا الكتاب ويَصِلَه بأجزائه فعَلَ ذلك إن شاء الله تعالى ؛ فإنَّ الذى تضمَّن يدخُل فى محاسن أبى تمام التى ذكرتُ أنى أختم كتابى هذا بها وبمحاسن البحترى .

وأنا الآن أذكر ما غَلِط فيه أبو تمام من المعانى والألفاظ ، مما أخذته من أفواه الرجال وأهل العلم بالشعر عند المفاوضة والمذاكرة ، وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته ، بعد أن أسقطت منه كلَّ ما احتَمَل التأويل ، ودخل تحت المجاز ، ولاَحَتْ له أدنى علة .

وأنا أبتدىء بالأبيات التى ذكرتُ أن أبا العباس أنكرها ، ولم يُقِم الحجة على تبيين عَيْبها وإظهار الخطأ فيها ، ثم أستقصى الاحتجاجَ فى جميع ذلك ؛ لعلمى بكثرة [المعَارِضين و] مَنْ لا يجوز على هذا الشاعر الغَلَطَ ، ويوقع له التأول البعيد ، ويورد الشبه والتمويه . وبالله أستعين ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

١ — أنكر أبو العباس أحمد بن عُبيد الله على أبى تمام قوله[3] :

هاديهِ جِذْعٌ مِنَ الأَرَاكِ ، وما تحت الصَّلا منْهُ صَخْرَةٌ جَلْسُ[4]

قال : هذا من بعيدِ خطائه أن شبَّه عُنُقَ الفرس بالجِذْع ، ثم قال « جذع من الأراك » ومتى رأى عيدانَ الأراك تكون جذوعاً ؟ وتشبه بها أعناق الخيل !

(١) فى الخطية « بالعزيز » (٢) فى الخطية « بغاه » تحريف .

(٣) البيت من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١٦٧)

(٤) فى الديوان « وما خلف الصلا » والهادى : العنق ، والجذع : ساق الشجرة ، والأراك : ضرب من الشجر معروف يستاك بأغصانه ، شبه عنق الفرس بساق أراكة ، والصلا : وسط الظهر ، والجلس : الغليظة .

وأخطأ أبو العباس فى إنكاره على أبى تمام أنْ شَبَّه عُنُقَ الفرس بالجذع ، وتلك عادة العرب ، وهو فى أشعارها أكثر من أن يُحْصَى ، وقد بينت ذلك فيما غلط فيه أبو العباس على أبى تمام .

وأصاب أبو العباس فى إنكاره أن تكون عيدانُ الأراك جُذُوعاً ، و إن لم يلخص المعنى ؛ لأن عيدان الأراك لا تَغْلُظُ حتى تصير كالجذوع ، ولا تقاربها .

فإن قيل : إن الشجرة من الأراك قد تَعْظُم حتى تصير دَوْحَة يَسْتَظِل بها الجماعة من الناس والسِّربُ من الوحوش[1] ، وذلك معروف موجود ، وقد قال الراعى :

غَذَاه وحَوْلىّ الثرى فوق متنه   مــدَبُّ الأتىّ والأراك الدوائح

والدوائح : العِظام[2] منه ، جمع دَوْحَة .

قيل : إن الأمر و إن كان كذلك فى بعض شجر الأراك من علوها وتَشَعُّبِ أغصانها فإن قائم الشجرة وعيدانَها لا تغلظ ولا تمتلىء امتلاء يقارب الجذوع ولا ما هو دونها فى الغلظ ، ولو انتهت إلى هذه الحالة ــ وذلك غيرُ معلومٍ ــ لَمَا قيل لها أيضاً «جذوع» ؛ لأن الجذع إنما هو للنخلة فقط ، وقد يقال على سبيل الاستعارة لما يشبه بالنخلة ، قال الراجز :

بكلِّ طِرْفٍ أعْوَجِىٍّ صَهَّالْ   يَمْشِى إذا ما قِيدَ مَشْىَ المُخْتَالْ

* تحتَ هَوَادٍ كَجُذُوع الأوْقَالْ *

فقال : «كجذوع الأوقال» والأوْقَالُ : جمع وَقْلَة وهى شجرة المُقْلِ ؛ لأن فيها شبهاً من النخل من جهة الخوص والليف .

فإن قيل : فقد قال ذو الرمة :

وَهَادٍ كَجِذْعِ السَّاجِ سَامٍ يَقُودُهُ   مُعَرَّقُ أَحْنَاء الصَّبِيَّيْنِ أَشْدَقُ[3]

قيل : ذو الرمة إنما قال ذلك على التشبيه ؛ لأن العود من الساج يشبه الجذع

---

(١) فى الخطية « الوحش » (٢) وفيها « والدوائح وهى العظام : جمع — إلخ »

(٣) انظره فى الصناعتين ٧٢ ، والسامى : المرتفع ، والأحناء : الجوانب ، والصبيان : طرفا اللحيين ، والأشدق : الواسع

المنحوت فى غلظه وهيئته ، وعودُ الأراكِ مِنْ أبعد شيء من ذلك ؛ لأنه لا يمتد ولا يستوى استواء الجذع ولا غيره من أجناس الشجر التى تمتد أبدانها علواً امتداداً مستوياً ، وذلك لرقته وشدة التِوَائِهِ وتشعبه .

٢ — وأنكر أبو العباس قول أبى تمام(١) :

رَقِيقُ حَوَاشِى الحِلْمِ لَوْ أنَّ حِلمَهُ ... بِكَفَّيْكَ ما مارَيْتَ فى أنه بُرْدُ(٢)

وقال : هذا [هو] الذى أضحك الناس منذ سمعوه و إلى هذا الوقت ، ولم يزد على هذا شيئاً ، والخطأ فى هذا [البيت] ظاهر ؛ لأنى ما علمت أحداً من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقة ، و إنما يوصف الحلم بالعظم والرُّجْحَان والثقل والرَّزَانَة ، ونحو ذلك ، كما قال النابغة :

وَأَعْظَمَ أَحْلَامَاً وَأَكْبرُ سَيِّداً ... وَأَفْضَلُ مَشْفُوعاً إليْهِ وَشَافِعَا(٣)

وكما قال الأخطل :

شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتى يُسْتَقَادَ لهُمْ ... وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَاماً إذا قَدَرُوا(٣)

وكما قال أبو ذؤيب :

وَصَبْرٌ على حَدَثِ النَّائِبَات ... وَحِلْمٌ رَزِينٌ وَقَلْبٌ ذَكِيّْ(٣)

وكما قال عَدِىّ بن الرِّقَاع فى مثل ذلك :

فى شِدَّةِ الْعَقْدِ وَالحِلْمِ الرَّزِين وَفى الْـ
قَوْلِ التَّبِيتِ إذا ما اُسْتُنْصِتَ الْكَلِمُ

وقال أيضاً :

أبَتْ لَكُمُ مَوَاطِنُ طَيِّبَاتٌ ... وَأَحْلَامٌ لَكُمْ تَزِنُ الجِبَالا

وكما قال عدى أيضاً :

الْجَامِعُ الْحِلْمَ الأصِيلَ وَسُوْدَداً ... غَمْراً يُقَاسُ بهِ وَحِكْمَةَ حَازِمِ

(١) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٢١) .

(٢) فى الديوان « لو أن خلقه » وماريت : جادلت ، والبرد : الثوب ، وانظره فى الوساطة ٦٩ والصناعتين ١١٩

(٣) انظرها كلها فى الصناعتين ١١٩ أيضا

وكما قال أيضاً :

قَوْمٌ لَهُ مَعَ دِينِهِ وَتَمَامِه ... حِلْمٌ إذا وُزِنَ الحلومُ ثقيلُ

وقال الفرزدق :

أحلامُنا تَزِنُ الجبالَ رَزَانةً ... وَتَخَالُنَا جِنًّا إذا ما نَجْهَلُ

وقال أيضاً :

إنَّا لَتُوزَنُ بالجبالِ حُلُومُنا ... وَيَزِيدُ جاهِلُنَا عَلَى الجُهَّالِ

وكما قال الآخر :

وَعَظِيمُ الحِلْمِ لَوْ وَازَنْتَهُ ... بِثَبِيرٍ أَوْ بِرَضْوَى لَرَجَحْ

ومثل هذا كثير في أشعارهم ، ألا ترى أنهم[1] إذا ذمُّوا الحلم كيف يصفونه بالخفة ؛ فيقولون : خفيف الحلم ، وقد خفَّ حلمه ؟ وقال عياض بن كثير الضبي :

تَنَابِلَةٍ سُودٍ خِفَافٍ حُلُومُهُمْ ... ذَوِي نَيْرَبٍ في الحَيِّ يَغْدُو وَيَطْرُقُ[2]

وقال عقبة بن هبيرة الأسدي :

[أَبَنِي الْمُغِيرَةِ قَبْلَ آلِ خُوَيْلِدٍ ... يَاَللرِّجَالِ لِخِفَّةِ الأَحْلامِ

وقال قدّ بنُ مالك الأسدي :]

كَأَنَّ جَرَادَةً صَفْرَاءَ طَارَتْ ... بِأَحْلامِ الْغَوَاضِرِ أَجْمَعِينَا

جعلها صفراء لأنها ذكر ، وهو أسرع من الأنثى وأخف .

وقال ابن قيس الرُّقَيَّات ، ووجدتها في ديوانه ، والصحيح أنها لأبي العباس الأعمى :

بِحُلُومٍ إذا الحُلُومُ اسْتُخِفَّتْ ... وَوُجُوهٍ مِثْلِ الدَّنَانِيرِ مُلْسِ

وقال قيس بن عُمَيْر الكناني :

كمثل الحصى بكر ، ولكن خيانة ... وغَدْرٌ وأحلامٌ خِفَافٌ عَوَازِبُ

(١) في الخطية « ألا تراهم إذا ذموا الحلم »

(٢) وفيها « ذوي سرب في الحي » ، وانظره مع أكثر الأبيات في الصناعتين ١٢٠ .

فهذه طريقة وصفهم الحلم ، وإنما مدحوه بالثقل والرزانة ، وذمُّوه بالطَّيْش والخفة .

وأيضاً فإن البُرْدَ لا يوصف بالرقة ، وإنما يوصف بالمتانة والصَّفَاقة ، وأكثر ما يكون ألواناً مختلفة ، كما قال يزيد بن الطَّثْرِيَّة :

أَشَافَتْكَ أَطْلَالُ الدِّيَارِ كَأَنَّما مَعَارِفُهَا بالأَبْرَقَيْنِ بُرُودُ

والأبرق والبرقاء من الأرض : ما كان فيها حجارة ورمل ؛ فقيل « بَرْقَاء » لاختلاف الألوان فيها ، ومن ذلك الحبلُ الأبْرَقُ الذى فُتِل من قُوًى مختلفة الألوان ؛ فلذلك شَبَّه الشاعر معارفَ الديارِ بالبرود لاختلاف ألوان البرود .

ولولا أنه قال « رقيق حواشى الحلم » ما ظننت أنه شبهه بالبُرْدِ إلا لمتانته ، وهذا عندى من أفحش الخطأ ، ثم قوله « لو أنَّ حِلْمَهُ بكفيك » كلام فى غاية [القبح و] السخافة ، وأظن أبا العباس بن عمار إنما أنكر هذه اللفظة فقط .

وإنى لأعجب من أتباع البحترى إياه فى البُرْدِ — مع شدة تجنبه الأشياء المنكَرَة عليه — حيث يقول(١) :

وَلَيَالٍ كُسِينَ مِنْ رِقَّةِ الصَّيْفِ فَخَيَّلْنَ أَنَّهُنَّ بُرُودُ

وكيف لم يجد شيئاً يجعله مثلا فى الرقة غير البرد ؟ ولكن الجيد فى وصف الحلم قوله مُتبعاً للمذهب الصحيح المعروف(٢) :

خَفَّتْ إلى السُّؤْدَدِ المَجْفُوِّ نَهْضَتُهُ وَلَوْ يُوَازِنُ رَضْوَى حِلْمُهُ رَجَحَا

وقوله(٣) :

(١) من قصيدة للبحترى يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان ١ / ١٣٨) وبعده :

الرياح التى تهب نسيم والنجوم التى تطل سعود

(٢) من مدائحه فى الفتح بن خاقان أيضا (الديوان ١/١١٤) وقبل هذا البيت قوله :

رد المكارم فينا بعدما فقدت وقرب الجود منا بعد مانزحا
لا يكفهر إذا انحاز الوقار به ولا تطيش نواحيه إذا مزحا

(٣) لم أعثر على هذا البيت فى الديوان المطبوع بمصر أو بيروت ، ورضوى ويذبل : جبلان

فَلَوْ وُزِنَتْ أَرْكَانُ رَضْوَى وَيَذْبُلٍ
وَقِيسَ بهـا — فى الْحِلْمِ — خَفَّ ثَقِيلُها

وأبو تمام لا يجهل هذا من أمر الحلم ، ويعلم أن الشعراء إليه تقصد ، وإياه تعتمد ، ولعله قد أورد مثله ، ولكنه يريد أن يبتدع فيقع فى الخطأ .

* * *

٣ — وأنكر أبو العباس على أبى تمام قوله :

مِنَ الهِيفِ لَوْ أَنَّ الخَلاَخِلَ صُوِّرَتْ
لَهَـا وُشُحاً جَالَتْ عَلَيها الخَلاَخِلُ(١)

ولم يذكر موضع العيب فيه ، ولا أراه عَلِمَهُ ، و [أنا أذكره وأُلَخِّصُه فأقول: إن] هذا الذى وصفه أبو تمام ضدّ ما نطقت به العرب ، وهو أقبح ما وُصف به النساء ؛ لأن من شأن الخلاخيل وَالْبُرِينَ(٢) أن تُوصَف بأنها تَعَضُّ فى الأعْضَاد والسواعد ، وتضيق فى الأسْوُق ، فإذا جَعَل خلاخيلها وُشُحًا تَجُول عليها فقد أخطأ الوصف ؛ لأنه لا يجوز أن يكون الخلخالُ — الذى من شأنه أن يَعَضَّ بالسَّاقِ — وِشاحاً جائلاً على جسـدها ؛ لأن الوشاح هو ما تَقَلَّده المرأة مُتَّشحة به ، فتطرحه على عاتقها ، فيستبطن الصدر والبطن ، وينصبُّ جانبه الآخر على الظهر حتى ينتهى إلى العَجُزِ ، ويلتقى طَرَفَاه على الكشح الأيسر ؛ فيكون منها فى موضع حمائل السيف من الرَّجُل ، وإذا كانت هذه صورةَ الوشاحِ فغير جائز أن يوصف بالسَّعة والطول ، ليدلّ على

(١) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ٢٥٦) وفيه «لو أن الخلاخل صيرت» وسينشده المؤلف على هذا الوجه فيما بعد ص ١٤٠ ، وبعد البيت قوله:

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس   قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

وسيأتى للمؤلف حديث طويل عنه فى ص ١٤٠ الآتية ، وانظر الوساطة ٦٩ والصناعتين ١٢٠

(٢) البرين — بضم الباء أو كسرها — جمع برة ، بالضم بوزن الكرة ، وهى الخلخال .

(٣) رد البطليوسى فى شرح سقط الزند (١٥٣٩ دار الكتب) على الآمدى ، وذكر نظائر لكلام أبى تمام ، وبين أن الوشاح ربما أطلق على النطاق الذى يشد على الخصر

تمام المرأة وطولها ، و يكون ذلك لائقاً بتشبيه النساء فى البيت الثانى بقَنَا الخطّ ، و إنما يُوصَف الوشاح بالقَلَق والحركة لِيُسْتَدَلّ بذلك على دقة الخصر ؛ لأنه يَقلَق هناك إذا كان الخصر دقيقاً ، والبطن ضامراً ، بل حركته تدل على ضُمْر البطن أكثر ، وليس طُوله فى نفسه ممـا يدل على امتلاء ولا خَمْص[(١)] ، و إذا كان الخلخال — وهو الحلقة المستديرة المعروف قدرها — وشاحاً للمرأة فإنه يأخذ أعْلَى جسدها كله ، و إذا كانت كذلك فقد مُسِخَتْ إلى غاية القَمَاءَة[(٢)] والصِّغَر ، وصارت فى هيئة الجُعَلِ[(٣)] ؛ وقد تصفُ العربُ الخصْرَ بالدقة ، ولكن تعطى كل جزء من الجسد قِسْطَه من الوصف ، كما قال أمرؤ القيس[(٤)] :

طِوَالِ المُتُونِ وَالعَرَانِينِ كالْقَنَا لِطَافِ الْخُصُورِ فى تمَامٍ وَإكْمَالِ

ألا تراه لما قال « لطاف الخصور » قال « فى تمام و إكمال » ولو قال هذا الشاعر « لو أن الخلاخيل صُيِّرت لها حُقُبًا » لَصَحَّ له المعنى ، كما قال منصور النمرى[(٥)] :

فَلوْ قِيسَتَ يَوْمًا حِجْلَهَا بِحِقَابِهَا
لَكانَا سَوَاءً ، لاَ ، بلِ الْحِجْلُ أَوْسَعُ

---

(١) تقول : خمص بطن فلانة ـ بكسر الميم أو ضمها أو فتحها ـ إذا كان ضامراً ، وأصله الخلو من الطعام .

(٢) القماءة : القصر ، ضد الطول ، قال الشاعر :

تبين لى أن القماءة ذلة وأن أعزاء الرجال طوالها

(٣) الجعل ـ بضم الجيم وفتح العين ـ دويبة مثل الخنفساء ، وجمعه جعلان ـ بكسر فسكون ـ وهى التى يقال لها فى مصر (الجعران) .

(٤) من لاميته التى أولها :

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وانظر العقد الثمين (١٠٣) وكان فى مطبوعات هذا الكتاب « طوال المتون والعرانين والقنا » وماأثبتناه عن العقد الثمين والخطية .

(٥) ورد فى الصناعتين (١٢٠) وفيه « ولو قست يوما » .

فجعل حِجْلَهَا ـ وهو الخلخال ـ أوسعَ من حقابها ، والحقاب : ما تُديره المرأة على خصرها ؛ فهو يختص بالخصر ، وكذلك النِّطَاق ، والوشاحُ لا يختصُّ بالخصر ، وإنما يُعَلَّقُ حتى ينتهى إليه إذا كان الخصر دقيقا والبطن ضامراً ، فاتبع أبو تمام منصوراً فى المعنى فأخطأ .

ومن عادة العرب أنها لا تكاد تذكر الهَيَفَ وطَىّ الكَشْح ودِقَّةَ الخصر إلا إذا ذكرت معه من الأعضاء ما يُسْتَحَبُّ [فيه] الامتلاء والرىّ ، على ما عرَّفْتُكَ ، كما قال ذو الرُّمَّة :

عَجْزَاء ، مَمْكُورَةٌ ، خُمْصَانَةٌ ، قَلِقٌ ... مِنْهَا الوِشَاحُ ، وَتَمَّ الجِسْمُ وَالقَصَبُ (١)

وكما قال أيضا :

[وفى العَاجِ مِنْهَا والدَّمَالِيجِ وَالْبُرَى ... قَنًا مَالِئٌ للعَيْنِ رَيَّانُ عَبْهَرُ]

أَنَاةٌ تَلُوثُ المِرْطَ مِنْهَا بِدِعْصَةٍ ... رُكَامٍ ، وتَجْتَابُ الوِشَاحَ فَيَقْلَقُ (٢)

وكما قال :

تَرَى خَلْفَهَا نِصْفًا قَنَاةً قَوِيمَةً ... وَنِصْفًا نَقًا يَرْتَجُّ أَوْ يَتَمَرْمَرُ (٣)

---

(١) انظر الجمهرة (١٧٧ بولاق) والعجزاء : العظيمة العجز ، والممكورة : المجدولة ، والخمصانة ــ بضم الخاء وسكون الميم ــ الضامرة البطن ، و « قلق منها الوشاح » معناه أنه يضطرب ويتحرك عن موضعه لدقة ما دار عليه ، والقصب : أصله كل عظم مستدير أجوف ، وأراد عظامها ، وانظر الصناعتين (١٢١) وديوان المعانى (١ / ٢٥٠) وفيهما « قلق عنها الوشاح » .

(٢) أصل اللوث عصب العمامة ، وقد لاثها يلوثها ، وأراد هنا الإدارة مطلقا . والمرط ـ بكسر فسكون ـ كساء من صوف أو خز ، والدعص والدعصة ـ بكسر الدال وسكون العين ـ القطعة المستديرة من الرمل ، ويشبه بها عجز المرأة ، والركام : المجتمع بعضه إلى بعض ، و « تجتاب الوشاح » تلبسه ، ويقلق : يجول ويتحرك ويضطرب .

(٣) أرد أن نصفها الأعلى يشبه القناة القويمة فى استوائه ، ونصفها الأسفل يشبه النقا فى عظمه وضخامته ، والنقا : الكثيب من الرمل ، وانظر ديوان المعانى (١ / ٢٥٠) .

وكما قال الشَّنْفَرَي :

فَدَقَّتْ ، وَجَلَّتْ ، وَاُسْبَكَرَّتْ ، وَأُكْمِلَتْ
فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتِ

أى : دقّ منها ما ينبغى أن يَدِقّ ، وجلّ منها ما ينبغى أن يَجِلّ ؛ فهذا هو تمام الوصف .

وقال تميمُ بن أُبَيِّ بن مُقْبل :

هِيفُ المُرَدَّى رَدَاحٌ فى تَأَوُّدِها مَخْطُوفَةٌ مُنْتَهى الأَحْشَاءِ عُطْبُولُ(١)

فقال « هيف المرَدَّى » ثم قال « رَدَاح » والرَّدَاحُ : العظيمةالعجز ، وهذا كقول ذى الرُّمَّة « خلفها نصفا قناة قويمة » وقوله « عطبول » قويمة العنق .

وقال تميم أيضا :

مِنَ الهيفِ مِبْدَانٌ تَرَى نُطُقَاتِهَا بِمَهْلَكَةٍ أَخْرَاصُهُنَّ تَذَبْذَبُ(٢)

فجعلها هَيْفَاء ، وهى الخميصة البطن ، [ثم] قال « مِبْدَان » ؛ فصار البَدَن لا يمنع من الهَيَف ، ولا يضادّه .

وقال تميم أيضا :

(١) هيف : جمع هيفاء ، وهى الضامرة الرقيقة الخاصرة ، وفعله هيف هيفاً كفرح فرحا ، والمردى ـ بضم الميم وفتح الراء وتشديد الدال ـ مكان الارتداء ، وتقول : تردت الجارية ، وارتدت ؛ إذا لبست الوشاح أو الرداء ، وردتها أمها : ألبستها إياه ، يقول : إنها ضامرة هذا الموضع من جسمها ، والرداح ـ بزنة السحاب ـ المرأة الثقيلة الأوراك . وتأودها : انعطافها وتثنيها ، والمخطوفة : الضامرة . تقول : رجل أخطف الحشا ، ومخطوف الحشا ، وامرأة مخطوفة الحشا ، وعطبول : هى المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق ، كذا فسره المجد فى القاموس .

(٢) الهيف ، كما سبق قريبا : جمع هيفاء ، وهى الضامرة البطن ، والمبدان ـ بكسر فسكون ـ العظيمة البدن ، وهو الجسد ، والنطقات : جمع نطق ـ بضم النون والطاء جميعا ـ وهو جمع نطاق ، والأخراص : جمع خرص ـ بضم الخاء أو كسرها ـ وهو الحلقة من الذهب أو الفضة ، وتذبذب : أصله تتذبذب ، أى تتحرك .

وقد دَقَّ مِنْهَا الخَصْرُ حَتى وِشَاحُهَا   يَجُولُ ، وقد عَمَّ الخَلاَخِيلَ وَالقُلْبَا (١)

وقال على بن أبى علقمة الجَرْمِىُّ (٢) :

ترى حِجْلَهَا مَلآنَ لَيْسَ بزائدٍ   يجول ، ولم تَمْلأْ وِشَاحًا ولا عِقْدَا (٣)

فإن ذلك من شأن الوشاح ؛ لأن من سبيله أن يكون جائلا إذا انتهى إلى خَصْرِها لدقته ، ومن شأن العِقْدِ أن يجول أيضا على عنقها وترائقها ؛ لقـلة اللحم هناك ، وذاك هو المحمود من الوصف ، وقال امرؤ القيس (٤) :

* عَلَيَّ هَضِيمَ الـكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ *

وقال طَرَفَةُ بن العبد :

ومَلأَى السِّوَارِ مَعَ الدُّمْلُجَيْنِ   وَأَمَّا الوِشَاحُ عليهـا فَجَالاَ (٥)

وقال عَلْقَمة بن عَبَدَة :

---

(١) ورد فى الصناعتين (١٢١) وكان فى الأصول كلها « ومن دق منها الخصر » والتصويب عن الصناعتين ، والخلاخيل : جمع خلخال ، وهى حلية تلبسها المرأة فى رجلها ، والقلب ــ بضم فسكون ــ السوار

(٢) فى حماسة ابن الشجرى (١٨٨) « على بن علقمة » ، ووقع فى المطبوعات « الجرى » تطبيع ، وفى الخطية « الجشرى » وضبطه بكسر الجيم وسكون الشين

(٣) الحجل ــ بكسر فسكون ــ الخلخال ، و « يجول » يتحرك ، وجملتها صفة لزائد ، ووقع فى المطبوعات « ولم تملك وشاحا » وتصويبه عن الخطية وحماسة ابن الشجرى (١٨٩).

(٤) هذا عجز بيت من لاميته المعلقة ، وصدره قوله :

* هصرت بفودى رأسها فتمايلت *

وهصرت : جذبت ، والفودان : جانبا الرأس . وهضيم الـكشح : ضامرة البطن والمخلخل : الموضع الذى يلبس فيه الخلخال ، ورياه : ممتلئه ، أراد بذلك امتلاء ساقها ونضارتها كالغصن الريان .

(٥) هذا البيت لا يوجد فى ديوان طرفة ولا فى العقد الثمين ، وأنشده فى الصناعتين (١٢١) منسوبا إليه أيضا ، والدملج ــ بضم الدال وسكون الميم واللام مفتوحة أو مضمومة ــ حلية تلبسها المرأة فى المعصم ، وأراد بكونها ملأى السوار والدملجين أن يديها ممتلئتان باللحم .

صِفْرُ الوِشَاحيْنِ ، مَلْأَى المِرْطَ ، خَرْعَبَـةٌ ،
كأنَّها رَشَـــأٌ فى البَيْتِ مَلْزُومُ(١)

وقال المرار :

بِيضُ العَوَارِضِ بُدَّنٌ أَبْدَانُهـا رُجُحُ الرَّوَادِفِ ضُمَّرُ الأَخْصَارِ(٢)

وقال كُثَيِّر :

كَسَوْنَ الرَّيْطَ ذا الهُدْبِ اليَمَانِى خُصُـوراً فوقَ أَعْجَازٍ ثِقَالِ

وقال كثير أيضاً :

يجُولُ الوِشَاحُ بأَقْرَابِهـا وتَأْبَى خَلَاخِلُهَا أَنْ تجُولَا(٣)

وقال آخر :

عُقَيْلِيَّةٌ ، أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا فَدِعْصٌ ، وَأَمَّا خَصْرُهَا فَبَتِيلُ(٤)

يريد كأنه لدقّته مقطوعٌ مما يليه . وهذا كله ضدٌّ ما قاله أبو تمام .

فإن حَمَل بعضُ مَنْ يريد إقامة العذر له نَفْسَهُ على أن يقول : إنما ذهب فى قوله « جالت عليها الخلاخل » إلى قولهم : فُلان يدخل فى الخاتم لظَرْفه ولِينِ أخلاقه ، لا لضيق مفاصله !

---

(١) ارجع إلى ديوان علقمة (٥١ طبع الجزائر) وديوان المعانى (١ / ٢٥٠) وفيهما « ملء الدرع » وكان فى الأصول « ملأى القرط » ولا معنى له ؛ فأثبتنا أقرب الألفاظ إليه مما يصح معه المعنى ، وصفر الوشاحين : كناية عن كونها ضامرة البطن لطيفته ، والدرع : القميص ، وكنى بكونها ملء الدرع عن عظم عجزها . والخرعبة : الضعيفة العظام لنعمتها ولين عيشها ، والرشأ : الظبى ، وملزوم : تربيه الجوارى فى البيوت فيلزمنه ولا يفارقنه . إعجابا به .

(٢) يقولون : امرأة راجح ورجاح - بزنة السحاب - إذا كانت كبيرة العجز ، وجمع الرجاح رجح .

(٣) ورد فى الصناعتين (١٢١) أيضاً ، والأقراب : جمع قرب - بالضم أو بوزن عنق - وهو الخاصرة .

(٤) البيت ليزيد بن الطثرية ، انظر ابن خلكان (٣/٣٢٧ النيل)

قيل : هذا من كلام العامة ، وقولُ أبى تمام : « من الهيفِ » يمنع هذا التأول ويحجز عنه ؛ لأن الهِيفَ الخميصاتُ البطون ، الواحدةُ هَيْفاء ، و إلى هذا ذَهَبَ ، لا إلى وصف الأخلاق و[رقة] الطباع .

فإن قال قائل : إنما قال « لو أن الخلاخيل صيرت لها وُشُحاً » أى لو ساغ ذلك وجاز ، كما يقال : لو دخل أحد فى سَمِّ الخياط لرقّته وحسن(١) أخلاقه لدخل زيد ، وكما قال الشاعر(٢) :

* لَوْ طَارَ ذُو حافِرٍ مِنْ سُرْعَةٍ طَارَا *

وكما قال الآخر(٣) :

لَوْ كانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ
قَوْمٌ لِسُؤْدَدِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

قيل : هذا مذهَبٌ حَسَن معروف من مذاهبهم ، ولكن ليس بينه وبين قول أبى تمام شبه ، وإنما كان يشبهه لو قال : « لو أن الخلاخيل تكون مكان الوشاح لجال عليها » ولو قال هذا أيضاً لكان يُعَدُّ مخطئا ؛ لأنه سواء عليه قال

(١) فى الخطية « أى لرقته ونحافته » وما هنا أفضل

(٢) هذا عجز بيت فى وصف فرس ، لمعاوية بن مرداس ، وصدره قوله :

* يكاد فى شأوه لولا أسكنه *

وانظر معاهد التنصيص (٣٥٢ بولاق) وكان فى المطبوعات « لو كان ذو حافر » وليس بشىء ، وتصويبه عن المعاهد ، ونظيره قول بعض الأعراب :

فلو طار ذو حافر قبلها لطارت ، ولكنه لم يطر

(٣) ينسب هذا البيت إلى زهير بن أبى سلمى المزنى (العقد الثمين ٥٦) وبعده :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابوا ، وطاب من الأولاد ماولدوا

وسيذكره المؤلف مرة أخرى فى ص ١٩٥ ، وقد أنشد أبو على القالى هذا البيت أول خمسة أبيات فى أماليه ١٠٦/١ وثالثها البيت الذى ذكرنا أنه ورد فى العقد تاليا له ، ونسب القالى الأبيات إلى أبى جويرية فى قصة له مع خالد بن عبد الله ، وممن نسبه إلى زهير العكبرى فى شرح ديوان المتنبى (٢ /٢ ٢٦ الحلبى)

هذا أو قال قَصُرَ ظهرُها أو بعضُ خَلْقها أو ضم بعض أعضائها إلى بعض، حتى [لو] يكون خلخالها مكان وشاحها لجال عليها ، ومثل هذا لايقوله أحد إلا الكشحى (١) وأبو العير ، ولفظ بيته أقبح من هذا ، وأشنع ؛ لأنه إنما أخرجه مُخْرَجَ الحقيقة ، أو ما يقارب الحقيقة ، نحو قول القائل : لو تغطَّتْ هندٌ بشعرها لغطّاها ، ولو سترت وجهها بذراعها لسترته ، ولو مسستها لثاخَتِ الإصبع فيها ، أو لأدْمَتها ، وهذا ضرب من المبالغة ، وهو إلى الحقيقة أقرب ، وليس من الأبيات المذكورة فى شىء ولا على سياقة ذلك اللفظ ، والإحالةُ فيما مخرجُهُ مخرجُ الحقيقةِ أقبحُ من الإحالة فيما مخرجُهُ مخرجُ التوسُّعِ ؛ وكان ينبغى لأبى تمام لمَّا وصف النساء فى البيت التالى بالطول والتمام فقال :

* قَنَا الخَطِّ إلاَّ أَنْ تِلْكَ ذَوَابِلٌ *

أن يصف الوشُحَ بالطول والتمام ؛ لأن الوشاح من المرأة فى موضع حَمائل السيف ، فكيف يجعلها مثلَ الخلاخِلِ ويجعلُ الخلاخِلَ مثلَها ؟ .

وقد يبالغ الشاعر فى أشياء حتى يخرج منها إلى المحال ، ويخرج بعضها مخرج النادر ، فيستحسن ولا يستقبح ، نحو قول الشاعر (٢) :

مَنْ رَأَى مِثْلَ حِبَّتِي تُشْبِهُ الْبَدْرَ إذْ بَدَا
يَدْخُلُ اليَوْمَ خَصْرُها ثُمَّ أَرْدَافُهَا غَـــدَا

ومثلُ هذا كثير ، وقد بالغ النابغة فى وصف عنق المرأة بالطول ، فقال :

إِذَا ارْتَعَشَتْ خَافَ الجَبَـــانُ رِعَاثَهَا
وَمَنْ يَتَعَلَّقْ حَيْثُ عُـــلِّقَ يَفْرَقِ (٣)

---

(١) فى الخطية « الكنجى أو أبو العبر » وكلاهما غير واضح

(٢) نسبهما فى الصناعتين (٢٨٥) وفى ديوان المعانى (١ / ٢٥١) إلى المؤمل ، وروى ثانيهما فى الكتابين هكذا :

تدخـــل اليوم ثم تد خل أردافها غـــدا

(٣) انظر (ص ٣٨ من هذا الكتاب)

فجعل القُرْطَ يَخَافُ أن يسقط من هناك فيهلك ، و إنما أخرج هذا كالمثل : أى لو كان مما يقع منه الخوف لخاف ، وقال ذو الرمة :

وَالْقُرْطُ فِى حُـــرَّةِ الذِّفْرَى مُعَلَّقُهُ
تَبَاعَدَ الْحَبْلُ مِنْـــهُ فَهْوَ يَضْطَرِبُ(١)

فدلَّ بقوله : « تباعد الحبل منه » على طول عُنُق المرأة ؛ فهذه المبالغة لائقة مستحسنة ؛ لأنه دلَّ على الوصف بالشيء الذى يَخُص الموصوفَ ، لا بالشيء الذى يخص غيره ، ولو كان أبو تمام قال : « لو أن الخلاخيل صُيِّرَت لها نُطُقاً » لكان أتى بالصواب ؛ لأن النطاق هو كل ما يُدَار على الخصر مثل المِنْطَقَة من سَيْرٍ كان أو ثوب أو غيرها ، أو لو قال « حُقُباً » لأن الحِقَاب والنِّطاق بمنزلة واحدة ، وأظنه أراد أن يقول هذا فغلط فجعل مكانه الوشاح .

وقد بَالَغَ أبو العتاهية فى وصف الخصور بالدقة ، فقال :

وَمُخَصَّرَاتٍ زُرْنَنَا بَعْدَ الْهُدُوِّ مِنَ الْخُدُورِ
نُفُجٌ رَوَادِفُهُنَّ يَلْـبَسْنَ الْخَوَاتِمَ فِى الْخُصُورِ(٢)

لم يرد أن خواتمهنَّ فى خصورهنَّ ؛ لأن هذا محال ، و إنما ذهب إلى مثل قولهم : « جَفْنَة يقعد فيها خمسة » أى : لو قعدوا فيها لو سعتهم .

وقال الآخر :

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيـــدِ يَتَّخِذُ الْفَأْرُ فِيـــهِ مَغَارَا(٣)

(١) الجمهرة (ص ١٧٨ بولاق) . والحر : الحسن من كل شيء ، ومؤنثه حرة ، والذفرى — بكسر الذال وسكون الفاء — ما خلف الأذنين ، وكنى بتباعد الحبل عن طول العنق .

(٢) يقال : امرأة نفج الحقيبة — بضم النون والفاء — إذا كانت ضخمة الأرداف .

(٣) ذكر صدره فى ديوان المعانى (٢ / ١١٤) ونسبه إلى امرىء القيس وقال قبل إنشاده : « ويشبه الحافر بالقعب ، فمن قديم الشعر فى ذلك قول امرىء القيس » اهـ ، ولم أجده فى شعر امرىء القيس المنشور فى العقد الثمين .

أى : لو اتخذ فيه مغاراً لَوَسِعَهُ ، فكذلك قوله : « يلبسن الخواتم فى الخصور » أى : تصلح خُصُورهن أن تَدْخُل فى خواتمهن لدقتها ، وكلُّ ما دَنَا من المعانى من الحقائق كان أَلْوَطَ بالنفس ، وأَحْلىٰ فى السمع [وأَوْلىٰ بالاُستجادة] .

فهذا ما أنكره أبو العباس مما أبو تمام فيه غالِطٌ ، وهو ثلاثة أبيات .

* * *

٤ — ومما أخطأ فيه الطائى البيتُ الذى بعد قوله(١) :

مِنَ الْهِيفِ لَوْ أَنَّ الخَلاَخِلَ صُيِّرَتْ
لَهَا وُشُحاً جَالَتْ عَلَيْهَا الخَلاَخِلُ(٢)

وهو قوله :

مَهَا الْوَحْشِ إِلاَّ أَنَّ هَاتَا أَوَانِسٌ
قَنَا الخَطِّ إِلاَّ أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ(٣)

وإنما قيل للقنا «ذَوَابل» لِلِينها وتَثَنِّيها ، فنَفَى ذلك عن قُدُود النساء التى من أكمل صفاتها التَّثَنِّى واللِّينُ والانعطافُ ، كما قال تميم بن أُبَىّ بن مُقْبل :

يَهْزُزْنَ لِلْمَشْىِ أَوْصَالاً مُنَعَّمَةً هَزَّ الْجَنُوبِ ضُحًى عِيدَانَ يَبْرِينَا
أَوْ كَاهْتِزَازِ رُدَيْنِىٍّ تَدَاوَلَهُ أَيْدِى التِّجَارِ فَزَادُوا مَتْنَهُ لِينَا

فشبه تميمٌ قدودَهُنَّ بالرُّدَينى(٤) لِلِينِهِ وتثنّيه لا غير ، هذا أجود من كل ماقاله

---

(١) قد ذكر صاحب الوساطة بعض أخطاء أبى تمام ، واشترك مع المؤلف فى بعض ماذكره ههنا ، وانفرد بشىء أيضا ، فانظره (٦٧ — ٦٩)

(٢) انظر ماسبق من الاعتراض على هذا البيت فى ص ١٣١ وقد أشرنا إلى البيت الذى بعده هناك ، وذكرنا أن المؤلف سيتحدث عنه .

(٣) انظر نقد هذا البيت فى كتاب « العمدة لابن رشيق » ٢ / ٢٤٧ ثم اقرأ رد ابن رشيق على هذا النقد الذى نسبه إلى كتاب « عبد الكريم » .

(٤) الرديني : الرمح ، منسوب إلى ردينة ، ويقال : هى امرأة كانت تقوم الرماح (أى تعدلها) .

الناسُ في مَشْي النساء وحُسْن قدودهن ، وقوله « مَهاَ الوَحشِ » أراد كمَهاَ الوحش إلا أنَّ هاتا أوانس ؛ فوضع المشبَّه به في مكان المشبه ، وهذا في كلامهم شائع مستفيض .

* * *

٥ — ومما أخطأ فيه الطائىُّ أقبَــحَ خطإٍ قولُه :

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهاَ بَيْنَ الصَّباَ وَقَبُولِهاَ وَدَبُورِهَا أَثْلاَثاَ(١)

لأن الصَّبا هى القَبُول ، وليس بين أهل اللغة وغيرهم فى ذلك خلافٌ .

فإن قيل : إنما سميت الصَّباَ قَبولا ؛ لأنها تُقابل الدَّبُور ؛ فلعله استعار هذا الاسم للدَّبُور ، فقال « بين الصَّبا وقبولها » يريد الدبور لأنها تقابل الصبا ومقابلتها أى الريح المقابلة لها .

قيل : هذا غلط من وجوه :

منها : أنه قد ذكر الدبور فى البيت مَرَّة ؛ فلا يجوز أن يأتى بها مَرَّة ثانية .

ومنها : أنه ما سُمع من العرب « زَيدٌ قَبولَكَ » أى : مُقَابِلُكَ ، ولا « دار زيد قَبول دار عمرو » بمعنى مُقابلتها ؛ فإنما خُصَّت الصَّبا وحدها بهذا الاسم ؛ لأنها تأتى من الموضع الذى يُقبِل منه النهار ، وهو مطلع الشمس ، وقيل لها «دَبُور» لأنها ضِدُّها ، أخذه من أقبل وأدبر ، ولو جاز هذا فى كلامهم وساغ فى لغتهم أو كان مثلُه مسموعا منهم لساغ أن تُسَمَّى الشَّمَال أيضاً قبولا ؛ لأنها تُقَابِلُ الجَنُوبَ ، وأن تسمى الجنوب قَبولا ؛ لأنها تقابل الشمال . وما أظن أحداً يَدَّعى هذا ،

(١) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٦٣) وانظر الاعتراض عليه فى الصناعتين (١٢١) وقبله — وهو مطلع القصيدة — قوله :

قف بالطلول الدارسات علاثا أضحت حبال قطينهن رثاثا

و « علاثا » منادى بحرف نداء محذوف ، وقد رخمه ، وأصله . ياعلاثة ، والقطين : المقيم بها ، والرثاث : جمع رث ، وهو البالى .

ولا يستجيز أن يعارض بمثل هذه المعارضة ، ولا أن يُحْدِث لُغَةً غير معروفة ، ويَنْسُب إلى العرب مالم تعلمه ولم تنطق به .

ومنها – وهي أولاها في فساد هذا التأويل – : أنه قال : « بين الصبا وقبولها ودبورها أثلاثا » وقوله « أثلاثا » يدلك أنه أراد ثلاثَ رِيَاحٍ ، وأنه توهَّم أن القَبُول رِيحٌ غيرُ الصَّبا ، وهذا واضح .

والجيدُ قولُ البحترى :

مَتْرُوكَةٌ لِلرِّيحِ بَيْنَ شَمَالِهَا وَجَنُوبِهَا وَدَبُورِهَا وَقَبُولِهَا(١)

فجاء بالرياح الأربع .

وقال البحترىُّ أيضاً :

شَنِئْتُ الصَّبَا إذْ قِيلَ وَجَّهْنَ قَصْدَهَا
وَعَادَيْتُ مِنْ بَيْنِ الرِّيَاحِ قَبُولَهَا(٢)

فقوله « وَجَّهن » يعنى الْحُمُولَ ، والهاء فى « قبولها » راجعةٌ إلى الرياح .

وهذا مما يُوهِمك أنه أراد رِيحَيْنِ ، وإنما أراد ريحاً واحدة ، وسماها باسْمَيْهَا ، فقال : شنئت الصَّبا ، وعاديْتُ القَبُولَ : أى أبغضت هذين الاسمين ؛ لأن حُمول الظاعنين تَوَجَّهت نحوها ، ولم يقل إن الحمول توجَّهن إلى وجهين(٣) مختلفين .

وحَكَى ابن الأعرابى – أو حُكِى عنه – أنه قال : القبولُ كلُّ رِيحٍ طيبة

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن بن عبد الملك بن صالح بن على الهاشمى (الديوان ٢ / ١٨٤) وقبله – وهو مطلع القصيدة – قوله :

تلك الديار ودارسات طلولها طوع الخطوب دقيقها وجليلها

وانظر الصناعتين (١٢٢)

(٢) من غزل قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان ٢ / ١٩٧) وانظر الصناعتين (١٢٢)

(٣) فى الخطية « إلى جهتين مختلفتين »

المس لينة ، لا أذى فيها ، سُمِّيت قَبولا لأن النفس تَقبَلُها ، وأظن الأخطل - إن كانت الرواية صحيحة - لهذا قال :

فَإِنْ تَبْخَلْ سَدُوسُ بِدِرْهَمَيْهَا   فَإِنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قَبُولُ(١)

أي : طيبة لا تمنعنا الانصرافَ والسيرَ ، وهذه ليست من الريح التي ذكرها أبو تمام في شيء ؛ لأن هذه على هذا الوصف : قد تكون الشمال ، وتكون الجنوب ، وتكون الصَّبا ، وذلك إنما أراد ريحاً بعينها ؛ لأنه قال : « بين الصبا وقبولها » فجعلها مضافةً إليها ، كما لو قال « بين الشمال وجنوبها » لأنهما ريحان معروفتان ، وهما أختان مختلفتان تَعْتَقِبان ، وكذلك لو قال « بين الصبا ودبورها » وكذلك لو قال « بين القبول ودبورها » أو « بين القبول وشمالها » فإذا ذُكرت القبولُ مع هذه الرياح المعروفة كانت هي الصَّبا ، وليس هذا موضعَ القبول التي هي الريح اللينة المسّ الطيبة على ما ذكر ؛ لأنه وصف مجهول ، ويجوز أن يكون لكل ريح ولا يقع في هذا الموضع ؛ لأنك إذا عَنَيتها بقولك «قد هَبَّتِ الصبا وقبولها » لم يدر أيّ ريح هي ؛ فما معنى إضافتها إلى الريح المعروفة التي هي إذا لاَنَ مَسُّها جاز أن تسمى بذلك الاسم ؟ هذا خُلْفٌ من القول إذا قيل .

وأيضاً إن أبا تمام إنما أراد أنَّ هذه الرياح عَفَتْ هذه الديارَ ، وذهبت بها ؛ فما وجه ذكره لريح طيبة لينة المسّ مع الدَّبُورِ ؟ هذا محال أن يكون أراده ، كيف والديار يُدْعَى لها بهبوب الرياح اللينة الضعيفة لئلا تعفوها ؟ ألا ترى قول أبي تمام :

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ
نَفَسَا بِعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفَا(٢)

(١) في الخطية « فإن تمنع سدوس درهميها » ويقرأ بتنوين سدوس .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف ، ويعرض بوال ولى بعده فهزم (الديوان ٢٠٦) وفيه « أرسى بعرصتك الندى » . والعرصة والنادى والعقوة : ساحة الدار ، وقبل هذا البيت قوله :

=

وقال البحترى :

وَإذَا هَبَّتِ الرِّيَاحُ نَسِيماً فَعَلَى رَبْعِ دَارِهَا وَالْجَنَابِ (١)

[فشَرَطَ أن تكون الرياح نسيما ، وقال :

رَاحَتْ لِأَرْبُعِكِ الرِّيَاحُ مَرِيضَةً وَأَصَابَ مَغْنَاكِ الْغَمَامُ الصَّيِّبُ]

فشَرَطَ أن تكون الرياح مريضةً ؛ لئلا تَعْفُوَهَا وتَمْحُوَهَا .

فإن قيل : فلعله أراد « بين الصَّبا وقبولها » أى : بين الصبا سَهْلِها ولَيِّنِها ، ولا يكون يريد بالقبول اسمَهَا المعروفَ ، وإنما يريد الاسمَ الذى يَقع للريح اللينة المسّ ، فكأنه قال « بين القبول وقبولها » كما يقال : « جَاءنَا عَبَّاسٌ وَعَبَّاسُه » أى : ووجهه العَبَّاسُ ، و « أتانا الضَّحَّاكُ وضَحَّاكه » أى : ووجهه الضَّحَّاك ؛ لأن التعبيس والضَّحِك فى الوجه ، و « فَتَنَتْنَا حَوْرَاءُ بِحَوْرَائِهَا » أى : بعينها الحوراء .

قيل : هذا كله لفظ سائغ مستقيم ، غير أنَّا ما سمعنا مثل هذا فى الريح ، ولا علمناه فى اللغة ، ولا وجدنا فى الشعراء أحداً قال : « الصَّبا وقَبولها » ، ولا « الجنوب وقبولها » ولا « الشَّمَال وقَبولها » أى : سَهْلِها ولَيِّنها ، ولو أراد الطائى ذلك كان أيضاً مخطئاً ؛ لأن الريح لينها وشديدَها ريحٌ واحدة ، وقد قال أبو تمام « أثلاثا » فدلَّ على أنه أراد ثلاثَ رياحٍ ، وإن كان أراد ريحاً أخرى غير الصبا فقد قَدَّمْتُ القول فى أن ذلك غير سائغ ولا مستقيم ، وقد استقصى أصحابُ الأنْوَاء فى كتبهم ذِكْرَ الرياح وأوصافها ونُعُوتها ، واستشهدوا بأكثر ما سمعوه من أشعار العرب فيها ، وبالغ أبو حنيفة الدِّينَوَرِىُّ فى ذلك ؛ فما منهم أحد ذكر

= أطلالهم سلبت دماها الهيفا واستبدلت وحشا بهن عكوفا

يامنزلا أعطى الحوادث حكمها لامطل فى عدة ولا تسويفا

وسيذكره المؤلف مرة أخرى فى سرقات البحترى (ص ٢٨١ رقم ٤٩) .

(١) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب (الديوان ١/٧١) وروايته فيه هكذا :

وإذا هبت الجنوب نسيما فعلى رسم دارها والجناب

أن القَبول غيرُ الصَّبا ، و إنما قال ابن الأعرابى فى نوادره : إن العربَ تسمِّى كلَّ ريح طيبةٍ لينةِ المسّ قَبُولاً ، قال الأخطل :

فإنْ تبْخَلْ سَدُوسُ بِدِرْهَمَيْها فإنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قَبُولُ[(١)]

فإنما أراد الصَّبا ؛ لأنها ريحٌ محبوبة تُنسب إلى الطيب ، وهى دائمة الهبوب لينة المس معتدلة فى أكثر أوقاتها : أى فإن مَنَعَت[(٢)] سَدُوس نائلَها فإن الريح طيبة قبول ، أى : هى صَباً ما تمنعنا[(٣)] من الانصراف والرحيل ؛ فإن كان ما ذكره ابن الأعرابىّ صحيحاً ــ وهو الصحيح إن شاء الله ــ فإنهم إنما قالوا لكل ريح طيبة لينة [قبول تشبيها لها بالصبا ، كأنهم إن هبت شمالٌ لينة] ، قالوا : هذه الصبا ، أو هذه القبول ، أى : كالصبا أو كالقبول ، فأسقطوا حرف التشبيه ، وجعلوا المشبه فى مكان المشبه به ، كما تقول [إذا] شممْتَ أتْرُجَّةً طيبةَ العَرْف : هذه المسك ، أو كالمسك ، و إذا رأيت وجهاً جميلا قلت : هذا هو البدر ، و إن شئت كان المعنى : هذه المسك حقا ، وهذا هو البدر يقينا ، ولو هبت شمال شديدة مُزْعِجة حتى تقول : هذه هى الدَّبُورُ بعينها ــ لكان هذا من أسْوَغِ كلام وأصَحِّه ، فإن كانت العربُ سَمَّت الشمال والجنوبَ ــ إذا هَبَّتا هبوباً سهلا ليناً ــ قبولا فإنما شبهوها بالصَّبا وأعاروها اسمها . و إنما قيل لها قَبول لأنها تأتى من مَطْلع الشمس ، وهو الموضع الذى يُقْبِل منه النهار ، وقيل للدبور دَبوراً لأنها تَهُبُّ من حيث يُدْبِر ، وقد قيل غير ذلك ، وهذا هو الصحيح . وحكى بعضهم عن النضر بن شميل أنه قال : القَبول ريحٌ تلى الصَّبا ما بينها و بين الجنوب ، وهذا غير معروف ولا مُعَوَّل عليه ، [وقد ذكر بعضهم أن قوما سموا الشمال قَبُولاً ، قال : وليس ذلك بثبت ، ولامُعَوَّل عليه] إلا أن يكون قاله على هذا الوجه الذى ذكرته على التشبيه . والله أعلم .

---

(١) فى الخطية « تمنع سدوس درهمها » وانظر ص ١٤٣

(٢) وفيها هنا أيضا « فإن تمنع ــ إلخ » كعبارة البيت (٣) وفيها « لاتمنعنا »

وبيت أبى تمام لا يحتمل أن يُتأول فيه هذه الريح ؛ لأنه أراد مَحْوَ الديار ، ولا تُذْكَرُ فى محو الديار القبولُ الخفيفةُ الهبوب الطيبة المس مع الدَّبُور التى لا تكاد تَهُبُّ ، فإن هبت لم تأت إلا شديدة مزعجة .

و [لو] قال آخر ممن لا تمييز معه : أراد بين الصبا وقبولها ، أى : الريح التى قَبَلَتها ، كأنها قابلتها فَقَبَلَتهَا فهى قَبُولها ، يعنى ريحاً من الرياح ، كما يقال : فاخرته فَفَخَرْتُه ، وخاصَمْتُه فخصَمته .

قيل : هذا خطأ من وجوه : منها أن الريح التى تُقَابِل الصَّبا مقابلةً صحيحة هى الدَّبُور ، وقد ذُكِرَت فى البيت الأول ؛ فلا يجوز أن يردِّدها ؛ ومنها : أنك لا تقول قابَلْتُ زيداً فَقَبَلْته ، مثل فاخرته ففخرته ؛ لأنك إذا قابلته فقد صرت قُبَالته وصار قُبَالتك ؛ فليس أحدكما فى هذا بأفضلَ من الآخر ، وذلك مثل قولك : وَاجَهْتُه ، وآزيته ، وساَوَيْته ، وحاذَيْته[1] ؛ لأنك فى هذه الأفعال مثلُه وهو مثلُك ؛ فلا يجوز أن تقول فيه : فَعَلته : أى غلبته ؛ ومنها : أنك إذا قلت « زيد ضاربٌ عمراً ، وضَرُوبُ عمرٍو ، وقاتلٌ بكراً ، وقَتُولُ بكرٍ » لم تَدُلَّ على أنه كانت هناك مُضَارَبة بينهما أو مُقَاتلة ؛ لأنه يجوز أن يكون الضرب وقع من أحدهما ولم يقع من الآخر . ولذلك أصل ؛ فلذلك لا يدل قوله « قبولها » [على] أنه كانت هناك مقابلة ، كما لا يدل قولك « زيد ضاربُ عمرٍو » على أنه كانت مُضارَبة بينهما حتى غَلَبَ زيد عمراً بالضرب ، وإذا لم يكن على الشىء دليل لم تقم به حجة .

* * *

(١) فى أصول هذا الكتاب « وحادثته » من الحديث ، والسياق يقتضى ماأثبتناه ، وتقول : حاذى فلان فلانا ؛ إذا صار بحذائه وجواره من أحد جوانبه

٦ — ومن خطائه قولُه(١) :

وَصَـــنِيعَةٍ لَكَ ثَيِّبٍ أَهْـدَيْتَهَا
وَهِيَ الـكِعَابُ لِعَائِذٍ بِكَ مُصْرِمِ (٢)
حَلَّتْ مَحَـلَّ البِـكْرِ مِنْ مُعْطًى ، وَقَـدْ
زُفَّتْ مِـــنَ المُعْطِي زِفَافَ الأَيِّمِ (٣)

غَلَطُه وقع فى البيتين جميعاً ، وقالوا : أراد بقوله «وصنيعةلك»أى : للممدوح «ثيب» أى : قد اُفترِعت « أهديتهاَ وهى الـكعاب لعائذ بك مصرم » أى : قليل المالِ ، وجاء بالـكَعَاب على أنها تَقوم مقامَ البـكر ليجعلها فى البيت ضد الثيب فتصحّ له القِسْمة : أى هذه الصنيعة ثيِّبٌ عندك : أى قد اُصْطَنَعْت مثلهَا مراراً ، وهى الـكعاب ـ يريد البـكر ـ عند هذا العائذِ بك ؛ لأنها أول مااصطنعته إليه أو لأنها أكبرُ صنيعة صنعتها عنده .

قالوا : والـكَعَاب هى التى كَعَبَ ثَدْيُها ، وقدتكون بكراً ، وتكون ثيباً ، فليست ضدا للثيب فى البيت ، ولا تصحّ بها قسمته ؛ لأن اسم الـكعاب لا يزول عنها إذا افترِعت حتى يَنْهَدَ ثَدْيُها و يرتفع(٤) .

قالوا : واعتمد أن يشرح هذا [المعنى] فى البيت الثانى فقال :

حَلَّتْ مَحَلَّ البِـكْرِ مِنْ مُعْطًى ، وَقَدْ
زُفَّـــتْ مِنَ المُعْطِي زفَافَ الأَيِّمِ (٣)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٣١٣) وانظر ثانيهما والاعتراض عليه فى الوساطة ٧٠

(٢) الثيب : غير البكر ، والـكعاب — بزنة السحاب — البارزة النهد ، والعائذ : اللاجىء ، اسم فاعل من عاذ فلان بفلان ، إذا التجأ إليه ، والمصرم : الفقير .

(٣) الأيم فى الأصل : المرأة التى لازوج لها .

(٤) كذا ، وأحسب هنا سقطا ، وأصل الـكلام « حتى يزول أن ينهد ثديها »

وذلك معنى قوله : « وهى الكَعاب لعائذ بك » ثم قال : « زفَّت من المُعْطِى زفاف الأيم » ، وهو يريد معنى قوله : « وصنيعة لك ثيب » على أن الأيم هى الثيب .

وقالوا : هذا خطأ ؛ لأن الأيم هى التى لازوج لها ، بكراً كانت أو ثيبا ، قال الله عز وجل : (وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ[(1)]) أفتراه قال أنكحوا الثيبات من النساء دون الأبكار ؟ إنما أراد تبارَكَ اسمُه أنكحوا النساء اللواتى لا أزواج لهن ؛ فالثيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل فى الآية ، قال الشماخ :

يَقَرُّ بِعَيْنِي أنْ أُحَدَّثَ أنها ... وَإنْ لَمْ أَنَلْهَا أيِّمٌ لَمْ تَزَوَّجِ

وهذا هو المعروف فى كلامهم .

وهذا الذى ذكروه من غلطه فى الأيِّم هو كما ذكروه ، فأما ماادَّعوه فى البيت الأول من الغلط فى الكَعَاب بأن أقامها مُقام البكر فليس ذلك بغلط، والمعنى صحيح، وقد جاء مثله فى أشعار العرب ، قال قدامة بن ضرار الحنفى :

غَدَاةَ خَطَبْنَا الْبِيضَ بالْبِيضِ عَنْوَةً ... وَأُبْنَ إلَينَا ثَيِّبَاتٍ وَكُعَّبَا[(2)]

أراد بالكُعَّب الأبكار ، وقال جرير يهجو امرأة :

وقد حملت ثمانية وتمت ... لِتَاسِعَةٍ وَتَحْسَبُهَا كَعَابَا

فأقام الكَعَاب مُقَام البكر ، وجعلها ضدَّ الثيب ، ومثله فى كلامهم [كثير] موجود ، فعلوا ذلك — وإن كان الكاعبُ قد تكون بكراً وتكون ثيباً — لأن أول أحوال الكواعب أن يكنَّ قد ناهَزْنَ حدَّ البلوغ ، وبدت ثُدِيُّهنَّ

(١) من الآية ٣٢ من سورة النور

(٢) البيض الأولى : جمع بيضاء ، وأراد بها النساء ، والبيض الثانية : جمع أبيض ، وأراد بها السيوف . وعنوة — بفتح العين وسكون النون — قهرا وغلبة ، وأبن : رجعن ، تقول : آب يؤب أوبا ومآبا ، إذا رجع ، والكعب : جمع كاعب .

بالتكعيب ؛ فهن فى هذه الحال أكثر ما يكن أبكاراً وغير ذات أزواج ، قال عمرو ابن معديكرب :

تَرَكُوا الدَّوَامَ لَنَا وَكُلَّ خرِيدَةٍ بَيْضَاءَ خَرْعَبَةَ وأُخْرَى ثَيِّب

فأقام الخريدة مقام البكر ، وجعلها ضدَّ الثيب فى البيت ، والخريدة [الدرَّةُ ، والخريدة] هى الحييَّة . حكى اللحيانى قال : سمعنا أعرابيًّا من كلب يقول الخريدةُ الدرَّة التى لم تُثْقب وهى من النساء البكر ، والخَرْعَبَة : اللينة المفاصل الطويلة ، وهذه قد تكون [بكرا ، وقد تكون] ثيباً ، إلا أنه جعلها بكراً ؛ لأن الحياء أكثر ما يكون فى الأبكار .

فقد صحَّ معنى بيت أبى تمام الأول فى الكعَاب ، و بقى الغَلَط قائماً فى الأيم ، وجعلها فى البيت الثانى ضد البكر .

فإن قيل : فلم لا يكون لأبى تمام إقامة الأيم فى البيت الأول مقام الثيب ؛ إذ كانت الأيم قد تكون ثيبا ، كما أقمت الكعَاب فى البيت الثانى مقام البكر ؛ إذ كانت الكعَاب قد تكون بكراً ، وتتجاوز له فى هذا كما تجاوزت له فى تلك ؟

قيل : لفظة كَعَاب تدلّ بصيغتها على صغر السن كما عرَّفْتُكَ ؛ فهى فى الأكثر تكون بكراً غير مُفْتَرعة ؛ فلذلك استحسنوا أن أقاموا الكعَاب مقام البكر ، ولفظة أيم لا تدل على حَدٍّ فى السن : من صغر ، ولا كبر ، ولا على بكورة ، ولا افتراع ؛ فلا تجوز إقامتها مقام الثيب بحال ، وقد غلط فى الأيم بعضُ كبار الفقهاء فجعلها مكان الثيب ، وذلك لحديثٍ روى عن النبى صلى الله عليه وسلم[1]

(١) لعله يريد قوله عليه الصلاة والسلام : « الأيم أحق بنفسها » ولعله يريد ببعض كبار الفقهاء الشافعى رحمه الله ؛ فإنه يرى أن هذا الحديث فى شأن الثيب من النساء ، وإن كان له فى بيان أحقيتها رأى غير مايدل عليه الظاهر ، وليس هذا موضع بيان آراء الفقهاء ، وانظر فى الوساطة ٧٠ دفاع مؤلفه عن الشافعى .

فإنه لحقه السهو فى تأويله فحمله على غير معناه ؛ فلعل أبا تمام من هـذا الوجه قد لحقه الغلط .

وقد ذكر أبو تمام معنى هذين البيتين فى موضع آخر ، فقال ـ وقد ذكر صنيعةً أيضاً ـ :

وَلَيْسَتْ بِالْعَوَانِ الْعَنْسِ عِنْدِى وَلاَ هِيَ مِنْكَ بِالْبِكْرِ الْكَعَابِ (١)

والعَوَان : هى التى بين المُسِنَّة والصغيرة السن ، وهى التى قد عَرَفَتِ الأمور ، وجَرَت عليها التجربة ؛ فلذلك قيل : العَوَانُ لا تُعَلَّمُ الخِمْرَةَ(٢) ، ومنه قيل : حَرْبٌ عَوَان ، وهى التى قُوتِلَ فيها مرةً بعد مرةٍ ، وإنما استعير لها اسم المرأة فى هذه الحال ، كما قال الشاعر :

* الحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فَتِيَّةٌ(٣) *

فاستعار لها أولَ ما تبدأ وتنشأ اسمَ الفتاة ، وأراد أبو تمام أن هذه الصنيعة ليست بالعَوَان عندى : أى ليست صنيعةً قد تقدمَتْهَا لك لدىَّ صنائع تُشْبِهُهَا لعظمها وجلالها ، ولا هى بالبكر منك : أى ليست مع ذلك بِكْرَ صنائِعِكَ ، بل قد

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن محمد بن شبابة (الديوان ٥٦) وقبل هذا البيت قوله :

ذكرت صنيعة لك ألبستنى أثيث المـال والنعم الرغاب
تجدد كلما لبست ، وتبقى إذا ابتذلت ،وتخلق فى الحجاب
إذا ماأبرزت زادت صياء وتشحب وجنتاها فى النقاب

(٢) هذا مثل يضرب للمجرب العارف ، والخمرة ـــ بكسر الخاء وسكون الميم ـــ اسم الهيئة من الخمار ـــ بزنة الكتاب ـــ وهو النصيف وكل ماتستر به المرأة وجهها ، تقول : اختمرت المرأة ، إذا لبسته .

(٣) هذا صدر بيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدى ، وعجزه قوله :

* تسعى ببزتها لكل جهول *

ورواه سيبويه ١ / ٢٠٠

أسْدَيْتَ كثيراً مثلَهَا إلى غيرى ، وهـذا هو المعنى الذى قَصَـده فى البيتين المتقدمَيْنِ ، إلا أنه جعل « العَنْسَ » هنا فى موضع العَانِسِ [كأنه أراد أن يقول : وليست بالعوان العانس عندى] فغلط فقال « العَنْسِ » والعانس : هى التى حَبَسها أهلُها عن التزويج حتى جاوزت حَدَّ الفتاة ، والعَنْسُ : اسم من أسماء الناقة ، وهى التى قد انتهت فى شدتها وقوتها ، فأين وَصْفُ الناقة من وصف المرأة ؟

فإن قيل : إن أبا تمـام لم يرد غير العَنْسِ ، ولم يرد العانس ؛ لأنه لو أراد العانس لـكان مخطئاً من وجهٍ غيرِ الذى ذكرته ، وهو أن العَوَانَ ــ فيما ذكر بعضُ أهل اللغة ــ الثيبُ ، وقيل : إنها التى كان لها زوج ، وجرير قد أفصح أنها ذاتُ الزوجِ فى قوله :

وَأَعْطَوْا كَمَا أَعْطَتْ عَوَانٌ حُلِيَّهَا ... أَقَرَّتْ لِبَعْلٍ بَعْدَ بَعْلٍ تُرَاسِلُهْ

فـكيف يكون العانس وصفاً للعوَان[1] ، والعانس هى التى حُبست عن التزويج ؟

قال عامر بن جُوَيْن الطائى :

وَوَاللهِ مَا أَحْبَبْتُ حُبَّكِ عَانِسًا ... وَلاَ ثَيِّبًا لَوْ أَنَّ ذَاكِ أَتَانِى

فجعلها ضد الثيب ، والعَنْس أولى بأن تكون وصفاً للعَوَان من العانس ، ويكونان جميعاً من أوصاف [العَوَانِ ؛ لأن العَوَانَ إذا أريد بها] الناقة ، وهى دون المُسِنَّة وفوق الفتية ، فهى حينئذ الـكاملة ، والعَنْسُ : الناقة التى قد انتهت فى قوتها ، فهما صفتان متفقتان استعارهما الشاعر للصنيعة من أوصاف النُّوقِ ، كما استعار البـكر الـكَعَابَ من أوصاف النساء .

قيل : هذا غلط من الاحتجاج ، وتعسُّف من التأول ، وإنمـا يُسْتَدَل ببعض الألفاظ على بعض ، كما يستدلُّ على المعنى بما يَقتَرِن ويتصل به ، فيكون فى ذلك بيانٌ وإيضاح ، أما العَوَان والبكر ــ وإن كان قد وُصف بهما غير المرأة من

(١) فى الخطية « وصفا للـكعوب »

البهائم وغير البهائم ـ فإن البكر فى البيت لا تكون مستعارة إلا من أوصاف النساء ، من أجل ما اقترن بها من لفظ الكَعَاب التى هى مخصوصة بوصف الجارية التى قد كَعَبَ ثَدْيُهَا ، فلا تكون العَوَان فى صدر البيت من أوصاف النوق ، والبكر فى آخره من أوصاف النساء ؛ فعلمنا أنه لم يرد بالعَنْسِ إلا العانس فغلط ، كأنه أراد [أن] هذه الصنيعة ليست فى حال ما هى عندى بالعَوَان العانس ، ولا فى حال ما هى عندك بالبكر الكَعَاب ؛ لأن المرأة تكون كاعباً وبكراً فى حال ، وعَوَاناً وعانساً فى حال أخرى ، فتنتقل فى هذه الأوصاف ، والْعَنْسُ لا موضع لها ههنا .

وأما قوله « إنه لو أراد العانس كان مخطئاً ؛ لأن العانس هى التى حبست عن التزويج حتى جازت حد الفتاة ؛ فلا تكون وصفاً للعَوَانِ ؛ لأن العَوَانَ عند أهل اللغة الثيب » فيقال : إنه إنما كان يسوغ لك هذا التأويل لو زالَ اسم العنوس عن المرأة إذا تَزَوّجَتْ ، فأما وهو باقٍ عليها بعد التزويج الذى صارت به ثَيِّباً فلِمَ لا يكون وَصْفاً للعَوَان التى هى أيضاً ثيب عندك ، ألا ترى إلى قول كُثَيِّر :

فإنّ طِلاَبى عانِساً أمَّ وِلْدَةٍ لَمِمَّا تُمَنِّينِي النُّفُوسُ الْكَوَاذِبُ

فقال « عانساً » وجعلها أم ولدة .

فإن قال : فلعلّ أبا تمام لم يُرِدْ هذا ، وإنما أراد بالعَنْسِ مصدر عَنَسَت المرأةُ تَعْنُسُ عَنْساً وعُنوساً ، فجعل المصدرَ ـ وهو عَنْس ـ وَصْفاً للعَوَان مكان العانس ، والمصادر قد تجعل أوصافاً فى مكان أسماء الفاعلين .

قيل له : المصدر المعروف فى مصدر « عَنَست المرأة » هو العُنُوس ، ولم يسمع العَنْسُ ، وعلى أن الأصمعى قد أنكر عَنَست مخففاً ، وقال : إنما هو عُنِّست تُعَنَّسُ تَعْنِيساً [بالتشديد] ، حكى ذلك عنه يعقوب بن السِّكِّيت ، وهَبْ أنه قد جاء

العَنْس مصدر عَنَست فليس في كل موضع يسوغ أن تكون المصادر أوصافاً ، وإنما تكون أوصافاً على وَجْهٍ من الوجوه وطريقةٍ من اللفظ ، وهي قولهم : إنما زيد دَهْرَهُ أَكْلٌ ونَوْمٌ ، وإنما عمرو أبداً قيامٌ وقعودٌ ؛ [فإن شئت كان المعنى إنما زيد ذو أكل ونوم ، وإنما عمرو ذو قيام وقعودٍ] فتقيم المضافَ إليه مُقَامَ المضافِ ؛ لأنه يدل عليه ، أو تجعل زيداً نفسه الأكل والنوم وعمرا القيام والقعود على المبالغة؛ لأن ذلك كثير منهما ، كما قالت الخنساء :

تَرْتَع مَا رَتَعتْ حَتَّى إذَا ادَّكَرَتْ
فإنَمَا هِيَ إقْبَالٌ وَإدْبَارُ

فجعلت الناقة هي الإدبار والإقبال لأن ذلك كثر منها ، وإن شئت كان المعنى ذات إقبال وإدبار ، فأقَمْتَ المضاف إليه مقام المضاف ؛ فهذه طريقة الوصف بالمصادر ، وإذا تأولتَ بالعنْس المصدرَ في قوله « وليست بالعَوَان العَنْس » كان ذلك كقولك : ليست هند بالصبية الصِّغَرِ ، تريد الصغيرة ، ولا دَعْد بالْهرِمة الكِبَرَ ، تريد الكبيرة ؛ فهذا لا يسوغ في منطق ، ولا يُعْرَف في لغة ، ولكن قد تستعمل هذه المصادر وصفاً على نحو ما ذكرته ؛ فيقال : هندٌ الْحُسْنُ كله ، ودعد الْجمالُ أجْمَعه ، وزيد الهرَم أقصاه ، وعبدُ الله البُغْضُ نفسُه ، والتِّيهُ عَيْنه ، وإن شئت كان المعنى هندٌ صاحبةُ الحسْنِ كله ، ودعد ذات الجمال أجمعه ، وزيد أخو الْهرَمِ ، وعبد الله ذو التِّيهِ ؛ فأقمت المضاف إليه مُقام المضاف : كما قال الله عز وجل : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ التي كُنَّا فِيهَا)[1] يريد أهل القرية ، وإن شئت جعلت هنداً هي الحسن ، ودعداً هي الجمال ، على المبالغة ، لمَّا كانتا [غايتين فيهما ، وجعلت زيداً هو الهرم ، وعبد الله هو التيه ، لما كانا] متناهِيَيْنِ في هذين الوصفين .

---

(١) من الآية ٨٢ من سورة يوسف .

ولو كان أبو تمام اقتصر على ذكر العوان والبكر ـ وهما اللفظتان اللتان استعارتهما الشعراء فى هذا المعنى ، ولم يخلط بهما العَنْسَ والكعاب والثيب والأيّم ـ لكان قدسلك الطريقَ المستقيم ، فأتى باللفظ المألوف المستعمل ، وتخلَّصَ من فاحش الخطأ ، و إنما أراد معنى قول الفرزدق(١) :

وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ تُرِيدُ عَطَاءَهُ
رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ تَرَى بِهِمُ فَقْرَا
قُعُودٌ لَدَى الأَبْوَابِ طَالِبُ حَاجَةٍ
عَوَانٍ من الحاجَاتِ ، أَوْ حَاجَةً بِكْرَا

أى : منهم طالبُ حاجةٍ عوانٍ : أى حاجة قد عرَفَها وصارت عادةً له ورسماً يتطلَّبه فى كل حين ، ومنهم طالب حاجة بكر : أى أول ما يلتمسه منه و يقترحُه عنده ، فأحبَّ أبو تمام أن يَزيدَ على هذا المعنى ويُغرِب ، فأخرجه ذلك إلى الخطأ .

وقد أحسن محمد بن حازم الباهلى(٢) فى قوله :

أَبَا جَعْفَرٍ يَابْنَ الجَحَاجِحَةِ الْغرِّ
بَدَتْ حَاجَةٌ ، وَالْحُرُّ يَأْوِى إلى الْحُرِّ(٣)
وَقَدْ لَبِسْتَنِى مِنْكَ بالأَمْسِ نِعْمَةٌ
فَهَلْ لَكَ فِى أُخْرَى عَوَانٍ إلَى بِكْرِ

(١) تقدم ذكرها فى هذا الكتاب (انظر ص ٨٤) مع اختلاف يسير .

(٢) محمد بن حازم الباهلى ، وأبو جعفر ، وهو أحد الشعراء المطبوعين ، كان يهجو الناس كثيراً ، ولم يمدح إلا المأمون العباسى .

(٣) الجحاجحة : جمع جحجاح ، وهو السيد والسريع إلى الخير ، والغر : جمع أغر ، والمراد الأبيض ، وبدت : ظهرت وعرضت ، ويأوى : يركن ، وفى القرآن الكريم (لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) .

عَلى أنها إنْ أمكنَتْ أوْ تعذّرَتْ
فإنّكَ بيْنَ الشُّكرِ منّىَ والعُذْرِ

فهذه طريقة الشعراء فى العوان والبكر .

* * *

٧ — ومن خطائه قوله(١) :

الْوُدُّ لِلقُرْبى ، ولـكِنْ عُرْفُه لِلأبْعَدِ الأوْطَانِ دُونَ الأقْرَبِ(٢)

لأنه نَقَصَ الممدوحَ مرتبةً من الفضل ، وجعل وُدَّهُ لذوى قرابته ، ومَنَعهم عُرْفَهُ ، وجعله فى الأبعدين دونهم ، ولا أعرف له فى هذا عذراً يتوجَّهُ .

وقد عارضنى فى معنى هذا البيتِ غيرُ واحدٍ ممن ينتحل نُصْرَةَ أبى تمام .

فقال بعضهم : إن العُرْف ما يَتبرّع به الإنسانُ ؛ فلذلك جعله فى الأباعد ، فأما الأقارب فإن بِرَّهم وصِلَتهم من الحقوق الواجبة اللازمة .

قلت : إن كنتَ تريد الحقوقَ التى تلزم[وتجب من طريق الحكم] فإن ذلك إنما هو للآباء والأجداد ، والأمهات والأولاد ، والأعمام والأخوال ، والإخوة والأخَوات ، إذا كانوا فُقَرَاء محتاجين ؛ فيجب لهم من الإنفاق عليهم بقَدْرِ القوت والكفاية ، وهذا لا يخرج أن يسمى معروفاً ، ألا تَرَاهم يقولون : أَنِلْ أباكَ مِنْ مَعْرُوفك ، أو أَنِلْ أمَّكَ من معروفك ؛ فلا يكون هذا قبيحاً ، بل حقاً ، وقال

(١) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها عمرو بن طوق التغلبى (الديوان ١٤) وانظر الاعتراض عليه فى الصناعتين أيضا (١٢٢) وسيأتى فى سرقات البحترى ٢٨١

(٢) العرف ـ بضم العين وسكون الراء ـ العطاء والإحسان ، وقد فسر الصولى هذا البيت بقوله : أى يخص ذوى قرباه بالود دون العطاء ؛ لأنهم غير محتاجين ، وعرفه لمن ليس بينه وبينهم نسب . وهذا معنى لانرى فيه محلا للاعتراض . إذا نظرت إلى قوله « لأنهم غير محتاجين » وقال أبو هلال : « ولا أعرف لم حرم أقارب هذا الممدوح عرفه ، وصيره للأبعدين ، فنقصه الفضل فى صلة الرحم ؟ وإذا لم يكن مع الود نفع لم يعتد به ؟ » وهو كقول المؤلف هنا .

الله عز وجل فيما فَرَضَ عَلَى الرجال للنساء[١] : (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[٢] ، فقد صار الفَرْضُ ههنا معروفاً ؛ لأن المعروف هو الحسن الجميل من القول والفعل الذى قد عُرفت المصلحةُ فيه ؛ فصار معهوداً معتاداً إذا أورد لم تنفر النفوس منه فتنكره ، وهذا لا يكون الإنسان محموداً به إذا أعطاه هذه الطبقةَ من أهله حتى يُمْدَح بفعله ويُفتخَر له به ، بل يكون مذموماً إذا أقتصر عليه ولم يتجاوزه [إلى التوسعة عليهم ، والإغناء لهم ، إنْ كان من ذلك ممكَّناً وعليه مقتدراً ، فما بال غير هؤلاء] من الأقارب ممن ليس له حق من طريق الحكم ، وهم بنو الأعمام الذين هم الأعضادُ والعُدَّة ، وبهم تكون النُّصرة ، وكذلك بنو الأخوَات و بنو الأخوال لم يجعل المعروفَ ـ الذى هو تبرُّع ـ فى الأباعد دونهم و يخرجون منه .

و إن أردت الحقوق التى يُلزِمها الإنسانُ نفسه تكرُّماً وتفضلا فذلك حقيقة العُرْف الذى يتبرع المرء به ، و يُحْمَدُ عليه ، و يمدح بفعله إياهُ ، و إعطائه له ، و يُذَم إذا منعه . والأقاربُ على الاختلاف فى طبقاتهم وأنسابهم أوْلى به من الأباعِدِ ؛ فمن جعله فى الأباعِد دونهم فذلك منه غاية اللؤم ، ونهاية العقوق ، وعين الحمق ، و إن وَصَفَه واصفٌ [به] فقد بالَغَ فى ذَمِّهِ ، وتَنَاهَى فى هجائه .

وقال آخر : قوله « الود للقربى » قد جمع لهم الودَّ والعُرْفَ وغيره ؛ لأن الوُدَّ يشتمل على ذلك كله ، والعُرْفُ الذى خَصَّ به الأبْعَدِينَ لا يجمع الوداد ؛ إذ ليس كل من أَسْدَيْتَ إليه معروفاً فقد وَدِدْتَهُ ، فقد أعطى ذوى القربى أكثرَ مما أعطى الأبعدين .

فقلت له : وليس كل من وددته أيضاً فقد أسْدَيْتَ إليه نائلا ولا معروفا ، ولا يتضمن لفظُ الودّ غيرَ المحبة فقط ، وعلى أن قوله « دون الأقرب » توكيد

(١) وقع فى المطبوعات «فيما فرض على النساء» وماأثبتناه عنالخطية هو الصواب .

(٢) من الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

يوجب إخراج الأقارب عن العُرْف، وتخليصَهُ للأبعدين، فما معنى هذا التأويل الذى تأوَّلته ؟

فأقام على أن الودَّ يجمع العُرْف والصِّلة، وهذا غير معروف، ولا موجود فى كلام الناس، وقد قال المقنَّعُ الكِنْدِىُّ (١) :

فإنَّ الذى بَيْنِى وَبَيْنَ بَنِى أَبِى ... وَبَيْنَ بَنِى عَمِّى لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا

إذا جَمَعُوا صَرْمِى مَعًا وَقَطِيعَتِى ... جَمَعْتُ لَهُمْ مِنِّى مَعَ الصِّلَةِ الوُدَّا

فأفصح هذا بأنه يَجْمَع لهم بين الصلة والود، وقال البحترى (٢) :

مَوَدَّةٌ وَعَطَاءٌ مِنْـــكَ نِلْتُهُمَا ... وَرُبَّ مُعْطِى نَوَالٍ غَيْرُ مَوْدُودِ

فقال « مودة وعطاء منك نلتهما » فلو كانت المودة لا تكون إلا ومعها عطاء لم يكن لهذا القول مَعْنًى، وكذلك البيتُ قبله، وقال « رُبَّ مُعْطِى نوال غير مودود » ورب مودود غير معطى نوال، ألا ترى إلى قول الأعشى (٣) :

بَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فى النَّفْسِ حَاجَتَهَا

بَعْدَ ائْتِلَافٍ، وَخَـــيْرُ الوُدِّ مَا نَفَعَا

فأراد أن الودَّ قد يكون ولا نَفْعَ معه، وقال أبو تمام (٤) :

قَرَانِى اللُّهَى والوُدَّ حَتَّى كَأَنَّمَا ... أَفَادَ الغِنَى مِنْ نَائِلِى وَفَوَائِدِى

وعارَضَ آخر بمثل هذه المعارضة سَوَاء، فأجبته بمثل هذا الجواب، وقلت له :

---

(١) روى فى الصناعتين (١٢٢) عجز البيت الثانى من هذين البيتين، وهو محل الاستشهاد منهما على المعنى الذى يريد . ووقع هناك « جعلت لهم »

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الوهاب (الديوان ١ / ١٧٤)

(٣) رواه فى الصناعتين (١٢٢) وفى الموشح ٥٢ .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١١٨) وقرانى : أضافنى، من قرى الضيف يقريه قريا، واللهى : العطايا، وأفاد بمعنى استفاد، يريد أنه لعظيم مالقيه به من البشر والحفاوة وغيرهما من دلائل المودة كان كمن أفاد منه الغنى وفى الخطية « وقال البحترى » وليس بشىء .

إن كان الأمر على ما تزعم وتركناك على شَهْوَتك فى أن الود يجمع المحبة والصلة فقد ناقَضَ إذاً هذا الشاعر نَفْسَه فى البيت ، فإنه إن كان أراد بقوله « الود للقربى » المحبةَ والمعروف جميعا فقد قال فى عجز البيت « ولكن عُرْفُه فى الأبعد الأوطان دون الأقرب » فأخرج الأقرب [من العرف] بقوله « دون » فلو كنت تركته على ما يقتضيه ظاهر لفظه من حرمان الأقرب كان ذلك أقلّ قبحا من المناقضة .

فقال : إنما أراد بقوله « ولكن عرفه فى الأبعدِ الأوطانِ دون الأقرب » إفرَاد العُرْف للأبعد ، وألاَّ يجمعه له مع الود كما جمعهما للأقرب .

فقلت : قوله « دون » يُفسِد عليك هذا التأويل ، وما أراك إلا قد أوضحت فيه الإحالة والمناقضة وبينتهما ؛ لأنك فى هذا كقائل قال : الود والمال جميعا لزيد ، والمال لعمرو مفرداً دون زيد ، فكيف يجمع المال مع الود لزيد أولا ويُفرد عمراً به دون زيد آخراً ؟ وهذا أقبح ما يكون من المناقضة . وإنما كان يصح هذا الكلام أن لو قال : الود والمال لزيد ، والمال لعمرو دون الود ؛ فيكون قد أخرج عمراً من الود إخراجا مؤكداً بقوله « دون الود » ، فأما الكلام الأول فمتناقض ، كما عرّفتك .

وكذلك بيتُ أبى تمام ، كان يُتأول على هذا أنْ لو قال «دون الود» لا دون الأقرب ، وما ظننت أنَّ أحداً يدّعى مثل هذه الدعوى ، ولا أن له حاجة تدعو إلى مثل هذا الاحتجاج .

ويجب أن يقال لهذا المعارض : هل يجوز عندك أن تكون مودة لا معروف معها ؛ إذ ليس كل من وددته فقد أنلته معروفاً ؟ فإن قال « لا » كابَرَ وسقط كلامه ، وإن قال « نعم » قيل : قد أخرجت لفظةَ الود عن أن تَدُلّ بمجردها على المعروف إلا بشىء يقترن بها .

وقال آخر(١) : إنما أخرج أقار به من المعروف لأنهم فى غِنًى وسعة [بغناهُ وسَعَة] حالِهِ ؛ فلذلك أفردهم بالود .

قلت له : فإن كانوا أغنياء بغناه فقد أوسعهم من معروفه ، فما كان ينبغى للشاعر أن يشرط للأباعد دونهم .

وقلت له : وكيف يُعلم أنهم أغنياء ، وليس فى ظاهر البيت دليل عليه ؟ قال : كذا نوَى وأراد ، قلت :وليس العملُ على نية المتكلم ، و إنما العمل على توجيه معانى ألفاظه ، ولو حَمَلْتَ قول كلِّ قائل وفعلَ كل فاعلٍ على نيته لما نُسِبَ أحد إلى [غلطٍ ولا] خطإ فى قول ولا فعل ، ولكان من سَدَّدَ سهماً وهو يريد غرضاً فأصاب به عينَ رجلٍ فذهبت ، غَيْرَ مخطىء ؛ لأنه ما اعتمد إلا الغرض ، ولا نوى غير القرطاس .

وقال آخر : أرادَ بقوله « ولكن عرفه فى الأبعد الأوطان دون الأقرب » أى : بَعْدَ الأقرب ، كما تقول : جاءنى الأمير فمن دونه ، أى : فمن بَعْدَهُ .

قلت : فإنما معنى « فمن دونه » أى : فمن هو أَدْوَنُ منه فى الرتبة ، بعده كان مجيئه أو قَبْلَه .

وقال آخر : إنما أراد أبو تمام بقوله « دون الأقرب » أى : فَضْلاً عن الأقرب أو : فكيف الأقرب ؛ لأن هذا مذهَبٌ للناس : أن يضعوا « دون » فى هذا الموضع فيقولوا : أنا أرْضَى بالقليل دون الكثير ، أى : فضلا عن الكثير ، وأنا أَقْنَعُ بقُرْصٍ من شعير دون ما سواه ، أى فَضْلاً عَمَّا سواه ، وهذا مذهبٌ صحيح معروف .

قلت له : هذا توهُّم منك فاسد ، وتأوُّلٌ لهذا الكلام على غير وجهه المقصود ؛ لأن معنى « دون » عند أهل اللغة التقصيرُ عن الغاية ؛ فمعنى قوله « أنا أرضى

---

(١) هذا هو المعنى الذى رآه الصولى وأشرنا إليه سابقا فى ص ١٥٥ .

بالقليل دون الكثير » أى أرضى بالقليل ، ولا أنتهى إلى الكثير : أى لا أطمح إليه ، وأرضى بقُرْص من شعير ولا أنتهى إلى ما سواه ؛ فهذه حقيقة معنى هذا اللفظ ، وأما ما تأولْتَهُ فإنما هو بمعنى «بَلْهَ» التى تأتى فى الكلام وموضعها دَعْ ، كقول كُثَيِّر :

بَسَطْتَ لِباغِى العُرْفِ كَفًّا بَسِيطَةً
تَنَالُ العِدَى ، بَلْهَ الصَّدِيقَ ، فُضُولُهَا

أى : تنال العدى فَدَعِ الصَّدِيقَ ، أى : لا تَصِلُ إلى العدى إلا بعد أن تصل إلى الصديق ، و « دون » لا تتضمن هذا المعنى ولا تؤدِّيه .

قال : فقد تأتى « دون » بمعنى فوق ، كما تأتى فوق بمعنى دون ، فى قول الله عز وجل : (إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)[(١)] ، ذكر أن معناه فما دونها ؛ لأن « فوق » قد تكون دون عند ما هو فوقها ، و « دون » قد تكون فوق عندما هو تحتها ؛ فيجوز أن يكون أراد الشاعر بقوله « دون الأقرب » أى : فوق الأقرب ، بمعنى زيادة على ما أعطاه الأقربَ ، أو تكون « دون » ههنا بمعنى أمام ؛ لأن بعض أهل اللغة جعلها من الأضداد ، وأنها تأتى بمعنى خَلْف و بمعنى أمام ، مثل وَرَاء ؛ فيكون معنى قوله « دون الأقرب » أى : أمام عُرْفه فى الأقرب ، أى : قَبْلَه .

قلت له : أما ماقيل فى قوله عز وجل (فما فوقها[(١)]) معناه فما دونها فإن أهل العربية على خلاف ذلك ، وليس لهذه اللغة عندهم إلا وجهان :

أحدهما : أن يكون (فما فوقها[(١)]) بمعنى فما هو أكبر منها ؛ لأن البعوضة غايةٌ فى الصغر ، فيكون المعنى أنه عز وجل لا يستحى أن يضرب مَثَلاً ما بين هذا الشىء الذى هو[(٢)] نهاية الصغر إلى ما هو فوقه ، أى : ما زاد عليه وتجاوز[هُ] .

---

(١) صدر الآية ٢٦ من سورة البقرة . (٢) فى الخطية «الذى هو فى غاية الصغر»

والوجه الآخر : [أن يكون (فما فوقها) بمعنى] فما فوقها فى الصغر ، وهذا قول أبى العباس محمد بن يزيد المبرد وأبى إسحاق الزَّجَّاج ، والكسائى مِنْ قبلهما ، وأبى عُبَيْدة ، وما أظن غير هؤلاء [من النحويين] يقول إلا مثل قولهم .

وأما ماذكَرْتَ من أن «دون» تأتى بمعنى خَلْفَ وأمام ، وأنها عند أهل العربية من الأضداد نحو « وراء » فقد أخبرتك أن معناها عند أهل العربية التقصير عن الغاية ، و إذا كان الشىء وراء الشىء أو أمامه أو يَمْنَةَ [منه] أو شَأْمة صَلَح فى ذلك كله أن تقول : هو دونه ، ألا ترى أنك إذا قلت «بُيُوت بنى فلان دون الحَرَّة» ، صَلَحَ أن تكون دونها إلى مَهَبِّ الشَّمَال ، أو إلى مهبٍّ الجنوب ، أو إلى غيرها من الجهات ؛ فلا يعلم المخاطب أىّ الجهات التى تَعْنى ، فليس هذا من الأضداد فى شىء ، و إنما جعلها قوم من الأضداد لمَّا رأوها تُسْتَعمل فى هذهِ الوجوه لما فيها من الإبهام ، وكذلك « وراء » إنما هى من المُوَارَاة والاستتار ؛ فما اسْتَتَر عنك فهو وَرَاء : خَلْفَكَ كان أو قُدَّامك ، هذا إذا لم تَرَه ولم تشاهده ، وأما إذا رأيته فلا يكون أمامك ووراءك ، و إنما قال لبيد :

أَلَيْسَ وَرَائِى إنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِى   لُزُومُ العَصَى تُحْنَى عليها الأصَابِعُ (١)

بمعنى أليس أمامى ؛ لأنه قال ذلك قبل أن يَرَى و يُشاهد نفسه وقد لزم العصا، وقد قال الله عز وجل : (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَاخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً (٢)) قالوا : إنه كان أمامهم ، وصَلَح ذلك لأنهم لم يُعاينوه ولم يشاهدوه .

فقد وضَح لك الآن معنى « دون » وأنها لا تخرج عن بابها الذى وُضعت له ،

---

(١) من قصيدة له يرثى فيها أخاه أربد ، وأولها قوله :

بلينا ، وما تبلى النجوم الطوالع   وتبقى الديار بعدنا والمصانع

والمصانع : جمع مصنع ، وهو شبه الحوض يخزن فيه الماء ، وتراخت : تأخرت ، والمنية : الموت ، وتحنى الأصابع : أراد أنها تستمسك بالعصا ؛ لأنه لا قدرة له على السير بدونها .

(٢) من الآية ٧٩ من سورة الكهف .

ألا ترى أنك تقول : نزلتُ فى القرية دون النخل ؛ فيجوز أن تكون القريةُ أمام النخل ، وخلفه ، وأن يكونَ المعنى أنك أفردت القرية بنزولك ، ولم تُعَرِّج على النخل ، وكذلك « لقيت زيداً دون عمرو » و « أكلت السمك دون اللبن » أخرجتَ عمراً من لقائك ، واللبنَ من أكلك ، وكذلك قول الطائى « دون الأقرب » قد أخرجهم من العُرْف ، وهذا لا شَىْء أوْضَحُ منه .

وقد حمل بعضُهم نفسَه على أن قال : [إنما] أراد الطائى « لكن عُرْفُه فى الأبعد الأوطان دون عرفه فى الأقرب » وهذا من أفحش الخطأ ؛ لأن قوله : « دون الأقرب » مثل قولك : « وُدِّى لزيد دون عمرو » ؛ فليس معناه كمعنى قولك : وُدِّى لزيد دون [ودِّى] لعمرو ؛ لأنك فى الأول قد أخرجت عمراً من الود وأفردت زيداً به ، وفى الثانى جعلت الود لزيد دون الود لعمرو ، أى : أقلَّ منه ؛ فهذا معنًى وذاك معنًى آخر .

وأيضاً فلو اعتمد أبو تمام هذا المعنى لكان قد أخرج « لكن » التى [إنما] تدخل للاستدراك[1] من أن يكون استدْرَكَ بها شيئاً ؛ فلا يكون لها فى البيت معنى البتة .

وقال آخر ممن يلتمس العذر لأبى تمام : إنما هذا على طريق الإيثار[2] كما يؤثر الإنسانُ على نفسِه ، فكذلك يُؤْثِرُ على أقاربه .

قيل له : الإيثار على النفس حَسَنٌ جداً ، وصاحبُه ممدوحٌ ، كما قال الله عز وجل : (وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ[2]) وكما قال أبو خِراشٍ [الهُذَلىّ] :

---

(١) الاستدراك : حاصله نفى مايتوهم ثبوته فما قبله ، أو إثبات مايتوهم نفيه منه .

(٢) من الآية ٩ من سورة الحشر ، والخصاصة : الحاجة والفقر ، ويؤثرون : مضارع آثره إيثارا ، أى فضله على نفسه ، وقدمه ، وجعله أولى بالشىء من نفسه ، وهذا أقوى أنواع الكرم .

أَرُدُّ شُجَاعَ الجُـوعِ قَدْ تَعْلَمِينَهُ　　وَأُوثِرُ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكِ بِالطُّعْمِ (١)

وكما قال عُرْوة بن الوَرْدِ :

أُقَسِّمُ جِسْمِي فِي جُسُـومٍ كَثِيرَةٍ　　وَأَحْسُـو قَرَاحَ المَاءِ وَالمَاءُ بَارِدُ

والإيثار إنما يكون إيثاراً ويَقَعُ الحمد به إذا آثر الإنسانُ غيرَه [على نفسه أو على ولده ، وفي بعض الأحوال] فأما إذا آثَرَ بعضَ الطالبين على بعض بغير سبب يُعلم فهو بذلك مذموم [و]غير ممدوح ، فكيف إذا آثر البعيدَ على القريب ؟

وقد جاء في أشعار العرب من الحثِّ على بر الأقارب ومن حَمْد مَنْ وصَلهم وذمِّ مَنْ حرَمهم ما هو أشهر وأكثر من أن يخفى ؛ قال زهير (٢) :

وَلَيْسَ مَانِعَ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ　　يَوْماً ، وَلاَ مُعْدِماً مِنْ خَابِطٍ وَرَقَا

وقال أبو دُوَاد الإياديّ :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرِّجَالِ لِنَفْعِهِمْ
فَرِشْ وَاصْطَنِـعْ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْمِي (٣)

وقال حاتم الطائي :

لاَ تَعْذِلِينِي عَلَى مالٍ وَصَلْتُ بِهِ　　رَحْماً قَرِيباً ؛ فَخَيْرُ المَالِ ما وَصَلا (٤)

(١) اللسان (ش ج ع) وديوان الهذليين ٢/١٢٨ والصناعتين ٢٨٤ وشجاع البطن : شدة الجوع .

(٢) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها هرم بن سنان ، وأولها قوله :

إن الخليط أجد البين فانفرقا　　وعلق القلب من أسماء ماعلقا

وانظر العقد الثمين (٣٨) وفي الخطية « وليس مانع ذي قربى ولا رحم »

(٣) أورده صاحب الصناعتين للمعنى الذي أنشده المؤلف من أجله (١٢٣)

(٤) هو بيت له من قصيدة أولها قوله :

مهلا نوار أقلي اللوم والعذلا　　ولا تقولي لشيء فات مافعلا

وانظر ديوانه (٣٨ طبع أوربة عام ١٨٧٢) وفيه في عجز هذا البيت « رحما وخير سبيل المال ماوصلا » .

وقال أوس بن حَجَر :

أَلَيْسَ بِوَهَّابٍ مُفِيدٍ وَمُتْلِفٍ وَصُولٍ لِذِى قُرْبَى هَضِيمٍ لِمُهْتَضَمْ ؟

وقال زهير :

وَذِى نَسَبٍ نَاءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتَهُ بِمَالٍ ، وما يَدْرِى بِأَنَّكَ وَاصِلُهْ(١)

وقال كثير :

بَسَطْتَ لِبَاغِى العُرْفِ كَفًّا بَسِيطَةً

تَنَالُ العِدَى ـ بَلْهَ الصَّدِيقَ ـ فُضُولُهَا

هذا المعنى أولى بالصواب من قول الطائى ؛ لأنه أراد أن عُرْفَه ينال العدى فضلا عن الصديق ؛ لأن قوله « بَلْهَ الصديقَ » أى : فَدَعِ الصديقَ لأنه لا يصل إلى العِدَى إلا بعد أن يصل إلى الصديق ؛ وقال كُثَير أيضاً :

لأَهْلِ الوُدِّ وَالقُرْبَى عَلَيْهِ صَنَائِعُ بَثَّهَا بَرٌّ وَصُولُ

وللفُقَرَاءِ عَائِدَةٌ وَرُحْمٌ فَلاَ يُقْصَى الفقيرُ ولا يُعِيلُ

ألا تراه بدأ بأهل وده وقرابته فجعل صنائعه فيهم ، ثم ثَنَّى بالفقراء فجعل لهم عائدة ورُحْمًا : أى رحمة ؟ وقال كثير أيضاً(٢) :

ولَمْ يَبْلُغِ السَّاعُونَ فى المَجْدِ سَعْيَهُ

ولم يُفضِلُوا إفْضَالَهُ فى الأَقَارِبِ

جزَتْكَ الجَوَازِى عَنْ صَدِيقِكَ نَضْرَةً

وَقَرَّبْتَ مِنْ مَأْوَى طَرِيدٍ وَرَاغِبِ

(١) هو بيت من قصيدة يمدح فيها حصن بن حذيفة بن بدر ، وأولها قوله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله

وقد تقدم هذا المطلع فى هذا الكتاب (ص ١٧) وسيأتى مرة أخرى فى الباب الذى يعقده المؤلف للكلام على قبيح استعارات أبى تمام ، وانظر العقد الثمين (٤٦) وفى الحطية « ومايدريه أنك واصله » (٢) ديوان كثير ٢/٢١٥ ط الجزائر

وصــاحبِ قوم مُعْصِم بكَ حقُّهُ   وَجارِ ابن ذى قربى وآخر جانب
رَأَيْتُكَ وَالمَعْرُوفُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ   تَعُمُّ بخـــيْرٍ كلَّ جَادٍ وَغَائِبِ

«جادٍ» يقال : فلانٌ يَجْدُو و يَجْتَدِى[1]، أى : تعم بالمعروف من هو بحضرتك ومن هو غائب عنك ؛ فجعل كُثَيِّر كما ترى معروفه عُموما فى الأقارب وفى الأباعد إلى الحاضر والغائب . وقال ابنُ هَرْمَة :

كم نَائِلٍ وَصِلاَتٍ قَدْ نَفَحْتَ بِهَا   وَنِعْمَةٍ مِنْكَ لاَ تُحْصَى أَيَادِيهَا
عِنْدَ الأَقَارِبِ وَالأَقْصَيْنَ نَفْعُهُمَا   بِيضٌ رَوَائِحُهـــا ، تَحْدُو غَوَادِيهَا

وقال كنانة بن عبد ياليل الثقفى :

صَلاَةٌ وَتَسْبِيحٌ وَ إِعْطَاءُ نَائِلٍ   وَذُو رَحِمٍ تَنَالُهُ مِنْكَ إِصْبَعُ

يريد بقوله إصبع معروف ونائل .

وقال إسماعيل بن يَسَار النسائى[2] :

وإذا أَصَبْتَ مِنَ النَّوَافِلِ رَغْبَةً   فَامْنَحْ عَشِيرَتَكَ الأَدَانِىَ فَضْلَهَا

وقال المسيب بن عَلَسٍ فى منع الأقارب :

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَصِلُ الأَبْعَدِينَ   وَيَشْقَى بِهِ الأَقْرَبُ الأَقْرَبُ[3]

وقال الحارث بن كَلَدة الثقفى يذم فاعل ذلك :

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْشَى الأَباعدَ نَفْعُهُ   وَيَشْقَى بِهِ ـ حَتَّى المَمَاتِ ـ أَقَارِبُهْ[4]
فَإِنْ يَكُ خَيْرٌ ، فَالْبَعِيدُ يَنَالُهُ   وَإِنْ يَكُ شَرٌّ ، فابنُ عَمِّكَ صَاحِبُهْ

---

(١) تقول : جدا علينا فلان ، بمعنى أفضل . وتقول : جدوت فلانا أجدوه ، واجتديته ، واستجديته ؛ بمعنى سألته ، وقال الشاعر:

جَدَوْتُ أُنَاسًا مُوسِرِينَ فَمَا جَدَوْا   أَلا اللهَ أَجْدُوهُ إذا كُنْتُ جَادِيَا

(٢) فى الخطية « إسماعيل بن بشار » ورواه فى الصناعتين ١٢٣ غفلا

(٣) انظره فى الصناعتين (١٢٣) . (٤) روى أولهما فى الصناعتين (١٢٣) أيضا.

فقد تراه كيف ذَمَّ على حرمان القريب .

وقال مُسَافر بن أبى عمرو بن أمية [فى نحو ذلك](١) :

تَمُدُّ إلى الأَقْصَى بِثَدْيِكَ كُلِّهِ وَأَنْتَ عَلَى الأَدْنَى صَرُورٌ مُجَدِّدُ
وَإنكَ لو أَصْلَحْتَ مَنْ أَنْتَ مُفْسِدٌ تَوَدَّدَكَ الأَقْصَى الذى تَتَوَدَّدُ

الصَّرُور : الضيق حَلَمَة الثدى ؛ والمجدّد : الذى انقطع لبنه .

فهذه طريقة القوم فى هذا ، وهذا مذهب سائر الأمم .

وأما قول أبى تمام(٢) :

وَرُبَّمَا عَدَلَتْ كَفُّ الكَرِيمِ عَنِ الْـ
ـقَوْمِ الْحُضُورِ ، وَنَالَتْ مَعْشَراً غُيُبَا

فليس هو من بيتِهِ الأولِ فى شىء ، وقد أدرك فيه الغرض ، كأنه يَعْذِرُ مَنْ فَعَلَ هذا : أى ربما اتفق أن يفعله من غير قصد أيضاً ، وليس هذا بمحمود .

وقد ذهب البحترى إلى نحو ما ذهب إليه أبو تمام فقال(٣) :

بَلْ كانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْ شَيْبِهِ نَسَبًا مَنْ كانَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِمَا

إلا أنه لم يخرجهم من معروفه ، و إن كان أيضا قد دخل تحت الإساءة .

ونحوُ هذا قولُ البحترى أيضا(٤) :

---

(١) رواهما فى الصناعتين (١٢٣) مع أمثال لهما .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى ويعاتبه (الديوان ٢٢) و« نالت » ههنا بمعنى أعطت .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها رافع بن هرثمة (الديوان ٢ / ٢٦٠) الجذم — بكسر الجيم وسكون الذال — الأصل ، وانظره فى الصناعتين (١٢٣) أيضا ، وسيذكره المؤلف مرة أخرى

(٤) من قصيدة له يمدح فيها يوسف بن محمد (الديوان ٢ / ١٣) وفيه فى صدر الأول منهما « غدا قسمة عدلا » وفى عجزه «وفى سرونبهان» وكان فى المطبوعات فى الثانى « وماعجب أن يشهد الطعن » .

غَدَا قَسْمُهُ عَدْلاً : فَفِيكُمْ نَوَالُهُ ، وفى سِرِّ نَبْهَانَ بْنِ عَمرو مَآثِرُه
وَمَا عجَبٌ أنْ تَشْهَدُوا الطَّعْنَ دُونَهُ وما عَشَرَتُكُمْ فى نَدَاهُ عَشائِرُهُ

فأى قسمة عَدْل ههنا : أن يجعل نَدَاه فى غير قومه ، ويقتصر بهم على أن يَحُوزوا الفخر(١) بمآثره ؟ وإن كان قد دَلَّ بقوله « وما عَشَرَتكم فى نَدَاه عشائره » على أنه لم يحرمهم نواله البتة .

والأحسنُ فى هذا قولُه(٢) :

فإنْ تَنفَرِدْ عنّا قُشَيْرٌ بمَجْدِهِ فلم تنفرد عنا بِنَائِلِهِ الجزْلِ

فأعطاهم المجدَ والنائلَ جميعا .

وشبيهٌ بهذا أو قريبٌ منه قولُه(٣) :

عَطَاؤُكَ ذَا القُرْبى جَزِيلٌ ، وفَوْقَهُ عَطَاؤُكَ فى أهْلِ الشَّنَاءَةِ والبُعْدِ

فقال « عطاؤك ذا القربى جزيل » ثم قال « وفوقه عطاؤك فى أهل الشناءة والبعد » فقوله « وفوقه » أى : أجْزَلُ منه ، وقد يكون « فوقه » بمعنى زيادة عليه ، والمعنى الأول بالبيت ألْيَقُ .

والجيدُ فى هذا البعيدُ من العيب قولُه :

ظَلَّ فِيهَا البَعيدُ مِثْلَ القَرِيبِ الـمُجْتَبَى والعَدُوُّ مِثْلَ الصَّدِيقِ(٤)

---

(١) فى المطبوعات « يجزوا الفخر لمآثره » تطبيع ما أثبتناه عن الخطية .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا صالح بن عمار (الديوان ٢ / ١٨٨) وكان فى المطبوعات « فإن ينفرد عنا يسير » وهو تحريف ما أثبتناه عن الخطية والديوان

(٣) هو ثانى سبعة أبيات يقولها فى مديح أحمد بن محمد الطائى (الديوان ١/٢٠٢) وفيه « عطاؤك ذا القربى علو » .

(٤) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل (الديوان ٢ / ١٣٦) وقبل هذا البيت — مما يرتبط به معناه — قوله :

وعطاياك فى الفضول عداد الـرمل من عالج ، فقل فى الحقوق
أخذت بالسماح غصبا ، وقد يؤ خـذ نيل البخيل بالتوفيق
لا أعد المرزوق منها — إذا فكـرت فيها وفيه — بالمرزوق =

[يريد نعمته] ولا أعرف لأبى تمام فيما قالَ عذراً يتوجَّهُ ، ولا وجدت فيما تصفحته من أشعار العرب ما يجانسه إلا قول عامر بن صعصعة بن ثور الفقعسى :

لِمَنْ يَزُورُكَ مِنْ أَشْرَافِنَا لَطَفٌ وَذِى الْقَرَابَةِ إِدْنَاءٌ وَتَقْرِيبُ

وأظن أبا تمام عَثَرَ به واستغرب به فأخذ المعنى وزاد عليه زيادةً أخرجته إلى ذمِّ الممدوح ؛ لأن هذا الشاعر قال « لمن يزُورُكَ من أشرافنا لَطَفٌ » أى : بر ، « ولذى القرَابةِ إدناء وتقريب » ولم يقل إدناء وتقريب دون البر ، كما قال أبو تمام ؛ لأن البر واللَّطَفَ إذا كانا للغريب الزائر ، وكان الإدناء والتقريب فى تلك الحال لذى القرابة ـ فقد يجوز أن يمنحه البرَّ واللَّطَفَ فى حالٍ أخرى ووقتٍ آخَرَ ، ولا يوصِلُ البرَّ إليه فى وقتِ إيصالِه إلى الغريب ، وهذا إن كان يقع فى الأكثر فلا عيب على هذا الشاعر فيما قاله .

ولله در أبى عُبادة الوليد بن عبيدٍ البحترى إذ يقول[1] [فى هذا المعنى] :

مَا إِنْ يَزَالُ النَّــدَى يُدْنِى إِلَيْهِ يَداً
مُمْتَاحَةً مِنْ بَعِيـــدِ الدَّارِ وَالرَّحِمِ

= ظل فيها البعيد مثل القريب المــجتبى ، والعدو مثل الصديق
كحيا للغمام جاد فروى كل واد من البلاد ونيق

والنيق ـ بكسر النون أوله ـ أرفع موضع فى الجبل ؛ يريد عم بريه الجبال والوديان وانظره فى الصناعتين (١٢٣) أيضا :

(١) من قصيدة يمدح فيها عبيد الله بن يحي بن خاقان (الديوان ٢ / ٢٦٥) وفى المطبوعات « فإن ذاك الندى » وانظر الصناعتين (١٢٣) أيضا ، وقبل هذا البيت ـ مما يتصل به معناه ـ قوله :

الله جار بنى خاقان إنهم الـــأثرون من كرم الأخلاق والشيم
بيت تقدم فيه المجد ، واجتمعت له عظام المساعى والعلى القدم
النازحون عن الفحشاء يبعدهم عن لؤمها شرف الأخلاق والكرم
ماانفك مجد عبيد الله يكسبهم محبة فى صدور العرب والعجم

وقوله[١] :

وَمَا أَضَعْتَ الْحَقَّ فِى أَجْنَبٍ فَكَيْفَ تَنْسَى وَاجِباً فِى شَقِيقْ ؟

***

٨ — ومن خطائه قولُه[٢] :

يَدِى لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ لَمْ يَذُقْ جُرَعاً

مِنْ رَاحَتَيْكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ

لفظ هذا البيت مَبْنِىٌّ على فساد ؛ لكثرة مافيه من الحذف ؛ فكأنه أراد بقوله « يَدِى لمن شاء رهن » أى : أصافحهُ وأبايعه مُعَاقَدَةً أو مراهنة إن كان مَنْ لم يذق جُرَعاً من راحتيك دَرَى ما الصَّابُ والعَسَلُ ، ومثلُ هذا لا يَسُوغُ ؛ لأنه حذف «إن» التى تدخل للشرط ، ولا يجوز حذفها ؛ لأنها إذا حُذفت سقط معنى الشرط ، وحَذَف «مَنْ» وهى الاسم الذى صِلَتُهُ « لم يذق » فاختلَّ البيت ، وأشكل معناه .

والحذفُ لعمرى كثيرٌ فى كلام العرب ، إذا كان المحذوف مما تدلُّ عليه جملةُ الكلام ، قال الله عزّ وجلّ : (أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى)[٣] ، أراد عزّ وجلّ أو لم يتفكروا فيعلموا [أنه ما خلق ذلك إلا بالحق ، أو لم يتفكروا فيقولوا] ، وأشباهُ هذا كثيرٌ .

ومن باب الحذف والاختصار قولُه تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)[٤] .

---

(١) من قصيدة يمدح فيها المعتمد على الله (الديوان ٢ / ١٢٦) وفيه «فكيف تنسى واجبا فى الشقيق »

(٢) هو بيت من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٢٨) وانظر الاعتراض عليه فى الوساطة ٨٠

(٣) من الآية ٨ من سورة الروم (٤) من الآية ١٠٦ من سورة آل عمران .

قال أبو عبيدة : العربُ تختصر الـكلام لعلم المخاطب بمـا أريد ، كأنه أراد فيقال لهم : أكفرتم بعد إيمانـكم ، وقوله عزّ وجلّ : (إذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ)(١) يفسر ضعفَ عذابِ الحياة وضعفَ عذابِ المماتِ ، وفى الشعر مثل هذا موجود ، قال الشاعر(٢) :

لَوْ قُلْتَ مَا فِى قَوْمِهَا لَمْ تَأْثَمِ   يَفْضُلُهَا فِى حَسَبٍ وَمِيسَمِ

يريد أحَدٌ يفضلها ، فحذف « أحد » ؛ لأن الـكلام يدلّ عليه ، ذكَرَ ذلك سيبويه . وأنشدَ فى باب الحذف(٣) :

وَمَا الدَّهْـــرُ إلاَّ تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا
أَمُوتُ ، وَأُخْرَى أَبْتَغِى الْعَيْشَ أَكْدَحُ

يريد فمنهما تارة أموت .

---

(١) من الآية ٧٥ من سورة الإسراء .

(٢) هو بيت من الرجز لحكيم بن معية الربعى ، أحد الرجاز الإسلاميين ، وبعد البيت قوله :

عفيفة الجيب حرام المحرم   من آل قيس فى النصاب الأكرم

والنحاة يستشهدون بالبيت الذى أنشده المؤلف على جواز حذف الموصوف ؛ إذا كان بعض اسم مجرور بفى ، وكان النعت جملة ، ألا ترى أن « أحدا » — الذى هو الموصوف المحذوف — بعض اسم وهو « قومها » مجرور بفى ؟ ثم الا ترى أن الوصف جملة وهى قوله « يفضلها » ؟ ومثل هذه الشواهد فى الحذف إلا أن المحذوف هو النعت — قول العباس بن مرداس السلمى :

وقد كنت فى الحرب ذا تدرإ   فلم أعط شيئا ولم أمنـــع

أراد فلم أعط شيئا كثيرا ولم أمنع بتة ، وإلا يكن هذا هو المراد تناقض الـكلام

(٣) البيت لا بن مقبل (اللسان : ك د ح — ت و ر) وهو مما يستشهد به النحاة على حذف المنعوت وبقاء النعت ، أراد الشاعر فمنهما تارة أموتها : أى أموت فيها، وتارة أخرى أسعى فيها فى طلب العيش وأدأب ، ومثله قول الآخر :

فتاتان أما منهما فشبيهة   هلالا ، وأخرى منهما تشبه الشمسا

يريد فأما واحدة منهما فشبيهة — إلخ ، أو نحو ذلك .

فإن تأوّل متأوّلٌ هذا البيتَ على ألفاظٍ أُخرَ محذوفة غير اللفظ الذى ذكرتُهُ فالاختلال بعدُ قائم ؛ لكثرةِ ما حُذِف منه ، وسقوطِ الدليل عليه .

* * *

٩ — ومن خطائه قولُه(١) :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدِى وَمحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ

جعل الوشائعَ حواشىَ البردِ أو شيئاً منها ، وليس الأمر كذلك ، إنما الوشائع غَزْلٌ من اللُّحْمَة ملفوفٌ يجرُّه الناسجُ بين طاقات السَّدَى عند النِّساجة(٢) قال ذو الرمة :

بِهِ مَلْعَبٌ مِنْ مُعْصِفَاتٍ نَسَجْنَهُ كَنَسْجِ الْيَمَانِى بُرْدَهُ بِالْوَشَائِعِ

فأما قول كُثَيِّر :

دِيَارٌ عَفَتْ مِنْ عَـزَّةَ الصَّيْفَ بَعْدَمَا

تُجِـدُّ عَلَيْهِنَّ الْوَشِـــيعَ الْمُنَمْنَمَا

فإنما أراد بالوشيع هنا ما سُـدَّ به الخصاصة بين الشيئين ، وهو من وشائع الغزل مأخوذ ، والمنمنم : مأخوذ من(٣) النَّمَّام ، أى بعد ما كانت هذه الديار تُجَدُّ بالوشيع ، أى : يخصص به خيامُهَا .

ومثل أبى تمـام لا يسوغ [له] الغلط فى مثل هـذا ؛ لأنه حَضَرِى ،

(١) هو مطلع قصيدة له يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقى ، ويعتذر إليه (الديوان ١٢٧) وأقوت : أقفرت وخلت من سكانها ، والمغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل يغنى فيه أهله وساكنوه : أى يقيمون ، تقول : غنى فلان بالمكان يغنى ، إذا أقام ، ومحت : بليت ، والبرد — بالضم — الثوب .

(٢) السدى — بفتح السين ، بزنة الفتى — ما كان من خيوط النسيج طولا ، واللحمة — بضم اللام — ماكان منها بين طاقات السدى ، والنساجة — بكسر النون — حرفة النساج .

(٣) النمام — بفتح النون وتشديد الميم — نبت طيب الريح

وإنما يُسَامَح فى ذلك البَدَوِىُّ الذى يريد الشىء ولم يُعايِنه فيذكر غيره؛ لقلة خُبْره بالأشياء التى تكون بالأمْصَار .

وأما أبو تمام فليست هذه حالَه ، بل ما جَهِل هذا ، ولكنه سامح نفسه فيه ، ألا ترى إلى قوله فى موضع آخر يصف قصيدةً :

الجِدُّ وَالْهَــزْلُ فِى تَوْشِيعِ لُحْمَتِهَا
وَالنُّبْلُ وَالسُّخْفُ وَالأَشْجَانُ وَالطَّرَبُ(١)

فقال « فى توشيع لحمتها » .

* * *

١٠ — ومن خطائه قولُه(٢) :

لَوْ كانَ فِى عَاجِلٍ مِنْ آجِلٍ بَدَلٌ لَـكَانَ فِى وَعْدِهِ مِنْ رِفْدِهِ بَدَلُ

ولِمَ لا يكون فى عاجل من آجِلٍ بَدَلٌ ؟ والناسُ كلهم على اختيار العاجل وإيثاره وتقديمه على الآجل ، ألا ترى قولَ القائل الذى قد صار مثلا :

* وَالنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ(٣) *

والعاجل أبداً هو المطلوبُ [و] المرغوب فيه ، حتى إن قليلَه يُؤثَر على كثير الآجل ، كما قال الآخر :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبى مروان الزيات (الديوان ٥١) والتوشيع : ههنا لف اللحمة بعد ندفها ، والنبل : الذكاء ، والسخف : النزاقة والخفة والطيش ، والأشجان : الأحزان ، واحدها شجن ، بفتح الشين والجيم جميعا .

(٢) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٢٢٧) والآجل كالمؤجل : المتأخر ، والرفد ــ بكسر فسكون ــ العطاء .

(٣) هذا عجز بيت لجرير بن عطية ، وصدره قوله :

* إنى لأرجو منك خيرا عاجلا *

وانظر شرح الشريشى ١/٦٤ ، وفى معناه :

ولا شك أن الخير منك سجية ولكن خير الخير عندى المعجل

أَعَاذِلَ ، عَاجِلُ مَا أَشْتَهِي أَحَبُّ مِنَ الأَكْثَرِ الرَّائِثِ (١)

كأنه يريد عاجلُ ما أشتهى مع القلة أحبُّ إلىَّ من الأكثر المُبْطىء ؛ فمن شأن العاجل أبدا أن يكون أفضلَ الأعواض والأبدال من كل آجل إذا كان فى الخير ، فعاجل الخير خير من آجله ، كما أن عاجلَ الشر شر من آجله ؛ لأن العاجل شىء قد وقع : إن كان خيراً فقد حصل نفعه ، أو شراً فقد تعجَّل ضَرَرُه ، وآجـل الخير يُخْشى فَوْتُه ، وربما وقع الإخفاق منه ، كما أن آجل الشر يُرجى زواله ، وربما لم يقع ، فكيف لا يكون العاجـلُ بدلاً أو خَلَفاً من الآجل ؟

فإن قال قائل : إن الذى أراده أبو تمام وقاله صحيح ، ومذهبه فيه مستقيم ؛ لأن العاجل لا يكون أبداً بدلا ولا خَلَفاً من الآجل ؛ لأن البَدَل لا يكون قبل المبدلِ منه ، ولا الخلف يتقدم على ما هو خلف له ؛ لأنه إنما قيل له خلف لإتيانه خَلْفَ الذى هو قُدَّامه ؛ فأبو تمام إنما أنكر أن يكون العاجلُ بدلاً أو خلفاً من الآجل على هذه السبيل .

قيل : هذا غلط من التأويل أو مغالطة ؛ لأنه ليس على هذا الوجه مَنَع أبو تمام من أن يكون العاجلُ بدلا من الآجل ؛ فيحتج بأن هذا أولى بالتقديم وهذا أولى بالتأخير من طريق الترتيب ، وإنما أراد أنه لا يقوم مقامه فى الحاجة إليه ، فكيف يكون الأول يقوم مقام الثانى والمتقدم مقام المتأخر ؟ وكان وَجْه الكلام الذى يصح به المعنى ويستقيم أن يقول : لو كان فى عاجِلِ قولٍ بدلٌ من آجلِ فعلٍ لكان فى وعده من رِفْدِه بَدَل .

(١) الرائث : اسم الفاعل من راث الأمر يريث ريثا ـ كباع يبيع بيعا ـ إذا أبطأ ، وفى مثل من أمثالهم : رب عجلة تهب ريثا . وفى حديث الاستسقاء « عجلا غير رائث » أى غير بطىء ، ونسب فى نقد الشعر (١٢٨) هذا البيت إلى عبد الله ابن عبد الله بن مسعود ، وهى نسبة صحيحة ، وانظره مع أبيات تليه فى مهذب الأغانى ٦ / ١٠١ وفيه « أحب من الآجل الرائث »

فإن قال : فهذا هو الذى أراد أبو تمام .

قيل : ليس الأمر كذلك ؛ لأن طريقة لفظه فى البيت أن يكون معناه لو كان فى شىء عاجل من شىء آجل بدل .

و بعد ؛ فلو أراد ما ظننتَه وذهبتَ إليه ـ وذلك ليس بمعلوم ، ولا فى البيت عليه دليل — لم يُلتَفَت إلى إرادته ؛ لأنك إذا فصلت الإضافة من عاجل قول أو آجل فعلٍ ففرقت بين المضاف والمضاف إليه لم يدلّ أحدهما على الآخر ؛ لأن لفظة « عاجل » لاتدلّ غيرَ مضافةٍ على ما تدلّ عليه لفظة « عاجل قولٍ » كما أن لفظة « آجل » لاتدل على « آجل فعلٍ » ولا يدلان أيضاً على شىء مُضْمَر ، كما أن قولك:«زيد أولُ ناطقٍ وآخِرُ ساكتٍ ، وعمرو أولُ خارج وآخر قادمٍ ، و بكر أولُ آخِذٍ وآخر تارك » إذا أفردت « أول » و « آخر » لم يدلاّ على شىء مما أضيف إليه . ألا ترى أن الأصمعىَّ أنكر على ذى الرُّمة قولَه يصف الوتر :

* كأنهُ فى نِياطِ القَوْسِ حُلقُومُ *

فقال : حُلقُوم ماذا ؟ إذ كان يجب أن يقول : حلقوم طائر ، أو حلقوم قَطَاةٍ ، أو غيرهما مما يُشْبِهُ الوترَ فى الدِّقَّةِ ،و إلا فقد يكونالحلقومحلقوم فيل ، أو حلقوم بعير ، وهذا من الأصمعى إنكارٌ صحيحٌ ، وإن كان لا يلزم ذا الرمة فيه ما يلزم أبا تمام ؛ لأن العرب لا تُشَبه الوتر إلا بحلقوم الطائر .

وذلك قول الراجز(١) :

* لأم ممرّ مِثْلِ حُلقُومِ النُّغَرْ(٢) *

(١) لم أعثر على نسبة هذا الرجز .

(٢) يقال « سهم لأم » إذا كان عليه ريش ، ويقال « شىء لأم » أى ملتئم مجتمع و « ممر » اسم المفعول من « أمر فلان الحبل » إذا فتله فتلا شديداً ، و « النغر » بضم فتح — طائر شبه العصفور والبلبل

أخذه أبو نُواسٍ فقال[١] :

* لأم كحلقوم النُّغَرْ[٢] *

وقال الراجز :

* لأم كَحُلقُوم الْقَطَاةِ تَغْتَرِفْ *

وأبو تمام [إنما] أراد أن هذا الممدوح يقيم وَعْدَه لصحته مُقام عَطِيَّتِه ، وأحَبَّ الإغراق على رَسْمه فأخطأ فى تمثيل مامثل بذكر العاجل والآجل ؛ لأنه أطلق القولَ عموماً لا يدل على الخصوص .

والجيدُ النادرُ فى هذا قولُ البحترى[٣] :

لَوْ قَلِيلٌ كَفَى امْرَأً مِنْ كَثِيرٍ لاكْتَفَيْنَا بِقَوْلِهِ مِنْ فِعَالِهْ

وأحْسَنَ الراعى فى قوله :

ضَافِى الْعَطِيَّةِ : رَاجِيه وَسَائِلُهُ سِيَّانِ ، أفْلَحَ مَنْ يُعْطِى وَمَنْ يَعِدُ

* * *

١١ — ومن خطائه قوله[٤] :

(١) فى المطبوعات كلها « أخذه أبو تمام » وليس بصحيح ، ولا يوجد فى شعر أبى تمام ، وتصويبه عن مخطوطة دار الكتب .

(٢) هذا بيت من الرجز من قصيدة لأبى نواس يقولها فى الفضل بن الربيع ، وأولها :

وبلدة فيها زورٌ صعراء تخطى فى صعر

مرت إذا الذئب اقتفر بها من القوم الأثر

وسقط هذا البيت من المطبوعات ، كما سقط قوله بعده «وقال الراجز » حتى ظن أن بيت الراجز لأبى تمام أو لأبى نواس .

(٣) هو بيت من قصيدة يمدح فيها بعض بنى حميد (الديوان ٢ / ٢٠١)

(٤) من قصيدة يمدح فيها أبا المستهل محمد بن شقيق الطائى (الديوان ٢٤٤) وقبله — وهو مطلع القصيدة — قوله :

تحمل عنه الصبر يوم تحملوا وعادت صباه فى الصبا وهى شمأل

وانظر الاعتراض على هذا البيت أيضا فى الصناعتين (١٢٧)

بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فِى عَرْضِ مِثْلِهِ   وَوَجْدِىَ مِنْ هٰذا وَهٰذاكَ أَطْوَلُ

فجعلَ للدهر — وهو الزمان — عَرْضاً ، وذلك مَحْض المحال ، وعلى أنه ما كانت به إليه حاجة ؛ لأنه قد استوفى المعنى بقوله : « كطول الدهر » فأتى على العرض فى المبالغة .

فإن قيل : فلم لا يكون سَعَةً ومجازا ؟

قيل : هذهِ ألفاظ صنعتها صنعة الحقيقة ، وهى بعيدة من المجاز ؛ لأن المجاز فى هذا له صورة معروفة ، وألفاظ مألوفة معتادة ، لا يُتَجاوز فى النطق بها إلى ماسواها ، وهى قول الناس : عِشْنا فى خَفض ودَعَة زماناً طويلا عريضاً ، وما زلنا فى رخاء ونَعْمَةٍ الدهْرَ الطويلَ العريض . وإنما أرادوا [إتمامَه وكمالَه واتِّساعَه لهم بما أحَبُّوهُ ؛ لأنهم إذا وصَفُوا بالطول والعَرْضِ ماله طول وعرضٌ على الحقيقة فإنما يريدون] تمامه وكماله وسَعَته ، نحو قولهم : ثوبٌ طويل عريض ، أى : تامٌ واسع ، وأرض طويلة عريضة ، أى : تامة فى الطول والسَّعة ، وكذلك إذا وصفوا ما ليس له طول ولا عرض على الحقيقة فإنما يريدون التمام والكمال ، ألا ترى إلى قول الراعى(١) :

أَنْتَ ٱبْنَ فَرْعَىْ قُرَيْشٍ لَوْ تُقَاسِمُها
فِى الْمَجْدِ صَارَ إِلَيْكَ الْعَرْضُ وَالطُّول

فاستعار للمجد ههنا الطول والعَرْض ؛ لأنه أراد صار إليك المجد بتمامه وكماله ، وكذلك قول كثير :

بِطَاحِىٌّ لَهُ نَسَبٌ مُصَفًّى   وأَخْلَاقٌ لَهَا عَرْضٌ وطُولُ(٢)

أى : لها سَعَة وتمام وكمال فى الفضائل والمحاسن ، وكذلك قوله :

(١) أنشده فى الصناعتين (١٢٧) منسوبا إلى كثير ، وفيه « لو تقايسها » وأظنه أليق مما هنا ، وكان فى المطبوعات « أنت ابن قدعى قريش » تطبيع .

(٢) أنشده فى الصناعتين أيضا (١٢٧)

إذا ٱبْتَدَرَ النَّاسُ الْمَكَارِمَ بَزَّهُمْ
عَرَاضَةُ أَخْلَاقِ ٱبْنِ لَيْلَى وطُولُها(١)

أى بَزَّهم منه أخلاقُه وتمامُها وكمالُها فى الفضل ؛ لأن الأخلاق تُمدَحُ بالسَّعة وتُذَمُّ بالضيق ، إلا أن أكثر ما يأتى فى كلامهم العَرْضُ المراد به السَّعة إذا جاء مفرداً عن الطول ، نحو قولهم : فلان فى نِعْمَةٍ عريضة ، وله جاهٌ عريض ، وكما قال الله عز وجل : (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ(٢)) أى : سَعَتها ، وكما قال الله عز وجل فى موضع آخر : (وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ(٣)) ، وكما قال تميم بن أُبىّ بن مُقْبل :

يَقْطَعْنَ عَرْضَ الأَرْضِ غَيْرَ لَوَاغِبٍ
وكَأَنَّ بَحْرَيْهَا لَهُنَّ صَحَارِ(٤)

أى : يقطعْنَ سَعَة الأرض ، وكما قال الآخر :

سَأَجْعَلُ عَرْضَ الأَرْضِ بَيْنِى وبَيْنَهُمْ
وأَجْعَلُ بَيْتِى فى غَنِىٍّ وأَعْصُرِ

وكما قال العجاج :

إذا تَغَشَّوْا بعدَ أرضٍ أرضاً حَسِبْتَهُمْ زادوا عليها عَرْضاً

أى : سعة وكثرة ، وكما قال تميم [بن أُبَىِّ بن مُقْبِل] أيضاً :

---

(١) نسب ابن منظور فى اللسان (ع ر ض) هذا البيت إلى جرير ، والعراضة ــ بالفتح ــ مصدر من مصادر عرض

(٢) من الآية ١٣٣ من سورة آل عمران (٣) من الآية ٥١ من سورة فصلت

(٤) لواغب : جمع لاغبة ، وهى اسم الفاعل المؤنث من لغب ــ على مثال منع وسمع وكرم ــ إذا أعيا أشد الإعياء ، والبحران : مثنى البحر ، والمراد به ههنا الريف ، وهى الأرض فيها زرع وخصب ، يريد كأن الأرض المزروعة صحراء خالية ؛ فهن يسرعن الجرى فيها لايعوقهن شىء .

حَتَّى إذا الرِّيحُ خَبَّتْ بِالسَّفَا خَبَباً عَرْضَ الْبِلَادِ أَشَتَّ الأَمْرُ وَاختَلَفَا(١)

أى : سعة البلاد ؛ فهذا إذا جري على هذا اللفظ المستعمل حَسُن ولم يقبح ، و إذا عدلْتَ به عن هذه الطريقة وهذه الألفاظ المألوفة إلى مايشبه الحقائق أو يقاربها كنت مخطئاً ؛ لأنك إذا قلت : « مضى لنا فى الخفضِ والدَّعَة دَهْرٌ طويل كأن طوله كعرضه » لم يَجُزْ ذلك ؛ لأن [هذا على] هذا الترتيب كأنه وصفٌ لأشياء مجسَّمة ، كما قال الطائى :

* بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فى عَرْضِ مِثْلِهِ *

فكانَ بهذا اللفظِ كأنه يَذْرَعُ ثوباً أو يمسح أرضاً أو يصف بالاجتماع والتَّدْوير رجلا ، كما قال تميم بن أُبَىّ بن مُقْبِل :

وكُلُّ يَمَانٍ طُولُهُ مِثْلُ عَرْضِهِ فَلَيْسَ لهُ أَصْلٌ ولا طَرَفَانِ

فإن قيل : فإذا جعلت للزمان العرض الذى هو سعة على المجاز فَلِمَ لا تجعل له العرض الذى هو خلاف الطول على المجاز ؟

قيل له : العرض الذى هو خلاف الطول حقيقة ، والزمان لا عرض له على الحقيقة ، فكيف تكون الحقيقة مجازا ؟

فإن قيل: فإن الزمان لايُوصَفُ بالسعة ، كما لا يوصف بالعرض ، فَلِمَ أُستعرت له العرض الذى هو السعة ؟

قيل : العرض ــ و إن جاء وَصْفاً وحِلْيَة للزمان فى قولهم : عاش فلان فى نعمة زمناً طويلا عريضاً ــ فإنما صلح لأنك وَصَلته بالطول ، وقَرَنْته به ، فكأن المعنى عاش فى زمن تمَّ له وكمل واتَّسَعَ ، كما أخبرتك ، والزمان قد يوصف بالسعة فيقال : قد اتَّسع لك الوقت والزمان فى فِعْلِ كذا ، ولا يقال عَرُضَ لك [فى الوقت سَعَة]، والعرض ههنا هو السعة ، ولكن أجرى هذا على حسب ما استعملوه ، و إنما [يُرَاد] فى الوقت فُسْحة لك وامتداد يراد به معنى الطول ، وقال ضِرَارُ بن الخطاب :

(١) فى الحطية « حتت بالسفا جنبا »

[وَلَوْلاَ هَاجِرٌ وَبَنُو قِتَالٍ] وَمَا لاَقَيْتُ فى الزَّمَنِ العَرِيضِ

فذكر العرض مفرداً عن الطول : أى الزمن الذى اتَّسَعَ لك ، وقد يجوز ـ إن قلت : عاش فى الخير دهراً عَرِيضاً ـ أن تُرِيدَ بالعرض سعة الخير فيه ، لا سعته فى نفسه ، كما قالوا « ليل نائم » أى : يُنَام فيه ، « ولَمْحٌ باصر » أى : يُبْصَرُ بِهِ .

وإنما تُسْتعار اللفظة لغير ما هى له إذا احْتَمَلَت معنًى يصلح لذلك الشىء الذى استعيرت له ويليق به ؛ لأن الكلام إنما هو مبنىٌّ على الفائدة فى حقيقته ومجازه ، وإذا لم تتعلق اللفظة [المُسْتَعَارَةُ بفائدة فى النطق فلا وَجْهَ لاستعارتها ، ولو كان الزمان يوصف] بالعرض على الحقيقة — وهذا محال — لما كان فى بيت أبى تمام معنى ؛ لأنه إنما أراد أن يبالغ فى طول وَجْدِهِ ؛ إذ كان[1] الوَجْد يوصف بالطول ، كما يوصف به الشوق والغرام ونحوها ؛ فيقال : طال وَجْدِى ، وطال شوقى ، وطال غرامى .

وكذلك الزمان إنما يوصف بالطول ؛ فيقال : طال ليلى ، وطال نهارى ، فما كانت حاجة إلى العرض ؛ وإنما فضل وَجْدُه على الدهر وعلى اليوم الذى جعله كالدهر من جهة الطول لا من جهة العرض ، ألا تراه قال :

* وَوَجْدِىَ مِنْ هٰذَا وهٰذاكَ أَطْوَلُ *

وقد ذكر أبو تمام العرض فى بيت آخر فقال[2] :

إنَّ الثَّنَاءَ يَسِيرُ عَرْضاً فى الوَرَى وَمَحَلُّهُ فى الطُّولِ فَوْقَ الأَنْجُمِ

وكيف يُعْقَلُ سَيْرُ الثناء[3] عَرْضاً فى الورى وهو لم يحدِّد موضعاً بعينه فيحسن فيه

(١) فى المطبوعات « إذ كل الوجد » ولابد أن تكون كلمة « كل » مقحمة

(٢) هو بيت من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٣١٤) وكان فى المطبوعات « إن الثناء يصير » وما أثبتناه عن الديوان والخطية ، ويؤيده قول المؤلف بعد « كيف جعل سير الثناء » .

(٣) فى المطبوعات « كيف يعقل سير »

ذكر الطول أو العرض ، فيكون كما قال الراعى :

وجرى عَلَى حَرْبِ الصُّوَى فَطَرَدْتُهُ
طَرْدَ الوَسِيقَةِ فى السَّمَاوَةِ طُولاَ[1]

فحسن أن يقول « طولا » لأنه ذكر السماوة ، كما قال النابغة ، ويقال : إنه محمول عليه :

جُنِبْنَ مَعَ الغُطَاطِ يُقَدْنَ حَتَّى قَطَعْنَ الحَزْنَ عَرْضاً والرِّمالا[2]

فصلح لأنه ذكر أنهن قطعن أرضَ الحزن والرمال ؛ ومثلُ قولِ أبى تمام قولُ المرّار :

فَلَوْ كانَتْ تَجُوبُ الأَرْضَ عَرْضاً ولكن جَوْبُهُنَّ الأَرْضَ طُولاَ

وله ، ولبيت أبى تمام معنى غامض يَصِحَّانِ به ، وأنا أذكره مع شرح المعانى الغامضة من شعر أبى تمام .

ومما يشبه قول أبى تمام :

* بيوم كطول الدهر فى عَرْض مثله *

أو يقارب به قولُ الكميتِ يصف عِدَّةَ قوم بالكثرة :

كاللَّيْلِ ، لا ، بَلْ يَضْعُفُو نَ عَلَيْهِ مِنْ بَادٍ وَحَاضِرْ

وكيف يتحصَّل مقدار الليل حتى يتحصل ضِعْفُه ؟ !

وهذا أيضاً يصح على السَّبْر والتفتيش ، إذا حصل معناه ، وذلك أن الليل لا يغشى الأرض كلها بظلمته ، وإنما يغشى بعضها ، فلعل الكميت أراد أنهم يأخذون من الأرض ضعف ما أخذه الليل منها إذا غشيها ، على سبيل المبالغة ، وكما قال الأحمر بن شجاع الكلبى :

(١) الوسيقة : من الإبل كالرفقة من الناس ، فإذا سرقت طردت معا ، والسماوة : موضع بين الكوفة والشام بجوار صحراء تنسب إليه ، وفى الخطية «وجرى على حدب الصوى»

(٢) الغطاط ــ بضم الغين ، وتفتح ــ الصبح ، أو بقية من سواد الليل ، والسحر .

بِجَأْوَاءَ تُعْشِى النَّاظِرِينَ كأنَّهـــا
دُجَى الليلِ ، بل هِى مِنْ دُجَى الليل أكْثَرُ

***

١٢ — وقال أبو تمام :

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوَ انَّ الأرْضَ وَاسِـــعَةٌ
كَوُسْعِهِ ، لم يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ(١)

وهذا أيضاً غلط ؛ من أجل أن كلَّ بلد يضيق بأهله ، وليس ضيقُه من جهة ضيق الأرض ؛ لأن الأرض لو كانت [واسعةً] عشرة أضعافها فى المقدار ، أو ألف ضِعْفٍ مثلها لَمَا كان ذلك بموجب أن يكون الحزْنُ أو الصّمانُ [أو الغول] أو نجد أو المدينة أو مكة أو الكوفة أو البصرة ، فى قدر مساحة كل ناحية منها ، أو أوسع وأزيد مما هى عليه الآن ، إذ لم يختطّ البصرةَ والكوفة من اختطهما ، ولا أسّس مكة والمدينة من أسسهما على قدر سعة الأرض وضيقها ، ولا صار قدرُ الحزْنِ والصمّان هذا القدرَ ، فى ذَرْعِهما ومساحتهما على قدر مساحة الأرض وذرعها بقسطٍ أخذاه منها ، وإنما ذلك على حسب ما أدَّى إليه الاجتهاد والاختيار ممن أسَّس كل بلدة ومَصَّر كل مصر .

وكان ينبغى أن يقول : ورَحْبَ صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك ولَضَاقت عنها السماء ، أو أن يقول : لو أن سَعَةَ كل بلد أو مِصْرٍ كَسَعَةِ صدره لم يضق عن أهله بلد ، وكان حينئذ يكون المعنى لائقاً مستقيما .

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ٩٧) وانظر الاعتراض على هذا البيت فى الصناعتين أيضا (١٢٤) و « رحب » منصوب لأنه معطوف على « نية » المنصوب فى بيت متقدم وهو قوله :

مستصحبا نية قد طال ما ضمنت لك الخطوب فأوفت بالذى تعد

وسيأتى ذكر هذا البيت مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام ٣٠١ ، وانظره فى الوساطة ٦٨

والجيِّدُ الصحيحُ فى هذا المعنى قولُ البحترى :

مَفَازَةُ صَدْرٍ لَوْ تُطَرَّقُ لَمْ تَكُنْ
لِيَسْلُكَهَا فَرْداً سُلَيْكُ المَقَانِبِ (١)

أى : لم يكن ليسلكه إلا بدليلٍ لسَعَتِهِ ، وأيضاً فإن الجزء من الأرض وهو ما يكون فيه الحيوان والنبات ، وإنما مقداره على ما يقوله أهل الهندسة الربع من الأرض أو أقل من الربع ، والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون جزءاً من ألف جزء من ذلك ؛ فما معنى جعله ضِيقَ البلدان الضيقة إنما هو من أجل ضيق الأرض ؟

فإن قيل : [فإنما أراد بقوله « لو أن الأرض » أى لو أن البلدان واسعة .

قيل :] لا يدل قوله « الأرض » وهو لفظُ عمومٍ على البلدان التى هى مخصوصة ، ولا يكون الغلط إلا هكذا : أن يريد القائل لفظة تدل على معنى فيأتى بأخرى ليست فيها على ذلك المعنى دلالة .

* * *

١٣ — ومن خطائه قولُه (٢) :

(١) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان : ١ / ٧٣) وكان فى مطبوعات الكتاب «مفازة صدر لم تطرق ولم يكن ليسلكها بردا» وهو تصحيف صوابه عن الديوان وعن الخطية وعن الصناعتين (١٢٤) وسليك : هو سليك بن السلكة ، شاعر لص فتاك عداء خبير بالأرضين ، والمقانب : جمع مقنب — بزنة منبر — يطلق على جماعة الخيل والفرسان ، ويطلق أيضا على الذئاب ، وأحسبهم أضافوا سليكا إليه على المعنى الثانى ؛ لأنهم يطلقون على الشذاذ والصعاليك لقب « الذؤبان » ، وسيذكر المؤلف هذا البيت مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام فى ص ٣٠٢ ، وقد وقع البيت هناك على الصواب فى كل الأصول التى بين أيدينا

(٢) البيتان من قصيدة له يمدح فيها عمر بن عبد العزيز الطائى (الديوان ١٥٠)

وَكُلَّمَا أَمْسَتِ الأَخْطَارُ بَيْنَهُمُ
هَلْكَى تَبَيَّنَ مَنْ أَمْسَى لهُ خَطَرُ(١)
لَوْ لَمْ تُصَادِفْ شِيَاتُ الْبَهْمِ أَكْثَرَ مَا
فِي الخَيْلِ لَمْ تُحْمَدِ الأَوْضَاحُ والغُرَرُ(٢)

فالأوضاح : هى البياض فى الأطراف ، وقد يكون أيضاً فى البَهْم ، وكذلك أيضًا الغُرَرُ قد توجد فى البَهْم كثيرا ، وهذا فساد فى ترتيب البيت ؛ لأنه ليس إذا وُجدت شِيَاتُ البَهْم — وهى صغار الغنم — أكثر ما فى الخيل ، أو وجدت شِيَاتُ الخيـــلِ أكثرَ ما فى البَهْم كان ذلك موجبا لحمدْ الأوضاح والغرر ، وإنمـا كان يصحُّ نظمُ الـكلام لو لم توجد الأوضاح والغُرَرُ فى البهم ، حتى تـكون مخصوصة بالخيل ؛ فيقول : لو لم تعدم الأوضاح والغرر فى البهم لمـا حُمِدت فى الخيل ، فأما أن توجد شِيات البهم فى الخيل كثيراً ، أو شيات الخيل فى البهم دائمـا ، فليس هذا بموجبِ حَمْدَ الأوضاح والغرر فى الخيل ؛ لأن الأوضاح والغرر موجودة فى الغنم [أيضاً] .

وقال طارقُ(٣) بنُ شِهَابٍ [المازنىُّ يَصِفُ المِعْزَى وتَيْسَ الغنم]

(١) الأخطار هبنا : عظائم الأمور ومهامها ، وهلـكى هبنا : بمعنى عظيمة وسامية يتنافس فيها ويحرص على بلوغها ، يريد أن عظائم الأمور مقياس علو الهمة ، والتطلع إليها فى حرص على بلوغها دليل على عظمة النفس .

(٢) الشيات : جمع شية ـ بكسر الشين فيهما ـ وهو لون يخالف لون سائر الجسد ، والبهم — بفتح فسكون — الصغار من أولاد البقر والضأن والمعز . والأوضاح : جمع وضح ، وهو التحجيل ، والغرر : جمع غرة ، وهى البياض فى جبهة الفرس ، وإنما بنى أبو تمام البيت على أن التحجيل والغرر إنما مدحت فى الخيل لعدم وجود نظائرها فى البهم ، ولم يمدح غيرهما من الشيات فى الخيل لاشتراك البهم والخيل فيها ، وسينكر عليه المؤلف ذلك .

(٣) فى الخطية « وقال مخارق بن شهاب »

وَرَاحَتْ أُصَيْلاَناً كأَنَّ ضُرُوعَهَا
دِلاَءٌ ، وَفِيهَا وَاتِدُ القَرْنِ لَبْلَبُ(١)
لَهُ رَعَثَاتٌ كالشُّنُوفِ ، وَغُرَّةٌ
شَدِيخٌ ، وَلَوْنٌ كالْوَذِيلَةِ مُذْهَبُ(٢)

فذكر أن له غُرَّة . وقال آخر فى وصف عنز [سَوْداء] :

سَوْدَاء إلاَّ وَضَحًا فى الشَّوَى كأنما الجوْزَاء فى الأَكْرُعِ

فذكر بياض أكرعها ، وذلك موضع التحجيل ، بل لو قال : « لو لم تقلّ الأوضاحُ والغُرَرُ فى الْبَهْمِ ، لما حُمِدت فى الخيل » لكان أقربَ إلى الصواب ؛ لأنى أظنها فى البهم أقلّ ، وفى الخيل أكثر ، وليس فى هذا البيت دليل على هذا ولا ذاك .

* * *

١٤ — ومن خطأ المدح قولُه(٣) :

سَأَحْمَدُ نصراً ما حَيِيتُ ، وَإنَّنِي لأَعْلَمُ أَنْ قَدْ جَلَّ نصْرٌ عَنِ الحمدِ

فإنه رفع الممدوح عن الحمد الذى نَدَبَ الله عباده إليه بأن يذكروه به ، وينسبوه إليه ، وافتتح فُرْقَانَهُ فى أولِ سورةٍ بذكره ، وحَثَّ عليه ، وللعَرب فى ذكر الحمد ما هو كثير فى كلامها وأشعارها ، ما فيهم مَنْ رفع أحداً عن أن يحمد ، ولا من استقلّ الحمد للممدوح ، قال زُهَير بن أبى سُلْمى :

(١) واتد القرن : ثابته وقويه ، وذلك عندما يكتمل ، واللبلب ههنا : الحريص على إنائه ، ويقال أيضا : رجل لبلب ، إذا كان بارا بأهله .

(٢) تقول : رعثت العنز — على مثال فرح — إذا ابيض طرف زنمتها ، والشنوف جمع شنف — بفتح الشين — وهو ما يعلق فى أعلى الأذن ، والوذيلة — بزنة السفينة — المرآة ، أو قطعة من الفضة مجلوة .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام (الديوان ١١٦) وانظر الاعتراض على هذا البيت فى الصناعتين (١٢٤) أيضا .

مُتَصَرِّفٍ لِلْحَمْـدِ ، مُعْتَرِفٍ لِلرُّزْءِ ، نَهَّاضٍ إِلَى الذِّكْرِ (١)

[فقوله «متصرف للحمد»] أى حيث ما رأى خلة تكسبه الحمد الْتَمَسَها وطلبها .

وقال زُهير أيضاً :

أَلَيْسَ بِفَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ ثِمَالِ الْيَتَامَى فِي السِّنِينَ مُحَمَّدِ؟ (٢)

فقوله « محمد » أى : يُحمد كثيراً . وقال الأعشى :

وَلٰـكِنْ عَلَى الْحَمْـدِ إِنفَاقُهُ وَقَدْ يَشْـتَرِيهِ بِأَغْلَى ثَمَنْ (٣)

وقال أيضاً :

[يَشْتَرِى الْحَمْدَ بِأَغْلَى سَعْيِهِ وَاشْتِرَاءُ الْحَمْدِ أَدْنَى لِلرِّبحْ

وقال أيضاً] :

إِلَيْكَ ـ أَبَيْتَ اللَّعْنَ ـ كَانَ كَلاَلُهَا إِلَى المَاجِدِ الْفَرْعِ الْجَوَادِ محمدِ (٤)

فوصفه بأن جعله محمداً : أى يُحْمد كثيراً . وقال الآخر (٥) :

* وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمَحَامِدِ يُحْمَدِ *

فهذه هى الطريقة المعروفة فى كلام العرب ، ولو قال الطائى « لو جلّ أحد عن المدح جللتَ عنه » كان أعْذَرَ ، كما قال البحترى (٦) :

لَوْ جَـلَّ خَلْقٌ قَطُّ عَنْ أُكْرُومَةٍ

تُبْنَى جَلَلْتَ عَنِ النَّـدَى وَالْبَاسِ

(١) من قصيدة له يمدح فيها هرم بن سنان (العقد الثمين ٣٤) وفيه « معترف للنائبات يراح للذكر » وقد ورد فى الصناعتين (١٢٤) كما هنا ، وقبله قوله :

وإذا برزت به برزت إلى صافى الخليقة طيب الخبر

(٢) العقد الثمين (٣٣)

(٣) ورد فى الصناعتين (١٢٥) أيضا .

(٤) كذا ، وينبغى أن يكون « المحمد » لأنه ههنا وصف كسابقه . وليس بعلم

(٥) نسبه فى الصناعتين (١٢٥) إلى الحطيئة ، ووقع فى الحطية « أثمان المكارم »

(٦) هو من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن بن عبد الملك (الديوان : ٢/٦٠) وفيه « تنثى » وورد فى الصناعتين (١٢٥) وفيه « تثنى »

أى : كنتَ تَجِلُّ لعلوّ شأنك عن أن يقال : سخىّ ، أو شجاع ؛ إذ كان هذان الوصفان قد يُوصَف بهما مَنْ هو دونك .

وقال البحترى أيضاً[1] :

وَالْحَمْدُ أَنْفَسُ مَا تَعَوَّضَهُ امْرُؤٌ رُزِىءَ التِّلَادَ إِنِ الْمُرَزَّأُ عُوِّضَا

فأما قول البحترى[2] :

كَيْفَ نُثْنِى عَلَى ابْنِ يُوسُفَ ؟ لاَ كَيْـ
فَ ! سَرَى مَجْـدُهُ فَعَابَ الثَّنَاءَ

فعيبه الثناء إنما معناه عَظُمَ أن يدركه و يبلغ حَدَّه ، ألا تراه قال « كيف نثنى على ابن يوسف ؟ لا كيف ! » أى : لا طريق إلى كيفية الثناء الذى يستحقه ويليق به ، ثم قال « سرى مجده فعاب الثناء » قَطْعاً من الـكلام الأول .

* * *

١٥ — ومن خطائه قولُه :

ظَعَنُوا فَـكَانَ بُكَاىَ حَوْلاً بَعْدَهُمْ
ثُمَّ ارْعَوَيْتُ ، وَذَاكَ حُكْمُ لَبِيـدِ[3]

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان : ٢ / ٧١) .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان : ١ / ٢) وفيه وفى الخطية « لا كيف سما مجده ففات الثناء » وهى أليق .

(٣) البيتان من قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد ، ويعتذر إليه ، ويستشفع بخالد بن يزيد (الديوان ٨٢) وارعويت : انتهيت وكففت عن البكاء ، وأشار بحكم لبيد إلى قوله لابنتيه :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وجملة « إطماؤها بالدمع » من المبتدأ والخبر صفة للوعد ، و « أن تزداد » فاعل فعل التعجب الذى هو « أجدر » وقد كان من حقه أن يدخل عليه باء الجر الزائدة فيقال « بأن تزداد » إلا أنه قد كثر حذف هذه الباء قبل « أن » المصدرية ، وانظر البيتين والاعتراض عليهما فى الصناعتين (١٢٥)

أَجْدِرْ بِجَمْرَةِ لَوْعَةٍ إِطْفَاؤُهَا بِالدَّمْعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وَقُودِ

وهذا خلاف ما عليه العربُ ، وضدُّ ما يُعْرَفُ من معانيها ؛ لأن [المعلومَ] من شأن الدمع أن يطفىء الغليل ، ويُبْرِد حرارة الحزن ، ويزيل شدة الوجد ، ويُعْقب الراحةَ ، وهو فى أشعارهم كثيرٌ موجودٌ يُنْحَى به هذا النحو من المعنى ؛ فمن ذلك قول امرىء القيس :

وَإِنَّ شِفَائِى عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ
فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ؟[1]

وقول ذى الرّمة :

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً
مِنَ الْوَجْدِ ، أوْ يَشْفِى نَجِىَّ الْبَلاَبِلِ[2]

وقال الفرزدق :

فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الْبُكَاءَ لَرَاحَةٌ
بِهِ يَشْتَفِى مَنْ ظَنَّ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا[3]

وهو كثير فى أشعارهم ، ما عَدَل به أحدٌ منهم عن هذا المعنى ، وكذلك المتأخرون ، هذا السبيلَ سلكوا ، وأبو تمام من بينهم ركب هذا المعنى ؛ وكَرَّرَهُ فى شعره متبعا لمذاهب الناس ؛ فمن ذلك قولُه :

---

(١) من طويلته المعلقة (وانظر الصناعتين ١٢٦ والجمهرة ٤٠ بولاق) ورواه سيبويه ٤٨٤/١ ، وصدره فيه : * وإن شفاء عبرة مهراقة *

(٢) من قصيدة له أولها :

خليلى ، عوجا من صدور الرواحل بجمهور حزوى فابكيا فى المنازل

وانظره أيضا فى الصناعتين (١٢٦)

(٣) انظره أيضا فى الصناعتين (١٢٦)

نَثَرَتْ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمِ وَالدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثِقْلِ الْمُغْرَمِ (١)

وقال فى موضع آخر :

وَاقِعاً بِالْخُدُودِ ، وَالْحَرُّ مِنْهُ وَاقِعٌ بِالْقُلُوبِ وَالأَكْبَادِ (٢)

وقال أيضاً :

[فَافْزَعْ إِلَى ذُخْرِ الشُّؤُونِ وَعَذْبِهَا فَالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الْجَاهِدِ

وقال أيضاً :]

فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أَنْ تَجُودَ بِمَائِهَا وَالدَّمْعُ مِنْهُ خَاذِلٌ وَمُوَاسٍ (٣)

وقال أيضاً :

فَلَعَلَّ عَبْرَةَ سَاعَةٍ أَذْرَيْتَهَا تَشْفِيكَ مِنْ إِرْبَابِ وَجْدٍ مُحْوِلِ (٤)

فلو كان اقتصر على هذا المعنى الذى جرت به العادة فى وصف الدمع لكان

---

(١) هو مطلع قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٣١٢) وفيه « يحمل بعض شجو المغرم » وانظره أيضا فى الصناعتين (١٢٥) وسيأتى مرة أخرى فى ص ٢٣٤

(٢) هو رابع بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا عبدالله أحمد بن أبى دؤاد ، وقبله قوله :

سعدت غربة النوى بسعاد فهى طوع الإتهام والإنجاد

فارقتنا فللمدامع أنوا ء سوار على الخدود غواد

كل يوم يسفحن دمعا طريفا يمترى مزنه بشوق تلاد

وانظر الديوان (٧٥) وكان فى المطبوعات « والبرد منه واقع بالقلوب » وكذلك هو فى الصناعتين (١٢٥) وهو مخالف لما يراد إثباته من المعنى ، وتصويبه عن الديوان

(٣) هو ثانى بيت من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن المعتصم بالله (الديوان ١٧٢) وفيه « فلعل عينك أن تعين بمائها » والمطلع قوله :

مافى وقوفك ساعة من باس نقضى ذمام الأربع الأدراس

(٤) هو ثانى بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢٣٣) والمطلع قوله:

ليس الوقوف يكف شوقك فانزل تبلل غليلا بالدموع فيبلل

والإرباب : الإقامة ، والوجد : الغرام ، والمحول : الذى أتى عليه حول

المذهبَ [الصحيح] المستقيم . ولـكنه أحبَّ الإغراب ؛ فخرج إلى مالا يُعْرَف فى كلام العرب ، ولا مذاهب سائر الأمم .

وقد تبعه على الخطأ البحترىُّ فقال :

فَعَلَامَ فَيضُ مَدَامِـعٍ تَدِقُ الْجَوَى وَعَذَابُ قَلْبٍ فِى الْحِسَانِ مُعَذَّبِ (١)

قوله : « تَدِقُ الجوى » من قولهم « لم يَدِقِ الأرْضَ منه شىء » أى : لم يَصِلْ ، وفى شعر امرىء القيس * ما فيه مودق (٢) * أى : على أثرى . وأصله من الدنو ، فكأنه قال «تدق الجوى» أى : تُدْنِى الجوى ، يقال : أتان وَدِيقٌ ، أى : تَدْنُو من الفَحْلِ ، ومنه الوَدِيقة الهاجرة ؛ لدنو الحر ، وقيل لقَطْرِ المطر وَدْقٌ لا نحلا به من السحاب ودُنُوِّه من الأرض .

* * *

١٦ — ومن خطائه قولُه :

رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِى
مِنَ الأَمْرِ مَا فِيـهِ رِضَا مَنْ لَهُ الأَمْرُ (٣)

فمعنى [هَلْ فى] هذا البيت التقرير ، والتقرير على ضربين : تقرير للمخاطب على فعلٍ قد مَضَى ووَقَع ، أو على فعلٍ هو فى الحال ليوجِبَ المُقَرَّرُ ذلك ويحققه ، ويقتضى من المخاطب فى الجواب الاعتراف به ، نحو قوله : هل أكرمتك ؟ هل أحسنت

(١) من غزل قصيدة يمدح فيها أبا صالح بن يزدان (الديوان : ١ / ٦٠) وفيه « بالحسان » ومثل ما أثبتناه فى الصناعتين (١٢٦) وكان فى المطبوعات « وعذاب قلب فى اجتناب معذب »

(٢) كذا ، والبيت الذى فيه هذه الكلمة من شعر امرىء القيس هو قوله :

دخلت على بيضاء جم عظامها تعفى بذيل المرط إذ جئت مودقى

وانظره فى العقد الثمين (٩٠) وفى اللسان (و دق)

(٣) هو من قصيدة له فى الفخر (الديوان ٤٧٥) وانظره مع الاعتراض عليه فى الصناعتين أيضا (١٢٦)

إليك ؟ هل أَوَدُّكَ وأوثرك ، وهل أقضى حاجتك ؟ وتقرير على فعل يدفعه المُقَرِّرُ وينبغى أن يكون قد وقع ، نحو قوله : هل كان قَطّ إليك شىء كَرِهْتَهُ ؟ هل عرفت منى غير الجميل ؟ فقوله فى البيت « وهل أرضى » تقرير لفعل ينفيه عن نفسه ، وهو الرضا ، كما يقول القائل : وهل يمكننى المُقَامُ على هذه الحال ؟ أى : لا يمكننى ، وهل يصبر الحرُّ على الذلّ ؟ وهل يَرْوَى زيد ؟ أو هل يشبع عمرو ؟ وهذه أفعال معناها النفى ؛ فقوله «وهل أرضى» إنما هو نفى للرضا ، فصار المعنى ولستُ أرضى ؛ إذ كان الذى يُسْخطنى مافيه رضا مَنْ له الأمر : أى رضا اللهِ تعالى ، وهذا خطأ منه فاحش .

فإن قال قائل : فلم لا يكون قوله « وهل أرضى » تقريراً على فعلٍ هو فى الحال ليؤكده من نفسه نحو قوله : هل أَوَدُّكَ ؟ [هل أوثِرُكَ ؟] ونحو قول الشاعر :

هَلُ أُكْرِمُ مَثْوَى الضَّيْفِ إنْ جاءَ طَارِقاً
وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِى لَهُ دُونَ مُنْكَرِى ؟

قيل له : ليس قول القائل لمن يخاطبه « هل أودُّك » « هل أوثرك » وقوله « سَلْ عنى هل أصلح للخير » أو «هل أكتم السر » أو «هل أقنع بالمَيْسُور » مثل قول أبى تمام « هل رضيت ، وهل أرضى » فإن صيغة هذا الكلام دالة على أنه قد نفى الرضا عن نفسه ؛ بإدخاله الواو على « هل » وإنما يُشْبِه هذا قولَ القائل « وهل أرضى إذا كانت أفعالك كذا » « وهل أصلح للخير عندك إذا كنت تعتقد غير ذلك » « وهل ينفع فى زيد العتابُ » كقول الشاعر :

* وَهَلْ يُصْلِحُ العَطَّارُ ما أَفْسَدَ الدَّهْرُ ؟ *

وقول ذو الرمة :

وَهَلْ يَرْجِعُ التَّسْلِيمَ أَوْ يَكْشِفُ العَمى
ثَلاثُ الأثَافِى والرُّسُومُ البَلاقِعُ

لأن الواو ههنا كأنها عطفَتْ جواباً على قول قائل : إن فلانا سَيَصْلُحُ ويرجع إلى الجميل ، فقال آخر :

* وَهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ ؟ *

وكقول ذي الرمة :

أَمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ سَلامٌ عَلَيْكُمَا
هَلِ الأَزْمُنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ ؟

لمَّا علم أن التسليمَ غيرُ نافعٍ عاد على نفسه فقال « وهل يرجع التسليم » وكما قال امرؤ القيس :

* وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ *

ثم قال :

* وَهَلْ عِنْدَ رَبْعٍ دَارِسٍ مِن مُعَوَّلِ ؟ *

وكذلك قولُ أبي تمام « رضيت » ثم قال « وهل أرضى إذا كان مُسْخِطِي » إنما معناه ولست أرضى ، فكان وجه الكلام أن يقول : رضيت وكيف لا أرضى إذا كان مسخطي ما فيه رضا الله تعالى ، وكذا أراد فأخطأ في اللفظ ، وأحال المعنى عن جهته إلى ضده .

فإن قيل : إن « هل » هنا بمعنى قد ، وإنما أراد الطائيُّ رضيت وقد أرضى ، كما قال الله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ)[1] أى : قد أتى .

قيل : هذا إنما قاله قومٌ من أهلِ التفسير ، وتبعهم قوم من النحويين . وأهلُ اللغة جميعاً على خلاف ذلك ؛ إذ لم يأت في كلام العرب وأشعارها « هل قام زيد » بمعنى قد قام زيد ، وإذا كان ذلك معدوماً في كلام العرب ولغاتها فكيف يجوز أن يؤخذ به أو يُعَوَّل عليه ؟ وقد قال أبو إسحاق الزجَّاجُ وجماعةٌ من أهل العربية في قوله عز وجل (هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ[1]) معناه ألم يأت ، على سبيل التقرير .

(١) من الآية ١ من سورة الدهر ، وفي الخطية بعد تلاوة الآية الكريمة «إن المعنى قد أتى » :

وهب الأمر فى هذا كما ذكروا ، والخلاف ساقط فيه ، فإن بيت أبى تمام لايحتمل من التأويل ما احتملته الآية ؛ لأن «هل» إنما شبَّهها مَنْ شبهها بقد إذا وليت[1] لفظ الماضى خاصة ، وأبو تمام إنما أوقعها على الفعل المستقبل ؛ فسقط عنها أن تضارع قد ؛ لأن قد حينئذ قد تكون بمعنى ربما ، و «هل» ليس فيها ذلك .

وبعد ؛ فإن كان الرجل إنما أراد بِهَلْ معنى قد فَلِمَ لَمْ يقل رضيت وقد أرضى ؛ فيأتى بلفظة «قد» إذا كان يريد الخبر ، ولا يأتى بهل فيلتبس الخبر الذى إيَّاه قَصَدَ بالاستفهام ؟ فإن البيت كان يستقيم بقد[2] ويغنينا عن الاحتجاج الطويل .

وقد استقصيْتُ القولَ فى هذا البيت وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره فى معنى قَدْ وهَلْ ، ولخصته فى جزء مفرد ، وإنما فعلت ذلك لكثرة من عارَضَنِى فيه ، وادَّعى الدعاوى الباطلة فى الاحتجاج لصحته .

***

١٧ — ومن خطائه قولُه فى البُكاء على الديار :

دارٌ أُجِــلُّ الْهوَى عَنْ أَنْ أُلِمَّ بِهَا
فى الرَّكْبِ إلاَّ وَعَيْنِى مِنْ مَنَائِحِهَا[3]

وهذا لفظ مُحال عن وجهه ؛ لأن « إلا » ههنا تحقيق وإيجاب ، فكيف يجوز أن تكون عينه من منائحها إذا لم يُلِم بها ؟ وإنما وَجْهُ الكلام [أن يقول :] «دار أجل الهوى عن أن ألم بها وليس عينى من منائحها» وقد كنت أظن أن أبا تمام على هذا نَظَمَ الشعر ، وأن غَلَطاً وقع عليه فى نقل البيت ، حتى رجعت إلى النسخِ العتيقة التى لم تقع فى يد الصُّولى وأضرابه ، فوجدت البيتَ فى غير نسخة مثبتاً على هذا الخطأ .

***

(١) من حق العبارة أن يقول « إذا وليها لفظ الماضى خاصة » ، وفى الخطية « إذا وليت الفعل الماضى خاصة» وهى مقلوبة أيضا ؛ وصحتها أن يقال « إذا وليها الفعل الماضى خاصة» . (٢) فى الأصل «فإن البيت يستقيم بهل» والذى يقتضيه الكلام ماأثبتناه .

(٣) هو خامس بيت من قصيدة يمدح فيها الفضل بن صالح الهاشمى (الديوان ٧٢)

١٨ — ومن خطائه أيضاً فى وَصْفِ الرَّبْعِ وساكنِهِ قولُه :

قَدْ كُنْتَ مَعْهُوداً بِأَحْسَنِ سَاكِنٍ
ثَاوٍ وَأَحْسَنِ دِمْنَةٍ وَرُسُومِ (١)

والربع لا يكون رَسْماً إلا إذا فارقه ساكنوه ؛ لأن الرسم هو الأثر الباقى بعد سُكَّانِهِ ، والصواب قولُ البحترى :

يا مَغَانِى الأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُوماً
وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِى مَلُوماً (٢)

وقال امرؤ القيس :

* وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ ؟ (٣) *

فقال ذلك لأن الرسم يكون دارساً وغير دارس ، وقال :

قِفَا نَبكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ
وَرَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

* * *

١٩ — ومن خطائه أيضاً قولُه :

طَلَلَ الجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا
وَكَفَى عَلَى رُزْئِى بِذَاكَ شَهِيدَا (٤)

---

(١) هو ثانى بيت من قصيدة يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٥) والبيت الذى قبله هو قوله :

يا ربع لو ربعوا على ابن هموم مستسلم لجوى الفراق سقيم

(٢) هو مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان ٢/١٣٦)

(٣) انظر (ص ١٨٧ و ١٩١ من هذا الكتاب) .

(٤) هو مطلع قصيدة يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٨٧) والطلل : مابقى شاخصا من آثار الديار ، وعفوت : درست وامحيت ، والرزء — بضم فسكون — المصيبة ، وسينشد المؤلف هذا البيت مرة ثانية فى ص ٣٦٩ وثالثة فى ص ٣٩٥

أراد وكفى بأنه مَضَى حميداً شاهداً على أنى رُزِئت ، وكان وَجْه الكلام أن يقول : وكفى برزئى شاهداً على أن مَضَى حميدا ؛ لأن حَمْد أمر الطَّلَلِ قد مضى ، وليس بمشاهد ولا معلوم ، ورزؤه بما ظهر من تفجُّعه مشاهد معلوم ، فلأنْ يكونَ الحاضرُ شاهداً على الغائب أولى من أن يكون الغائب شاهداً على الحاضر .

فإن قيل : إنما أراد أن يستشهد على عظيم رُزْئه عند مَنْ لم يعلمه .

قيل : فمن لا يعلم قَدْر مرزأتِهِ التى بعضُها ظاهرٌ عليه كيف يعلم ما مضى من حميد أمر الطلل ؛ حتى يكون ذلك شاهداً على هذا ؟

فإن قيل : هذا إنما جاء به على القلب .

قيل له : المتأخر لا يُرَخص له فى القلب ؛ لأن القلب إنما جاء فى كلام العرب على السَّهْوِ ، والمتأخرُ إنما يَحْتَذِى على أمْثِلَتهم ، ويقتدى بهم ، وليس ينبغى له أن يَتْبعهم فيما سَهوْا فيه .

فإن قيل : فقد جاء القلب فى القرآن ، ولا يجوز أن يكون ذلك على سبيل السَّهْوِ والضرورة ؛ لأن كلام الله عز وجل يَتَعالَى عن ذلك ، وهو قوله : (ما إنَّ مَفاتِحَه لَتَنُوء بِالْعُصْبَةِ أُولِى القوَّةِ)(١) وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح ، أى تنهض بثقلها ، وقال عز وجل : (ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى(٢)) وإنما هو تدلَّى فَدَنَا ، وقال : (وإنهُ لِحبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ(٣)) أى : وإن حبه للخير لشديد ، ولهذا أشْبَاهٌ كثيرة فى القرآن .

قيل : هذا ليس بقلب ، وإنما هو صحيح مستقيم ، إنما أراد الله تعالى اسمه: ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة ، أى : تميلها من ثقلها ، ذكر ذلك الفرّاء وغيره ،

---

(١) من الآية ٧٦ من سورة القصص

(٢) الآية ٨ من سورة النجم (٣) الآية ٨ من سورة العاديات

وقالوا : إنما المعنى لَتَنِىء العصبةَ ، وقوله (و إنه لحب الخير لشديد) قيل : المعنى إنه لحبٍّ المال لشديد ، والشدة : البخل ، يقال « رجل شديدٌ [ومتشدِّد] » أى : بخيل ، يريد إنه لحب المال لبَخِيل متشدد ، يريد إنه لحب المال : أى لأجل حبه المال يبخل ، وقالوا فى قوله عز وجل : (ثمَّ دَنَى فتَدَلَّى) : إنما كان تدلّيه عند دُنُوِّه واقترابه ، وكما قال أبو النجم :

* قَبْلَ دُنُوِّ الأُفْقِ مِنْ جَوْزَائِهِ *

والجوزاء إذا دَنَتْ من الأفق فقد دنا الأفقُ منها ، وليس هذا من القلب المُسْتَكْرَهِ ، ومثلُه فى الشعر كثير ، قال الشاعر :

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُهُ كأنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

قوله « كأن لون أرضه سماؤه » أى : كأنَّ لون سمائه من غُبْرَتها لونُ أرضه ، وليس الأمر فى ذلك بواجب ؛ لأن أرضه وسماءه مضافان جميعاً إلى الهاء ، وهى كناية عن المهمه ، فأيهما يشبَّه بصاحبه كانا فيه سواء ، وإنما تَغْبَرُّ آفاق السماء من الجَدْب واحتباس القطر ، وقال الحطيئة :

فَلَمَّا خَشِيتُ الْهُونَ وَالْعِيرُ مُمْسِكٌ
عَلى رَغْمِهِ ما أَمْسَكَ الْحَبْلَ حافِرُهْ

قال : وكان الوجه أن يقول : ما أمسك الحافر حبله ، وكلاهما متقاربان ؛ لأن الحبل إذا أمسك الحافر فإن الحافر أيضاً قد شَغَلَ الحَبْلَ .

فهذا كله سائغ حسن، ولكن القلب القبيح لا يجوز فى الشعر ، ولا فى القرآن ، وهو ما جاء فى كلامهم على سبيل الغلط ، نحو قول خِداش بن زُهَير :

وَتَرْكَبُ خَيْلاً لا هَوَادَةَ بَيْنَهَا
وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ (١)

(١) أنشده الجوهرى (ض ط ر) منسوبا لخداش أيضا ، عن الأخفش ، وقال : « أراد وتشقى الضياطرة بالرماح ، فقلبه » والضياطرة : جمع ضيطر ، وهو =

وإنما الضياطرة هى التى تشقى بالرماح ، وكقول الآخر :

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فَرِيضَةَ الرَّجْمِ[1]

وإنما الرجم فريضة الزناء ، وكقول الفرزدق يصف ذئباً :

وَأَطْلَسَ عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِباً
رَفَعْتُ لِنَارِي مَوْهِناً فَأَتَانِي

وإنما النار رفعها للذئب ، وأنشده المبرد ، وقال : القلب جائز للاختصار ، إذا لم يدخل الكلامَ لَبْسٌ ، كأنه يجيز ذلك للمتقدمين دون المتأخرين ، وما علمت أحداً قال «للاختصار» غيره ، فلو قال لإصلاح الوزن أو للضرورة كما قال غيره كان ذلك أشبه ، ويجوز أن يكون الفرزدق فى هذا البيت سها أو اضطر لإصلاح الوزن ، وأبو تمام وغيره من المتأخرين لا يُسَوِّغون مثل هذا [وإنما أراد أبو تمام وكَفَى بما يظهر من تفجعى بهذا الرزء الذى رُزِئْتُه شاهداً على أن الطلل مضى حميدا ، قلت : وليس له أن يقلب فى مثل هذا] ؛ لأنه القلب المستكره .

فإن قيل : إنه لم يُرِد القلب ، وإنما أراد وكفى على رزئى بمحمود أمر الطلل شهيدا .

قيل : فبأىّ شىء أستشهدَ ؟ وأين شهيدُه ؟

* * *

٢٠ — ومن خطائه قولُه فى باب الفراق :

دَعَا شَوْقُهُ يَا نَاصِرَ الشَّوقِ دَعْوَةً
فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِى وَوَابِلُهْ[2]

= الرجل الضخم الذى لاغناء عنده ، وكان فى المطبوعات « وتعصى الرماح» والتصويب عن الجوهرى ، وفى الحطية « وتعمى الرماح » وهو أصل التطبيع فى المطبوعات .

(١) نسبه فى اللسان (ز ن ا) للجعدى .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم (الديوان ٢٣٠) وسيذكر المؤلف هذا البيت مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام خاصة .

أراد أن الشوقَ دعا ناصراً ينصره فلبَّـاه الدَّمْعُ ، بمعنى أنه يخفف لاعِجَ الشوق ، ويطفىء حرارته . وهذا إنمـا هو نُصْرَةٌ للمشتاق على الشوق ، والدمع إنما هو حَرْبٌ للشوق ؛ لأنه يَثْلِمه ويتخوَّنه (١) ويكسر منه حَدَّه (٢) ، كما قال البحترى :

وبُكاءُ الدِّيَارِ مِمَّا يَرُدُّ الشَّــوْقَ ذِكْراً والحبَّ نِضْواً ضَئِيلاَ (٣)

قوله « يرد الشوق ذكراً » أى : يخففه ويَثْلِمه حتى يصير ذكراً لا يُقْلِق ولا يُزعج كإقلاق الشوق ، وقوله « والحب نضوا » أى يصغره ويَمْحَقُه ، كما قال جرير :

فَلَمَّا الْتَقَى الْحُبَّانِ أُلْقِيَتِ العَصَى وَمَاتَ الهَوَى لمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ

فلو كان الدمع ناصراً للشوق لكان يقوِّيه ويزيد فيه ، ألا ترى أنك تقول : قد ذبحنى الشوقُ إليك ، فالشوق عَدُوُّ المشتاق وحَرْبه ، والدمع سِلْمٌ لتخفيفه عنه وهو حرب للشوق ، وليس بهذا الخطأ خفاء .

وقد تبعه البحترىُّ فى هذا الخطأ فقال يعنى الديار التى وَقَفَ عليها :

نَصَرْتُ لهَا الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِأَدْمُعٍ
تَلاَحَقْنَ فى أَعْقَابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا (٤)

* * *

(١) يتخونه : ينتقصه . تقول : فلان يتخونني حقي ، إذا أردت أنه ينتقصه ، وقال ذو الرمة :

لا ، بل هو الشوق من دار تخونها مرا سحاب ، ومرا بارح ترب

(٢) كذا ، وأحسب أن الأصل «ويكسر من حدته» وفى الخطية « ويكسر حده »

(٣) من غزل قصيدة له يمدح فيها محمد بن على بن عيسى القمى (الديوان ٢/٢١١) وقبله :

عل ماء الدموع يخمد نارا من جوى الحب أو يبل غليلا

(٤) من غزل قصيدة له يمدح فيها سليمان بن عبد الله بن طاهر (الديوان ٢/٢٤٧)

٢١ — ومن خطائه فى معنى الشوق قولُه :

يَـكْفِيكَ شَوْقٌ قَدْ يُطِيـــلُ ظَمَاءَهُ
فَإِذا سَـــقَاهُ سَقَاهُ سُمَّ الأَسْوَدِ(١)

فقوله « شوق يطيل ظماءه » غلط ؛ لأن الشوق هو الظَّمَأ نفسه ، ألا ترى أنك تقول : أنا عطشـــان إلى رؤيتك ، وظمآن ، ومشتاق ، بمعنى واحـد ، فـكيف يكون الشوق هو المُطِيلَ للظمأ ؟ وكيف يكون هو الساقى ، والمحبوب هو الذى يظمىء و يسقى ، أو البعد أو الهجر ! لا الشوق ، فـكيف يكون الشـوق يطيل شوقه ؟

* * *

٢٢ — ومن خطائه قولُه :

أَمَرَ التَّجَلُّدَ بالتَّلَدُّدِ حُرْقَةٌ أَمَرَتْ جُمُودَ دُمُوعِهِ بِسُجُوم(٢)

جعل الحرقةَ آمرةَ التجلد بالتلدُّد ، والحرقة التى يكون معها التلدد تُسْقط التجلد ألبتة وتذهب به ، فأما أن يجعله متلدداً فإن هذا من أحمق المعانى وأَوْلاها بالاستحالة ، وأيضاً فأىُّ لفظ أسْخَفُ من أن يجعل الحرقة آمرة [وإن كان ليس بخطأ] ، وإنما

---

(١) هو ثانى بيت من قصيدة يمدح فيها المأمون ، أو المعتصم (انظر الديوان ١١١) وفيه وفى الخطية « يكفيكه شوق يطيل » والبيت الذى قبله هو قوله :

كشف الغطاء فأوقدى أو أخمدى لم تـكمدى فظننت إن لم تـكمدى

و « كشف الغطاء » معناه ظهر ما كان مستورا ، وبدا عليه ما كان خافيا ، وأوقدى : أصل معناه أشعلى النار وأججيها ، وأراد اعذليه إن شئت فيلتاع فؤاده وتذكو نار حبه ، وأخمدى : أصل معناه أطفئى النار ، وأراد هنا كفى عن العذل ولا تلوميه على هواه ، و « لم تـكمدى » لم تحزنى ، يقول : إنه لا فائدة بعد أن ظهر هواه ، فسواء لديه أعذلته أم كففت ، والأسود : الحية

(٢) هو بيت غزل من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٥) وفيه « أغرى التجلد بالتبلد » وسجوم الدمع : سيلانه وتسكابه .

العادة فى مثل هذا أن تكون باعثةً أو جالبة أو نحو هذا ، وأما الأمر فليس هذا موضعه ، ولو قال « بَعَثَتْ » أو « جَلَبَتْ » لكان له وجه .

* * *

٢٣ — ومن خطائه قولُه :

مِنْ حُرْقَةٍ أَطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ أَسَرَتْ   قَلْباً ، وَمِنْ عَذَلٍ فى نَحْرِهِ غَزَلُ [١]

قوله « أطلقتها فرقة » أى ثَوَّرَتها [٢] وأظهرتها ، وإنما قال « أطلقتها » من أجل قوله « أسرت قلبا » ليطابق بين الإطلاق والأسر ، وقوله «أسرت قلباً» يعنى الفرقة ، وهو معنى ردىء ؛ لأن القلب إنما يأسره و يملكه شدة الحب ، لا الفراق ، فإن لم يكن مأسوراً قبل الفراق فما كان هناك حب ، فَلِمَ حَضَرَ التوديع ؟ وما كان وجه البكاء والاستهلاكِ والوَجَل الذى ذكره قبل البيت ، والقصةِ الفظيعةِ التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم ؟ وما علم أن للفراق لوعةً صعبة [وناراً مُحرِقَةً] عند وروده وفجأته ؛ فلا يسمى ذلك أسراً ولا علاقة ! وإنما يسمى محنة تطرأ على أسير الحب [٣] ، ور بما قتلته كما يقتل الأسير ، والفراق إنما له لوعة ثم تبرد ناره ، وتخمد وقتاً فوقتاً ، حتى يَدْرس الحب .

فالفراق يفكّ أَسْرَ الحب ، ويُنْسى الخليلَ خليله إذا امْتَدَّ به زمان ؛ ألا ترى إلى قول زُهَيْر [بن جنابٍ] الكلبى :

إذا ما شِئْتَ أَنْ تَسْلَى حَبِيباً   فأَكْثِرْ دُونَهُ عَدَدَ الليالِى
فما أَنْسَى خَلِيلَكَ مِثْلُ نَأْيٍ   وما أَبْلَى جَدِيدَكَ كابْتِذالِ

وقول الآخر :

---

(١) هو بيت من غزل قصيدة له فى مدح أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٢٢) وفيه « ومن غزل فى نحره عذل »

(٢) فى الخطية « أبرزتها وأظهرتها »

(٣) فى المطبوعات «وإنما يسمى محنة نظر على أسير الحب» والصواب ما أثبتناه عن الخطية

يُنْسِي الخَلِيلَيْنِ طُولُ النَّأْيِ بَيْنَهُمَا وَتَلْتَقِي طُرُقٌ شَتَّى فَيَأْتَلِفُ

هذا هو المعنى الصحيح المعروف ، و إن كان قد تقدم أبا تمام فى هذا المعنى مَنْ تبعه ، وحذا على حذوه ؛ فالردىء لا يُؤتَمُّ به . ولعله سمع معنى سائغاً حسناً فأفسده لسوء عبارته ، وكثيراً ما يفعل هذا ، وكان ينبغى أن يقول : من حرقة بعثتها فرقة أو أظهرتها فرقة جرحت قلباً ، حتى يكون أسير الهوى قتيل الفراق .

فإن قيل : فلم لا يكون قوله « أسرت قلبا » للحرقة للفرقة ؟

قيل : لا يكون ذلك ؛ لأن الأسر إذا قَبُح أن يكون فعلا للفرقة قبح أيضاً أن يكون فعلا للحرقة ؛ لأن الفرقة هى التى جلبت الحرقة ، فشأنها كشأنها .

* * *

٢٤ — ومن خطائه قوله :

مَا لِامْرِيءٍ خَاضَ فى بَحْرِ الهَوَى عُمُرُ
إلاَّ وَلِلْبَيْنِ فِيهِ السهلُ وَالجَلَدُ (١)

وهذا عندى خطأ إن كان أراد بالعمر مدة الحياة ؛ لأنه اسم واحد للمدة بأسرها فهو لا يتبعض فيقال لكل جزء منه : عمر ، كما لا يقال : ما لزيد رأس إلا وفيه شَجَّة أو ضَرْبَة ، وما له لسان إلا وهو ذَرِب (٢) أو فصيح ، وكذلك لا يقال : ما له عمر إلا وهو قصير ، و إنما يسوغ هذا فيما فوق الواحد ، مثل أن تقول : ما له ضِلَعٌ إلا مكسورة ؛ وماله يد إلاَّ وفيها أثرٌ ، ولا رِجْلٌ إلا وفيها حَنَف (٣) .

---

(١) هو بيت من غزل قصيدة فى مدح أبى سعيد محمدبن يوسف الطائى (الديوان ٩٧) وفيه « خاض من بحر الهوى » و « للبين منه » والبين : الفراق والبعد .

(٢) الذرب — بفتح الذال وكسر الراء — الحاد من كل شىء ، تقول : سيف ذرب ، ولسان ذرب ، وفيه ذرابة : أى حدة .

(٣) الحنف — بفتح الحاء والنون جميعا — اعوجاج فى الرجل ، وهو أن تقبل=

وليس قولهم « ما له عيش إلا مُنَغَّص ، ولا حياة إلا كَدِرة » مثل قولك : ما له عمر إلا قصير ، ولو قلته ؛ لأن عَيْشَ الإنسان ليس له مُدَّةَ حياته بأسْرِها ؛ لأنك قد تقول : كان عيشى بالعراق طيباً ، وكانت حياتى بمكة لذيذة ، وكان عيشى بالحجاز أطيب من عيشى باليمن ، ولا تقول : كان عمرى ؛ لأن العمر هو المدة بأسْرِهاَ ، والعيش والحياة ليسا كذلك ؛ لأنهما يتبعَّضان .

فإن قيل : فأنت تقول « ما لزيد رأس حسن ، ولا أنف أشمّ ، ولا لسان ذَرِب » .

قيل : إنما يصلح هذا من أجل النفى ؛ لأنك إنما تريد ليس له رأس من الرؤوس الحسنة ، ولا لسان من الألسُنِ الذَّرِبة . وإذا دَخَلت « إلاَّ » ههنا فقد جعلت المَنْفِيَّ موجَباً ، وحقيقة ؛ فإذا قلت « ليس لزيد رأس إلاَّ حسن » فقد أوجبت لهُ عِدَّةَ رؤوس ! وهذا خطأ ؛ وكذلك سبيل العُمُر .

وإن كان أراد بالعمر منزله الذى يَتَوَطَّنه ويعمره ، فذلك هو المعمر ، وما علمت أن أحداً سماهُ عمراً إلا أن يكون دَيْر النَّصَارى فإنهم يسمونه عمراً ، وما كان يمنعه أن يقول « وطن » مكان « عمر » لأن لفظهما ومعناها واحد ، وقد يكون للانسان عدة أوطان تَوَطَّنها .

وقد ذكر العمر فى موضع آخر من شعره ، وهو يريد مدة الحياة ؛ فقال :

إذَا مَارِقٌ بالْغَدْرِ جاوَزَ عُمْرَهُ فَذَاكَ حَرِىٌّ أَنْ تَئِيمَ حَلاَئِلُه(١)

أراد أنه إن جاور عمره — أى قارب به — بالغدر ، فقد عرَّضه للزوال والنفاد ،

= إحدى إبهامى رجلى الإنسان على الأخرى ، وقال ابن الأعرابى : الحنف أن يمشى الإنسان على ظهر قدمه من شقها الذى يلى خنصرها .

(١) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٢٣١) وفيه « إذا مارق بالغدر حاول غدرة » والمارق : الخارج على الجماعة ، وحرى : خليق وجدير ولائق ، وتئيم حلائله : تبقى بلا أزواج ، والحلائل : جمع حليلة ، وهى الزوجة ، وكنى بذلك عن موته

وهذا من عَويص ألفاظه ، وما أراد بالبيت الأول إلا مُدَّةَ الحيـاة ؛ لأن ما قَبْلَ البيت وما بعده عليه يَدُلُّ .

***

٢٥ — وقال فى على بن الجهم(١) :

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مَاجِدِ فَغَدًا إِذَابَةُ كُلِّ دَمْعٍ جَامِدِ(٢)

فَافْزَعْ إِلَى ذُخْرِ الشُّؤُونِ وَعَذْبِهِ فَالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جُهْدِ الْجَاهِدِ(٣)

وإِذا فَقَدْتَ أَخًا فَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ دَمْعًا ولا صَـبْرًا فَلَسْتَ بِفَاقِدِ

قوله « يذهب بعض جهد الجاهد » أى : بعض جهد الحزن الْجَاهِدِ ، أى : الحزن الذى جَهَدَكَ فهو الجاهد لك ، ولو كان استقام له [أن يَقُول] « بعض جهد المجهود » لـكان أحسن وأليق ، وهذا أغرب وأظرف .

وقد جاء أيضاً فاعل بمعنى مفعول ؛ قالوا « عِيشَةٌ راضية » بمعنى مَرْضِيَّة ، و « لمح بَاصِرٌ » و إنما هو مُبْصَرٌ فيه ، وأشباه هذا كثيرة معروفة ، ولـكن ليس فى كل حال يقال ، و إنما ينبغى أن يُنْتَـهَى فى اللغة إلى حيث أَنْتَهَوْا ، ولا يُتَعَدَّى إلى غيره ؛ فإن اللغة لا يقاس عليها .

---

(١) كان على بن الجهم صديقا لأبى تمام ، وقد أراد سفرا ؛ فقال أبو تمام كلمة فى توديعه أولها هذه الأبيات (الديوان ٨٦)

ماجد : شريف ، والإذابة : مصدر أذاب ، وأصله فى الجامدات ، ويقال من المجاز : ذاب دمع فلان ، وله دموع ذوائب ، والمعنى جرى دمعه ، ويقال : نحن لانجمد فى الحق ولانذوب فى الباطل ، ويقال أيضا : ذابت الشمس ، إذا اشتد حرها

(٢) افزع : الجأ ، والشؤون فى الأصل : مجارى الدموع واحدها شأن ، وأرادها هنا الدموع نفسها ، وذخرها : ماادخرته منها لوقت الحاجة ، وعذبه : أمر من عاذ يعوذ . ووقع فى المطبوعات « وغربة » وهو تحريف شنيع ، وفى الديوان « فالدمع يذهب بعد جهد الجاهد » وهو خلاف مايتكلم عنه المؤلف .

وقوله « فلم تفقد له دمعاً ولا صبراً » من أفْحَشِ الخطأ ؛ لأن الصابر لا يكون باكياً ، والباكي لا يكون صابراً ، فقد نَسَق(١) بلفظةٍ على لفظةٍ وهما نعتان متضادان ، ولا يجوز أن يكونا مجتمعين ، ومعناه أنك إذا فقدت أخاً فأدام البكاء عليكَ فلستَ [بفاقدٍ ، ولم يُرِدْ بفاقدِ شَخْصَه ، وإنما أراد لست] بفاقد ودّه ولا أُخُوَّته ، وهو محصّل لك غير مفقود وإن كان غائباً عنك ، وإلى هذا ذَهَبَ ، إلا أنه أفسده بذكر الصبر مع البكاء ، وذلك خطأ ظاهر ، ولو كان قال « فلم تفقد له دَمْعاً ولا جَزَعاً » أو « دمعاً ولا شوقاً ولا قَلَقاً » لـكان المعنى مستقيما ، وظننته قد قال غير هذا ، وأن غَلَطاً وقع في كتابة البيت عند النقل ، حتى رجعت إلى أصل أبي سعيد السُّكَّرِي وغيره من الأصول القديمة فلم أجـد إلا « دمعاً ولا صبراً » وذلك غفلة منه [عجيبة] .

وقد لاح لي مَعْنًى أظنه — والله أعلم — إليه قَصَدَ ، وهو أن يكون أراد إذا فقدت أخا فلم تفقد له دمعا — أي يواصل البكاء عليك — فَلَسْتَ بفاقده ، على ما قدمْتُ ذكره : أي فقد حصل لك وصار ذُخْراً من ذخائرك ، وإن غاب عنك وغبت عنه ، وإن لم تفقد له صبراً — أي وإن صَبَرَ عنك — فلست بفاقد ؛ لأنه إن صَبَرَ وسَلاَكَ فليس ذاك بأخٍ يُعَوَّل عليه ، فلستَ أيضاً بفاقده ؛ لأنك لا تعتدُّ به موجوداً ولا مفقوداً ، ولـكن ذهب على أبي تمام أن هذا غير جائز ؛ لأنه وصف رجلا واحداً بالوصفين جميعاً ، وهما متضادان ، ولو كان جعلهما وصفين لرجلين فقال :

وَإِذَا فَقَدْتَ أَخًا لِفَقْـدِكَ بَاكِيًا
أَوْ صَابِرًا جَـلْدًا فَلَسْتَ بِفَاقِدِ

أي : لست بفاقد هذا ؛ لأنه محصل لك ، أو لست(٢) بفاقد هذا ؛ لأنه ناسٍ

(١) نسق : أراد عطف بالواو عطف النسق ، وهو من اصطلاح النحاة .
(٢) المقام للواو لا لأو

مودّتك ـ لكان المعنى سائغاً حسناً واضحاً ، أو لو جعله شخصاً واحداً وجعل له أحد الوصفين فقال :

وَإِذَا فَقَدْتَ أَخًا فَأَسْبَلَ دَمْعَهُ أَوْ ظَلَّ مُصْطَبِراً فَلَسْتَ بِفَاقِدِ

لكان أيضاً ملائماً على هذا المذهب ، أو لو كان استوى له فى ذلك اللفظ بعينه أن يقول « فلم تَفقِدْ له دمعاً أو صبراً » حتى لا يجعل له إلا أحدهما لَسَاغَ ذلك ، لكنه نَسَقَ بالصبر على الدمع فجعلهما جميعا له ، ففسد المعنى .

فهذا وأشباهه الذى قاله الشيوخ فيه ، من إنه يريد البديع فيخرج إلى المحال .

* * *

٣٦٦ — وقال أبو تمام[(١)] :

لَمَّا اُسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَحْضُ وَانْصَرَمَتْ
أَوَاخِرُ الصَّبْرِ إِلاَّ كَاظِماً وَجِمَا[(٢)]
رَأَيْتُ أَحْسَنَ مَرْئِيٍّ ، وَأَقْبَحَهُ مُسْتَجْمَعَيْنِ لِيَ التَّوْدِيعَ وَالْعَنَمَا[(٣)]

العنم : شجر له أغصان لطيفة غَضّة كأنها بَنَانُ جاريةٍ ، الواحدة عَنَمَة ، كأنه استحسن أصبعها واستقبح إشارتها إليه بالوداع ، وهذا خطأ فى المعنى ، أتراه ما سمع قولَ جرير :

أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى بِفَرْعِ بَشَامَةٍ ؟ سُقِىَ الْبَشَامُ ![(٤)]

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٢) .

(٢) استحر : اشتد ، والمحض : الخالص . وانصرمت : تقطعت ، والكاظم : الذى يكتم الغيظ ، والوجم : الذى يسكت حزنا .

(٣) « رأيت » هو جواب « لما » فى البيت السابق ، و « التوديع والعنما » بدل من قوله « أحسن مرئى وأقبحه » وأراد بأحسن مرئى المحبوبة المودعة أو التوديع نفسه ، وبأقبح مرئى العنم وهو الذى اعترض عليه المؤلف . (٤) يروى هذا البيت :

أتذكر يوم تصقل عارضيها بعود بشامه ؟ سقى البشام !

فدعا للبَشَام بالسُّقيا لأنها ودَّعته به ؛ فسرَّ بتوديعها ، وأبو تمام استحسن أصبعها واستقبح إشارتها ، ولعمرى إن منظَر الفراق منظر قبيح ، ولكن إشارة المحبوبة بالوداع لا يستقبحها إلا أجهل الناس بالحب ، وأقلهم معرفةً بالغزل ، وأغلظهم طبعاً ، وأبعدهم فَهْماً .

***

٢٧ — ومن خطائه قولُه[1] :

فَلَوَيْتَ بِالْمَعْرُوفِ أَعْنَاقَ الْمُنَى
وَحَطَمْتَ بِالإِنْجَازِ ظَهْرَ الْمَوْعِدِ[2]

حَطْم ظهر الوعدِ بالإنجاز : استعارةٌ قبيحة جدًّا ، والمعنى أيضاً فى غاية الرداءة ؛ لأن إنجاز الموعد هو تصحيحُه وتحقيقُه ، وبذلك جرت العادة أن يقال : قد صَحَّ وَعْدُ فُلَانٍ ، وتَحَقَّقَ ما قال ، وذلك إذا أَنْجَزَه ، فجعل أبو تمام فى موضع صحة الوعد حَطْم ظهره ، وهذا إنما يكون إذا أخلف الوعد وكذب ، ألا تراهم يقولون : قد مَرَّضَ فُلانٌ وَعْدَه ، وعَلَّلَهُ ، ووَعَدَ وَعْداً مريضاً ، وإذا أخلف وَعْدَه فقد أماته ؛ فالإخلاف هو الذى يَحْطم ظهرَ الموعد ، لا الإنجاز ، ولا خَفَاء بفساد ما ذهب إليه ، وكان ينبغى أن يقول : وحَطَمْتَ بالإنجاز ظهر المال ، لا الموعد ، وحينئذٍ فالموعد كان يصحُّ ويَسْلَمَ ، ويتلف المالُ .

***

٢٨ — وقال :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم ، ويقال : المأمون (الديوان ١١٣)
(٢) وقع فى المطبوعات « أعناق الورى » وتصويبه الذى ذكرناه عن الديوان . وحطمت: كسرت، والإنجاز: الوفاء بالوعد، ومنه قولهم : أنجز حر ماوعد ، وفى الخطية روى هذا البيت هكذا :

فلويت بالموعود أعناق الورى   وحطمت بالإنجاز ظهر الموعد

إِذَا وَعَــــدَ انْهَلَّتْ يَدَاهُ فَأَهْدَتَا
لَكَ النُّجْحَ مَحْمُولاً عَلَى كَاهِلِ الْوَعْدِ(١)

كاهلُ الوعد إذا حَمَلَ النُّجْحَ فمن سبيله أن يكون صحيحاً مُسَلَّماً ، لا أن يكون محطوما كما قال فى البيت الأول ؛ فهذه استعارة صحيحة على هذا البيت . وإن كان « كاهل الوعد » قبيحاً .

***

٢٩ — ومثلُ البيت الأول فى الفساد أو قريب منه قولُه :

إِذَا مَا رَحًى دَارَتْ أَدَرَّتْ سَمَاحَةً
رَحَى كُلِّ إِنْجَازٍ عَلَى كُلِّ مَوْعِدِ(٢)

وهذا إتلافُ الموعد ، وإبطاله ؛ لأنه جعله مطحوناً بالرحَى ، وإنما ذهب إلى أن الإنجاز إذا وقع بطل الوعد ، وليس الأمر كذلك ؛ لأن الموعد ليس بضد للإنجاز ، فإذا صَحَّ هذا بطل ذلك ، بل الوعدُ الصادقُ طرفٌ من الإنجاز ، وسَبَبٌ من أسبابه ، فإذا وقع الإنجاز فهو تمام الوعد ، وتصحيح له ، وتحقيق وتصديق، فهو فى هذه الاستعارة غَالِطٌ ، والمعنى الصحيح قوله :

أَبَلَّهُمُ رِيقاً وَكَفًّا لِسَـــائِلٍ
وَأَنْضَرُهُمْ وَعْداً إِذَا صَــوَّحَ الْوَعْدُ(٣)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٢٨) وانهلت يداه : انسكبتا بالماء ، والنجح : الظفر والفوز ، والكاهل : ما بين الكتفين ، جعل للوعد يدين وكاهلا ، وجعل يديه تنهمران بالعطاء كما تنهمر السحائب بالمطر .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ١٠٤) والرحى : طاحون معروفة ، وأدرت : أصله أنزلت الدر ، وهو اللبن .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٢٢) وأنضرهم : أحسنهم وأرطبهم ، وصوح : جف ويبس .

فتصويح الوعد هو أن يُخْلِفه الواعِدُ فيبطل، ولا يصح؛ لأنه من «صَوَّح النبت» إذا جَفّ ، ومثله فى الصحة قوله :

تَزْكُو مَوَاعِدُه ، إذَا وَعَــــدَ امْرَأً
أَنْسَاكَ أَحْــــلَامَ الْـكَرَى الأَضْغَاثَا(١)

فهذا هو المعنى الصحيح : أن يكون الوعد يَزْكُو ، لا أن يبطل ويذهب . ولله در أبى إسحاق إبراهيم بن هَرْمَةَ إذ يقول :

يَسْبِقُ بِالْفِعْلِ ظَنَّ سَــــائِلِهِ   وَيَقْتُلُ الرَّيْثَ عِنْـدَهُ الْعَجَلُ

فهذه الاستعارة الصحيحة : أن يَقْتُلَ العَجَلُ الإبطاء ، لا أن يقتل الإنجازُ الْوَعْدَ ، فأما قولُه :

نَؤُمُّ أَبَا الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ قِدْماً   فَتًى أَعْمَارُ مَوْعِدِهِ قِصَارُ(٢)

وقولُ البحترى :

وَجَعَلْتَ فِعْلَكَ تِلْوَ قَوْلِكَ قَاصِراً   عُمْرَ الْعَدُوِّ بِهِ وَعُمْرَ الْمَوْعِدِ(٣)

فإن عمر الموعد مدةُ وقته ؛ فإذا أنجز صار مالا ؛ فنفاد وَقْتِهِ ليس بمُبْطِلٍ له ، بل ذلك نَقْله من حال إلى حال أخرى . ألا ترى إلى البحترى كيف كَشَفَ عن هذا المعنى ، وجاء بالأمر من فَصِّه ؟ فقال :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٦٥) والـكرى : النوم ، وأضغاث الأحلام : ماالتبس منها واختلط .

(٢) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٤١) وقبله قوله :

يقول الحاسدون إذا انصرفنا   لقد قطعوا طريقا أو أغاروا

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان : ١ / ١٧١) وكان فى الأصل « ناصرا عمر العدو » وهو تحريف تصويبه عن الديوان .

يُولِيكَ صَدْرَ اليَوْمِ مافيهِ الغِنَى بِمَوَاهِبٍ قَدْ كُنَّ أَمْسِ مَوَاعِدَا (١)

فبطلان الموعد هو بطلان الشيء الذى الموعِدُ واقعٌ به ، وصحته هو صحة ذلك الشيء .

ثم أتبع البحترى هذا البيت بأن قال :

شِيَمُ السَّحَائِبِ: مَا بَدَأْنَ بَوَارِقًا فِي عَارِضٍ إلاَّ انْثَنَيْنَ رَوَاعِدَا

فجعل البوارق مثالا للمواعد ، وجعل الرواعد التى هى البوارق على الحقيقة وحالهما واحدة مثالا للغيث الذى هو العطايا ؛ فالرواعد ليست بمبطلة للبوارق ، بل هى هى ؛ لأن تلك نور يحدثه ازدحام السحاب ، والرعد صوت ذلك الازدحام ؛ فالبرق يُرَى أولا ، والرعد يسمع آخراً ، وهو هو ، وذلك أن العين أسبق إلى الإبصار من الأذن للاستماع ؛ لأن العين ترى الشيء فى موضعه ، والأذن لا تسمع الصوت إلا إذا وصل إليها ، فشبهها بالمواعد التى تجر المواهب ، وهذا أحسن ما يكون من التمثيل وأصحه ، وإنما أقام الرواعد مُقَام المواهب ، لأنه قد يكون بَرْقٌ ولا مَطَرَ فيه ، ولا يكاد يكون رعد إلا ومعه مطر ، ثم إن التشبيه صَحَّ بأن صار الرعد بعد البرق.

وما أحسن ما قال خلف بن خليفة الأقْطَع :

مَوَاعِدُهُمْ فِعْــــلٌ إذَا مَا تَـكَلَّمُوا
فَتِلْكَ التى إنْ سُمِّيَتْ وَجَبَ الفِعْلُ

يعنى قول « نَعَمْ » فجعل الوعد هو الفعل نفسه لصحته وصدقه ، وقد مثل البحترى أيضاً الموعد وكيف تحول عَطَاء تمثيلاً آخَرَ حَسَنًا ، فقال(٢) :

---

(١) هذا البيت والذى بعده من قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان : ١ / ١٦٤) وفيه وفى الخطية فى هذا « قاصية الغنى بعوائد » وفيه فى أول الثانى « سوم السحائب »

(٢) البيتان من قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان : ٢ / ٢٤٤) وفيه فى أولهما « مواهبا مشهورة » ووقع صدر ثانيهما فى المطبوعات « ومواعدالو أن شيئا ظاهر » وما أثرناه عن الديوان والخطية .

وَشَكَرْتُ مِنْكَ مَوَاهِباً مشكورَةً لَوْ سِرْنَ في فَلَكٍ لَكُنَّ نجُوماً(١)
وَموَاعِداً لَوْ كُنَّ شيئاً ظاهراً تُفضِي إليْهِ العَيْنُ كُنَّ غيوماً

وذلك لأن الغَيم يصير مَطَرا ، كما أن الموعد يصير عطاء ، وأبو تمام ـ فيما يذهب إليه — غالط ؛ لأنه وضع الاستعارة في غير موضعها .

* * *

٣٠ — ومن خطائه قولُه :

فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ وَأُلْقِيَ عَنْ مَنَاكِبِهِ الدِّثَارُ(٢)
لَعَدَّلَ قِسْمَةَ الأَرْزَاقِ فِينَا وَلَكِنْ دَهْرُنَا هٰذَا حِمَارُ

قوله « وأُلقي عن مناكبه الدثار » لفظ رديء ، وليس من المعنى الذي قَصَدَه في شيء ، وصَدْر البيت لائق بالمعنى ؛ فلو كان أتْبَعَهُ بما يكون [مثلَه] في معناه ، بأن يقول : فلو ذهبت سِنَاتُ الدهر عنه واستيقظ من رقدته أو انتبه من نومته أو انكشف الغطاء عن وجهه ؛ لكان المعنى يَمْضِي مستقيما ؛ لأن مَنْ كان في سِنَةٍ أو نَوْم أو مغطًّى على وجهه أو عينيه فإنه لا [يُبْصِر الرشد ، ولا] يكاد يهتدي لصواب ، وإنما هذه كلها استعارات ، والمراد بها هداية القلب وإبصاره وفَهْمه ، وقد جَرَت العادة باستعارتها في هذا المعنى ، فأما دِثَار المناكب فليس من هذا الباب في شيء ؛ إذ قد يُبْصر الإنسان رُشْدَه ويهتدي لصواب أمره وعلى مَنَاكِبه دِثَارٌ وعلى ظهره أيضاً حِمْل ، ولا يكون ذلك مع النوم

(١) في الخطية « لو سرت في فلك » بتاء المخاطب ، يعني أنهن يضئن له .

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٤١) وفيه في صدر الثاني « لعدل قسمة الأيام » وما هنا أنسب ، والسنات — بكسر السين — جمع سنة ، وهي النوم ، أو أوائله ، وأراد هنا الغفلات ، والمناكب : جمع منكب ، وهو مجتمع العضد والكتف ، والدثار ـ بزنة الكتاب ـ ما يلبس فوق الشعار

والرُّقاد والغطاء على العين ؛ لأنه إنما يراد نوم القلب والتغطية عليه ؛ لأن الإنسان إنما يقال له : « قد عَمِيَ قلبك » و « قد عَمِيَتْ عن الصواب عَيْنُكَ » و « قد غُطِّيَ على فهمك » ولا يقال : « قد غُطِّيَتْ بالدثار عن الصواب منا كِبُكَ ، ولا ظهرك » ، ولفظة الدِّثَار أيضاً إنما تستعمل لمنع الهواء والبرد ، لا لمنع الفَهْمِ والرشد .

* * *

٣١ — ومن خطائه قولُه(١) :

وَأَرَى الأُمُورَ الْمُشْكِلاَتِ تمزَّقَتْ
ظُلُمَاتُهَا عَنْ رَأْيِكَ الْمُتَوَقِّدِ
عَنْ مِثْلِ نَصْلِ السَّيْفِ ، إلاَّ أَنَّهُ مُذْ سُلَّ أَوَّلَ سَلَّةٍ لَمْ يُغْمَدِ(٢)
فَبَسَطْتَ أَزْهَرَهَا بِوَجْهٍ أَزْهَرٍ وَقَبَضْتَ أَرْبَدَهَا بِوَجْهٍ أَرْبَدِ(٣)

فقال « الأمور المشكلات » وجعل لها ظلمات ، فكيف يقول : فبسطت أزْهَرَها ، والزُّهْر هي النَّيِّرَات ، والمشكلات لا يكون شيء منها نَيِّراً ؟ وكأنه يريد أن الأمور المشكلة منها جيد قد أشكل الطريقُ إليه ، ومنها ردىء قد جُهلت أيضاً حاله ؛ فهى كلها مظلمة ، فيمزق ظلماتها برأيه ، ويكشف عن الجيد منها ويبسطه : أى يستعمله ، ويكشف عن رديئها ويَقْبضه : أى يكفّه ويطرحه ، ولكن ما كان ينبغى له أن يقول « بوجه أزهر » و « بوجه أربد » ؛ لأنه لا صُنْع ههنا للوجه ولا تأثير ؛ لأن الصنع إنما هو للرأى وللعقل ؛ فإذا رأى ذو الرأى أمراً

(١) ثلاثة الأبيات من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله ، ويقال : المأمون (الديوان ١١٣) .

(٢) سل : أخرج من غمده ، ولم يغمد : أى لم يرجع إلى الغمد ، وفى الخطية «قدسل».

(٣) الأزهر فى الأصل : الأبيض ، والأربد فى الأصل : المغبر .

أَسْتَبَانَ منه[١] الأشياء المظلمة ، وانفتحت المُغْلَقَةُ ، أو رأى أن يُغْلِقَ أمراً مفتوحاً إذا كان الصواب مُوجِباً ذاك عنده ؛ فالرأى على الأحوال كلها أزهر مُسْفر ، والوجه على الأحوال كلها أبيض ، وليس يريد أبيض فى لونه .

والعاجز إذا ورد عليه الأمر يَبْهظه تَبَيَّنت الـكآبةُ فى وجهه ؛ ولله در منصور النمرى حيث يقول :

تَرَى سَاكِنَ الأَوْصَالِ بَاسِطَ وَجْهِهِ
يُرِيكَ الْهُوَيْنَا ، وَالأُمُــــورُ تَطِيرُ

فقال « ساكن الأوصال باسط وجهه » فدلَّ على قلة اكتراثه بالأمور التى تَرِدُ عليه ، وقول أبى تمام « بِوَجْهٍ أَرْبَدِ » لا معنى له ؛ لأنه من صفات الغضبان أو المكتئب من أمر ورد عليه ، وهو عندى فى ذلك غالط ، وفى ذلك مسىء .

***

٣٢ — ومن خطائه قوله [يذكر سَيْرَ الإبل] :

كالأَرْحَبِيِّ الْمُذَكِّى سَيْرُهُ الْمَرَطَى   وَالْوَخْدُ وَالْمَلْعُ وَالتَّقْرِيبُ وَالْخَبَبُ[٢]

فالأَرْحَبِيُّ من الإبل : منسوبٌ إلى أَرْحَب ، حَيٌّ من هَمْدَان تنسب إليهم النَّجَائب ، والمذكى : الذى قد انتهى فى سنه وقوّته ، والمَرَطَى : من عَدْو الخيل فوق التَّقْرِيب ودون الإهذاب[٣] ، والوَخْد : الاهتزاز فى السير مثل وَخْد النعام ، والْمَلْعُ : من سير الإبل السريع ، والتقريب : من عَدْو الخيل معروفٌ ، والخَبَبُ : دونه ، وليس التقريب من عَدْو الإبل ، وهو فى هذا الوصف مُخْطِىء ، وقد يكون التقريب لأَجْنَاسٍ من الحيوان ، ولا يكون للإبل ، وإنَّا ما رأينا بعيراً قَطّ يقرب تقريب الفرس ، والمَرَطَى أيضاً : من عَدْو الخيل ، ولم أره فى أوصاف الإبل ولا سيرها .

***

(١) فى الخطية « استنارت به الأشياء المظلمة »

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبى مروان الزيات (الديوان ٤٨) وقد فسر المؤلف غريب هذا البيت

(٣) فى الخطية «ودون الإلهاب».

٣٣ — ومن خطائه قولُه[١] :

وَمَشْهَدٍ بَيْنَ حُـكْمِ الذُّلِّ مُنْقَطِعٌ صَالِيهِ ، أوْ بِحِبَالِ المَوْتِ مُتَّصِلُ[٢]
جَلَّيْتَ وَالمَوْتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَتِهِ وَقَدْ تَفَرْعَنَ فِي أَفْعَالِهِ الأَجَلُ[٣]

وقوله « بين حكم الذلِّ » لو كان حكم الذلِّ أشياء متفرقة لصحت فيها « بين » ، غير أن حكم الذل والذل بمنزلة واحدة ، وكذلك حكم العز والعز ؛ فكما لا يقال بين العز فكذلك لا يقال بين حكم العز حتى يقال هذا ؛ لأن « بين » إنما هى وَسَطٌ بين شيئين .

فإن قال : إن حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومَنْ يَصْلاها ؛ فكأنه ذهب بقوله « بين » إلى معنى وَسَطٍ : أى ومشهد وسط حكم الذل .

قيل : وَسط لا يحلّ محل بَيْنَ ، و بين لا يحلّ محل وسط ؛ لأنك تقول : البئر وسط الدار ، ولا تقول : البئر بين الدار ، وتقول : المال بيننا نصفين ، ولا تقول : المال وسطنا ، والمعنى الذى بَنَى أبو تمام البيتَ عليه سياقَةُ لفظهِ أن يقول : ومشهدٍ بين حكم الذل وحكم العز : أى ومشهد بين الذل والعز ، محجمٌ من يَصْلاه — وهو الذليل — أو مُقْدِم — وهو العزيز — جليّته وكشفته ، يعنى الممدوحَ ؛ فحذف أحد القسمين الذى لا يصلح « بين » إلا به مع القسم الآخر ، وجعل قوله « مُنْقَطِع » فى موضع مُحْجِم ، و « متصل » فى موضع مُقْدم ، وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع ، وقد أغراه الله بوضع الألفاظ فى غير مواضعها

(١) البيتان من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٢٨) وبين البيتين بيتان آخران فى وصف المشهد وبيان مافيه من الهول .

(٢) صاليه : اسم الفاعل من قولك : صلى النار يصلاها ، كرضى يرضى ، إذا وقع فيها ، أو تدفأ بها

(٣) صفحة الوجه : جانبه ، وحر الوجه : ماظهر منه ، وتفرعن : طغى ، وأصله أشبه فرعون فى طغيانه .

من أجل الطِّباق والتجنيس اللَّذَيْنِ بهما فَسَدَ شعرهُ وشعر كل من اقتــدى به ، وقوله « وقد تفرْعَنَ في أفعاله الأجل » معنًى في غاية الركاكة والسخافة ، وهو من ألفاظ العامة .

وما زال الناس يعيبونه به ، ويقولون : اشتقّ للأجَلِ الذى هو مُطِلٌّ على كل النفوس فعلاً من اسم فرعون ، وقد أتى الأجل على نفس فرعون وعلى نفس كل فرعونٍ كان في الدنيا .

* * *

٣٤ — ومن خطائه قولُه :

سَعَى فَاسْتَنْزَلَ الشَّرَفَ اقْتِسَاراً وَلَوْلاَ السَّعْىُ لم تَكُنِ المَسَاعِى[(١)]

قوله « سعى فاستنزل الشرف اقتساراً » ليس بالمعنى الجيد ، بل هو عنـدى هجاء مصرح ؛ لأنه إذا استنزل الشرفَ فقد صار غير شريف ، وذلك أنك إذا ذَمَمْتَ رجلا شريفاً شريف الآباء كان أبلغ ما تذمُّه به أن تقول : قد حَطَطْتَ شرفك ، ووضَعْتَ من شرفك ، وقد وكَّده بقوله « اقتساراً » .

وقوله « ولولا السعى لم تـكن المساعى » فبئس السعى والله سَعَى ؛ لأن الشرف لا يُحَطُّ إلا بألأم ما يكون من الأفعال ، وكأنه أراد سَعَى فَحَوى الشرف نفسه ، فأفسد المعنى بذكر استنزاله إياه ، كأنه لو لم يستنزله ما كان يكون حاوياً له ، فهلا قال : تَرَقَّى إلى الشرف الأعلى فَحَواه ، أو بلغ النجم ، أو عَلاَ على الشمس ، كما قال الآخر[(٢)] :

لَوْ كانَ يَقْعُدُ فوقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ
قَــوْمٌ بِسُؤْدَدِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها ابن أصرم (الديوان ١٩٤) والاقتسار : القهر والغلبة

(٢) ينسب هذا البيت إلى زهير بن أبي سلمى المزنى ، وقد سبق ذكره فى ١٣٧ ، وينسب إلى أبي جويرية من مدحة له رواها أبو على القالى فى أماليه ١ / ١٠٦

٣٥ — ومن خطائه قوله :

يَقِظٌ وَهْوَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِغْضَا ءً عَلَى نَائِلٍ لَهُ مَسْرُوقِ[١]

قوله « على نائل له مسروق » خطأ ؛ لأن نائله هو ما يُنيله ، فكيف يكون مسروقاً منه ؟ وهل يكون الهجو إلا هكذا : أن يُجْعَلَ نائله مأخوذاً منه على طريق السرقة ؟ وإنما اعتمد المطابقةَ لما وصفه بالتيقظ جعله ممن يسرق منه ؛ إذ كان من شأن المتيقِّظِ أن لا يغفل حتى يستتم عليه السَّرَقُ ، وقد كان يصح هذا المعنى لو قال : على مال له مسروق ، حتى يكون يعطى ماله اختياراً لجوده ويُغْضِى إذا سُرِق منه لكرمه .

* * *

٣٦ — ومن خطائه قوله :

لَوْ يَعْلَمِ العَافُونَ كَمْ لَكَ فى النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ وَقَرِيحَةٍ لم تُحْمَدِ[٢]

ويروى « من لذة أو فرحة » [أى من لذة وفرح ؛ أى ابتداع واستخراج][٣] وهذا عندى غلط ؛ لأن هذا الوصف الذى وصفه داعيةٌ أن يتناهى الحامدُ له فى الحمد ، ويجتهد فى الثناء بأن لا يدعَ حَمْدَه ، وإنما ذهب إلى أن الإنسان إنما يحمد على الشىء الذى يتكلفه ويتجشّمه ويتحمل المشقة فيه ، لا على الشىء الذى له بَوَاعِثُ شهوة من نفسه وشدة صبابةٍ إليه ومحبة لفعله ، ومَنْ كان غرامُه بالجود هذا الغرام فعلى ذلك يجب أن يحمد ويمدح .

أما قول البحترى[٤] :

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٢٠) والنائل : العطاء .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله ـ ويقال : المأمون ـ (الديوان ١١٣) وفيه « لم تحمد » وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ١١٥ من هذا الكتاب) .

(٣) هذه الزيادة ليست فى الخطية ، وليس لها معنى مقبول .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان : ١ / ١٧١) وفيه « فلقد بنيت المجد حتى لو بنت » وأظنه تحريف ماهنا .

وَلَقَدْ أَبَدْتَ الحمدَ ، حَتَّى لَوْ بَنَتْ   كَفَّاكَ مَجْداً ثَانِياً لم تُحْمَـــدِ

فمذهب صحيح ، يريد أنك قد أفنيت الأوصاف والمحامد ؛ فإن جئت بنوع من المكارم تَبْنِي به مجداً آخر لم يَقْدِرْ مَنْ يحمدُكَ ويُثْنِي عليك على أكثر مما تقدم .

* * *

٣٧ — ومن خطائه قولُه :

تَنَاوَلُ الفَوْتَ أَيْدِى المَوْتِ قَادِرَةً   إذا تَنَاوَلَ سَـــيْفاً مِنْهُمُ بَطَلُ(١)

قوله « تناول الفوت أيدى الموت » عَوِيصٌ من عويصاته ، وهذا أيضاً محال وإنما سمع قول سعد بن مالك :

هَيْهَاتَ حَالَ المَوْتُ دُو   نَ الفَوْتِ وَانْتُضِىَ السِّلَاحُ

والفَوْتُ : هو النجاة ، أى حال الموت دون النجاة ، وهذا صحيح مستقيم ، فقال هو «تناول الفوت أيدى الموت » وهذا محال ؛ لأن النجاة لا تتناولها يدُ الموت ، ولا تصل إليها ، وإلا لم تكن نجاة ، وهذا من تعقيده الذى يُخْرِجه إلى الخطأ ، وإنما قَصَد إلى ازدواج الكلام فى الفوت والموت ، ولم يتأمل المعنى ، والوَجْهُ الصحيح قولُ البحترى :

تَتَدَانَى الآجَالُ ضَرْباً وَطَعْنـــاً
حِـــينَ يَدْنُو فَيَشْهَـــدُ الهَيْجَاءَ(٢)

* * *

(١) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٢٢٩) وتناول : مضارع حذفت منه إحدى التاءين ، وأصله تتناول ، وفاعله « أيدى الموت » يريد إذا تناول بطل من أتباع الممدوح سيفا فإن أيدى الموت تتناول النجاة والهرب ، وهـــذا كنـــاية عن أنهم يقتلون أعداءهم ولا يمـــكنونهم من الهرب .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان : ١ / ٢)

٣٨ — ومن خطائه قولُه(١) :

وَاكْتَسَتْ ضُمَّرُ الجِيَادِ المَذَاكِي مِنْ لِبَاسِ الهَيْجَا دَمًا وَحَمِيا(٢)
فى مَكَرٍّ تَلُوكُهَا الحَرْبُ فِيهِ وَهْىَ مُقْوَرَّةٌ تَلُوكُ الشَّكِيما(٣)

فهذا معنى قبيح جداً : أن جعلَ الحرب تلوك الخيل من أجل قوله « تلوك الشكيما » و « تلوك الشكيما » أيضا ههنا خطأ ؛ لأن الخيل لا تلوك الشكيم فى المَكَرّ وَحَوْمَة الحرب ، و إنما تفعل ذلك واقفةً لا مكرّ لها .

فإن قيل : إنما أراد أن الحرب تَلُوكُهَا كما تلوك هى الشكيم .

قيل : هذا تشبيه ، وليس فى لفظ البيت عليه دليل ، وألفاظ التشبيه معروفة ، و إنما طرح أبا تمام فى هذا قلة خُبْرِهِ بأمر الخيل ، ألا ترى إلى قول النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ ، وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ
تَحْتَ العَجَاجِ ، وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللجُمَا

والصيامُ ههنا القيام ؛ أى خيل واقفة مستغنى عنها لكثرة خيلهم فهى واقفة ، وخيل تحت العجاج فى الحرب ، وخيل تعلك اللجما ، قد أُسْرِجت وأُلجمت ، وأُعِدَّت للحرب .

والشاعر الحصين(٤) كان أحذق من الطائى وأعلم بأمر الخيل قال :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد وكان قد قدم من مكة (الديوان ٢٩٣) .

(٢) الضمر : جمع ضامر ، وهو الخفيف اللحم ، والمذاكى : الخيل المسنة ، والهيجا ـ بالقصر ههنا ، ويمد ـ الحرب ، والحميم : الماء الحار ، وأراد به العرق .

(٣) المكر : المكان الذى يكر الأبطال فيه بعضهم على بعض ، والمقورة : الضامرة ، ووقع فى الأصول « فهى بكر » مكان « فى مكر » وهو تحريف تصويبه عن الخطية والديوان ، ويؤيد ماأثبتناه اعتراض المؤلف الآتى .

(٤) نسبه العباسى فى معاهد التنصيص (٢٤٠ بولاق) إلى يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، وذكر قبله قوله :

عودته فيما أزور حبائبى إهماله ، وكذاك كل مخاطر

وإذا أحتبى قَرَبُوسَـــهُ بِعِنَانِهِ عَلَكَ الشَّكِيمَ إلى انصِرَافِ الزَّائِرِ (١)

وإلا فمتى رأى فرسًا يجرى وهو يلوك شَكِيمَهُ ؟ فأما قول أنس بن الريان (٢) :

أَقُودُ الجِيَادَ إِلَى عَامِرٍ عَوَالِكَ لُجُمٍ تَمُجُّ الدِّمَاءَ

فإن القَوْدَ قد يكون فى خلاله تلبُّثٌ وتوقُّفٌ تلوك فيه الخيلُ لجمها ، والمكرُّ لا يستقيم ذلك فيه ؛ فأما قول أبى حزابة التميمى (٣) :

خَاضَ الردَى فى العدى قدما بِمُنْصُلِهِ والخيلُ تَعْلُكُ ثِنَى المَوْتِ باللُّجُمِ

فإنما جعل ثنى الموت مثلاً ، والثنى : حطام النبات اليابس ، ولم يرد أن الخيل تعلك اللجم على الحقيقة .

* * *

٣٩ — ومن خطائه قولُه (٤) :

والحربُ تَرْكَبُ رَأْسَهَا فى مَشْهَدٍ عُدِلَ السَّفِيهُ بِهِ بِأَلْفِ حَلِيمِ

فى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ لُقْمَانًا بِهَا وَهُوَ الحَكِيمُ لَكَانَ غَيْرَ حَكِيمِ

جَثَمَتْ طُيُورُ المَوْتِ فى أَوْكَارِهَا فَتَرَكْنَ طَيْرَ العَقْلِ غَيْرَ جُثُومِ

فالبيتان الأولان جيدان ، وقوله « جثمت طيور الموت فى أوكارها » بيت

---

(١) القربوس ـ بفتح القاف والراء جميعا ـ حنو السرج ، وللسرج قربوسان ، والعنان ـ بكسر العين ـ سير اللجام الذى تمسك به الدابة ، والشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس ، ويقال لها شكيمة أيضا ـ بالتاء ـ .

(٢) لم أقف على صحة هذا الاسم ، وذكر فى المؤتلف والمختلف (ص٥٥) شاعرين اسم كل منهما أنس ، أما أحدهما فأنس بن أبى أناس الكنانى ، أحد بكر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة ، وأما الآخر فأنس بن نواس المحاربى .

(٣) وقع فى مطبوعات هذا الكتاب «أبى حزانة التميمى» بالنون ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه بالباء . وأبو حزابة هو الوليد بن حنيفة ، أحد بنى حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم ، وهو شاعر من شعراء الدولة الأموية .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٧ و ٣٠٨) وفيه فى أول الثالث « جثمت طيور الهلك » .

ردىء فى القسمة ، ردىء فى المعنى ؛ لأنه جعل طير الموت فى أوكارها جاثمةً : أى ساكنة لاينفرها شىء ، وطَيْرَ العقل غير جُثُومٍ ، يعنى أنها [قد] نفرت فطارت ، يريد طيران عقولهم من شدة الرَّوْع ، وما كان ينبغى أن يجعل طير الموت جثوما فى أوكارها ، وإنما كان الوجه أن يجعلها جاثمة على رؤوسهم ، أو واقعة عليهم ، فأما أن تكون جاثمة فى أوكارها فإنها فى السلم أو فى الأمن جاثمة فى أوكارها أيضاً ، وطَيْرُ العقل ليست بضدٍّ لطير الموت ، وإنما هى ضد لطير الجهل ، وطير الحياة هى الضد لطير الموت ، ولو كان قال :

جَثَمَتْ طُيُورُ المَوْتِ فَوْقَ رؤُوسِهِمْ
فَتَرَكْنَ أَطْيَارَ الحَيَاةِ تَحُومُ

لكان أشْبَهَ وألْيَقَ ، أو لو قال :

سَقَطَتْ طُيورُ الرَّوْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
فَتَرَكْنَ أَطْيَارَ العُقُولِ تَحُومُ(١)

لكان أيضاً قريباً من الصواب ؛ لأنهم يقولون : طار عقله من الرَّوْع ، فإذا ثاب إليه عقله وسكن قيل : قد أَفرَخَ رَوْعُه ، وهذا مَثَل ، وذلك أن الطائر إذا أفْرَخَ لزم عُشّه وفراخَه ، وقد يجوز أن يكون « أفرخ رَوْعُه » أى : ذهب ؛ لأن الطائر إذا أفْرَخَ فطارت فراخه انتقل عن ذلك العش ، وقولهم « جَثَمَ الطائر » إنما هو أن يلصق جُثمانه بالأرض ، يذهبُ إلى أن طيور الموت ساكنة ، وطيور العقل منزعجة طائرة ، وقوله « غير جُثُوم » لا ينوب مناب طائرة ولا منزعجة ؛ لأن الطائر قد لا يكون جاثماً وقد يكون قائماً على رجليه ساكناً مطمئناً ، وهذه حاله فى أكثر أوقاته ؛ فقد حمل المعنى على لفظ لايليق به ، ولا يؤدى التأدية الصحيحة عنه .

* * *

(١) فى الخطية هنا « فتركن طير العقل فى التحويم » وليس بذاك ؛ لأن حرف الروى مرفوع فى القصيدة ، وروى هذا البيت مجرور حينئذ .

٤٠ — ومن خطائه قوله فى وصف الفرس(١) :

مَا مُقْرِبٌ يَخْتَالُ فى أَشْطَانِهِ ... مَلْآنُ مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلَهْوُقِ(٢)

قوله « ملآن من صَلَف » يريد التِّيهَ والكبر ، وهذا مذهب العامة فى هذه اللفظة ؛ فأما العرب فإنها لا تستعملها على هذا المعنى ، وإنما تقول : قد صَلِفَتِ المرأة عند زوجها ، إذا لم تَحْظَ عنده ، وصَلِفَ الرجلُ كذلك ؛ إذا كانت زوجته تكرهه ، وقال جرير :

إِنِّى أُوَاصِلُ مَنْ أَرَدْتُ وِصَالَهُ

بِحِبَالِ لاَ صَلِفٍ وَلاَ لَوَّامِ

والصَّلِف : الذى لا خير عنده ، ومَثَل يضرب « رُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَة » يعنون الرَّعْدَ بغير مطر : فهذا معنى الصلف فى كلامهم ، وعلى هذا قد ذم أبو تمام الفرسَ من حيث أراد أن يمدحه ، والتلهوق : هو لطف المداراة والحيلة بالقول وغيره حتى يبلغ الحاجة ، ومنه قولُ الأغلب العِجْلى يصف مُدَارَاة رجل له امرأةٌ نال منها :

فَلَمْ يَزَلْ بِالْحَلِفِ النَّجِىِّ ... لَهَا وَبِالتَّلَهْوُقِ الْخَفِىِّ

أَنْ قَدْ خَلَوْنَا بِفَضَاءٍ قِىِّ ... وَغَابَ كُلُّ نَفَسٍ مَخْشِىِّ(٣)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ، ويصف فرسا حمله عليه (الديوان ٢١١) وكان فى المطبوعات «وتلهوف» بالفاء ، وهو تصحيف صوابه عن الخطية والديوان

(٢) المقرب : أراد به الفرس ، ويختال : يمشى الخيلاء ، يريد يتبختر ، والأشطان : جمع شطن — بفتح الشين والطاء جميعا — وهو الحبل ، والصلف : الكبر ، والتلهوق : التحسن بما ليس فيه ، وهو أيضا أن تظهر شيئا وباطنك على خلافه ، وقال الكميت يمدح مخلد بن يزيد بن المهلب :

أجزيهم يد مخلد ، وجزاؤها ... عندى بلا صلف ولا بتهلوق

(٣) القى — بكسر القاف وتشديد الياء — القفر .

وقد ذكر أبو عبيدة القاسمُ [بن سلام] فى الغريب المصنَّف فى أول نوادر الأسماء التَّلَهْوُقَ، وقال : وهو مثل التملق ، وما أرى أباتمام فى وضْع هاتين اللفظتين إلا غالطاً.

* * *

٤١ — وقال أبو تمام(١) :

عَطَفُوا الخُدُورَ عَلَى البُدُورِ ، وَوَكَّلُوا
ظُلَمَ السُّتُورِ بِنُورِ حُورٍ خُرَّدِ(٢)
وَثَنَوْا عَلَى وَشْيِ الخُدُودِ صِيَانَةً
وَشْيَ البُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدِ(٣)

والبيت الأول حسنٌ حُلْو ، وأخذ قوله « وثنوا على وشى الخدود صيانة وشى البرود » من قول الكُمَيْت .

وَأَرْخَيْنَ البُرُودَ على خُدُودٍ يُزَيِّنَّ الفَدَاغِمَ بالأَسِيلِ(٤)

وقوله « بمُسْجَفٍ وممهدٍ » فالمسجَفُ يريد ستر باب الحَجَلَة ، وكل باب مشقوق فكل شق منها سِجْفٌ ، وكذلك سجف الخباء ، والمسجَّف : المرخى ،

(١) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله . ويقال : مدح بها المأمون (الديوان ١١١) وفيه «بنور حور نهد » وقد تقدم ذكر ثانى البيتين فى سرقات أبى تمام (ص ١٠١ من هذا الكتاب)

(٢) عطفوا : أراد به غطوا ، والخدور : جمع خدر ـ بكسر فسكون ـ وهى حجلة العروس ، وتطلق على البيت مادام فيه نساء ، والظلم ـ بضم ففتح ـ جمع ظلمة ، والحور ـ بضم الحاء ، ـ جمع حوراء ، وهى المرأة الشديدة بياض العين مع شدة سواد سوادها ، والخرد : جمع خريدة ، وأصلها الدرة التى لم تثقب ، تشبه بها المرأة ، والنهد ـ فى الرواية الأخرى ـ جمع ناهد ، وهى البارزة النهدين .

(٣) سبق مشروحا (ص ١٠١ من هذا الكتاب)

(٤) قد مضى مشروحا (ص ١٠١ من هذا الكتاب أيضا) وقد روى فى صحاح الجوهرى (ف دغ م) وفيه« وأدنين البرود»

والتسجيف : إرخاء السِّجْفَيْن، وقوله « بمسجف » أى من مُسْجَف وممهد ؛ فجعل الباء فى موضع « من » كما قال عنترة :

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ
زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ (١)

أى : من ماء الدُّحْرُضَيْنِ ، والممهَّد : الوِطَاء الذى يُوَطّأ تحت المرأة ، فكيف يكون ذلك مَنْسُوقاً على الْمُسْجَفِ الذى ذكر أنهم ثنَوْه على وَشْيِ الخدود ؟ والممهَّد ليس هذه حاله فيعطفه عليه .

فإن قيل : كيف لا يكون محمولا على قول الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِي الْوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحاً (٢)

والرُّمْح لا يُتقَلد ، وقول الآخر :

* وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا (٣) *

والعيون لا تُزَجَّج ، وإنما أراد ذلك متقلداً سيفاً وحاملا رمحاً ، وأراد هذا وزَجَّجْن الحواجب وكَحَّلْنَ العيونا .

قيل: متقلِّد السيفِ هو حامله أيضاً ؛ فَحَسُن أن يعطف [الرمْحُ] على السيف؛ لأنهما

(١) الدحرضان : ماءان من مياه العرب ، واسم أحدهما دحرض ، وهو لآل الزبرقان بن بدر ، واسم الآخر وسيع ، وهو لبنى أنف الناقة ؛ فغلب فى التثنية أحدهما على الآخر ، والزوراء : المائلة ، والديلم : يقال هو اسم ماء من مياه بنى سعد ، ويقال : اسم رجل من ضبة ، وهو الديلم بن ناسك بن ضبة ، وهذا هو الصحيح ، ذكره صاحب اللسان وصححه

(٢) يروى النحاه صدر هذه البيت :

* ياليت زوجك قد غدا *

(٣) هذا عجز بيت للراعى النميرى ، وصدره قوله :

* إذا ما الغانيات برزن يوما *

جميعاً محمولان ، وكذلك زججن وكحلن هما جميعاً زينةٌ ؛ فحَسُن أن يعطف أحدهما على الآخر ، والممهَّد لا يشرك الستر فى شىء من تَغْطية الوجه ولا صيانته ، ولا بنيت ألفاظ البيت إلا على ستر الخدود بالستور ، ولا يتعلق الممهد بالمعنى بإضمار لفظٍ ولا تأوُّلٍ .

* * *

٤٢ — ومن خطائه قوله(١) :

بِقَاعِيَّـــةٌ تَجْرِى عَلَيْنَا كُؤُوسُـــهَا
فَتُبْدِى الَّذِى نُخْفِى ، وَتُخْفِى الذِى نُبْدِى(٢)

ذهب فى هذا إلى أن الخمر تُخفى الذى نُبديه فى حال الصَّحو من الِحلم والوقار والـكَفِّ عن الهزل واللعب ، و « تبدى الذى نخفى » أى : الذى نعتقده ونكتمه من ضد ذلك كله ؛ لأنه فى الطبيعة والغريزة .

والذى كنا نُظهره إنما هو تصنُّع وتكلف ، ويدخل فى هذا ما يَبُوحُ به المحب من الحب الذى كان يكتمه فى صَحْوه ويُظهر ضدَّه ، أو ما يبوح به من بُغْض زيد وكان يظهر فى صَحْوه مودَّتَهُ ويُنَافِقُهُ .

وكذلك ما يظهرُ السكر من بُخْل البخيل فيمنع ما كان يتحمله من بَذْله فى الصَّحو ، أو ما يظهر من السماحة التى كان لا يسمح بمثلها فى صحوه خوفَ العاقبة ، ونحو هذا .

وما سقط من قول الحكماء « إن الشراب يثير كل ماوجد » أى : يظهر كل ما فى النفس من خير وشر وحَسَن وقبيح ؛ فـكلُّ شىء يظهره الإنسان وليس فى اعتقاده

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس نصربن منصور بن بسام (الديوان ١١٥)

(٢) بقاعية : منسوبة إلى البقاع ، وهو مكانٌ تعصر فيه الخمر ، وأراد بسكونها تبدى ما يخفيه أنها تجرى لسانه وتحل عقدته ؛ فيبوح بأسراره ويفشى ما كان يتكتمه ، وأراد بأنها تخفى مايبديه أنها تذهب عنه آثار الحزن والاهتمام بشواغله والتفكير فيما يحيط به من كرب الحياة وبأسائها . هذا ما يظهر لنا فى توجيه هذا البيت .

ولا نيته فإن الذى يضمره ويكتمه فى نفسه فهو ضده ، فإذا أظهر السكرُ اعتقاد المعتقد الذى هو الصحيحُ فإن ضدَّه مما كان يتجمل[١] بإظهاره يَبْطُلُ ويتلاشى ؛ لأن الشراب يخفيه ويطويه فى الضمير حتى يكون مكتوماً كما كانت الحقيقة مكتومة ، هذا مُحَال ؛ لأن القلبَ هو مَحَلُّ المعتقدات ؛ فلا يجوز أن يجتمع فيها الشىء وضِدُّه ، والاعتقادات لا تكون باللسان ؛ لأن اللسان يكذب ، والقلب لا يتضمن إلا الحقيقة .

وقول أبى تمام : « فتبدى الذى تخفى » قولٌ صحيحٌ ، وقوله « وتخفى الذى تبدى » اللفظُ فاسد ؛ لأن تخفى معناه تكتم وتستر ، والذى قد أبطلته وأزلته لا يجوز أن يعبر عنه بأنك أخفيته ولا كتمته .

فإن قيل : ولم لا يكون هذا توسعاً ومجازاً ؟

قيل : المجاز فى مثل هذا لا يكون ؛ لأن الشىء الذى تكتمه وتطويه إنما أنت خازنٌ له وحافظٌ ؛ فهو ضد للشىء الذى تزيله وتُبطِله ، والأضداد لا يستعمل أحدها فى موضع الآخر على سبيل المجاز .

* * *

٤٣ — ومن خطائه قوله فى وَصْف فَرَس[٢] :

وَبِشُعْلَةٍ نَبْذٍ كَأَنَّ فَلِيلَهَا
فِى صَهْوَتَيْهِ بَدْءُ شَيْبِ الْمَفْرِقِ[٣]

(١) فى الخطية « مما كان يتصنع » .

(٢) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف فرسا حمله عليه (الديوان ٢١٢) وفيه « كأن فلولها » .

(٣) الشعلة : بياض فى الفرس ، ونبذ — بفتح النون وسكون الباء — أراد به مطروحة ، وأصله قولهم : نبذ الشىء ينبذه — من باب ضرب — إذا طرحه ، والفلول : جمع فل — بفتح الفاء وتشديد اللام — وأراد به متفرقها ، والفليل — فى الرواية الأخرى — بمعنى الفل ، فعيل بمعنى مفعول ، والصهوة : مقعد الفارس من الفرس ، والمفرق : الموضع الذى يفترق فيه الشعر من الرأس .

قوله : « فليلها » يريد ما تفرق منها فى صَهوَتيه ، والصَّهْوة : موضع اللبد ، وهو مقعد الفارس من الفرس ، وذلك الموضع أبداً يَنْحَتُ شَعْرُه لغَمْز السرج إياه فينبت أبيض ؛ لأن الجلد ههنا يرقّ ، وأنت تراه فى الخيل كلها على اختلاف شِيَاتِهَا ، وليس بالبياض المحمود ولا الحسن ولا الجميل ؛ فهذا خطأ من هذا الوجه .

وهو خطأ من وجه آخر ، وهو أنْ جَعَله شُعْلة ، والشعلة لا تكون إلا فى الناصية أو الذنب ، وهو أن يبيضّ عرضها وناحية منها ، فيقال : فرس أشْعَلَ وشَعْلاء ، وذلك عَيْبٌ من عيوب الخيل ، فإن كان ظهر الفرس أبيضَ خلقةً فهو أرْحَلُ ، ولا يقال أشْعَل .

وقد أخذ البحترى قوله «بَدْء شَيْبِ المفرق» فجاء به حسناً جداً ، ثم ماسلم[(١)] أيضا من العيب ، فقال[(٢)] :

وَبِشُعْلَةٍ كالشَّيْبِ مَرَّ بِمَفْرِقَيْ
غَزِلٍ لَهَا عَنْ شَيْبِهِ بِغَرَامِهِ

فقال « بشعلة » ولم يَنُصّ على موضعها ، ومعلوم أنه أراد بياضاً فى الناصية ، وقال « مر بمفرقَيْ غَزِلٍ » فأوضح أنه ذلك الموضعَ أراد ، وقال « لها عن شيبه بغرامه » فأتى بشىء يفوق كل حُسْن ، إلا أن البياض فى الناصية من عيوب الخيل وكذلك البياض فى الذَّنَب ، ليس بين الناس فى ذلك اختلاف ، ويقال لبياض الناصية أيضاً السَّعَفُ .

---

(١) فى المطبوعات «ثم سلم» وأدنى تأمل يدل على أن صوابه ما أثبتناه عن الخطية

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الرحمن الحرانى ، ويصف فرسا (الديوان : ٢ / ٢٥٢) وفيه « فى شعلة كالشيب » ، وقبل هذا البيت قوله :

وكأن فارسه وراء قذاله ردف ؛ فلست تراه من قدامه
لانت معاطفه ؛ فخيل أنه للخيزران مناسب بعظامه

وأيضاً ؛ فإن البحترى وصف فرساً أدهم فقال[١] :

جَذْلانُ تَلْطِمُهُ جَوَانِبُ غُرَّةٍ جاءتْ مَجِيءَ الْبَدْرِ عِنْدَ تمامِهِ

فأى حُسْن يكون لبياض ناصية على بياض غرة ؟

ومن قبيح وصف شِيَاتِ الخيل قولُ أبى تمام فى هذا الفرس أيضاً :

مُسْـوَدّ شَـطْرٍ مِثْلَ ما اسْـوَدَّ الدُّجَى
مُبْيَضُّ شَطْرٍ كابْيِضَـاضِ الْمُهْرَقِ[٢]

شَطْر الشىء : جانبه وناحيته ، قال الله عز وجل : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)[٣] أى ناحيته ، وقد يُراد بالشطر نصفُ الشىء ، يقال : قد شَاطَرْتُكَ مالى ، أى : ناصفتك ؛ فهذا هو الأكثر الأعمُّ فيما يستعملون ، وذلك من أقبح شِيات الأبلق على ظاهر هذا المعنى ، ولم يُرده أبو تمام ، وإنما أراد بالشطر ههنا البعض أو الجزء : أى مسودّ جزء مبيض جزء ، فجاء بالشطر لأنها لفظة أحسن من الجزء ومن البعض فى هذا الموضع .

والجيدُ النادر قولُ البحترى :

أَوْ أَبْلَقٍ يَلْقَى الْعُيُـــونَ إذا بَدَا
مِنْ كُلِّ لَوْن مُعْجِبٍ بِنَمُوذَجِ[٣]

---

(١) من نفس القصيدة التى منها البيت السابق (الديوان : ٢ / ٢٥١)

(٢) المهرق : الصحيفة .

(٣) من الآية ١٥٠ من سورة البقرة .

(٤) هذا بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل ويصف فرسا وبغلا (الديوان : ١ / ١٠٢) وجملة « يلقى العيون » صفة لأبلق ، و « بنموذج » يتعلق بيلقى ، و « من كل لون معجب » أصله صفة لنموذج ، وأصل نظام البيت : من كل فرس أبلق يلقى العيون وقت ظهوره بنموذج من كل لون معجب . وقبل هذا البيت قوله :

فأعن على غزو العدو بمنطو أحشاؤه طى الكتاب المدرج =

وقد جعله أبو تمام فى أول الأبيات أشْعَلَ بقوله « بشُعْلَةٍ » ثم جعله هنا أبْلَقَ ؛ فهذا الفرس هو الأشعل الأبلق على مذهبه فى هذا التشبيه ، ولا يُنْكر مثلُ هذا من ابتداعاته .

* * *

= إما بأشقر ساطع ، أغشى الوغى ... منه بمثل الكوكب المتأجج
متسربل شية طلت أعطافه ... بدم ؛ فما تلقاه غير مضرج
أو أدهم صافى السواد ، كأنه ... تحت الكمى مظهر بيرندج
ضرم يهيج السوط من شؤبوبه ... هيج الجنائب من حريق العرفج
خفت مواقع وطئه ؛ فلوانه ... يجرى ببرمة عالج لم يرهج
أو أشهب يقق يضىء وراءه ... متن كمتن اللجة المترجرج
تخفى الحجول ولو بلغن لبانه ... فى أبيض متألق كالدملج
أوفى بعرف أسود متغربب ... فيما يليه وحافر فيروزجى

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرِ بنِ يَحْيَى الآمدىُّ :

قد ذكرتُ فى الجزء الثانى الموازنَةَ بين شعر أبى تمام حبيبِ بن أوسٍ الطائى وشعر أبى عبادة الوليدِ بن عبيدٍ البحترى ، وخَطَأَ أبى تمام فى الألفاظ والمعانى ، وبيَّضْت آخرَ الجزء لألحقَ به ما يمر من ذلك فى شعره ، وأستدركه من بعدُ فى قصائده .

وأنا أذكر فى هذا الجزء الرَّذْلَ من ألفاظه ، والساقطَ من معانيه ، والقبيحَ من استعاراته ، والمستكْرَهَ المتعقِّدَ من نَسْجه ونَظمه ، على ما رأيت المتأخرين يتذاكرونه ، وينعَوْنَه عليه ويعيبونه ، وعلى أنى وجدتُ لبعض ذلك نظائر فى أشعار المتقدمين ؛ فعلمتُ أنه بذلك اغترَّ ، وعليه فى العذر اعتمد ؛ طلباً منه للاغراق والإبداع ، ومَيْلا إلى وَحْشِيِّ المعانى والألفاظ ، وإنما كان يندر من هذه الأنواع المستكرهة على لسان الشاعر المحسن البيتُ أو البيتان يُتَجاوز له عن ذلك ؛ لأن الأعرابى لا يقول إلا على قريحته ، ولا يعتصم إلا بخاطره ، ولا يَسْتَقِى إلا من قلبه ، وأما المتأخِّر الذى يَطْبع على قوَالِبَ ، ويَحْذو على أمثلة ، ويتعلم الشعر تعلماً ، ويأخذه تلقناً ؛ فمن شأنه أن يتجنّب المذموم ، ولا يتبع من تقدَّمه إلا فيما استُحْسِن منهم ، واستُجيد لهم ، واُخْتِير من كلامهم ، أو فى المتوسط السالم إذا لم يقدر على الجيد البارع ، ولا يوقع الاحتطابَ والاستكثار مما جاء عنهم نادراً ومن معانيهم شاذاً ، ويجعله حجة له وعذراً ؛ فإن الشاعر قد يُعاب أشدَّ العيب إذا قصد بالصنعة سائرَ شعره ، وبالإبداع جميعَ فنونه ؛ فإنَّ مُجاهدة الطبع ومغالبة القريحة مخرِجةٌ سهلَ التأليف إلى سوء التكلفِ وشِدَّةِ التعمُّل ، كما عيب صالحُ بن عبد القُدوس وغيرُه ممن سلك هذه الطريقة حتى سقط شعره ؛ لأن لكل شىء حدًّا : إذا تجاوزه المتجاوزُ سمى مُفْرِطاً ، وما وقع الإفراط فى شىء إلا شانَه ، وأعاد إلى الفساد صحتَه ، وإلى القبح حسنَه وبهاءهُ ، فكيف إذا تتبّع الشاعرُ مالا طائل فيه : من

لفظة شنيعة لمتقدم ، أو معنًى وَحْشِيٍّ فجعله إماماً ، واستكثر من أشباهه ، ووَشَّح شعره بنظائره ؟ إنَّ هذا لَعَيْنُ الخطأ ، وغايةٌ فى سوء الاختيار .

* * *

باب
ما فى شعر أبى تمام من قبيح الاستعارات(١)

١ — فمن مَرْذول ألفاظه وقبيح استعاراته قولُه :

يا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ ؛ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هٰذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكَ(٢)

٢ — وقال :

سَأَشْكُرُ فُرْجَةَ اللَّبِيتِ الرَّخِيِّ وَلِينَ أَخَادِعِ الدَّهْرِ الأَبِيِّ(٣)

(١) قد ذكر أبو هلال العسكرى فى الصناعتين (٣٠٣) جملة من شعر أبى تمام الذى أبعد فيه الاستعارة ، وقد اشترك مع المؤلف فى بعض ما ذكره هنا ، وانفرد كل منهما بشىء ، وقال أبوهلال قبل أن يذكر ما ذكره من شعر أبى تمام : « وقد أكثر أبو تمام من هذا الجنس ، اغترارا بما سبق منه فى كلام القدماء فأسرف ، فنعى عليه ذلك ، وعيب به ، وتلك عاقبة الإسراف »اه . وقال بعد أن أنشد ماجاء بهمن الأبيات: «وقد جنى أبو تمام على نفسه بالإكثارمن هذه الاستعارات ، وأطلق لسان عائبه ، وأكد له الحجة على نفسه ، واختيارات الناس مختلفة بحسب اختلاف صورهم وألوانهم» اه ، وانظر ما قاله المؤلف فى ص ١٧

(٢) هذا البيت من أبيات يمدح فيها محمد بن الهيثم ويهنئه ببرئه (الديوان ١١٠) وهو أول ماذكره أبو هلال أيضا فى الصناعتين (٣٠٣) وأنشده صاحب الوساطة ٦٣ مع أبيات أخرى ذكر أبو تمام فيها لفظ الأخدع ، وقال القاضى الجرجانى قبل إنشادها « وقد أولع بذكر الأخدع ؛ فردده فى عدة أبيات لم يوفق إلافى واحد منها » وسيأتى للمؤلف الكلام عليه مرة أخرى

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٣٤٤) وفيه « أخادع الزمن الأبى » وكان فى الأصول « فرجة اللبب » وما أثبتناه عن الديوان ، والفرجة : السعة ، والليت : صفحة العنق ، والأخادع : جمع أخدع ، وهو عرق فى العنق ، والأبى ، المتكبر ، وانظر الصناعتين (٣٠٤) والوساطة ٦٣

٣ — وقال :

فَضَرَبْتُ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعَيْهِ ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْداً رَكُوبَا(١)

٤ — وقال :

تَرُوحُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ وَتَغْتَدِى خُطُوبٌ كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ(٢)

٥ — وقال :

أَلاَ لاَ يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفًّا بِسَيِّء إِلَى مُجْتَدِى نَصْرٍ ؛ فَيُقْطَعَ لِلزَّنْدِ(٣)

٦ — وقال :

وَالدَّهْرُ أَلأَمُ مَنْ شَرِقْتَ بِلُؤْمِهِ إِلاَّ إِذَا أَشْرَقْتَـهُ بِكَرِيمِ(٤)

٧ — وقال :

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْراً أَىُّ عِبْأَيْهِ أَثْقَلُ(٥)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢٧) وفيه « قودا ركوبا » وفى الصناعتين (٣٠٤) كما هنا . والقود — ومثله العود — البعيرالمسن ؛ وأراد طيعا منقادا ، وتقول : ضربت فلانا فى أخدعيه ، تريد أنك أذهبت كبره ، وقد رواه فى الوساطة ٦٣ ، وسيأتى مرة أخرى

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٩٠) والصناعتين (٣٠٤) والخطوب : جمع خطب ـ بفتح فسكون ـ وهو النازلة من نوازل الدهر

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام (الديوان١١٥) وكان فى المطبوعات « كفالسىء » و «فتقطع من الزند» وتصويبهما عن الديوان ، وفى نسخة منالصناعتين (٣٠٤) «تقطع من الزند» وليس بشىء أيضاً ؛ إذ من شرط جزم المضارع بعد النهى أن يصح أن تضع قبله أداة شرط مقترنة بلا النافية ويصح المعنى ، وأنت لو قلت « إلا يمد كفه تقطع من الزند » لم يكن الـكلام صحيح المعنى .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٨) والصناعتين (٣٠٤) والشرق : الغصص بالماء

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أبا المستهل محمد بن شقيق الطائى (الديوان ٢٤٥ والصناعتين (٣٠٤) والشطر : النصف ، والعبء : الحمل ، وسيأتى ذكره مرةأخرى

٨ — وقوله يَصِفُ قصيدة(١) :

تَحُلُّ يَفَاعَ الْمَجْدِ حَتَّى كَأَنَّهَا عَلَى كُلِّ رَأْسٍ مِنْ يَدِ الْمَجْدِ مِغْفَرُ
لَهَا بَيْنَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ مَزَامِرٌ مِنَ الذِّكْرِ لَمْ تَنْفُخْ وَلَا هِيَ تَزْمُرُ

٩ — وقوله(٢) :

بِهِ أَسْلَمَ الْمَعْرُوفُ بِالشَّامِ بَعْدَمَا ثَوَى مُنْذُ أَوْدَى خَالِدٌ وَهْوَ مُرْتَدُّ
أَمَا وَأَبِي أَحْــدَاثِهِ إِنَّ حَادِثًا حَدَا بِي عَنْكَ الْعِيسَ لَلْحَادِثُ الْوَغْدُ

١٠ — وقوله(٣) :

جَذَبْتُ نَدَاهُ غَدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةً فَخَرَّ صَرِيعًا بَيْنَ أَيْدِي الْقَصَائِدِ

١١ — وقوله(٤) :

لَوْ لَمْ تُفَتِّ مُسِنَّ الْمَجْدِ مُذْ زَمَنٍ بِالْجُودِ وَالْبَأْسِ كَانَ الْجُودُ قَدْ خَرِفَا

---

(١) من أبيات له يمدح فيها جعفرا الخياط (الديوان ١٦٠) والصناعتين (٣٠٤) وفيهما « تحل بقاع المجد » والمغفر : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة .

(٢) من قصيدة يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٢١) وثانيهما فيه قبل أولهما بأربعة عشر بيتا ، وأنشد أولهما فى الصناعتين (٣٠٤) وأسلم : انقاد وخضع أو صار مسلما ، وثانيهما أتم مقابلة لقوله « وهو مرتد » فى آخر البيت ، وثوى : أقام فى مكانه ولم يبرحه ، وأودى : هلك ، وأراد بخالد خالد بن يحيي البرمكى ، والمرتد : الخارج عن دينه ، وحدا : من الحداء — بضم الحاء — وهو الغناء للابل ، وأراد صرفنى عنك ، والوغد : اللئيم .

(٣) من قصيدة يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٩٥) والندى : المعروف والكرم ، والصريع : الطريح .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠٤) وأنشد آخره فى الصناعتين (٣٠٥) وفيهما « كأن المجد قد خرفا » وتفت : تصيره فتى بعد أن فات سن الفتاء والشباب ، والمسن : اسم الفاعل من « أسن الرجل » إذا طعن فى السن ، والبأس : الشدة .

١٢ — وقوله[1] :

لَدَى مَلِكٍ مِنْ أَيْكَةِ الْجُودِ لَمْ يَزَلْ
عَلَى كَبِدِ الْمَعْرُوفِ مِنْ فِعْلِهِ بَرْدُ

١٣ — وقوله[2] :

فِي غُلَّةٍ أَوْقَدَتْ عَلَى كَبِدِ الـــنَّائِلِ نَاراً أَخْنَتْ عَلَى كَبِدِهْ

١٤ — وقوله[3] :

حَتَّى إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا
فِيهِ ؛ فَغُودِرَ وَهْوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ

١٥ — وقوله[4] :

إِيثَارَ شَزْرِ الْقُوَى رَأَى جَسَدَ الْ
مَعْرُوفِ أَوْلَى بِالطِّبِّ مِنْ جَسَدِهْ

١٦ — وقوله[5] :

وَمَا ذُكِرَ الدَّهْرُ الْعَبُوسُ بِأَنَّهُ لَهُ ابْنٌ كَيَوْمِ السَّبْتِ إِلَّا تَبَسَّمَا

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٢١) والصناعتين (٣٠٥) وفيه « إلى ملك » و « من نيله برد » وأصل الأيكة : الشجرة .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٩٥) والصناعتين (٣٠٥) وكان فى المطبوعات « فى علة » بالعين المهمله ، وإعجامها عنها وهو الصواب، والغلة — بضم الغين المعجمة — حرارة الجوف ، وأخنت : أهلكت .

(٣) من قصيدة له يهجو فيها عتبة بن أبى عاصم (الديوان ٥٠٠) وفيه « بيض إذا اسود الزمان » وورد فى الصناعتين (٣٠٥) كما هنا .

(٤) من مدحته فى خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٩٥) والإيثار : التفضيل ، والشزر : الشديد ، والقوى : جمع قوة ، والطب : العلاج .

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٩٧) وفيه « فما ذكر الدهر »

١٧ — وقوله(١) :

وكَمْ أَحْرَزَتْ مِنكُمْ عَلى قُبحِ قَدِّها
صُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ الْقَدِّ

١٨ — وقوله يصف الأرض(٢) :

إذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسْجَهَا خِلْتُ أنه مَضَت حِقْبَةٌ حَرْسٌ لَهُ وَهْوَ حائِكُ

١٩ — وقوله(٣) :

وَلاَ جْتُذِبَتْ فُرُشٌ مِنَ الأَمْنِ تَحْتَكُمْ
هِيَ المِثْلُ فِى لِينٍ بِهَا وَالأَرَائِكُ

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقى ، ويعتذر إليه (الديوان ١٢٧) والصناعتين(٣٠٥) وفيه « وكم ملكت منا على قبح قدها » و«صروف الردى» وأحرزت وملكت بمعنى ، والقد : القوام ، وصروف النوى : تصرفات البعد ، والمرهف : الرقيق .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢٢٤) والصناعتين (٣٠٥) وفيهما « إذا الغيث غادى نسجه » والغيث : المطر ، وغادى : أتاه غدوة ، وخلت : ظننت ، والضمير فى «أنه» يعود إلى الغيث، والحقبة : المدة . وتقول : مضى على فلان حرس من الدهر ، ومضت عليه أحراس منه ، وأراد هنا حقبة مديدة كامتداد الدهر

(٣) من مدحته فى أبى سعيد (الديوان ٢٢٥) وفيه « ولاستلبت فرش من الأمن» وقبل هذا البيت قوله :

ولولا تقاه عاد بيضا مفلقا بأدحية بيض الخدور الترائك
ولاصطفيت شول فظلت شواردا قروم عشار ما لهن مبارك
إذا للبستم عار دهر كأنما لياليه من بين الليالى عوارك

والأدحية : المكان تبيض فيه النعام فى الرمل ، وبيض الخدور : أراد به النساء الحسان ، والترائك : التى تركت بغير أزواج ، واصطفيت : اختيرت وانتجبت ، والشول : الخفيفة اللبن المرتفعة الشدى ، والقروم : الفحول ، والعوارك : الحائضات

٢٠ — وقوله[1] :

إذاً لَلبِسْتُمْ عارَ دَهْرٍ كأنما لَيَالِيهِ مِنْ بَيْنِ اللَّيالِى عَوارِكُ

٢١ — وقوله يرثى غالباً[2] :

أنزلَتْهُ الأيَّامُ عَنْ ظَهْرِها مِنْ بَعْدِ إثْبَاتِ رِجْلِهِ فى الرِّكابِ

٢٢ — وقوله[3] :

كأنَّنِي حِينَ جَرَّدْتُ الرَّجاءَ لَهُ غَضًّا صَبَبْتُ لهَا ماءً عَلى الزَّمَنِ

٢٣ — وقوله يصف فرساً[4] :

فَكأنَّ فَارِسَهُ يُصَرِّفُ إذْ بَدَا فى مَتْنِهِ ابناً لِلصَّباحِ الأبْلَقِ

وأشباه هذا مما إذا تتبَّعتَهُ فى شعره [وجَدْتَهُ] ؛ فجعل كما ترى — مع غثاثةهذه الألفاظ — للدهر أخْدَعا ، ويَداً تُقْطَع من الزند ، وكأنه يُصْرَعُ ،ويحل، و يشرق بالكرام ، ويتبسم ، وأن الأيام تنزله ، والزمانَ أبْلَقَ ، وجعل للمدح يداً ، ولقصائده مزامر إلا أنها لا تنفخ ولا تزمر ، وجعل المعروف مُسْلماً تارةً ومرتداً

(١) هذا هو البيت الذى قبل البيت السابق فى المدحة ، وانظر الهامشة السابقة

(٢) من قصيدة له يرثى فيها محمد بن الفضل الحميرى ، وليس — كما قال المؤلف — يرثى فيها غالبا ، وله قصيدة تقع فى ترتيب الديوان قبل هذه يرثى فيها غالبا الصفدى (الديوان ٣٥٤) والصناعتين (٣٠٥) .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن على بن مرة (الديوان ٣٣٤) وقد ورد فيه البيت هكذا :

كأنَّنِي حِينَ جَرَّدْتُ الرَّجاءَ لهُ غَضًّا أخَذْتُ بهِ سَيْفًا مِنَ الزَّمَنِ

وما أرى الأصل إلامحرفا عن هذا :

(٤) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف فرسا حمله عليه (الديوان ٢١٢) وفى الصناعتين (٣٠٥) :

* وكأن فارسه يصرف إذ غدا *

أخرى ، والحادثَ وَغْداً ، وجَذْبَ نَدَى الممدوحِ بزعمه جذبةً حتى خر صريعا بين يدى قصائده ، وجعل المجد مما يحقد عليه الخوف ، وأن له جسداً وكبداً ، وجعل لصروف النوى قَدًّا ، وللأمن فُرُشاً ، وظن أن الغيث كان دهراً حائكا ، وجعل للأيام ظهراً يُرْكَب ، والليالى كأنها عوَارك ، والزمان كأنه صُبَّ عليه ماء ، والفرس كأنه ابن الزمان الأبلق ؛ وهذه استعارات فى غاية القَبَاحَة والهَجَانة والبعد من الصواب .

وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقارب به أو يدانيه ، أو يشبهه فى بعض أحواله ، أو كان سبباً من أسبابه ؛ فتكون اللفظة المستعارة حينئذٍ لائقةً بالشيء الذى استعيرت له وملائمة لمعناه ، نحو قول امرئ القيس(١) :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

وقد عاب امرأ القيس بهذا المعنى مَنْ لم يعرف موضوعات المعانى ولا المجازات وهو فى غاية الحسن والجودة والصحة ، وهو إنما قَصَد وَصْفَ أجزاء الليل الطويل فذكر امتداد وَسَطه ، وتثاقُلَ صدره للذهاب والانبعاث ، وترادفَ أعجازه وأواخره شيئاً فشيئاً ، وهذا عندى منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته ، وذلك أشد ما يكون على مَنْ يُرَاعيه ويترقَّب تَصَرُّمه ؛ فلما جعل له وَسَطاً يمتد وأعجازاً رادفة للوسط وصَدْراً متثاقلا فى نهوضه حَسُن أن يستعير للوسط اسم الصُّلْب ، وجعله متمطِّياً من أجل امتداده ؛ لأنَّ تمطَّى وتمدَّد بمنزلة واحِدَة ، وصلح أن يستعير للصَّدْر اسم الكَلْكَلِ من أجل نهوضه ، وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة ، وأشَدُّ ملاءمةً لمعناها لما استعيرت له .

---

(١) سبق هذا البيت (انظر ص ١٧ من هذا الكتاب) والصناعتين (٢٨٢) وذكره قدامة فى نقد الشعر ــ عند الكلام على المعاظلة ــ على أنه من الاستعارة التى لاشناعة فيها ص ٦٧ الآستانه ١٣٠٢ ، وارجع إلى ما ذكرناه من المراجع فى ص ١٧

وكذلك قول زهير(١) :

* وَعُرِّىَ أفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ *

لما كان من شأن ذى الصِّبا أن يوصف أبداً بأن يقال : ركِبَ هَوَاه ، وجرَى فى مَيْدَانه ، وجَمَح فى عِنَانه ، ونحو هذا ، حَسُن أن يُسْتعار للصبا اسم الأفراس ، وأن يجعل النزوع أن تُعرَّى أفراسه ورواحله ، وكانت هٰذه الاستعارة أيضاً من ألْيَقِ شىء بما استعيرت له .

ونحو ذلك قول طُفَيل الغَنَوى(٢) :

وَجَعَلْتُ كُورِى فَوْقَ نَاجِيَةٍ يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ

لما كان شحمُ السنام من الأشياء التى تُقْتَاتُ ، وكان الرحلَ أبداً يتخوفه(٣) ويتنقص منه ، ويذيبه — كان جعله إياه قوتاً للرحل من أحسن الاستعارات ، وأليقها بالمعنى .

وكذلك قول عمرو بن كلثوم(٤) :

(١) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله *

وقد سبق ذكره كاملا (انظر ص ١٧ من هذا الكتاب) والصناعتين (٢٨٢) وانظره فى نقد الشعر ٦٧ الآستانة ، ثم ارجع إلى ماسبق ذكره فى ص ١٧ من المراجع

(٢) أنشده قدامه فى نقد الشعر (٦٧) وفيه « وحملت كورى » وأبو هلال فى الصناعتين (٢٨٣) والشريشى ١ / ٤١٥ والكور : الرحل ، ويقال : هو الرحل بأداته ، والناجية : السريعة ، وأراد بها الناقة (٣) يتخوفه : ينتقصه ، ومثله قول الشاعر : تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

(٤) أنشده فى الصناعتين (٢٨٤) وفى نقد الشعر (٦٧) والقارح من ذى الحافر : بمنزلة البازل من البعير ، وأراد أن مجده حديث ولؤمه قديم مسن ، وقد أنشده أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى (١١ / ٥٨ دار الكتب) وقال قبل إنشاده : « وقال ابن الأعرابى : بلغ عمرو بن كلثوم أن النعمان بن المنذر يتوعده ، فدعا كاتبا من العرب فكتب إليه .

=

أَلاَ أَبْلِـغِ النُّعْمَـانَ عَنِّى رِسَـــالَةً
فَمَجْدُكَ حَــــوْلِىٌّ وَلُؤْمُكَ قَارِحُ

لما جعل مجدَه حديثاً غيرَ قديم حَسُن أن يقول « حَوْلىّ » ؛ لأن العرب إذا نسبت الشىء إلى الصغر وقِصَر المدة قالوا : حَوْلِىٌّ ؛ لأن أقَلَّ عدد الأحوال — وهى السنون — حَول واحد ، ولهذا قال حسان :

لَوْ يَدِبُّ الْحَــــوْلِىُّ مِنْ وَلَدِ الْـ
ذَرِّ عَلَيْهَا لأَنْدَبَتْهـــا الْـكُـلُومُ(١)

لم يرد بالحولىّ من ولد الذّرّ ما أتى عليه الحولُ ، ولـكنه أراد بالحولىّ أصْغرَ ما يكون من الذر ، وإنما أخذ ذلك من قول امرىء القيس :

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ
مِنَ الذّرِّ فَوْقَ الإتْبِ مِنْهَا لأَثَّرَا(٢)

= ألا أبلغ النعمان عنى رسالة فمدحك حولى وذمك قارح
متى تلقنى فى تغلب ابنه وائل وأشياعها ترقى إليك المسالح
وهجا النعمان بن المنذر هجاء كثيرا » اهـ .

(١) أندبتها : جرحتها ، والـكلوم : جمع كلم ـ بفتح الـكاف وسكون اللام ـ وهو الجرح ، وانظره مع كلمة هو منها فى سيرة ابن هشام (٣ / ١٢١ بتحقيقنا) وانظره وحده فى حيوان الجاحظ ٤ / ١٦ وفى معناه يقول عمر بن أبى ربيعة المخزومى:

لو دب ذر فوق ضاحى جلدها لأبان من آثارهن حدور

وأبان : فعل ماض لازم معناه ظهر ، وفاعله قوله «حدور» ومثله فى المعنى قول حميد بن ثور

منعمة لو يصبح الذر ساريا على جلدها بضت مدارجه دما

(٢) أنشده الجوهرى فى الصحاح (ح و ل) وأبو هلال فى الصناعتين (٢٨٤) والإتب — بكسر الهمزة وسكون التاء — ثوب يشق من وسطه ؛ فتلقيه المرأة فى عنقها من غير كم ولا جيب ، وائتتبت الجارية : لبست الإتب ، قال الـكميت :

وقد لقيت ظباء الإنس غادية من كل أحور بالمـكى مؤتتب

ومما يدل على صحة هذا المعنى وأنّ الحولىّ إنما يراد به الصِّغَر دون معنى الحَوْلِ قولُ الراجز(١) :

* واستَبقَتْ تَحْذِفُ حَوْلِىَّ الحَصَى *

فأراد بحولىّ الحصى أصغَره ، وقول الآخر أنشده ثعلب :

تلقّط حَوْلىَّ الحَصَى فى مَنازِلٍ مِنَ الحَىِّ أضْحَتْ بِاللّحَيَّيْنِ بَلْقَعَا

ولما جعل لؤمه قديماً حسن أن يقول « قارح » .

ونحو ذلك قول أبى ذؤيب :

وَإذا المَنيَّةُ أَنْشَبَتْ أظفَارَها ألفَيْتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعُ(٢)

لما كانت المنية — إذا نزلت بالإنسان خالطته — صحّ أن يقال : نشبت فيه، وصح أن يستعار لها اسمُ الأظفارِ ؛ لأن النشوب قد يكون بالظفر .

وعلى هذا جاءت الاستعارات فى كتاب الله تعالى اسمه ، نحو قوله عز وجل : (وَاشْتَعلَ الرأسُ شَيْباً)(٤) لما كان الشيب يأخذ فى الرأس و يسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يُحيله إلى غير حالهِ الأولى كالنار التى تشتعل فى الجسم من الأجسام فتُحيله إلى النقصان والاحتراق، وكذلك قوله تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النهارَ)(٥) لما كان انسلاخ الشىء من الشىء وهو أن يتبرأ منه و يتزيَّلَ منه حالا فحالا كالجلد

(١) فى المطبوعات « واستبقت تخذب » وهو تحريف : وتقول ، هذه دابة سريعة تحذف بالحصى ، وهذه كناية عن شدة سيرها .

(٢) حولى الحصى : صغاره ، كما قال المؤلف . واللحيين : موضع ، والبلقع : الخالى الذى لاأنيس به .

(٣) من مرثيته فى بنيه ، وانظره فى الجمهرة (١٢٨ بولاق) وفى المفضليات (٢ / ٢٢٢) وأنشبت أظفارها : أعلقتها ، والتميمة : التعويذة ، وانظر الصناعتين (٢٨٤) فقد أورد صدره ، ونقد الشعر ٦٧ الآستانة .

(٤) من الآية ٤ من سورة مريم ، وانظر (ص ١٧ من هذا الكتاب)

(٥) من الآية ٣٧ من سورة يس ، وانظر (ص ١٧ من هذا الكتاب) أيضا .

من اللحم وما شا كلها جعل انفصال النهار عن الليل شيئاً فشيئاً حتى يتكامل الظلام انسلاخاً ، وكذلك قوله عز وجل : (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ)(١) لما كان الضرب بالسَّوْط من العذاب استعير للعذاب سَوْطٌ .

فهذا مَجْرَى الاستعارات فى كلام العرب .

وأما قول أبى تمام « ولين أخادع الزمن الأبى » فأى حاجة إلى الأخادع حتى يستعيرها للزمن ؟ وكان يمكنه أن يقول : ولين معاطف الدهر الأبىِّ ،أو لين جوانب الدهر ، أو خلائق الدهر ، كما تقول:فلان سَهْلُ الخلائق،وَلَيِّنُ الجوانب ، ومُوَطَّأ الأكناف ، ولأن الدهر قد يكون سَهْلاً وحَزْناً ولينا وصعبا على قدر تَصَرُّف الأحوال فيه ؛ لأن هذه الألفاظ كانت أولى بالاستعمال فى هذا الموضع ، وكانت تنوب عن المعنى الذى قَصَده ، و يتخلص من قبح الأخادع ؛ فإن فى الكلام مُتَّسَعًا، ألا ترى إلى قوله ما أحسنه وما أوْضَحَهُ(٢) :

لَيَالِىَ نَحْنُ فى وَسَنَاتِ عَيْش كَأَنَّ الدَّهْرَ عَنَّا فى وَثَاقِ
وَأَيَّامًا لَنَا وَلَهُ لِدَانًا غَنِينَا فى حَوَاشِيهَا الرِّقَاقِ

فاستعار للأيام الحواشِىَ ، وقوله(٣) :

أَيَّامُنا مَصْقُولَةٌ أطْرَافُهَا بِكَ ، وَاللَّيَالِى كُلها أسْحَارُ

وأبلغ من هذا وأبعد من التكلف وأشبه بكلام العرب قوله(٤) :

(١) من الآية ١٣ من سورة الفجر

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢١٥) والصناعتين (٢٨٨) وصدر الأول فى الديوان «سنبكى بعده غفلات عيش» وكان صدر الثانى فى المطبوعات « وأيام لنا وله لدان » وتصويبه عن الديوان .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ١٤٨) ، وفيه « مصقولة إسرافها » ومصقولة : مجلوة .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ١٥٨) والسوام: جمع السائمة ، وهى المواشى الراعية ، وتذعر — بالبناء المجهول — تخوف .

سَكَنَ الزَّمَانُ فَلاَ يَدٌ مَذْمُومَةٌ
لِلْحَادِثَاتِ وَلاَ سَوَامٌ تُذْعَرُ

فقد تراه كيف يَخْلِطُ الحسنَ بالقبيح ، والجيدَ بالردى ، وإنما قبح الأخادع(١) لمَّا جاء به مستعاراً للدهر ، ولو جاء فى غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة ووضعه فى موضعه ما قبح ، نحو قول البحترى :

* وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذُلِّ المَطَامِعِ أَخْدَعِى(٢) *

ونحو قوله :

* وَلاَ مَالَتْ بِأَخْدَعِكَ الضِّيَاعُ(٣) *

وممَّا يزيد على [كل] جَيِّدٍ قولُ الفرزدق :

وَكُنَّا إذا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ
ضَرَبْنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الأخادِعُ

فأما قوله : « فضربت الشتاء فى أخدعيه(٤) » فإن ذكر الأخدعين — على قبحهما — أسْوَغُ ؛ لأنه قال « ضربةً غادرته عَوْداً رَكوبًا » وذلك أن العَوْدَ المسِنُّ من الإبل يُضْرَب على صفحتى عنقه فيذل ؛ فقربت الاستعارة ههنا من

(١) فى المطبوعات « وإنما قرب الأخادع » والمقام يقتضى ماأثبتناه

(٢) هذا عجز بيت ، وصدره قوله .

* وإنى — وإن أبلغتنى شرف العلى *

وهذا بيت من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان : ٢ / ٨٠) وفيه « رق المطامع » وبعد هذا البيت قوله :

فما أنا بالمغضوض عمــا أتيته إلى ، ولا الموضوع فى غير موضعى

(٣) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* فما رفع التصفح منك طرفا *

وهذا آخر بيت من كلمة يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان : ٢ / ٨٣)

(٤) ارجع إلى ص ٢٢٩ من هذا الكتاب .

الصواب قليلا ، ومن القبيح فى هذا قوله(١) :

يَا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ
أَضْجَجْتَ هٰذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ

أىُّ ضرورةٍ دعته إلى الأخدعين ؟ وكان يمكنه أن يقول « من اعوجاجك » أو « قوم ما تعوج من صنعك » أى : يا دهر أَحْسِنْ بنا الصنيع ؛ لأن الأَخْرَقَ هو الذى لا يُحْسِن العملَ ، وضده الصَّنَعُ ، وكذلك قوله(٢) :

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ
لَفَكَّرَ دَهْراً أَىُّ عِبْأَيْهِ أَثْقَلُ

فجعل للدهر عقلا ، وجعله مفكراً فى أى العبأين أثقل ، وما معنًى أبعد من الصواب من هذه الاستعارة ، وكان الأشْبَهُ والأَلْيَقُ بهذا المعنى لما قال « تحملت ما لو حمل الدهر شطره » أن يقول : لتضعضع ، أو لانهدَّ ، أو لأمن الناس صروفَهُ ونوازله ، ونحو هذا مما يعتمده أهلُ المعانى فى البلاغة والإفراط .

وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرةً من بعيد الاستعارات متفرقةً فى أشعار القدماء كما عرفتك لاتنتهى فى البعد إلى هذه المنزلة ، فاحْتَذَاها ، وأحبَّ الإبداعَ ، وأغرق فى إيراد أمثالها ، واحتطب ، واستكثر منها : فمن ذلك قولُ ذى الرمة :

تَيَمَّمْنَ يَا فُوخَ الدُّجَى فَصَدَعْنَهُ
وَجَوْزَ الْفَلاَ صَدْعَ السُّيوفِ الْقَوَاطِعِ

فجعل للدجى يافوخا ، وقولُ تأبط شراً :

نَحُزُّ رِقَابَهُمْ حتى نَزَعْنَا وَأَنْفُ الْمَوْتِ مَنْخِرُهُ رَثِيمُ

فجعل للموت أنفا ، وقولُ ذى الرمة :

يُعِزُّ ضِعافَ الْقَوْمِ عِزَّةَ نَفْسِهِ
وَيَقْطَعُ أَنْفَ الْكِبْرِيَاءِ عَنِ الْكِبْرِ

(١) ارجع إلى ص٢٢٨ من هذا الكتاب (٢) ارجع إلى ص٢٢٩ من هذا الكتاب

فجعل للكبرياء أنفاً ، وقال معقل بن خُوَيْلد الهذلى(١) ، أو غيرُه :

تُخَاصِمُ قَوْماً لا تَلَقَّى جَوَابَهُمْ
وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ أَنْفِ لِحْيَتِكَ الْيَدُ

فجعل للحية أنفاً : أى قبضتَ بيدِك على طرف لحيتك كما يفعل النادمُ أو المهمومُ ، وما أظن ذا الرمة أراد بالأنف إلا أولَ الشىء والمتقدمَ منه ، كما قال يصف الحمار :

إذَا شَمَّ أَنْفَ الضَّيفِ أَلْحَق بَطْنَهُ
مِرَاس الأَوَاسِى وَامْتِحَانُ الكَرَائم

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء : وهذا البيت غَرَّ الطائىَّ حتى أتى بما أتى به ، وإنما أراد ذو الرمة بقوله «أنف الضيف» أول الضيف، كقولهم « أنف النهار » : أى أوله ، [و « رَعَيْنا أنْفَ النَّبْتِ » أى أوله] قال امرؤ القيس :

قَدْ غدَا يَحْمِلُنِى فى أنْفِهِ لاحِقُ الإطْلَيْنِ مَحْبُوكٌ مُمَرْ(٢)

وقوله «فى أنفه» أى فى أول جريه وأشده، ويقال « فى أنفه » فى أنف الغَيْثِ الذى ذكره ، أى فى أوله ، يقول : لم يطأ هذا الغيثَ أحَدٌ قبلى ، ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب أبو العباس ، وكذلك قول أعرابى يصف البرق :

إذا شَمَّ أَنْفَ اللَّيْلِ أَوْمَضَ وَسْطَه
سَناً كابْتِسَامِ الْعَامِرِيَّةِ شَاغِفُ

إنما أراد إذا اشْتَمَّ أول الليل ، وقال آخر أنشدَنَاه الأخفش عن ثعلب يذم رجلا :

مَا زَالَ مَجْنُوباً عَلَى أُسْتِ الدَّهْرِ ذَا جَسَدٍ يَنْمِى وَعَقْلٍ يَحْرِى

(١) نسبه فى اللسان (أن ف) عن ابن سيده ، إلى أبى خراش الهذلى .
(٢) انظره فى العقد الثمين (٧٥) وكان فى المطبوعات « لاحق الأصلين »

فجعل للدهر أُستاً ، وقول شاتم الدهر وهو أحد شعراء عبد القيس :

وَلَمَّا رَأَيْتَ الدَّهْرَ وَعْراً سَبِيلُهُ ... وَأَبْدَى لَنَا ظَهْراً أَجَبَّ مُسَلَّعَا
وَمَعْرَفَةً حَصَّاءَ غَيْرَ مُفَاضَةٍ ... عَلَيْهِ وَلَوناً ذَا عَثَانِينَ أَجْمَعَا
وَجَبْهَةَ قِرْدٍ كَالشِّرَاكِ ضَئِيلَةً ... وَصَعَّرَ خَدَّيْهِ وَأَنْفاً مُجَدَّعَا

فجعل للدهر ظهراً أجبّ ، ومعْرَفةً حَصَّاء ، ولوناً ذا عثانين ، وشبه جبهته بجبهة قرد ، وجعل أنفه أنفاً مجدَّعا ، وهذا الأعرابى إنما تَملَّحَ بهذه الاستعارات فى هجائه للدهر ، وجاء بها هازئاً ، ومثل هذا فى كلامهم قليل جداً ، وليس مما يعتمد و يجعل أصلا يُحْتَذَى عليه و يستكثر منه .

***

٢٤ — ومن ردىء استعاراته وقبيحها وفاسدها قوله :

لَمْ تُسْقَ بَعْدَ الهَوَى ماء أَقَلَّ قَذًى
مِنْ مَاءِ قَافِيَةٍ يَسْقِيكَهُ فَهِمُ(٢)

فجعل للقافية ماء على الاستعارة ؛ فلو أراد الرونَقَ لصلح ، ولكنه قال « يسقيكه » ففسَدَ معنى الرونق ؛ لأنك إذا قلت « هذا ثوب له ماء » لم تجعل الماء مشروباً فتقول : ما شربت ماء أعذب من ماء ثوب شربته عند فلان ، أورأيته على فلان الملك ؛ وكذلك لاتقول : ما شربت ماء أعذب من ماء « قِفَا نَبْكِ » أو أعذب من ماء [قصيدة] كذا ؛ لأن للاستعارة حدًّا تصلح فيه ، فإذا جاوزته فسدت وقبحت .

فأما قولهم « فلان حُلْوُ الكلام » و « عَذْبُ المنطق » أو « كأن ألفاظه فُتَاتُ السكَّر » فهذا كلام الناس على هذه السياقة ، وليس يريدون حلاوة على

(١) المعرفة — بفتح الميم وفتح الراء — موضع العرف من الفرس ، وحصاء : قد ذهب شعرها .

(٢) لايوجد هذ البيت فى ديوان أبى تمام المطبوع .

اللسان ، ولا عذوبة فى الفم ، وإنما يريدون عذباً فى النفوس ، وحُلواً فى القلوب ، كما قال [هو ، أعنى أبا تمام] :

يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُهَا أَرَجاً ، وتُؤْكَلُ بالضَّمِيرِ وَتُشْرَبُ(١)

وكذلك قولهم « حلو المنظر » إنما يريدون حُلْوًا فى العين ، ولا تقول : ما ذقت أحْلَى من كلام فلان ، ولا ما شربت أعذب من ألفاظ عمرو ؛ لأن هذا القول صيغة الحقيقة ، لا الاستعارة ، ولكن يقال : هذا كلام يصلح أن يُتَنَقَّلَ به ، وزيد يُشْرَب مع الماء لحسن أخلاقه وحلاوته ، وعمرو يؤكل ويشرب لرقة طبعه ، ولا تقول : ما شربت أعذب من عمرو ، ولا ما أكلت أحْلَى من عبد الله ، فاعلم هذا ؛ فإن حدود الاستعارة معلومة .

فأما قوله :

لَمَكَاسِرُ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ أَطْيَبُ وَأَمَرُّ فِي حَنَكِ الْحَسُودِ وَأَعْذَبُ(٢)

فالمكاسر : الأخلاق ، وإنما أراد أمرَّ فى حنك العدو إذا نطق بها ، أو أمرَّ فى حنكه أن يذكرها ، أو يخبر بها ، وأعذب فى حنك وليه ووَدِيدِهِ إذا نَشَرها ، وكما قال زُهَير(٣) :

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أَنِيضٌ أَصَلَّتْ فَهْىَ تَحْتَ الكَشْحِ دَاءُ

(١) هذا رابع بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف غلاما أهداه له (الديوان ٣٩) والأبيات التى قبله هى قوله :

لمكاسر الحسن بن وهب أطيب وأمر فى حنك الحسود وأعذب

وله ـ إذا خلق التخلق أونبا ـ خلق كروض الحزن أو هو أخصب

ضربت به أفق الثناء ضرائب كالمسك يفتق بالندى ويطيب

وسيتكلم المؤلف على البيت الأول من هذه الأبيات .

(٢) هذا هو أول الأبيات الأربعة التى منها البيت السابق

(٣) من قصيدة طويلة يقولها فى شأن رجل من بنى عبد الله بن غطفان (انظر العقد الثمين ٣٠) وقد مر ذكره (ص ٨٢ من هذا الكتاب) .

لأنه أراد كلمةً فصلح أن يقول أنيض : أى لم تنضج ، وأصلَّت : تغيرت وأنْتنَتْ ، وذلك لما جعلها مضغة أى لقمة فى فيه ؛ فهذا طريق الاستعارة فيما يصلح ويفسد ؛ فتفهمه فإنه واضح .

وأما قوله :

لا تَسْقِنِى ماءَ المَلاَمِ فإنَّنِى صَبٌّ قَدِ اسْتَعْذَبْتُ ماءَ بُكَائِى (١)

فقد عِيبَ ، وليس بعيب عندى ؛ لأنه لما أراد أن يقول « قد استعذبْتُ ماء بكائى » جعل للملام ماء ؛ ليقابل ماء بماء وإن لم يكن للملام ماء على الحقيقة ، كما قال الله عز وجل : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا (٢)) ومعلوم أن الثانية ليست بسيئة ، وإنما هى جزاء عن السيئة ؛ وكذلك : (إنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فإنَّا نَسْخَرُ مِنكُم (٣)) والفعل الثانى ليس بسُخْرِيَةٍ ، ومثلُ هذا فى الشعر والكلام كثير مستعمل .

فلما كان مجرى العادة أن يقول القائل : أغلظت لفلان القول ، وجرَّعته منه كأساً مرة ، وسقيته منه أمرَّ من العلقم ، وكان الملامُ مما يُستعمل فيه التجرع على الاستعارة — جعل له ماء على الاستعارة ، ومثل هذا كثير موجود .

وقد احتجَّ محتج لأبى تمام فى هذا بقول ذى الرمة :

أَدَاراً بِحُزْوَى هِجْتِ لِلعَيْنِ عَبْرَةً فَماءُ الهَوَى يَرْفَضُّ أو يَتَرَقْرَقُ

وقول الآخر :

وكأسٍ سَبَاهَا التَّجْرُ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ كَرِقَّةِ ماءِ البَيْنِ فِي الأَعْيُنِ النُّجْلِ

---

(١) هذا ثانى بيت من قصيدة له يمدح فيها يحيى بن ثابت (الديوان ٢) والبيت الذى قبله قوله :

قدك اتئب أربيت فى الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائى

(٢) من الآية ٤٠ من سورة الشورى .

(٣) من الآية ٣٨ من سورة هود .

وهذا لا يشبه ماء الملام ؛ لأن ماء الملام استعارة ، وماء الهوى ليس باستعارة ؛ لأن الهوى يُبكى ؛ فتلك الدموع هى ماء الهوى فى الحقيقة ، وكذلك البين يبكى ؛ فتلك الدموع هى ماء البين على الحقيقة .

فإن قيل : فإن أبا تمام أبكاه المَلَامُ ، والملام قد يبكى على الحقيقة ؛ فتلك الدموع هى ماء الملام على الحقيقة .

قيل : لو أراد أبو تمام ذلك لما قال « قد استعذبت ماء بكائى » لأنه لو بكى من الملام لكان ماء الملام هو ماء بكاء أيضاً ، ولم يكن يستعفى منه .

***

٢٥ — ومن ردىء استعاراته وقبيحها قوله :

مُقَصِّرٌ خُطُوَاتِ الْبَثِّ فِي بَدَنِي عِلْمًا بِأَنِّيَ مَا قَصَّرْتُ فِي الطَّلَبِ[1]

فجعل للبَثِّ — وهو أشد الحزن — خطواتٍ فى بدنه ، وأنه قد قصرها ؛ لأنه ما قَصَّرَ فى الطلب ، وهذا من وساوسه المحكمة ، وإنما أراد به قد سهل أمر الحزن عليه أنه ما قصر فى الطلب ؛ لأنه لو قَصَّر كان يأسف و يشتد حزنه ، فجعل للحزن خُطًى فى بدنه قصيرةً لما جَعَله سهلا خفيفاً ، وهذا ضد المعنى الذى أراد ؛ لأن الخطى إذا طالت [أخذت من الشيء الذى تمر عليه أقل مما تأخذه الخطى القصيرة ؛ فعلى هذا] يجوز أن يقع قلبه أو كبده بين تلك الخطى الطويلة فلا يمسها من البث — وهو الحزن — قليلٌ ولا كثير .

فإن قيل : إنما أراد أن الحزن هو فى قلبه خاصة ، وأن قوله « فى بدنى » أى فى قلبى ؛ لأن قلبه فى بدنه .

قيل : الأمر واحد فى أن الخُطَى إذا طالت على الشيء ــ قَلْبَهُ كان أو ماسواه ــ أخذت منه أقلَّ مما تأخذ إذا قصرت .

(١) من قصيدة له فى الفخر (الديوان ٤٧١) وفيه « مقصر خطرات الهم » وكان فى المطبوعات « مقصرا خطوات » بالنصب ، وتصويبه عن الديوان والخطية .

فإن قيل : أراد بطول الخطى الكثرة و بقصرها القلة .

قيل : هذا غلط من التأويل ، وليس العملُ على إرادته ، و إنما العمل على توجيه معانى ألفاظه .

و بعد ، فإن من أعجب الوَسْوَاس خطوات البث فى البدن .

* * *

٢٦ — ومن ردىء استعاراته وقبيحها قوله :

جَارَى إليْهِ الْبَيْنُ وَصْلَ خَرِيدَةٍ ماشَتْ إليْهِ المَطْلَ مَشْىَ الأَكْبَدِ[1]

الهاء فى « إليه » راجعةٌ إلى المحب ، يريد أن البين [ووَصْلَ الخريدة تجارَيَا إليه ، فكأنه أراد أن يقول : إن البين] حالَ بينه و بين وصلها ، واقتطعها عن أن تَصِلَه ، وأشباه هذا من اللفظ المستعمل الجارى ، فعدل إلى أن جعل البين والوصل تجارَيَا إليه ، وأن الوصل فى تقديره جرى إليه يريده فجرى البين ليمنعه ، فجعلهما متجارِيَيْن ، ثم أتى فى المصراع الثانى بنحو من هذا التخليط ، فقال : ماشت إليه المطل مشى الأكْبَدِ ، فالهاء هنا راجعة إلى الوصل : أى لما عزمَتْ على أن تصله عزمَتْ عزمَ متثاقلٍ مماطل فجعل عزمها مشيا ، وجعل المطل مماشيا لها ، فيا معشر الشعراء والبلغاء و يا أهل اللغة العربية : خَبِّرُونا كيفَ يُجَارِى البينُ وَصْلَهَا ؟ وكيف تماشى هى مَطْلَهَا ؟ ألا تسمعون ؟ ألا تضحكون ؟

وأنشد أبو العباس ابن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء لسَلْمٍ الخاسر يعيبه بردىء الاستعارة فى قوله يرثى موسى الهادى :

لَوْلاَ المَقَابِرُ ما حَطَّ الزَّمَانُ بِهِ لا ، بَلْ تَوَلَّى بأَنْفٍ كَلْمُهُ دَامِى

وقال : هذا ردىء كأنه من شعر أبى تمام الطائى! وليت[2] لم يكن لأبى تمام من

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم ــ وقيل : يمدح فيها المأمون ــ وقبله قوله :

عذلت غروب دموعه عذاله بسواكب فندن كل مفند

أتت النوى دون الهوى ، فأتى الأسى دون الأسى بحرارة لم تبرد

الديوان (١١١) (٢) فى المطبوعات « ولو لم يكن » تحريف ماأثبتناه عن الخطية

ردىء الاستعارة إلا مثل استعارة سَلْم هذه أو نحوها ، ونعوذ باللهمن حرمان التوفيق .

* * *

ما جاء فى شعر أبى تمام من قبيح التجنيس

ورأى أبو تمام أيضاً المجانس من الألفاظ مُفرَّقاً فى أشعار الأوائل ، وهو ما اشتق بعضه من بعض ، نحو قول امرىء القيس:

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أرضِهِ ... لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا(١)

وقوله أيضاً :

وَلَكِنَّنِي أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ ... وَقَدْ يُدْرِكُ المجدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَالِي(٢)

وقول القطامىّ :

ولمَّا رَدَّهَا فى الشَّوْلِ شَالَتْ ... بِذَيَّالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعَا(٣)

وقول ذى الرمة :

كَأَنَّ البُرَى وَالْعَاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ ... على عُشَرٍ يَرْمِى بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحُ(٤)

وقول رجل من عَبْسٍ :

وذَلِكُمْ أَنَّ ذُلَّ الجارِ حَالَفَكُمْ ... وَأَنَّ أَنْفَكُمُ لا يَعْرِفُ الأنفَا(٥)

---

(١) سبق ذكره أيضا (ص ١٩ من هذا الكتاب) وانظر الصناعتين(٣٢٣و٣٢٥) ونقد الشعر (٦١) وماذكرناه من المراجع فى الموضع السابق من الكتاب .

(٢) من قصيدة له طويلة أولها قوله :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى ... وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وانظر العقد الثمين (١٠٤) وفيه — وهو المحفوظ — فى صدره « ولكنا أسعى »

(٣) سبق ذكر هذا البيت (ص ١٨ من هذا الكتاب) وانظر الصناعتين (٣٢٨) وأخبار أبى تمام ٢٦٤ وسر الفصاحة ١٨٤ .

(٤) سبق ذكر هذا البيت أيضا (ص ١٨ من هذا الكتاب) وانظره فى الصناعتين (٣٢٧) ونقد العشر (٦١)

(٥) ذكره مع بيت سابق عليه فى الصناعتين (٣٢٧) وفيه « وذاكم أن ذل » وفيه « وأن آنفكم لاتعرف » ورواه فى نقد الشعر (٦١) « إن ذل جاركم بالكره حالفكم » والأنف — بفتح الهمزة والنون جميعا — الأنفة

وقول مسكين الدارمى :

وَأَقْطَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقَاءِ لَاهِيَةً
إذَا الْكَوَاكِبُ كَانَتْ فِي الدُّجَى سُرُجَا(١)

وقول حيّان بن ربيعة الطائى :

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي لَهُمْ حَدٌّ إذَا لُبِسَ الْحَدِيدُ(٢)

وقول النعمان بن بشير لمعاوية :

أَلَمْ تَبْتَدِرْكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ سُيُوفُنَا وَلَيْلُكَ عَمَّا نَابَ قَوْمَكَ نَائِمُ(٣)

وقول جرير :

فَمَا زَالَ مَعْقُولاً عِقَالٌ عَنِ النَّدَى وَمَا زَالَ مَحْبُوساً عَنِ الْخَيْرِ حَابِسُ(٤)

وقول الفرزدق :

خُفَافٌ أَخَفَّ اللهُ عَنْهُ سَحَابَهُ وَأَوْسَعَهُ مِنْ كُلِّ سَافٍ وَحَاصِبِ(٥)

وكأن هذين الشاعرين فى تجنيس ما جنّسا من هذه الألفاظ وحاجتهما إليه يشبه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « عُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ ، وغِفَارٌ غَفَرَ اللهُ لهَا ، وأَسْلَمُ سَالَمها الله » .

---

(١) الخرق — بفتح فسكون — الأرض البعيدة ، والفلاة الواسعة ، والخرقاء : الناقة التى لاتتعهد مواضع قوائمها ، وأنشده فى نقد الشعر (٦١) وأنشد صدره فى الصناعتين ص ٣٢٦

(٢) أنشده فى الصناعتين (٣٢٧) وفى نقد الشعر (٦١)

(٣) أنشده فى الصناعتين (٣٢٧) وفى نقد الشعر (٦١)

(٤) سبق ذكر هذا البيت فى ص ١٨ من هذا الكتاب ، وانظره فى الصناعتين ٣٢٨ وأخبار أبى تمام ٢٦٤ وسر الفصاحة ١٨٤ .

(٥) سبق ذكره (١٩ من هذا الكتاب) وانظر العقد الثمين (٨٤) والصناعتين (٣٢٥) .

ونحوُ هذا مما تعمَّد الشعراء لتجنيسه قولُ جَنْدَل بن الراعى :

فَمَا عَمِرَتْ عَمْرٌو وَقَدْ جَــدَّ سَعْيُهَا
وَمَا سَعِدَتْ يَوْمَ ٱلْتَقَيْنَا بَنُو سَعْدِ(١)

ومن ألطف ما جاء من التجنيس وأحْسَنِهِ فى كلام العرب قولُ القُطَامى :

كنية الْحَىِّ مِنْ ذِى الْقَيْظِ فَاحْتَمَلُوا
مُسْتَحْقِبِينَ فُــؤاداً مَالَهُ فَادِى(٢)

ومثل هذا فى أشعار الأوائل موجود ، لـكنَّه إنمـا يأتى منه فى القصيدة البيتُ الواحد والبيتان ، على حسب ما يتفق للشاعر ، ويحضر فى خاطره ، وفى الأكثر لا يعتمده ، وربما خلا ديوان الشاعر المـكْثِرِ منه ؛ فلا تُرَى فيه لفظة واحدة .

فاعتمده الطائى ، وجعله غَرَضَه ، وبنى أكثر شعره عليه ، فلو كان قَلَّلَ منه واقتصر على مثل قوله :

---

(١) تقول : عمر الرجل يعمر عمرا — كفرح يفرح فرحا — وعمارة — كصداقة — وعمر يعمر — كنصر ينصر — وعمر يعمر — كضرب يضرب ، ومعناه عاش زمانا طويلا ، قال جرير :

لئن عمرت تيم زمانا بغرة   لقد حديت تيم حداء عصبصبا

(٢) سبق ذكر هذا البيت (ص ١٨ من هـذا الـكتاب) ووقع فى الأصل هنا « كنية الحى من ذى الغبطة احتملوا » وورد هذا البيت فى ديوان القطامى (٨ طبع ليدن) هـكذا :

كنية الحى من ذى الغضية احتملوا   مستحقبين أسيراً ماله فاد

وذكر فى رواياته أنه يروى « من ذى الغطبة » ويروى « من ذى اليقظة » ويروى « من ذى الغيظ » ونحسب كل ذلك من تصحيفات النساخ ، وورد فى الشعراء ٤٥٤ « من ذى القيظة احتملوا »

* يَا رَبْعُ لَوْ رَبَعُوا عَلَى ابْنِ هُمُومِ[1] *

وقوله :

* أرَامَةُ كُنْتِ مَأْلَفَ كُلِّ رِيمِ[2] *

وقوله :

* يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ الْعَيْنِ إنْ بَعُدُوا[3] *

وأشباه هذا من الألفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى – لكان قد أتى بالغرَض ، وتخلص من الهُجْنَة والعيب ، فأما أن يقول :

قَرَّتْ بِقرَّانَ عَيْنُ الدِّينِ وَانْشَتَرَتْ
بِالأَشْتَرَيْنِ عُيُونُ الشِّرْكِ فَاصْطُلِمَا[4]

---

(١) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله:

* مستسلم لجوى الفراق سقيم *

وهذا مطلع قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٥) وربعوا : وقفوا ، والهموم : جمع هم ، والجوى – بفتح الجيم والواو ، بزنة الفتى – الحزن

(٢) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله :

* لو استمتعت بالأنس المقيم *

وهذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها بعض بنى عبد الكريم الطائيين (الديوان ٢٨٧) ورامة : اسم موضع ، والريم : مخفف الرئم ، وهو ولد الغزال ، والأنس – بفتح الهمزة والنون جميعا – الحى ، وسينشده المؤلف مرة ثانية فى ص ٣٨١ وثالثة فى ص ٤٠٠

(٣) هذا صدر مطلع قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ٩٦) وعجزه قوله :

* هى الصبابة طول الدهر والسهد *

(٤) هذا بيت من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٢) وقرت عينه : نعست وهدأت ، وقران : اسم موضع ، وانشترت : انشقت ، ووقع =

فانشتار عيون الشرك فى غاية الْغَثَانة والقباحة ، وأيضاً فإن انشتار العين ليس بموجب للاصطلام ، وقوله :

إِنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ لَمَلْعُو نٌ ، وَمَنْ عَقَّ مَنْزِلاً بِالْعَقِيقْ(١)

وقوله :

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَوَتْ فِيهِ الظُّنُونُ أَمَذْهَبٌ أَمْ مُذْهَبُ(٢)

وقوله :

* خَشُنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِي خُشَيْنِ(٣) *

فهذا كله تجنيسٌ فى غاية الشناعة والركاكة والهجانة ، ولا يزيد زيادة على قبح قوله :

= فى الديوان « واشترت » وهو أقرب فى الاشتقاق من « الأشترين » الذى قصد إلى المجانسة معه ، واصطلم — بالبناء للمجهول — قطع من أصله ، وانظره فيما عيب من التجنيس فى الصناعتين (٣٣٥) وانظره أيضا فى اسرار البلاغة ١١ فقد ذكره الشيخ عبد القاهر مثالا لتكلف أبى تمام أنه لايمر على اسم موضع يحتاج إلى ذكره دون أن يشتق منه تجنيسا أو يعمل فيه بديعا .

(١) هذا رابع بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢١٥) والعقيق : موضع ، وانظره فى الصناعتين (٣٣٥) أيضا

(٢) هذا بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف غلاما أهداه إليه (الديوان ٣٩) والمذهب — بفتح الميم — الطريقة ، والمذهب — بضم الميم — فسره الصولى بالجنون . يقول : لقد غلبت عليه السماحة ، وامتلكت كل شمائله ، فصار يسرف فى البذل ويغرق فى العطاء ، حتى لقد احتارت الظنون فى تفسير ذلك وتعليله وقالت على سبيل الشك : أهذه طريقة له يسلكها دون الناس أم هو جنون بالبذل ؟ وقد أنشده فى الوساطة ٦٤ وقد أنشده فى مطلع أسرار البلاغة ٤ على أنه من قبيح التجنيس

(٣) هذا صدر بيت هو مطلع قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم (الديوان ٣٢١) وعجز البيت قوله : * وأنجح فيك قول العاذلين *

فَاسْلَمْ سَلِمْتَ مِنَ الآفَاتِ مَا سَلِمَتْ سِلاَمُ سَلْمَى ، وَمَهْمَا أَوْرَقَ السَّلَمُ(١)

فإن هذا من كلام المُبَرْسَمِينَ ، وقد عابه أبو العباس عبدُ الله بن المعتز ببعض هذه الأبيات فى كتاب البديع ، جاء بها فى قبح التَّجْنيس .

[وقد جاء من التجنيس] فى أشعار العرب مايُسْتكره ، نحو قول امرىء القيس :

* وَسِنًّا كَسُنَّيْقٍ سَنَاءً وَسُنَّمَا(٢) *

ولم يعرف الأصمعى هذا ، [ولا أبو عمرو] وقال أبو عمرو : وهو بيت مَسْجِدِىّ : أى من عمل أهل المسجد ، وقال الأصمعى : السن : الثور ، ولم يعرف سنيقا ، ولا سنما ، ويقال : سنيق جبل ، ويقال : أَكَمَةٌ ، وسنم ههنا : البقرة الوحشية ، سناء : أى ارتفاعا ، ويروى « سناما » أى ارتفاعا أيضاً ، من « تَسَنَّمْتُ الجبَل » علوته .

وقول الأعشى :

* شَاوٍ شَلُولٌ مِشَلٌّ شُلْشُلٌ شَوِلُ(٣) *

---

(١) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع ، والسلام — بكسر السين — الحجارة وسلمى : أحد جبلى طيىء ، والآخر أجأ ، والسلم — بفتح السين واللام — شجر

(٢) هذا صدر بيت ، وانظره فى الصناعتين (٣٣٥) وهو مع عجزه فى رواية العقد الثمين (٨٨) هكذا :

وسن كسنيق سناء وسنم ذعرت بمدلاج الهجير نهوض

ورواه فى اللسان (س ن ق) بجر « سن » ونصب « سنما » والسن : الثور الوحشى ، والسنيق : جبل ، ولم يفسره أبو عمرو ، ويروى « سناما وسنما » والسنم : البقرة ، وهذا التفسير يقتضى عطفه على « سن »

(٣) هذا عجز بيت ، وصدره قوله

* وقد غدوت إلى الحانوت يتبعنى *

وقد مضى ذكر هذا البيت فى مآخذ العلماء على الشعراء (ص ٤٠ من هـــذا الـكتاب) وانظره فى الصناعتين (٣٣٥)

وهذا عند أهل العلم من جنون الشعر [اء] ، وقرأ هذه القصيدة على أبى الحسن على بن سليمان النحوى قَارِئٌ ، فلما بلغ إلى هذا البيت قال أبو الحسن : صُرِعَ والله الرجلُ .

وما زلت أراهم يستكرهون قول ذى الرّمة :

* عَصَاقَسٌ قُوسٍ لِينُهَا وَاُعْتِدَالُهَا[1] *

ويروى « [عصَا] عسَّطُوسٍ » وقد قيل : إنه الخيزران .

وهذا إنما جاء من هؤلاء مُقَلّلاً نادراً[2] ؛ لأنك لو اجتهدت أن ترى لوَاحِدٍ منهم حرفاً واحداً[3] ما وَجَدْته ، والطائىُّ استفرَغ وُسْعه فى هذا الباب ، وجَدَّ فى طلبه ، واستكثر منه ، وجعله غَرَضَه ؛ فكانت إساءته فيه أكْثَرَ من إحسانه ، وصوابُهُ أقَلَّ من خطائه .

***

---

(١) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* عَلَى أَمْرِ مُنْقَدٌ الْعفَاءِ كَأَنَّهُ *

ورواه فى اللسان (ع س ط س) كما ذكره المؤلف ثانية منسوبا إلى ذى الرمة وقال فى شرحه : « أى وردت الحمر على أمر حمار منقد عفاؤه : أى متطاير ، والعفاء جمع عفو (بكسر فسكون) وهو الوبر الذى على الحمار ، قال ابن برى : والمشهور فى شعره : عصاقس قوس ، والقس : القسيس ، والقوس : صومعته ، قال ابن الأعرابى : هو الخيزران » اه وقال فى تفسير العسطوس قبل ذلك : « هو رأس النصارى ، رومية ، وقيل : هو شجر يشبه الخيزران ، وقيل : هو الخيزران ، وقيل : شجرة تكون بالجزيرة لينة الأغصان» اه . والعسطوس بفتح العين ، والسين بعدها مفتوحة مخففة أو مشددة .

(٢) فى الخطية « مفلتا نادرا »

(٣) فى الخطية « لواجتهدت أن ترى للواحد منهم حرفا ثانيا مثله ماوجدت »

ما يستكره للطائى من المطابق

ورأى الطائى الطِّبَاقَ فى أشعار العرب ، وهو أكثر وأوْجَدُ فى كلامها من التجنيس ، وهو : مقابلة الحرف بضدِّه أو ما يقارب الضد ، وإنما قيل « مطابق » لمساواة أحد القسمين صاحبه ، وإن تضادًّا أو اختلفا فى المعنى ، ألا ترى إلى قولهم فى أحد المعنيين — إذا لم يشاكل صاحبه — ليس هذا طبق هذا[1] ، وقولهم فى المثل « وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَه[2] » والطبق للشيء إنما قيل له طَبَقٌ لمساواته إياه فى المقدار ، إذا جُعل عليه أو غُطِّى به ، وإن اختلف الجنسان .

قال الله عز وجل[3] (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَق) أى : حالا بعد حال ، ولم يرد تساويهما فى تمثيل المعنى ، وإنما أراد جلّ وعز — وهو أعلم — تساويَهما فيكم ، وتغييرهما إياكم ؛ بمرورهما عليكم ، ومنه قول العباس بن عبد المطلب :

* إذا انقضى عَالَمٌ بدَا طبَقٌ[4] *

(١) طبق كل شيء — بفتح الطاء والباء جميعا — ما ساواه ، ويجمع على أطباق ، وقول الراجز : * وليلة ذات جهام أطباق *
معناه أن بعضه مساو لبعض ، وجمع أطباقا مع أن الجهام مفرد لأنه عنى الجنس

(٢) يروى هذا المثل على وجهين « وافق شن طبقه » بهاء الضمير أضيف إليها طبق ، وهذه رواية الأصمعى ، وأصلها أن قوما كان لهم وعاء من أدم (جلد) فتشنن (تخرق) فجعلوا له طبقا فوافقه ، فقالوا ذلك ، وهذه الرواية هى التى يتم عليها استدلال المؤلف . والأخرى « وافق شن طبقة » بتاء التأنيث ، وشن فى هذه الرواية اسم رجل ، واختلفوا فى طبقة ، فقيل : اسم امرأة ، وقيل : قبيلة من إياد (انظر مجمع الأمثال للميدانى أول حرف الواو : ٢ / ٢١١ الخيرية)

(٣) الآية ١٩ من سورة الانشقاق .

(٤) هذا من كلام للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه يقوله فى ابن أخيه رسول الله وسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ، وأراد إذا مضى قرن ظهر قرن آخر ، وإنما قيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض ثم ينقرضون ويأتى طبق آخر للأرض ، =

أی :جاءت حال أخری تتلو الحالَ الأولی ؛ ومنه طباق الخیل ، یقال : طابَقَ الفرس إذا وَقَعَتْ قوائم رجلیـــه فی موضع قوائم یدیه فی المشی أو العَدْو ؛ وکذلك مشی الـكلاب ، قال الجَعْدِیُّ :

* طِبَاقَ الـكِلاَبِ يَطَأْنَ الهَرَاسَا (١) *

فهذا حقیقة الطباق ، إنما هو مُقابلة الشیء لمثله الذی هو علی قدره ، فَسَمَّوْا المتضادین ـ إذا تقابلا ـ مطابقین ؛ ومنه قول زهیر (٢) :

لَيْثٌ بِعَثّرَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا ما اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا

فطابق بین قوله « کذب » و بین قوله « صدقا » ؛ وقول طُفَیْلٍ الغَنَوِیِّ یصف فرساً (٣) :

* يُصَانُ وَهْوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ *

فطابق بین قوله « یُصَان » و بین قوله « مبذول » ، وقول طرفةَ بن العبد (٤) :

* بَطِيءٍ عَنِ الْجُلَّى سَرِيعٍ إِلَى الْخَنَا *

= وکذلك طبقات الناس : کل طبقة طبقت زمانها وساوته ، وانظر الأبیات التی منها هذا الشطر فی شرح مختار الخالدیین من شعر بشار ١٣٩

(١) هذا عجز بیت ، وصدره قوله :

* وَخَيْلٌ تُطَابِقُ بِالدَّارِعِـــينَ *

وانظره فی اللسان (ط ب ق) و فی الصناعتین (٣٠٧)

(٢) قد مضی ذکر هذا البیت فانظره (ص ١٩ من هـــذا الـكتاب) وانظر العقد الثمین (٣٨) والصناعتین (٣١٢) والشریشی ١ / ٤١٧

(٣) هذا عجز بیت ، وصدره قوله :

* بساهم الوجه لم تقطع أباجله *

وقد مضی ذکره (ص١٩من هذا الـكتاب) وانظره فی الصناعتین(٣١٢)والبدیع ٣٩

(٤) هذا صدر بیت من طویلته المعلقة ، وعجزه قوله :

* ذلیل بأجماع الرجال ملهد *

وانظر العقد الثمین (٨) وشرح القصائد العشر (٩٦)

فطابق بين « بطىء » و « سريع » : فلو اقتصر الطائى على ما اتفق له فى هذا الفن من حلو الألفاظ وصحيح المعنى نحو قوله :

* نَثَرَتْ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمِ (١) *

ونحو قوله :

* جُفُوفَ الْبِلَى أَسْرَعْتَ فِى الْغُصْنِ الرَّطْبِ (٢) *

ونحو قوله :

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ
وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ (٣)

وأشباه هذا من جيد أبياته ، وتجنَّبَ مثلَ قوله :

قَدْ لاَنَ أَكثرُ ماتُرِيدُ ، وَبَعْضُهُ خَشِنٌ ، وَإِنِّى بِالنَّجَاحِ لَوَاثِقُ (٤)

وقوله :

لَعَمْرِى لَقَدْ حُرِّرْتَ يَوْمَ لَقِيتَهُ لَوَ اَنَّ الْقَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُبَرِّدِ (٥)

---

(١) هذا صدر مطلع قصيدة لأبى تمام يمدح فيها أبا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٣١٢) وانظر مع ذلك (ص ١٨٨ من هذا الكتاب) .

(٢) هذا صدر مطلع قصيدة له يرثى فيها امرأة محمد بن سهل ، وهى أخت مروان ابن محمد (الديوان ٣٥٦) وعجزه قوله :

* وخطب الردى والموت أبرحت من خطب *

(٣) سبق ذكر هذا البيت فيما عده المؤلف من سرقات أبى تمام (ص ٨٣ من هذا الكتاب وانظر الصناعتين (٢٢٧) أيضا .

(٤) هذا البيت ثالث أبيات كلمة له يمدح فيها أبا زيد كاتب عبد الله بن طاهر ويشكر له سعيه (الديوان ٢٢٢)

(٥) هذا بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد الطائى (الديوان ١٠١) و « لم يبرد » من قولهم : برد فلان ، إذا مات ، أو وقع أسيرا ، أو ضعف ، أو نحو ذلك ، وطابق به قوله « حررت » بمعنى صرت حارا من شدة الغيظ .

وقوله:

وَإِنْ خَفَرَتْ أَمْـــوَالَ قَوْمٍ أَكُفُّهُمْ
مِنَ النَّيْلِ وَالْجَدْوَى فَكَفَاهُ مِقْطَعُ(١)

ونحو هذا مما يكثر، إن ذكرته ذهب عظيم شعره وسَقَطَ، وأكثر ما عيب عليه منه.

وهذا باب — أعنى المطابق — لقّبه أبو الفرج قُدامة بن جعفر فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر «المتكافىء»، وسمى ضرباً من المجانس المطابق، وهو: أن تأتى الكلمة مثل الكلمة سواء فى تأليفها واتفاق حروفها، ويكون معناها مخالفاً، نحو قول الأفْوَهِ الأوْدِىّ:

وَأَقْطَعُ الْهَوْجَـلَ مُسْتَأْنِسًا بِهَوْجَلٍ عَيْرَانَةٍ عَنْتَرِيسْ(٢)

والهوجل الأول: الأرض البعيدة، والهوجل الثانى: الناقة العظيمة الخلق الموثّقة، وقول أبى دُوَاد الإيادىّ:

عَهِدْتُ لهَا مَنْزِلاً دَارِساً وَآلاً عَلَى الْمَاءِ يَحْمِلْنَ آلا(٣)

فالآل الأول: أعمِدةُ الخيامِ، والآل الثانى: ما يرفع الشُّخوصَ.

وقول زياد الأعجم:

وَنُبِّئْتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ وَلِلوُّمِ فِيهِ كَاهِلٌ وَسَنَامُ(٤)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ١٩١) وخفرت هنا بمعنى حرست، والنيل: العطاء، ومثله الجدوى، والمقطع — بكسر الميم — آلة القطع، يريد أنه يجود ويفنى ماله ويذهبه فى العطاء فى حين أن كثيرا من الناس يقبضون أيديهم ويجعلون أنفسهم حراسا على أموالهم وخزانا لها.

(٢) انظره فى نقد الشعر لقدامة بن جعفر (٦٠).

(٣) ورد فى نقد الشعر (٦٠) أيضا.

(٤) ورد فى نقد الشعر (٦٠) أيضا، وفى الصناعتين (٣٠٧) وأشار أبو هلال إلى مخالفة قدامة لإجماع الناس قاطبة فى هذا الموضوع»، وانظر إعجاز الباقلانى ٧٩.

وما علمت أن أحداً فعلَ هذا غير أبى الفرج ؛ فإنه وإن كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقَّبَات ، وكانت الألفاظ غير محظورة ؛ فإنى لم أكن أحبُّ له أن يخالف مَنْ تقدَّمه ، مثل أبى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم فى هذه الأنواع وألَّف فيها ؛ إذ قد سبقوه إلى اللقب ، وكَفَوْه المؤونة .

وقد رأيت قوماً من البغداديين يسمُّون هذا النوع المجانس المماثل ، ويلحقون به الكلمة إذا تكررت وتردَّدت ، نحو قول جرير :

تَزَوَّدْ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا فَنِعْمَ الزَّادُ زادُ أَبِيكَ زَادَا(١)

***

وهـــذا باب

فى سوء نظمه ، وتعقيد ألفاظ نَسْجه ، ووحشىِّ ألفاظه

وما أكثر ما تراه من ذلك ، وتجده فى شعره ، وأظنه سمع ما روى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى زهير بن أبى سُلْمى لما قال [فيه] : « كان لا يُعاظِلُ بين الكلام ، ولا يتتبع حُوشِيَّه ، ولا يمدح رجلا إلا بما فى الرجال » فلم يَرْتَضِ هذا لشعره ، وأحَبَّ أن يستكثر مما ذَمَّه وعابه .

وقد فَسَّرَ أَهْلُ العلم هذا من قول عمر ، وذكروا معنى المعاظلة ، وهى :

---

(١) هذا بيت من قصيدة لجرير بن عطية يمدح فيها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الأموى ، وأولها قوله :

أبت عيناك بالحسن الرقادا وأنكرت الأصادق والبلادا

والحسن : نقا فى بلاد ضبة ، سمى بذلك لحسن شجره .

والبيت مما يستشهد به النحاة على جواز الجمع فى كلام واحد بين فاعل « نعم » والتمييز ، ولهم فيه تخريجات لامحل لذكرها ههنا

مُداخلة الكلام بعضه فى بعض ، وركوب بعضه لبعض ، من قولك : تعاظَلَ الجراد ، وتعاظلت الكلاب، ونحوهما مما يتعلق بعضه ببعض عند السِّفاد ، وأكثر ما يستعمل فى هذين النوعين ، وكذلك فسَّرُوا حُوشِيّ الكلام ، وهو الذى لا يتكرر فى كلام العرب كثيراً ؛ فإذا ورد ورد مُسْتَهْجَناً .

وقالوا فى معنى قوله « وكان لا يمدح الرجل إلا بما يكون فى الرجال » أراد أنه لا يمدح السوقة بما يمدح به الملوك ، ولا يمدح التجار وأصحابَ الصناعات بما يمدح به الصعاليك والأبطال وحملة السلاح ؛ فإن الشاعر إذا فعل ذلك فقد وصف كُلَّ فريق بما ليس فيه ، فذكروا هذه الجمل ، ثم مثلوا لها أمثلة تزيد ما قاله عمر رضى الله عنه وضوحاً وبياناً ، إلا أبو الفرج قُدَامَةُ بن جعفر فإنه ذكر ذلك فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر ومَثَّلَ له أمثلة فغلط فى أمثلة المعاظلة غلطا قبيحًا ، وقد ذكرت ذلك فى كتابٍ بَيَّنْتُ فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه .

* * *

وأنا أذكر ههنا ما إليه قصدت من سائر ما فى شعر أبى تمام من هذه الأنواع فإنها كثيرة ، وأورد من كل نوع قليلا ، فيستدل به على الكثير ؛ فأقول :

إن من المعاظلة التى قد لخصْتُ معناها فى الكتاب على قدامة شدة تعليق الشاعر ألفاظَ البيتِ بعضَها ببعضٍ ، وأن يداخل لفظة من أجل لفظة تشبهها أو تجانسها ، وإن اختلَّ المعنى بعضَ الاختلال .

* * *

١ — وذلك كقول أبى تمام :

خَانَ الصَّفَاءَ أخٌ خانَ الزَّمَانُ أخًا
عَنْهُ فلَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ الكَمَدُ[1]

(١) البيت ثانى أبيات قصيدة له يرثى فيها بنى حميد (الديوان ٣٦٦) وفيه « خان الزمان له * أخا فلم » والذى قبله قوله :

=

فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت ، وهى سبع كلمات آخرها قوله « عنه » ما أشدَّ تشبثَ بعضها ببعض ، وما أقبح ما اعتمده من إدخال ألفاظٍ فى البيت من أجل ما يشبهها ، وهو « خان » و « خان » و « يتخون » وقوله « أخ » و « أخا » فإذا تأملت المعنى — مع ما أفسده من اللفظ — لم تجد له حلاوة ، ولا فيه كبير فائدة ؛ لأنه يريد خان الصفاء أخٌ خانَ الزمانُ أخًا من أجله إذا لم يتخوَّن جسمَه الكمد .

***

٢ — وكذلك قوله :

يا يَوْمُ شَرَّدَ يَوْمَ لَهْوِى لَهْوُهُ
بِصَبابَتِى ، وَأَذَلَّ عِزَّ تَجَلُّدِى[1]

فهذه الألفاظ إلى قوله « بصبابتى » كأنها سلسلة ، من شدة تعلق بعضها ببعض ، وقد كان أيضا استغنى عن ذكر اليوم فى قوله « يوم لهوى » ؛ لأن التشريد إنما هو واقع بلهوه ، فلو قال « يا يوم شرد لهوى » لكان أصحَّ فى المعنى من قوله : « يا يوم شرد يوم لهوى » وأقربَ فى اللفظ ؛ فجاء باليوم الثانى من أجل اليوم الأول ، و باللهو الثانى من أجل اللهو الذى قبله ، ولهوُ اليوم أيضًا بصبابته هو أيضا من وَساوسه وخطائه ، ولا لفظَ أوْلى بالمُعَاظلة من هذه الألفاظ .

***

= لو صح الدمع لى أو ناصح الكمد لقل ماصحبانى الروح والجسد
ويتخون : يتنقص ، وانظره فى الصناعتين (٢٩ و ٣٣٤)

(١) من غزل قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله ، ويقال : المأمون (الديوان ١١١)

٣ — ونحو قوله أيضا :

يَوْمٌ أفَاضَ جَـوًى أغَاضَ تَعَزِّيًا
خاضَ الْهوَى بَحْرَىْ حِجاهُ الْمُزْبِدِ(١)

فجعل اليوم أفاض جَوًى ، والجوى أغاض تعزِّيا ، والتعزِّى موصولا به « خاض الهوى » إلى آخر البيت ؛ وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه، مع أن « أفاض » و « أغاض » و « خاض » ألفاظ أوقعها فى غير موضعها، وأفعال غير لائقة بفاعلها ، و إن كانت مستعارة ؛ لأن المستعمل فى هذا أن يقال : قد عُلِم ما بفلان من جَوًى ، وظَهَر ما يكتمه من هَوًى ، و بانَ عنه العزاء ، وذهب عنه العزاء والتعزى ، فأما أن يقال : فاض الجوى ، أو أفيض ، أو غاض ، أو غِيضَ ؛ فإنه — و إن احتمل ذلك على سبيل الاستعارة — قبيحٌ جداً ، وكذلك خَوْضُ الهوى بحرَ التعزِّى معنًى فى غاية البعد والهجانة ، ثم اضطر إلى أن قال « بَحْرَىْ حجاه المز بد » فوحَّد المز بد ، وخفَضَه ، وكان وجهه أن يقول « المز بدين » صفة للبحر ين ؛ فجعله صفة للحجى ، ويقال : إنه أراد ببَحْرَى حِجاه المز بد قلبه ودماغه ؛ لأنهما موطنان للعقل ، وذلك محتمل ؛ إلا أنه جعل المز بد وصفا للحجى ، ولا يوصف العقل بالإز باد ، وإنما يوصف به البحر ، وهذا و إن كان يُتجاَوز فى مثله فإنه إلى الوجه الأردأ عَدَلَ به ، وجنب الطر يق عن الوجه الأوضح .

فإذا تأملت شعره وجدت أ كثره مبنيًا على مثل هذا وأشباهه ، وقد ذكرت من هذه الأمثلة من شعره مادلّ على سواها .

(١) هو من أبيات القصيدة التى منها البيت السابق (الديوان ١١١) والجوى : الحزن ، وأغاض : نقص ، والتعزى : التصبر والتجلد والتسلى ، والحجى : العقل ، والمزبد : الذى يقذف بالزبد ، وذلك لـكثرة هيجه واضطرابه ، وقد جعل للحجى بحرين ، وجعله — مع ذلك — مزبدا ، وانظره فى الصناعتين (٣٠)

فإن قال قائل : إن هذا الذى أنكرته وذَمَمته فى الأبيات المتقدمة وفى هذا البيت ـ من شدة تشبُّث الكلام بعضِه ببعض ، وتعلق كل لفظةٍ بما يليها ، وإدخال كلمة من أجل أخرى تشبهها وتجانسها — هو المحمود من الكلام ، وليس من المُعَاظلة فى شىء ، ألا ترى أن البلغاء والفصحاء لمّا وَصفوا ما يستجاد ويستحبُّ من النثر والنظم قالوا : هذا كلام يدل بعضُه على بعض ، وآخذ بعضُه برقاب بعض .

قيل: هذا صحيح من قولهم، ولم يريدوا هذا الجنس من النثر والنظم ، ولاقصدوا هذا النوع من التأليف ، وإنما أرادوا المعانى إذا وقعت ألفاظُهَا فى مواقعها ، وجاءت الكلمة مع أختها المشاكِلة لها التى تقتضى أن تجاورها بمعناها : إما على الاتفاق ، أو التضاد ، حسبما تُوجبهُ قسمة الكلام ، وأكثر الشعر الجيد هذه سبيلُه ، ونحوُ ذلك قولُ زهير بن أبى سُلْمَى :

سَئِمْتُ تَكاليفَ الْحياةِ ، ومَنْ يَعِشْ
ثمَانِينَ حَوْلاً ـ لا أبَا لَكَ ـ يَسْأَمِ (١)

لما قال « ومن يعش ثمانين حولا » وقدم فى أول البيت « سئمت » اقتضى أن يكون فى آخره « يسأم » وكذلك قوله أيضاً :

السِّتْرُ دُونَ الْفاحِشات ، وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ (٢)

فالستر الأول اقتضى الستر الثانى ، وكذلك قوله :

---

(١) هو بيت من طويلته المعلقة (انظر شرح القصائد العشر للتبريزى ١٢٢) ولايوجد فى العقد الثمين ، وتكاليف الحياة : مشقاتها ، يريد سئمت ومللت مايعاودنى فى هذه الحياة من الجهد والمشقة ، واللام فى قوله «لاأبالك» زائدة بين المضاف والمضاف، ولذلك ثبتت الألف فى « أبا » ولولا الزيادة لقال : لا أب لك

(٢) من قصيدة له يمدح فيها هرم بن سنان (العقد الثمين ٣٥) وفيه « والستر دون الفاحشات »

وَمَنْ لاَ يُقَدِّمْ رِجْلَهُ مُطْمَئِنَّةً
فَيُثْبِتَهَا فِى مُسْتَوَى الأَرْضِ تَزْلَقِ (١)

لما قال « ومن لا يقدم رجله مطمئنة » اقتضى أن يأتى فى آخر البيت « تزلق » وكذلك قولُ امرىء القيس :

أَلاَ إِنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قَنْوَةً
وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسَا (٢)

اقتضى « العدم » فى البيت أن يأتى بعده « قنوة » وكذلك اقتضى قوله : « و بعد المشيب » قوله « طول عمر وملبسا » وكذلك قوله :

فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لاَ نُخْفِهِ وَإِنْ تَقْصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ (٣)

كل لفظة تقتضى ما بعدها .

فهذا هو الكلام الذى يدلُّ بعضُه على بعضٍ ، و يأخذ بعضُه برقاب بعض ؛ إذا أنْشَدْتَ صدر البيت علمت ما يأتى فى عَجُزه ؛ فالشعر الجيد ـ أو أكثره ـ على هذا مبنيّ ، وليست بنا حاجة إلى الزيادة فى التمثيل على هذه الأبيات .

(١) لا يوجد هذا البيت فيما روى من شعره فى العقد الثمين ، وقد أنشده سيبويه ١ / ٤٤٧ منسوبا إليه .

(٢) آخر أبيات كلمة له أولها قوله :

تأوبنى دائى القديم فغلسا أحاذر أن يرتد دائى فأنكسا

والعدم — بضم فسكون — الفقر ، وأراد من القنوة الغنى ، وهى أن يمتلك الإنسان مايعد للاقتناء ، وفى القرآن الكريم : (وأنه أغنى وأقنى) ، وانظر العقد الثمين (٨٣ و ٨٤)

(٣) هذا البيت ملفق من بيتين ، وهما برواية العقد الثمين (٧٢) هكذا :

فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد
وإن تقتلونا نقتلكم وإن تقصدوا لدم نقصد

وأما قول عمر رضى الله عنــه فى زهير : « إنه كان لا يَتَتَبَّعُ حُوشِىَّ الـكلام » فإن أبا تمام كان لعَمْرِى يتتبعه ، ويتطلبه ، ويتعمد إدخاله فى شعره ؛ فمِنْ ذلك قولُه :

أَهْلَسُ أَلْيَسُ لَجَّاءٌ إِلَى هِمَمٍ تُغَرِّقُ الأُسْدَ فِى آذِيِّهَا اللِّيسَا(١)

ويروى « أهيسُ أليسُ » والأهيس : الجادّ ، وهــذه الرواية أجود ، وهى مثل :

* إِحْدَى لَيَالِيكِ فَهِيسِى هِيسِى(٢) *

والهُلَاسُ : السُّلَالُ من شدة الهزال ؛ فـكان قوله « أهلس » يريد خفيف اللحم ، والأَلْيَسُ : الشجاع البطل الغاية فى الشجاعة ، وهو الذى لا يكاد يبرح موضعه فى الحرب حتى يَظْفَرَ أو يهلك ؛ فهاتان لفظتان مستكرهتان إذا اُجتمعتا ، لم يقنع بأهلس أليس حتى قال فى آخر البيت « اللِّيسَا » يريد جمع أليس ، وقوله :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها عياش بن لهيعة (الديوان ١٧٢) ورواه فى الوساطة ٢٦ ، وأراد بالأهيس وبالأليس الشجاع ، وقد بينهما المؤلف ، والهمم : جمع همة ، وهى العزمة ، وجملة « تغرق الأسد فى آذيها » صفة للهمم ، والآذى : الموج ، الليس : جمع أليس ، وهو — على ماعرفت — الشجاع ، والليسا : صفة للأسد ، وقد وقع فى مطبوعات هذا الـكتاب « تعرف الغيس » وهو تحريف غاية فى الشناعة ، وصوابه عن نسخ الديوان المختلفة والخطية

(٢) رواه فى اللسان (ه ى س) وروى معه بيتا آخر ، وهو قوله :

* لاتنعمى الليلة بالتعريس *

ووقع فى المطبوعات « فهيسى ميسى » والتصويب عن اللسان ، وتقول : هاس يهيس هيسا ، إذا سار أى سير كان ، والتعريس : النزول ليلا ، يريد أديمى السير ولا تنزلى رحالك للراحة .

وَإِنْ بُجَيْرِيَّةٌ نَابَتْ جَأَرْتُ لَهَا
إِلَى ذُرَى جَلَدِى فَاسْتَوْهِلَ الْجَلَدُ(١)

فقال « بجيرية » و « جأرت لها » وهذه الألفاظ وإن كانت معروفة مستعملة فإنها إذا اجتمعت استُقبحت وثقلت ، وكذلك قوله :

* هُنَّ الْبَجَارِىُّ يَا بُجَيْرُ(٢) *

والبجارى : جمع بُجْرِيَّة ، وهى الداهية ، وقوله :

بِنَدَاكَ يُوسَى كُلُّ جُرْحٍ يَعْتَلِى رَأْبَ الْأُسَاةِ بِدَرْدَبِيسٍ قَنْطَرِ(٣)

الدردبيس والقنطر : من أسماء الدواهى ، وقوله :

* قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فِى الْغُلَوَاءِ(٤) *

وزاد هذه الألفاظ هجنة أنها ابتداء فى ابتداء القصيدة ، وقوله :

لَقَدْ طَلَعَتْ فِى وَجْهِ مِصْرَ بِوَجْهِهِ بِلاَ طَائِرٍ سَعْدٍ وَلاَ طَائِرٍ كَهْلِ(٥)

(١) من قصيدة له يرثى فيها بنى حميد (الديوان ٣٦٧) والبجيرية : الداهية ، ونابت : أصابت ، وجأرت : رفعت صوتى ، والذرى : الأعالى ، واحدها ذروة ، واستوهل : استحق واستوجب ، وحرفيته وجد أهلا لأن يعاذبه ويلجأ إليه ، والجلد : الصبر ، وورد فى الصناعتين (٣٠) وفيه « فاستوهك الجلد » تطبيع

(٢) سبق ذكر هذه الجملة شطر بيت فى (ص ٢٥ من هـــذا الكتاب)

(٣) من قصيدة له فى عتاب عياش بن لهيعة (الديوان ٣٩٦) والندى : الكرم والعطاء ، ويؤسى: يداوى ، والرأب: الإصلاح وجبر الصدع ، والأساة : جمع آس ، وهو الطبيب ، والدردبيس والقنطر : من أسماء الداهية كما قال المصنف ، وجملة « يعتلى رأب الأساة » صفة لجرح ، وقوله «بدردبيس » يتعلق بيعتلى ، يريد أن كرمك يداوى به الجرح الذى يشق على الأساة علاجه ، وسينشده المؤلف مرة أخرى فى ص ٢٦٩

(٤) قد مضى ذكر هذا الشطر مشروحا فى (ص ٢٦ من هـــذا الكتاب)

(٥) هو بيت من قصيدة له يصف تقتير الرزق عليه فى مصر (الديوان ٤٢١) وفيه « ولا طائر سهل » وفاعل « طلعت » فى البيت الذى بعده وهو قوله :

وساوس آمال ومذهب همة مخيمة بين المطية والرحل

و إنما سمع قول بعض الهذليين(١) :

فَلَوْ كَانَ سَلْمَى جَارَهُ أَوْ أَجَارَهُ
رِيَاحُ بْنُ سَعْدٍ رَدَّهُ طَائِرٌ كَهْلُ(٢)

ووجدت فى تفسير أشعار هذيل أن الأصمعى لم يعرف قوله « طائر كهل » وقال بعضهم : كهل ضخم ، وما أظن أحداً قال « طائر كهل » غير هذا الهذلى ، فاستغرب أبو تمام معنى الكلمة فأتى بها ، وأحبَّ أن لا تفوته ؛ فمثل هذه الألفاظ لا يستعملها شاعر متقدمٌ إلا أن يأتى فى جملة شعره منها اللفظة واللفظتان ، وهى فى شعر أبى تمام كثيرةٌ فاشية ، وقد أنكر الرواةُ على زهير ـ مع ما قاله عمر رضى الله عنه « إنه كان لا يتتبع حُوشِيَّ الكلام » ـ قولَه :

نَقِيٌّ تَقِيٌّ لَمْ يُكَثِّرْ غَنِيمَةً
بِنَهْكَةِ ذِي قُرْبَى وَلاَ بِحَقَلَّدِ(٣)

(١) نسبه فى اللسان (ك ه ل) إلى أبى خراش الهذلى ، وفيه « رماح ابن سعد » وهو فى ديوان أبى خراش (٧٢) ثامن تسعة أبيات

(٢) وقعت رواية هذا البيت فى مطبوعات هذا الكتاب هكذا :

فلو كان سلمى حازه وأحازه رياح بن سعد رده طائر كهل

وهو تصحيف شنيع فى عدة مواضع ، وما أثبتناه عن اللسان وعن ديوان أبى خراش الهذلى (٧٢) قال فى اللسان : « قال ابن سيده : لم يفسره أحد ، قال : وقد يمكن أن يكون جعله كهلا مبالغة به فى الشدة ، وقال الأزهرى : يقال طار لفلان طائر كهل ، إذا كان له جد وحظ فى الدنيا » ا هـ : وأراد الشاعر بسلمى سلمى بن معقل أحد بنى صاهلة ، وأراد برياح رياح بن سعد أحد بنى زليفة ، قال السكرى : « وقوله طائر كهل أراد رجلا عظيم الشأن » وكان قد أقبل غلام من بنى تميم ثم أحد بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، حتى نزل فى بنى حريث بن سعد بن هذيل ، على رجل يقال له عاسل بن قميئة ، فقتله ؛ ففى ذلك يقول أبو خراش الأبيات التى منها هذا البيت .

(٣) هو بيت من قصيدة يمدح فيها هرم بن سنان المرى (العقد الثمين ٣٣) وانظر فى الصناعتين (٣٠)

واستشنعوا « بحقلد » وهى السيء الخلق ، ولا يُعرَف فى شعره لفظة هى أنْكَرُ منها ، وليس مجيئه بهذه اللفظة الواحدة قادحا فيما وصفه به عمر رضى الله عنه ، وأكثر ما ترى هذه الألفاظ الوَحْشِيَّة فى أراجيز الأعراب ، نحو قول بعضهم أنشده أبو حاتم(١) :

* فَشَجَا جَحَافِلَهُ جُرَافٌ هِبْلَعُ(٢) *

وقول آخر :

* غَرْباً حروراً وجُلالاً خُزْخُزَهْ(٣) *

وأنشد الأصمعى :

وَآخِذٌ طَعْمَ السِّقَاءِ سَامِط وَخَاثِرٌ عُجَالِطٌ عُكَالِطُ(٤)

إذا ذهب عن اللبن حلاوةُ الحليب ولم يتغير فهو سامط ، وإذا خَثَرَ اللبن جِدًّا حتى ثخن فهو عُكالط ، وقال آخر أنشده الأصمعى(٥) :

---

(١) نسبه فى اللسان (ه ب ل ع — ج ر ف) إلى جرير .

(٢) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* وُضِعَ الخَزِيرُ فَقِيلَ : أَيْنَ مُجَاشِعٌ ؟ *

ووقع فى المطبوعات « حراب هبلع » وهو تحريف ، وتصويبه عن اللسان ، والجراف — بزنة الغراب — الأكول الذى لا يبقى على شيء ، والهبلع — بزنة الدرهم — الأكول العظيم اللقم الواسع الحنجور .

(٣) مع طول البحث فيما بين يدى من كتب اللغة ومجاميع الشعر لم يتيسر لى العثور على تحقيق هذا الشاهد ؛ فأثبته كما هو فى أصول الكتاب غير متحمل تبعته .

(٤) ولم يكن حظى فى تحقيق صدر هذا البيت خيرا من حظى فى تحقيق الشاهد السابق ، ولا كان بحثى عن هذا دون البحث عن ذاك .

(٥) أنشده فى اللسان (ح م ص — ق ر ص) وذكر معه فى الثانية عدة أبيات

وَرَبْرَبٍ خِمَاصِ يَأْكُلْنَ مِنْ قُرَّاصِ (١)
وَحَمَصِيصٍ وَاصِ (٢)

واص : نبتٌ متصل بعضه ببعض .

وإذا كان هذا يُسْتَهْجَنُ من الأعرابى القُحّ الذى لا يتعمَّل له ولا يطلبه ، وإنما يأتى به على عادته وطبعه ؛ فهو من المحدَثِ ـ الذى ليس هو من لغته ولا من من ألفاظه ولا من كلامه الذي تجرى عادته به ـ أحْرَى أن يُسْتَهجن ، ولهذا أنكر الناسُ على رؤْبةَ استعمالَهُ الغريبَ الوَحْشِىَّ ، وذلك لتأخره وقرب عهده ، حتى زهد كثير من الرواة فى رواية شعره إلا أصحاب اللغة والغريب .

وقد ذكر أبو العباس عبدُ الله بن المعتز فى كتابه المؤلف فى سرقات الشعراء ومعانيهم ، عن العنزى ، قال : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمى الزارع ، قال : حدثنى ابن عائشة ، قال : قال أبو العتاهية لابن مُنَاذر : إن كنت أردت بشعرك شعر العجاج ورؤبة فما صنعت شيئاً ؛ وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت مأخذنا ، أرأيت قولك :

* وَمَنْ عَادَاكَ يَلْقَى المَرْمَرِيسَا *

أىُّ شىء فى المرمريس أعجبك ؟

ووجدت أباعبيدة ذكر فى كتاب الخيل فى باب ما يُسْتَدَل به على جَوْدة الفرس

(١) الربرب : القطيع من بقر الوحش ، هذا أصله ، وقد يطلقونه على جماعة النساء ، والخماص ـ بكسر الخاء المعجمة ـ جمع خمصانة ، وهى الضامرة البطن ، والقراص : جمع قارص ، وهو الحامض من لبن الإبل خاصة ، ووقع فى المطبوعات « حماص » بالمهملة ـ محرفا .

(٢) الحمصيص ـ بفتح الحاء والميم جميعا ـ بقلة طيبة الطعم من أحرار البقول تنبت فى الرمل ، وقال أبو حنيفة الدينورى : بقلة الحمصيص حامضة تجعل فى الأقط تأكله الناس والإبل والغنم .

وهو يُحْضِرُ « و بيضة مرمريس ، وهَامَةٌ مَرْمَرِيس ، وهى الضخمة » وأراد ابنُ مُنَاذِرٍ الداهية .

وقد جاء أبو تمام بالدَّرْدَبِيس ، وهى أخت المرمريس ، فقال :

بِنَدَاكَ يُوسَى كلُّ جَرْحٍ يَعْتَلِى رَأَبَ الأَسَاةِ بِدَرْدَبِيسٍ قَنْطَرِ (١)

وهى الداهية أيضاً ، وكذا القَنْطر .

***

باب

ما كثر فى شعره من الزِّحاف واضطراب الوزن

وذلك هو ما قاله دِعْبِلُ بن على الْخُزَاعِىُّ وغيره من المطبوعين : إن شعر أبى تمام بالْخُطَب و بالكلام المنثور أشْبَهُ منه بالكلام المنظوم .

فمن ذلك قوله :

وَأَنْتَ بِمِصْرٍ غَايَتِى وَقَرَابَتِى بِهَا ، وبَنُو أَبِيكَ فيها بَنُو أَبِى (٢)

وهذا من أبيات النوع الثانى من الطويل ، ووزنه «فَعُولُنْ مَفَاعِيلُن» وعروضه وضَرْبُه مَفَاعِلُنْ ؛ فحذف نون فَعُولُنْ من الأجزاء الثلاثة الأوَل ، وحذف الياء من مفاعيلن التى هى المصراع الثانى ، وذلك كله يسمى مقبوضاً ؛ لأنه حذف خامسه .

وكذلك قوله من هذا النوع :

كَسَاكَ مِنَ الأَنْوَارِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ وَأَصْفَرُ فَاقِعٌ وَأَحْمَرُ سَاطِعٌ (٣)

---

(١) انظر (ص ٢٦٥ من هذا الكتاب)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها عياش بن لهيعة الحضرمى (الديوان ٢٥) .

(٣) من قصيدة له فى الفخر بقومه (الديوان ٤٨٧) والأنوار : جمع نور — بفتح النون وسكون الواو — والناصع : الخالص البياض ، والفاقع : الشديد الصفرة ، وأراد بالساطع الشديد الحمرة ، وسيذكره المؤلف مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام برواية أخرى غير مستقيمة الوزن .

فحذف النون من آخر « فعولن » كلها ، وهى أربعة ، وحذف الياء من « مفاعيلن » التى فى المصراع الثانى أيضاً ، كما فعل فى البيت قبله .

ومن ذلك قوله من هذا النوع أيضاً :

يَقُولُ فَيَسْمَعُ ، وَيَمْشِى فَيُسْرِعُ وَيَضْرِبُ فِى ذَاتِ الإِلَٓهِ فَيُوجِعُ(١)

فحذف النون من « فعولن » الأول ، والياء من « مفاعيلن » التى تليها ، ومن «فعولن» التى هى أول المصراع الثانى ، وذلك كله يسمى مقبوضاً ، وهو من الزحاف الحسن الجائز ، إلا أنه إذا جاء على التوالى والكثرة فى البيت الواحد قَبُح جداً .

وقال :

لَمْ تَنْتَقِضْ عُرْوَةٌ مِنْهُ وَلاَ قُوَّةٌ لٰكِنَّ أَمْرَ بَنِى الآمَالِ يَنْتَقِضُ(٢)

وهذا من النوع الأول من البسيط ، ووزنه مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ ، وعروضه وضربه فَعِلُنْ ، فزاد فى عروضه حرفا فصار فاعلن ؛ لأنه قال « قُوَّة » فشدد ، وذلك إنما يُحسب له فى أصل الدائرة لا فى هذا الموضع ، فإن خَفَّفَها حتى تصير على وزن فَعِلُنْ فيتَّزن البيت كان مخطئاً من طريق اللغة ، ثم نقص من فاعلن الأول من المصراع الثانى الألف فصار فعلن ، وهذا يسمى مخبوناً لأنه حذف ثانيه .

وقال :

إلى المُفَدَّى أبى يَزِيدَ الذى يَضِلُّ غَمْرُ المُلُوكِ فى ثَمَدِهْ(٣)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ١٩١) .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ، ويهجو رجلا فاخره فى المجلس (الديوان ١٨١) وفيه « عروة منه ولا سبب » ولا اعتراض على هذه الرواية .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٩٢) والغمر — بفتح الغين وسكون الميم — الماء الكثير ، والثمد — بفتح الثاء والميم جميعا — الماء القليل .

وهذا من النوع الأول من المنسرح ، ووزنه مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلن ، فحذف السين من مستفعلن الأولى ومن مستفعلن التى هى أول المصراع الثانى فبقى متفعلن ، وهذا يُنْقَلُ إلى مفاعلن ، ويسمى مخبوناً ؛ لأنه حذف ثانيه ، وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فبقى مستعلن فينقل إلى مُفتعلن ، ويقال له : مَطْوِىٌّ ؛ لأنه ذهب رابعه ، وحذف الواو من مفعولات الأولى والثانية ، فصار فاعلات ، ويقال له أيضاً : مَطوِىٌّ ؛ فأفسد البيت بكثرة الزحاف ، وتقطيعُهُ :

إِلَّلمفدْ * دَاأبىِ يَ * زِيدَ الَّذِى * يَضِلُّلغَمْ * رُلْمُلُوكِ * فِيثَمَدِهْ
مَفَاعِلُنْ * فَاعِلَاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفَاعِلُنْ * فَاعِلَاتُ * مُفْتَعِلُنْ

ثم قال فى هذه القصيدة :

جِلَّةُ أَنْمَارِهِ وَهَمْدَانِهِ والشُّمُّ مِنْ أَزْدِهِ وَمِنْ أُدَدِهْ[1]

فحذف الفاء من مستفعلن الأولى ، فعادت إلى مفتعلن ، وحذف الواو من مفعولات الأولى ومفعولات الثانية فصارت فاعلات ، وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فصارت مفتعلن ، وتقطيعه :

جِلْلَتَأَنْ * مَارِهِيوَ * هَمْدَانِهِى * وَشْشُمْمِنُ * أَزْدِهِى وَ * مِنْأُدَدِهْ
مُفْتَعِلُنْ * فَاعِلَاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * فَاعِلَاتُ * مُفْتَعِلُنْ

وهذه الزحافات جائزة فى الشعر غير منكرة إذا قَلَّتْ ، فأما إذا جاءت فى بيت واحد فى أكثر أجزائه فإن هذا فى نهاية القبح ، ويكون بالكلام المنثور أشبه منه بالشعر الموزون .

ومن هذا النوع من المنسرح قوله :

(١) الجلة : العظماء واحدهم جليل ، والشم : جمع أشم ، وأصله وصف من الشمم ، وهو ارتفاع قصبة الأنف ، وذلك عندهم من ملامح العظماء ، ثم أطلقوه على العلية والسادة ، وأنمار ، وهمدان ، والأزد ، وأدد : كلهن أسماء قبائل .

ولم يُغيِّرْ وَجْهى عَنِ الصِّبْغَةِ الْ أُولَى بِمَسْفُوعِ اللَّوْنِ مُلْتَمِعِه[1]

وتقطيعه :

وَلَمْ يُغَىْ * يِرْ وَجْهِيعَ * نِصْصِبْغَتِلْ * أُولَى بِمَسْ * فُوعِلْلَوْنِ * مُلْتَمِعِهْ
مَفَاعِلُنْ * مَفْعُولات * مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * مفعولات * مُفْتَعِلُنْ

فحذف السين من مستفعلن الأولى فصارت مفاعلن ، وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فصارت مفتعلن .

ومثل هذه الأبيات فى شعره كثير إذا أنت تَتَبَّعته ، ولا تكاد ترى فى أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئاً .

* * *

تم السفر الثانى من الموازنة على ما جزأه مؤلفه رحمه الله تعالى

والحمد لله رب العالمين

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ، وكان قد أنفذ إليه حلة وهو بالموصل (الديوان ١٩٦) وفيه «ولم تغير وجهى» وكان فى المطبوعات « عن الصنيعة الأولى » وهو تحريف أثبتنا تصحيحه عن الخطية والديوان ، ويؤيده تقطيع المؤلف البيت على الوجه الذى يأتى .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرٍ الآمِدِيُّ :

لما كنت قد خَرَّجْت مساوِيَ أبي تمام وابتدأت بسرقاته وجب أن أبتدىء من مساوى البحترى بسرقاته ؛ فإنه أخذ من معانى مَنْ تَقَدَّم من الشعراء[1] وممن تأخر أخْذاً كثيراً .

وحكى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتابه أن ابن أبى طاهر أعْلَمه أنه أخرج للبحترى ستمائةِ بيتٍ مسروق ، ومنها ما أخذه من أبى تمام خاصة مائة بيت

وكان ينبغى أن لا أذكر السرقات فيما أخَرِّجه من مساوى هذين الشاعرين ؛ لأننى قَدَّمْتُ القولَ فى أن مَنْ أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يَرَوْنَ سرقات المعانى من كبير مساوِى الشعراء ، وخاصة المتأخرين ؛ إذ كان هذا باباً ما تَعَرَّى منه متقدم ولا متأخر ، ولكن أصحاب أبى تمام ادعوا أنه أول سابق ، وأنه أصل فى الابتداع والاختراع ؛ فوجب إخراج ما استعاره من معانى الناس ؛ ووجب من أجل ذلك إخراج ما أخذه البحترى أيضاً من معانى الشعراء ، ولم أستقص بابَ البحترى ، ولا قصدت الاهتمام[2] إلى تتبعه ؛ لأن أصحاب البحترى ما ادعوا ما ادعاه أصحابُ أبى تمام [لأبى تمام] ، بل استقصيت ما أخذه من أبى تمام خاصة ؛ إذ كان من أقبح المساوى أن يتعمد الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فيأخذ من معانيه ما أخذه البحترى من [معانى] أبى تمام ، ولو كان عشرة أبيات ، فكيف والذى أخذه منه يزيد على مائة بيت ؟

فأما مساوى البحترى — من غير السرقات — فقد دققت واجتهدت أن

(١) فى الخطية «من تقدم من الشعراء وتأخر» (٢) وفيها «ولاصرفت الاهتمام»

أظفر له بشىء يكون بإزاء ما أخرجتهُ من مساوى أبى تمام فى سائر الأنواع التى ذكرتها ، فلم أجد فى شعره — لشدة تحرُّزه ، وجَوْدةِ طبعه ، وتهذيبه لألفاظه — من ذلك إلا أبياتاً يسيرة أنا أذكرها عند الفراغ من سرقاته ، فإن مَرَّ بى شىء منها ألحقته به ، إن شاء الله تعالى .

* * *

سرقات البحترى

١ — قال :

يُخْفِى الزُّجاجَةَ لَوْنُهـا فَـكَأَنَّهَا فى الـكأسِ قَائِمَةٌ بِغَـيْرِ إناء (١)

أخذه من قول على بن جَبَلَة حيث يقول :

كَأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْهـا شُعاعاً لا يُحِيطُ عَلَيْهِ كاس (٢)

٢ — وقال البحترى :

كالرُّمْحِ فِيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً مُنْقَادَةً تحتَ السِّنَانِ الأَصْيَـدِ (٣)

---

(١) قد تقدم ذكر هذا البيت ، وللمؤلف احتجاج طويل فى تصحيح معناه (انظر ص ٢٧ و ٣١ وما بعدها من هذا الـكتاب) . ثم انظر ص ٣١٩ الآتية .

(٢) ارجع إلى (ص ٣٣ و ٣٢٠ من هذا الـكتاب)

(٣) البيت من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان : ١ / ١٧١) وفيه « خلف السنان الأصيد » وقبل هذا البيت — مما يوضح معناه — قوله :

مزقت أنفسهم بقلب واحد جمعت قواصيه وسيف أوحد

فى فتية طلبوا غبارك ؛ إنه كرم ترفع من طريق السؤدد

والفقرة — بكسر فسكون — فى الأصل : حلية تصاغ على شكل فقار الظهر ، شبه كعوب قناة الرمح بها ، ويقال : هـذا الرمح كعب واحد ، إذا كان مستوى الـكعوب ، وسنان الرمح — بزنة الـكتاب — طرفه ، يريد أن هؤلاء الفتية ينقادون لأمره ويخضعون لإرادته ؛ فهو منهم بمنزلة السنان من الـكعوب .

أخذه من قول بَشَّار(١) :

خُلِقُوا قَادَةً فَكَانُوا سَوَاءً   كَكُعُوبِ الْقَنَاةِ تَحْتَ السِّنَانِ

[و] أخذه أبو تمام فقال :

جُمِعَتْ عُرَى أَعْمَالِهِ بَعْدَ فُرْقَةٍ   إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الأَنَابِيبَ عَامِلُ(٢)

٣ — وقال البحترى :

أَعْطَيْتَنِي حَتَّى حَسِبْتُ جَزِيلَ مَا   أَعْطَيْتَنِيهِ وَدِيعَةً لَمْ تُوهَبِ(٣)

أخذه من قول الفرزدق :

أَعْطَانِيَ الْمَالَ حَتَّى قُلْتُ يُودِعُنِي   أَوْ قُلْتُ أُعْطِيتُ مَالاً قَدْ رَآهُ لَنَا

و بيت البحترى أجود .

٤ — وقالَ البحترى(٤) :

أَرَدُّ دُونَكِ يَقْظَانًا وَيَأْذَنُ لِي   عَلَيْكِ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسْنَانَا

---

(١) ذكر فى الصناعتين (١٩٩) أن أبا تمام أخذ بيته من قول الحبال الربعى :

أولئك إخوان الصفاء رزئتهم   فما الكف إلا إصبع ثم إصبعُ

(٢) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ٢٥٧) وفيه « جمعت عرى آماله » والأنابيب : جمع أنبوبة ، وهى الكعب من كعوب القناة ، والعامل من الرمح : مايلى السنان ، وهو دون الثعلب ، وانظره فى الصناعتين (١٩٩)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان : ١ / ٢٠) :

(٤) لايوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر ، يريد أنه يرى حبيبته ويتمتع بها فى الأحلام والرؤى ، وسيذكره المؤلف فى أثناء الكلام على ما أخطأ فيه البحترى من المعانى ص ٣١٥

أخذه من قول قَيْس بن الخَطِيم :

مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تُؤْتِينَهُ   فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ (١)

٥ — وقال البحترى :

مُلُوكٌ يَعُــدُّونَ الرِّمَاحَ مَخَاصِراً

إِذَا زَعْزَعُــوهَا وَالدُّرُوعَ غَلاَئِلاَ (٢)

وهذا مثل قول محمد بن عبد الملك الْفَقْعَسى ، ولعله منه أخذه :

وَلاَ لاَقِياً كَعْبَ بْنَ عَمْرٍو يَقُودُهُمْ

أَبُو دهشم نَسْجُ الْحَــدِيدِ ثِيَابُهَا (٣)

٦ — وقال البحترى :

كَوُعُولِ الهِضَابِ رُحْنَ وَمَا يَمْـــلِكْنَ إلاَّ صُمَّ الرِّمَاحِ قُرُونَا (٤)

وهذا من نوادر المعانى ، وما عُرف مثله إلا قول نصر بن حجاج بن علاط السلمى ، ولعله منه أخذه :

---

(١) من قصيدة لقيس أولها قوله :

أنى سربت وكنت غير سروب   وتقرب الأحلام غير قريب

وانظر ديوانه (ص ٥ المطبوع فى ليبزج ١٩١٤ م) والمصرد : القليل ، وسينشده المؤلف مع البيت الذى أنشدناه فى أخطاء البحترى ص ٣١٥ .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان : ٢/٢١٢) وكان فى المطبوعات «محاصرا» بالحاء مهملة ، وهو تحريف ، والمخاصر : جمع مخصرة ـ بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة ـ وهو السوط وكل ما أمسكه الإنسان بيده من عصا ونحوها ، وزعزعوها : حركوها ، والغلائل : جمع غلالة ، وهى شعار يلبس تحت الثوب ، والمراد أنهم لايتركون الحرب ؛ فكأن أداة الحرب ولبوسها من كثرة ما اعتادوها أشياء من مألوف اللباس والحلى .   (٣) جملة « نسج الحديد ثيابها » حال من كعب بن عمرو .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان : ٢ / ٢٨٣) وهو فى وصف الفرسان والخيل ، والوعول : جمع وعل ، وهو تيس الجبل .

تَرَى غَايَةَ الْخَطِّيِّ فَوْقَ مُتُونِهِمْ
كَمَا أَشْرَفَتْ فَوْقَ الصِّوَارِ قُرُونُهَا(١)

٧ — وقال البحترى :

يَنَالُ الْفَتَى مَالَمْ يُؤَمِّلْ ، وَرُبَّمَا
أَتَاحَتْ لَهُ الأَقْدَارُ مَالَمْ يُحَاذِرِ(٢)

أخذه من قول الآخر ، وأنشده ثعلبٌ :

وَحَذِرْتُ مِنْ أَمْرٍ فَمَرَّ بِجَانِبِي لَمْ يَلْقَنِي ، وَلَقِيتُ مَالَمْ أَحْذَرِ

٨ — وقال البحترى :

وَإِذَا الأَنْفُسُ اخْتَلَفْنَ فَمَا يُغْنِي اتِّفَاقُ الأَسْمَاءِ وَالأَلْقَابِ(٣)

أخذه من قول الفرزدق :

وَقَدْ تَلْتَقِي الأَسْمَاءُ فِي النَّاسِ وَالْكُنَى
كَثِيراً ، وَلَكِنْ فُرِّقُوا فِي الْخَلَائِقِ

---

(١) الغاية : الراية ، قال أبو عبيد : تقول : غييت غاية ، وأغييت ؛ إذانصبتها ؛ والخطى : المنسوب إلى الخط ، والمراد به الرمح ، وأشرفت : أراد به ظهرت ونجمت ، والصوار ـ بكسر الصاد ، بزنة الكتاب — القطيع من بقر الوحش وقال الشاعر :

إذا لاح الصوار ذكرت ليلى وأذكرها إذا نفح الصوار

(٢) هو من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الله بن طاهر ، ويرثى طاهر بن عبد الله بن طاهر والحسين بن طاهر عم محمد بن عبد الله بن طاهر الممدوح (الديوان : ٢ / ١٧) وأتاحت : هيأت ، والأقدار : جمع قدر ، يعنى يأتيه الحوف من حيث لايرتقب ، وهو كقولهم : الحين قد يسبق جهد الحريص .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب (الديوان : ١ / ٧٢) وفيه « وإن الأنفس » .

٩ — وقال البحترى :

لَمْ تخطُ بَابَ الدّهْليزِ مُنْصَرِفاً إلاَّ وَخَلْخَالُهَا مَعَ الشَّنَفِ(١)

أخذه من قول أبى نُوَاس :

* قَدْ جَمَعُوا آذَانَهُ وَعَقِبَهُ *

١٠ — وقال البحترى :

وَلَسْتُ أعْجَبُ مِنْ عِصْيَانِ قَلْبِكِ لِى
عَمْداً ، إذَا كَانَ قَلْبِى فِيكِ يَعْصِينِى(٢)

أخذه من قول حُسَين بن الضحاك الخليع :

وَتَطْمَعُ أنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سُعْدَى
وَتزْعُمُ أنَّ قَلْبَكَ قَدْ عَصَاكَا !

و بيت البحترى أجود .

١١ — وقال محمد بن وهيب :

هَلِ الدَّهْرُ إلاَّ غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِى وَشِيكاً ، وَإلاَّ ضِيقَةٌ فَتَفَرَّجُ(٣)

أخذه البحترى فقال :

هَلِ الدَّهْرُ إلاَّ غَمْرَةٌ وَانْجِلاَؤُهَا وَشِيكاً ، وَإلاَّ ضِيقَةٌ وَانْفِرَاجُهَا(٤)

(١) من قصيدة له يهجو فيها ابن أبى قماش (الديوان : ٢ / ١١٨) والشنف القرط إذا كان فى أعلى الأذن ، وأصله بفتح الشين وسكون النون ، فحرك نونه لإقامة الوزن ، وأراد أن رجلها تصير إلى جانب أذنها ، وهى كناية .

(٢) من غزل قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله بن حمدون ويعاتبه (الديوان ٢ / ٢٩٥) وكان فى مطبوعات الكتاب « عصيان قلبك لى عمرا » وهو تحريف صوابه عن الديوان وعن الخطية .

(٣) انظر الوساطة ١٥٥ وسمى قائله محمد بن وهب ، وكذلك هو فى الخطية

(٤) من قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان : ١ / ١٠٣) .

١٢ — وقال فى وصف الذئب :

فَأَتْبَعْتُهَا أُخْــــرَى وَأَضْلَلْتُ نَصْلَهَا
بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحِقْدُ(١)

وقال فى هذا المعنى :

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَغَى مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْـكِتْمَانِ(٢)

أخذه من قول عمرو بن معديكرب الزبيدى :

وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مُرْهَفٍ وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الأَضْغَانِ(٣)

إلا أن قول عمرو « والطاعنين مجامع الأضغان » فى غاية الجودة والإصابة ؛ لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فإذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب

١٣ — وقال البحترى :

إِلَى فَتًى يُتْبِــعُ النُّعْمَى نَظَائِرَهَا كَالْبَحْرِ يُتْبِــعُ أَمْوَاجًا بِأَمْوَاجِ(٤)

أخذه من قول أبى دَهْبل الجمحى :

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ أَجْرَاسٍ وَأَزْوِقَةٍ كَالبَحْرِ يُتْبِــعُ أَمْوَاجًا بِأَمْوَاجِ

وهذا إنما أراد قول امرىء القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَــلِي

---

(١) الديوان (١ / ١٨٦) وفيه « فأضللت » وقبله ـ مما يتضح به المعنى ـ قوله :

عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها على كوكب ينقض والليل مسود
فما ازداد إلا جرأة وصرامة وأيقنت أن الأمر منه هو الجد

(٢) لايوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع

(٣) انظره فى معاهد التنصيص (٢٦٠ بولاق) ، وفيه « أبيض مخذم » .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن كنداج (الديوان : ١ / ١٠٤) .

١٤ — وقال البحترى :

مُحَرِّكًا رَأْسَـــهُ تَوَهُّمُهُ مِنْ عَطْسَةٍ قائماً عَلَى شَرَفِ[(١)]

يشبه قول الآخر :

كأنَّ أبا السَّمىّ إذا تَغَنَّى يُحاكِى عَاطِساً فِى عَيْنِ شَمْسِ

١٥ — وقال البحترى :

سَـــقَمٌ دُونَ أَعْيُنٍ ذاتِ سُـــقْمٍ
وَعَـــذابٌ دُونَ الثنايَا الْعِذَابِ[(٢)]

أخذه من قول بشار :

ذات الثَّنَـــايا الْعِذابِ مِنْ دُونِهِنَّ عَـــذَابُ

١٦ — وقال البحترى :

وَكأَنَّ فِى جِسْـــمى الذى فى ناظِرَيْكَ مِنَ السَّقَمْ[(٣)]

أخذه من قول منصور بن الفرج :

حَلَّ فى جِسْمِكِ مَا كا نَ بِعَيْنَيْكِ مُقِيما[(٤)]

---

(١) من قصيدته فى هجاء ابن أبى قماش التى مضى قريبا بعض أبياتها (٢٧٨) ورواية البيت فى الديوان (٢ / ١١٩) وهكذا :

محرك رأسه توهمه قـــد قام من عطسة على شرف

(٢) هو ثالث بيت من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب (الديوان ١ — ٧٠) واللذان قبله قوله :

ماعلى الركب من وقوف الركاب فى مغانى الصبا ورسم التصابى ؟
أين أهل القباب بالأجرع الفر د ؟ تولوا ! لا ، أين أهل القباب ؟

(٣) من غزل قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله (الديوان ٢ / ٢٤٤) أولها قوله :

عن أى ثغر تبتسم وبأى طرف تحتكم

(٤) انظره فى الوساطة ١٧٦ ، ووقع فى المطبوعات « حل فى جسمى » .

١٧ — وقال البحترى :

تَجِدْ بَدْرَ الدُّجَى يَدْنُو بِشَمْسٍ إِلَيَّ مِنَ الرَّحِيقِ الْخُسْرُوَانِى (١)

أخذه من قول الخليع :

قَمَرٌ يَحْمِلُ شَمْساً مِنْ رَحِيقِ الْخُسْرُوَانِى

١٨ — وقال البحترى :

كَأَنَّ سُهَيْلاً شَخْصُ ظَمْآنَ جَانِحٍ

مَعَ الأُفْقِ فى نِهْيٍ مِنَ الأَرْضِ يَكْرَعُ (٢)

أخذه من قول [محمد بن يزيد] الحصنى [السلمى] يصف النجوم :

حَتَّى إِذَا مَا الْحُوتُ فِى حَوْضٍ مِنَ الدَّلْوِ كَرَعْ

١٩ — وقال البحترى :

قَوْمٌ إِذَا شَهِدُوا الْكَرِيهَةَ صَيَّرُوا كُمَمَ الرِّمَاحِ جَمَاجِمَ الأَقْرَانِ (٣)

أخذه من مسلم بن الوليد حيث يقول :

يَكْسُو السُّيُوفَ رُؤُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ

وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِيجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ (٤)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الهيثم الغنوى (الديوان : ٢ / ٢٧٨) وقبله — مما يوضح المعنى — قوله :

أغادى أرجوان الراح صرفا على تفاح خد أرجوانى
إذا مالت يدى بالكأس ردت بكف خضيب أطراف البنان
تأمل من خلال الشك فانظر بعينك ما شربت ومن سقانى

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا عيسى بن صاعد (الديوان : ٢ / ٨٩) وكان فى الأصول « شخص ظمآن جامع » وما أثبتناه عن الديوان .

(٣) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر ، والكمم : جمع كمة — بضم الكاف — وهى قلنسوة لاطئة بالرأس على مقداره ، و « كمم الرماح » مفعول ثان لصيروا ، و « جماجم الأقران » مفعوله الأول تأخر عن ثانى المفعولين

(٤) تقدم ذكر هذا البيت فى سرقات أبى تمام (ص ٧٢ من هذا الكتاب) .

وأخذه مسلم من قول جرير :

كَأَنَّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا
غَدَاةَ الْوَغَى تِيجَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا(١)

٢٠ — وقال البحترى(٢) :

وَلِمْ لا أُغَالِى بِالضِّيَاعِ وَقَدْ دَنَا عَلَىَّ مَدَاهَا وَاسْتَقَامَ اُعْوِجَاجُهَا(٣)
إِذَا كَانَ لِى تَرْبِيعُهَا وَاغْتِلاَلُهَا وَكَانَ عَلَيْكُمْ عُشْرُهَا وَخَرَاجُهَا(٤)

أظنه ـ والله أعلم ـ حذا على قول شَبيب بن البَرْصَاء :

تَرَى إِبِلَ الْجَارِ الْغَرِيبِ كَأَنَّمَا بِمَكَّةَ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ مَرَادُهَا(٥)
يَكُونُ عَلَيْهِ نَقْصُهَا وَضَمَانُهَا وللجَارِ، إِنْ كَانَتْ تَزِيدُ، ازْدِيَادُهَا

٢١ — وقال أبو صَخْر الهُذَلى :

أَغَرُّ أُسَيدِىٌّ تَرَاهُ كَأَنَّهُ إذا جَدَّ يُعْطِى مَالَهُ وَهْوَ لاعِبُ

أخذه البحترى فقال :

وَادِعٌ يَلْعَبُ بِالدَّهْـــرِ إذا جَدَّ فى أُكْرُومَةٍ قُلْتَ هَزَلْ(٦)

---

(١) انظر هذا البيت فى (ص ٧٣ من هذا الكتاب) .

(٢) البيتان آخر قصيده له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان : ١ / ١٠٣)

(٣) الضياع : جمع ضيعة ـ على مثال جفنة وجفان ـ والضيعة : الأرض التى لها غلة

(٤) تربيعها : تصييرها ذات ريع ، أو أخذ ريعها ، وكان فى الأصول «توسيعها» وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن الديوان ، واغتلالها : أخذ غلتها ،والعشر والخراج ضريبة الأرض فى الاصطلاح الحديث .

(٥) الأخشبان : جبلان يكتنفان مكة ، والمراد — بفتح الميم والراء — المصدر الميمى لقولك : راد يرود ، إذا جاء وذهب ، وأراد ترددها للرعى .

(٦) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر الطائى (الديوان : ٢ / ١٨٢) وقبله . — مما يتصل به معناه — قوله :

=

٢٢ — وقال عبد الصمد بن المعذّل :

ظَبْىٌ كأنَّ بخَصْرِهِ   مِنْ رِقَّةٍ ظَمَأً وَجُوعَا(١)
إنِّى عَلِقْتُ لِشِقْوَتِى   يَا قَوْمِ مَمْنُوعاً مَنِيعَا

أخذه البحترى فقال:

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا   وَلَوَ انَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ(٢)

فزاد على عبد الصمد بقوله « [لو] بذلت لنا لم تبذل » .

٢٣ — وقال البحترى :

سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ   مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا(٣)

وهذا مثل قول(٤) الحنتف بن السجف الضبى (؟) ويجوز أن يكون أخذه منه :

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنَىْ هُمَيْمٍ بِطَعْنَةٍ   لهَا عَانِدٌ يَكْسُو السَّلِيبَ إزَارَا

= أتصدى للتفاريق ، ولو   أبت قومى لتصدت لى الجمل
كبنى مخلد الغر الألى   رد معروفهم الناس خول
أو أبى جعفر الطائى إذ   يتمادى معطيا حتى يمل

(١) روى أولهما فى ديوان المعانى (١ / ٢٥١) ولم ينسبه إلى قائل

(٢) لايوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر

(٣) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان : ١ / ٦٣) والبيت من أبيات يصف فيهـا الحرمية والإيقاع بهم ، وقبله — مما يوضح معناه — قوله :

ناهضتهم والبارقات كأنها   شعل عـلى أيديهم تتلهب
ووقفت مشهور المقام كريمه   والبيض تطفو فى الغبار وترسب
ما إن ترى إلا توقد كوكب   فى قونس قد غار فيه كوكب
فمجـدل ومرمل وموسد   ومضرج ومضمخ ومخضب

(٤) لم يتم لنا — مع كثير المراجعة — تحقيق هذا الاسم ، والبيت موجود فى الوساطة ١٩٧ منسوبا إلى بعض العرب من غير تعيين ، وفى شرح العكبرى على ديوان المتنبى ١ / ٢٣٨ الحلبى غير منسوب أيضا ، وفى المطبوعات « الحسف بن السجف » .

قوله « لها عاند » يريد الدم .

٢٤ — وقال عبد الملك بن عبد الرحمن[(١)] الحارثى :

وَإنّى لَيَدْعُونِى لِأَنْ أَسْتَزِيدَهَا فُؤَادِى ، وَأَخْشَى سُخْطَهَا وَأَهَابُهَا

ونحوه قول البحترى ، ويجوز أن يكون أخذهُ منه :

وَعَتَبْتِ مِنْ حُبِّيكِ حَتَّى إنَّنِى أَخْشَى مَلامَكِ أَنْ أَبُثَّكِ مَا بِى[(٢)]

٢٥ — وقال أبو نُوَاس :

بُحَّ صَوْتُ المَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ

أخذه البحترىُّ فقال :

فَكَمْ لَكَ فِى الأَمْوَالِ مِنْ يَوْمِ وَقْعَةٍ
طَوِيلٍ مِنَ الأَهْوَالِ فِيهِ عَوِيلُهَا[(٣)]

٢٦ — وقال جابر بن السليك الهمْدَانى :

أَرْمِى بِهَا اللَّيْلَ قُدَّامِى فَيَغْشِمُ بِى إذا الكَوَاكِبُ مِثْلَ الأَعْيُنِ الحُولِ

أخذه البحترىُّ فقال :

وَخَدَانُ القِلَاصِ حُولاً إذا قا بَلْنَ حُولاً مِنْ أَنْجُمِ الأَسْحَارِ[(٤)]

٢٧ — وقال عُرْوَة بن الوَرْد :

مُطِلاًّ على أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَاتِهِمْ زَجْرَ الْمَنِيحِ الْمُشَهَّرِ[(٥)]

(١) فى الخطية « عبد الملك بن عبد الرحيم »

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا الخطاب الطائى (الديوان : ١ / ١٦) .

(٣) لايوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر

(٤) من قصيدة له يمدح فيهاأبا جعفر بن حميد ، ويستوهبه غلاما (الديوان:٢/٢٤)

(٥) انظر ديوان عروة (ص ٧٨ وما بعدها ، طبع الجزائر) والمطل : المشرف ، يريد أنه يغزوهم أبدا ، ويزجرونه : يصيحون به ، والمنيح : قدح من قداح الميسر ، يستعار فيضرب به ثم يرد إلى صاحبه ، وقد تقدم ذكر ثانى هذين البيتين (انظر ص ٧٨ من هذا الكتاب) .

فَإنْ بعدُوا لا يَأْمَنُونَ اُقْتِرَابَهُ   تَشَوُّفَ أَهْلِ الغائِبِ المُتَنَظرِ

أَلَمَّ به البحترى فقال :

فَتَرَى الأعادِيَ ما لَهُمْ شُغُلٌ   إلاَّ تَوَهُّمُ مَوْقِعِ يَقعُــهُ[(١)]

٢٨ — وقال البحترى :

عَلَيَّ نَحْتُ القَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهاَ   وما عَلَيَّ إذا لم تَفْهَمِ البَقَــرُ[(٢)]

ذكر على بن يحيى المنجم أن البيت للمجشر الراسبى[(٣)] ، وكان شاعراً اتصل بمحمد بن منصور بن زياد ، فكسب معه ألف درهم[(٤)]، فلما مات اتصل بمحمد بن يحيى بن خالد البرمكى فأساء صحبته فهجاه ، فقال :

شَتَّــانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ   حَيٌّ أَمَاتَ وَمَيِّتٌ أَحْيَــانِي

فَصَحِبْتُ حَيًّا فى عَطَايَا مَيِّتٍ   وَبَقِيتُ مُشْتَمِلاً عَلَى الخسْرَانِ

* * *

فهذا ما مر بى من سرقة البحترى من أشعار الناس على غير تتبُّع ، فخرَّجتها ، ولعلى لو استقصيتها لكانت نحو ماخَرَّجْته من سرقات أبى تمام وتزيد عليها ، وعلى أننى قد بَيَّضْتُ فى آخر الكتاب ، فمهما مَرَّ بى شىء ألحقته به ، إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا عامر الخضر بن أحمد (الديوان : ٢ / ٨٣)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها على بن مر الأرمنى (الديوان : ٢ / ٤٣) وروايته فيه هكذا :

على نحت القوافى عن مقاطعها   وما على لهم أن تفهم البقر

وكذلك هو فى الحطية، وسيذكره المؤلف مرة أخرى فى سرقات البحترى من أبى تمام خاصة وانظره فى أخبار أبى تمام ٥٠ .

(٣) فى مخطوطة الدار « المختمر الراسبى — إلخ »

(٤) وفيها « ألف ألف دينار »

وهذا ما أخذه البحترى من معانى أبى تمام خاصة[(١)]

مما نَقَلْتُهُ من صحيح ما خَرَّجه [أبو] الضياء بشر بن تميم[(٢)] الكاتب ؛ لأنه استقصى ذلك استقصاء بالغَ فيه حتى تجاوز إلى ما ليس بمسروق ، فكفانا مؤونة الطلب .

١ — قال أبو تمام :

فَسَوَاءٌ إِجَابَتِي غَيْرَ داعٍ وَدُعَائِى بالقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبِ[(٣)]

فقال البحترى :

وَسَأَلْتَ مالا يَسْتَجِيبُ ، وَكُنْتَ فى اسْـــتِخْبَارِهِ كَمُجِيبِ مَنْ لا يَسْأَلُ[(٤)]

٢ — وقال أبو تمام :

فكادَ بأن يُرَى للشَّرْقِ شَرْقاً وكادَ بأَنْ يُرَى للغَرْبِ غَرْباً[(٥)]

فقال البحترى :

فأَكُونُ طَوْراً مَشْرِقاً لِلْمشْرِقِ الـــأَقْصَى ، وَطَوْراً مَغْرِباً للمَغْرِبِ[(٦)]

---

(١) فى أخبار أبى تمام (٦٠ وما بعدها) جملة من سرقات البحترى من أبى تمام

(٢) وقع فى الأصول هنا «الضياء بشر بن تمام» وقد مر ذكره فى (ص٥٠) كما أثبتناه وفى الخطية « أبو الضياء بشر بن يحيى الكاتب» .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها سليمان بن وهب (الديوان ٣٦) :

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان : ٢ / ١٥٨) وفيه « وسألت من لا يستجيب » وما هنا أدق ، وقبله ـ مما يؤيد ذلك ـ قوله :

أصبابة برسوم رامة بعد ما عرفت معالمها الصبا والشمألا

(٥) لايوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع

(٦) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان : ١ / ٢٠) وقبله — مما يتضح به المعنى — قوله :

مالى وللأيام ؟ صرف صرفها حالى ، وأكثر فى البلاد تقلبى

أمسى زميلا للظلام ، وأغتدى ردفا على كفل الصباح الأشهب

٣ — وقال أبو تمام :

وإذا أرادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أتاحَ لها لِسانَ حَسُودِ(١)

فقال البحترى :

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ ... إذا أنتَ لمْ تُدْلَلْ عَلَيْها بحاسِدِ(٢)

٤ — وقال أبو تمام(٣) :

فإنْ تَكُنْ وَعْكَةٌ قاسَيْتَ سَوْرَتَها ... فالوِرْدُ حِلْفٌ لِلَيْثِ الغابَةِ الأَضِمِ(٤)

إنَّ الرِّياحَ إذا ما أعْصَفَتْ قَصَفَتْ ... عِيدانَ نَجْدٍ ولم يَعْبَأْنَ بالرَّتَمِ(٥)

فقال البحترى(٦) :

فَلَسْتَ تَرَى شَوْكَ القَتادَةِ خائِفاً ... سَمُومَ الرِّياحِ الآخِذاتِ مِنَ الرُّنْدِ(٧)

---

(١) سبق ذكر هذا البيت (انظر ص ١٢٤ من هذا الكتاب) .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان وابنه (الديوان ١ / ١٣٦)

(٣) من أبيات يقولها فى مرض إلياس بن أسد (الديوان ٣١٥) وفيه « فإن يكن وصب عانيت سورته » .

(٤) الوصب : المرض ، وسورته : شدته ، والورد — بكسر الواو وسكون الراء — الحمى ، وحلف — بكسر فسكون — حليف ، والليث : الأسد ، والأضم الغضبان ، ووقع فى الأصول محرفا « الأجم » يريد أن الحمى ملازمة للأسد .

(٥) أعصفت : اشتدت ، وعيدان نجد : أراد به الشجر العظيم ، والرتم : نبات .

(٦) أول البيتين لايوجد فى ديوانه المطبوع بمصر ، ويوجد ثانيهما خامس خمسة أبيات (الديوان : ٢٠٨/١) وفيه «وما الكلب محموما» وهاك بيتين مما يتبين به المعنى على روايةالديوان :

ظللنا نعود المجد من وعكك الذى ... وجدت ، وقلنا : اعتل عضو من المجد

ولم ننصف الليث اقتسمنا نواله ... ولم نقتسم حماه إذ أقبلت تردى

(٧) الرند — بضم فسكون — شجر طيب الرائحة من شجر البادية ، ووقع فى المطبوعات «الزند» وهو تحريف ، وورد فى الخطية «لاخائفا*رياح السموم الآخذات» .

وَلاَ الـكَلْبَ مَحْمُوماً وإنْ طـَالَ عُمْرُهُ
أَلاَ إنَّمَا الحمىّ على الأَسَـــــدِ الوَرْدِ(١)

٥ — وقال أبو تمام :

رَأَيْتُ رَجَائى فِيكَ وَحْدَكَ هِمَّةً وَلَـكِنَّهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ(٢)

فقال البحترى :

ثَنَى أَمَلِي فاخْتَارَهُ عَنْ مَعَاشِرٍ يَبِيتُونَ والآمالُ فِيهِمْ مَطَامِعُ(٣)

٦ — وقال أبو تمام :

بِمُحَمَّدٍ وَمُسَوَّدٍ ومُحَسَّدٍ وَمُكَفَّرٍ ومُمَدَّحٍ وَمُعَذَّلِ(٤)

فقال البحترى :

ذاكَ المُحَمَّدُ والمُسَـوَّ دُ والمُـكَرَّمُ وَالمُحَسَّدْ(٥)

٧ — وقال أبو تمام :

وَقَدْ قَرَّبَ المَرْمَى البَعِيدَ رَجَاؤُهُ وَسَهَّلَتِ الأَرْضَ العَزَازَ رَكَائِبُهْ(٦)

---

(١) الورد — بفتح فسكون — الأسد الذى لونه لون الورد الذى يشم .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٩٢)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان : ٢ / ٧٦)

(٤) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢٣٦) وهو بروايته مع بيت سابق عليه هكذا :

حتى تقرَّ عيوننا وقلوبنا بالماجد المستقبل المتقبل
بمحمد ومكفر ومحسد ومسود وممدح ومعذل

(٥) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن مخلد (الديوان ١/١٤٣) وروايته فيه هكذا

ذاك المرجى والمبجـــل والمؤمل والمحسد

(٦) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب (الديوان ٤٥) ، وفيه « وسهلت الأرض العرار كتائبه » بتصحيف « العرار » والعزاز ـــ بفتح العين المهملة والزاى ، بزنة السحاب ـــ الأرض الصلبة .

فقال البحترى :

أَدَارَ رَجَاهُ فَاغْتَدَى جَنْدَلُ الْفَلاَ تُرَاباً ، وَقَدْ كَانَ التُّرَابُ جَنَادِلاَ(١)

٨ — وقال أبو تمام :

رَافِـعٌ كَفَّهُ لِسَبْرِى فَمَا أَحْـسِبُهُ جَاءَنِى لِغَـيْرِ اللِّطَامِ(٢)

فقال البحترى :

وَوَعْدٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ عُبُوسِ انْـقِبَاضِهِمُ أَوَعْـدٌ أَمْ وَعِيدُ(٣)

٩ — وقال أبو تمام :

وَنَغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاهُ أَحْلَى عَلَى أُذُنَيْـهِ مِنْ نَغَمِ السَّمَاعِ(٤)

فقال البحترى :

نَشْوَانَ مِنْ طَرَبِ السُّؤالِ كَأَنَّمَا غَنَّـاهُ مَالِكُ طَيِّءٍ أَوْ مَعْبَدُ(٥)

١٠ — وقال أبو تمام :

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمُ مِنْ بَأْسِهِ فَإِذَا لَقُوا فَـكَأَنَّهُمْ أَغْمَارُ(٦)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان : ٢ / ٢١٣) والجندل ههنا : الصخر .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها سليمان بن نصر (الديوان ٢٨٣) وفيه « رافعا كفه » والسبر — بفتح السين وسكون الباء — الاختبار ، واللطام — بكسر اللام — المضاربة على الخد ، وتقرأ فى الخطية « رافع كفه لبرى » .

(٣) من كلمة يقولها لرجل من أهل نصيبين (الديوان : ١/١٧٢)

(٤) من قصيدة له يمدح فيها ابن أصرم (الديوان ١٩٤) وفيه « ونغمة معتف يرجوه » وأنشده فى الوساطة ١٦١ كما هنا ، والمعتفى : السائل .

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب (الديوان : ١ / ١٧٦) وفيه « نشوان يطرب للسؤال » وكذلك ورد فى الوساطة ١٦١

(٦) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ١٤٨) وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ٧٠ من هذا الكتاب) .

فقال البحترى :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِزَامُ مُجَرِّبِ (١)

١١ — وقال أبو تمام :

لاَ المَنْطِقُ اللَّغْوُ يَزْكُو فِي مَقَاوِمِهِ
يَوْماً ، وَلاَ حُجَّةُ المَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ (٢)

فقال البحترى :

إنْ أغْفَلُوا حُجَّةً لَمْ يُلْفَ مُسْتَرِقاً
لَهَا ، وَإِنْ يَهِمُوا فِي القَوْلِ لَمْ يَهِمِ (٣)

١٢ — وقال أبو تمام :

مَجْدٌ رَعَى تَلَعَاتِ الدَّهْرِ وَهْوَ فَتًى
حَتَّى غَدَا الدَّهْرُ يَمْشِي مِشْيَةَ الْهَرَمِ (٤)

فقال البحترى :

صَحِبُوا الزَّمَانَ الفَرْطَ ، إلاَّ أَنَّهُ هَرِمَ الزَّمَانُ وَعِزُّهُمْ لَمْ يَهْرَمِ (٥)

(١) من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان : ١ / ٢٠) وفيه « إقدام ليث » وليس بشىء .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك بن أبى مروان الزيات (الديوان ٤٩) وفيه « ولا حجة اللهوب » ويزكو : يروج ، والمقاوم : جمع مقام ، واللهوف : المتهيج .

(٣) من قصيدة يمدح فيها عبد الله بن يحي ن خاقان (الديوان : ٢ / ٢٦٥) ويهموا : مضارع وهم ، إذا اعتراه الوهم ، وأراد به ههنا الخطأ .

(٤) من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٢٦٩) والتلعات : جمع تلعة ، وهى المجرى من أعلى الأرض إلى بطن الوادى ، ويقال : هى ما ارتفع من الأرض وما انخفض أيضا ؛ فهى من الأضداد .

(٥) من قصيدة يمدح فيها الهيثم الغنوى (الديوان ٢ / ٢٣٢) .

١٣ — وقال أبو تمام :

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالْوَرَى مَعِى ، وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِى (١)

فقال البحترى :

أَأَشْكُو نَدَاهُ بَعْدَ أَنْ وَسِعَ الْوَرَى وَمَنْ ذَا يَذُمُّ الْغَيْثَ إِلاَّ مُذَمَّمُ (٢)

١٤ — وقال أبو تمام :

الْبِيدُ وَالْعِيسُ وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعاً ثَلاَثَةٌ أَبَداً يُقْرَنَّ فِى قَرَنِ (٣)

فقال البحترى :

أُطْلُبَا ثَالِثاً سِوَاىَ فَإِنِّى رَابِعُ الْعِيسِ وَالدُّجَى وَالْبِيدِ (٤)

١٥ — وقال أبو تمام :

وَمَا نَفْعُ مَنْ قَدْ بَاتَ بِالأَمْسِ صَادِياً إِذَا مَا السَّمَاءُ الْيَوْمَ طَالَ انْهِمَارُهَا (٥)

فقال البحترى :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَالَمْ يَأْتِ فِى إِبَّانِهِ (٦)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقى ويعتذر إليه (الديوان ١٢٩) وانظره أيضا فى معاهد التنصيص فى شواهد المقدمة .

(٢) آخر قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان ويعاتبه (الديوان : ٢/ ٢٢٧)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن على بن مرة (الديوان ٣٣٤) وقد تقدم ذكر هذا البيت (ص ٧٥ من هذا الكتاب)

(٤) من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان : ١ / ٢٠٥) وقد تقدم ذكر هذا البيت مع بيت سابق عليه (انظر ص ٧٥ من هذا الكتاب)

(٥) من كلمة له يعاتب فيها ابن أبى دؤاد (الديوان ٣٩٩) ووقع فى مطبوعات الكتاب «وما نفع من مات بالأمس» وتصويبه عن الديوان ، وفيه «إذاماسماء اليوم»

(٦) من قصيدة له يعاتب فيها الحسن بن وهب (الديوان : ٢ /٣١٥) .

١٦ — وقال أبو تمام :

تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهَشُّ عِرَاصُهَا
فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبِ(١)

فقال البحتري :

وَلَوَ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا فِي وُسْعِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ(٢)

١٧ — وقال أبو تمام :

وَكَيْفَ احْتِمَالِي لِلسَّحَابِ صَنِيعَةً بِإِسْقَائِهَا قَبْراً وَفِي لَحْدِهِ الْبَحْرُ(٣)

فقال البحتري :

مَلآنُ مِنْ كَرَمٍ ؛ فَلَيْسَ يَضُرُّهُ مَرُّ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَهْوَ جَهَامُ(٤)

١٨ — وقال أبو تمام :

فَلْيَشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلَامِ وَدَرْوَزاً فَهُمُ لِدَرْوَزَ وَالظَّلَامِ مَوَالِي(٥)

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان ٤١) والمغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل ومكان الإقامة ، وتهش : تظهر السرور ، والعراص — بكسر العين — جمع عرصة ، وهي فناء الدار .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله ، ويذكر خروجه يوم الفطر (الديوان : ١ / ٢١٢) .

(٣) من قصيدة له يرثي فيها بني حميد (الديوان ٣٧٠) وقد تقدم ذكر البيت في سرقات أبي تمام (ص ٨٣) .

(٤) من قصيدة له يرثي فيها أبا سعيد (الديوان : ٢ / ٢٥٧) وقبله — مما يتصل به المعنى — قوله :

ياصاحب الجدث المقيم بمنزل ما للأنيس بحجرتيه مقام
قبر تكسر فوقه سمر القنا من لوعة وتشقق الأعلام

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم ، ويذكر أخذه لبابك الخرمي (الديوان ٢٦٢) وقبله — مما يتصل بالمعنى — قوله :

لولا الظلام وقلة علقوا بها باتت رقابهم بغير قلال =

فقال البحترى :

نجَا وَهْوَ مَوْلَى الرِّيحِ يَشْكُرُ فَضْلَهَا عَلَيْهِ ، وَمَنْ يُولَ الصَّنِيعَةَ يَشْكُرِ (١)

١٩ — وقال أبو تمام :

أَنْتَ المُقِيمُ فَمَا تَعْدُو رَوَاحِلُهُ وَعَزْمُهُ أَبَدًا مِنْهُ عَلَى سَفَرِ (٢)

فقال البحترى :

مُسَافِرٌ وَمَطَايَاهُ مُحَلَّلَةٌ غُرُوضُهَا ، وَمُقِيمٌ وَهْوَ مُرْتَحِلُ (٣)

٢٠ — وقال أبو تمام :

وَتُشَرِّفُ العَلْيَا ، وَهَلْ بِكَ مَذْهَبٌ عَنْهَا وَأَنْتَ عَلَى المَكَارِمِ قَيِّمُ ؟ (٤)

فقال البحترى :

مُتَقَلْقِلُ العَزَمَاتِ فِي طَلَبِ العُلاَ حَتَّى يَكُونَ عَلَى المَكَارِمِ قَيِّمَا (٥)

٢١ — وقال أبو تمام :

= والقلة : أعلى الجبل كالقنة ، والقلال : جمع قلة ، وأراد بها رءوسهم ، ودروز : اسم رجل ، وموال : عبيد ، واحدهم مولى .

(١) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الله ، ويصف مركبا كان اتخذه وهو والى البحر وغزا فيه بلاد الروم (الديوان : ٢ / ٢٤) وفيه : « مضى وهو مولى » وقبله — مما يتصل بمعناه — قوله :

وكنت ابن كسرى قبل ذاك ، وبعده مليا بأن توهى صفاة ابن قيصر

جدحت له الموت الذعاف فعافه وطار على ألواح شطب مسمر

(٢) آخر كلمة له يعاتب فيها الحسن بن وهب بسبب غلامه (الديوان ٤٠٠) وفيه « فما تغدو رواحله » و « وفعله أبدا » .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها محمد يوسف (الديوان : ٢ / ٢١٦) .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق ، حين عزل من الجزيرة (الديوان ٢٧٥) والقيم على الشىء : الذى يتولى شئونه

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابنى المدبر (الديوان : ٢ / ٢٤٠) وقبله ـ مما يتصل به معناه ـ قوله :

إنى وجدت لأحمد بن محمد خلقا إذا خنس الجبان تقدما

فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِدٍ
وَلاَ المَجْدُ فى كَفِّ امْرِئٍ والدَّرَاهِمُ(١)

فقال البحترى :

لِيَفِرْ وَفْرُكَ المُوَفَّى وإنْ أعْـــوَزَ أنْ يُجْمَعَ النَّدَى وَوُفُورُهُ(٢)

٢٢ — وقال أبو تمام :

فَوَفَّرْتَ يَافُوخَ الْجَبَـانِ عَلَى الرَّدَى
وَزِدْتَ غَدَاةَ الرَّوْعِ فِى نَجْدَةِ النَّجْدِ(٣)

فقال البحترى :

وَيَغْدُو وَنَجْدَتُهُ فى الوَغَى تُدَرِّبُ نَجْـــدَاتِ فُرْسَانِهِ(٤)

٢٣ — وقال أبو تمام :

ما زَالَ وَسْوَاسِى لعَقْلِيَ خَادِعاً حَتى رَجَا مَطَراً وَلَيْسَ سَحَابُ(٥)

فقال البحترى :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٢٨٦) وقبله قوله :

جزى الله كفا ملئها من سعادة سعت فى هلاك المال والمال نائم

(٢) من قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان : ٢ / ٣١) وفيه « ليفر وفرك الملقى » .

(٣) من قصيدة يمدح فيها حفص بن عمر الأزدى (الديوان ١٠٢) وكان فى المطبوعات «ووفرت يافوخ الجبال» وهو تحريف تصويبه عن الخطية ونسخ الديوان ، ووفرت : ثبت ، واليافوخ : مابين عظم الجبهة والجدارين من الرأس ، والمراد بهذه العبارة أنه شجع الجبان على اقتحام الأهوال ، والردى : الهلاك ، والنجد : الشجاع ، يعنى أنه كان مثيرا للجبان حتى شجع ، ومعينا للشجاع ليزداد فى إقدامه .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن سليمان بن أخت أبى الصقر (الديوان ٢ / ٣٠٥) والوغى : الحرب .

(٥) من قصيدة له يهجو فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ٤٨٨)

وَعَجِيبٌ أَنَّ الغُيُومَ يُرَجِّيـــنَ مَنْ لاَ يَرَى مَكَانَ الغُيُومِ (١)

٢٤ — وقال أبو تمــام :

بِــكُلِّ صَعْبِ الذُّرَى مِنْ مُصْعَبٍ يَقِظٍ
أَقَامَ مُتَّئِداً أَمْ سَـــارَ مُعْتَزِماَ (٢)

فقال البحترى :

لاَ يَبْرَحُ الْحَزْمُ يَسْتَوْفِي صَرِيمَتَهُ أَقَامَ مُتَّئِداً أَمْ سَارَ مُعْتَزِماً (٣)

٢٥ — وقال أبو تمام :

لَرَدَدْتُ تُحْفَتَهُ عليهِ وَإِنْ عَلَتْ عَنْ ذَاكَ وَاُسْتَهْدَيْتُ بعضَ خِصَالِهِ (٤)

وقال أبو تمام أيضاً :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها يونس الكاتب ، كاتب أحمد بن إبراهيم (الديوان ٢ / ٢٦٩) ، وفى الخطية « وعجيب أن الغيوث » إلخ .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى (الديوان ٣٠٢) وفيه « إن حل متئدا » وقبله — مما يتصل بالمعنى — قوله :

ويوم خيزج والألباب طائرة لو لم تكن حامى الإسلام ماسلما
أضحكت منهم ضباع القاع ضاحية بعد العبوس وأبكيت السيوف دما

والألباب : جمع لب ، وهو العقل ، والقاع : الأرض السهلة اللينة ، وضاحية : بارزة للشمس ، والذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى الشىء ، ومتئدا : متمهلا متأنيا ، والمعتزم : الذى صحت عزيمته .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها رافع بن هرثمة (الديوان : ٢ / ٢٥٩) وفيه « يستوفى عزيمته » و « أوسار »

(٤) من كلمة له يمدح فيها عبد الحميد بن غالب (الديوان ٢٣٩) وروايته مع بيت سابق عليه هكذا :

لو كان يهدى لامرىء مالا يرى يهدى لعظم فراقه وزياله
لرددت تحفته عليه معجلا إذ ذاك ، واستهديت بعض خصاله

وفى الخطية « لرددت تحفته عليه وإن غلت فى السوم » .

وَٱنْفَحْ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيمِكَ نَفْحَةً ... إنْ كانَتِ الأَخْلاقُ مِمَّا تُوهَبُ(١)

فقال البحترى :

لا تَسَلْ رَبَّكَ الكَثِيرَ وَسَلْهُ ... خَصْلَةً تَسْتَفِيدُهَا مِنْ خِصَالِهْ(٢)

٢٦ — وقال أبو تمام :

غَرِيبَةٌ تُؤْنِسُ الآدَابَ وَحْشَتُهَا ... فَمَا تَحُلُّ عَلَى قَوْمٍ وَتَرْتَحِلُ(٣)

فقال البحترى :

ضَوَارِبُ فى الآفاقِ لَيْسَ بِنَازِحٍ ... بِهَا مِنْ محلٍّ أَوْطَنَتْهُ ٱرْتِحَالُهَا(٤)

٢٧ — وقال أبو تمام :

كأنما خامَرَهُ أَوْلَقٌ ... أَوْ غَازَلَتْ هامَتَهُ الخَنْدَرِيس(٥)

---

(١) البيت آخر بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٤٠) وانفح — بالحاء المهملة ، ووقع فى المطبوعات بالخاء المعجمة محرفا — أى أعط ، والنفحة : العطية ، والخيم — بكسر الخاء — الطبيعة والسجية ، وأرادبها هنا الأخلاق .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها بعض بنى حميد (الديوان : ٢ / ٢٠١) وفيه « لاتسل ربك الخطير » .

(٣) البيت آخر بيت فى قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٢٢٩) وفيه «فترتحل» وهو فى وصف قصيدته وشعره ، وقبله — مما يتضح به معناه — قوله

قد جاء من وصفك التفسير معتذرا ... بالعجز إن لم يغثنى الله والجمل

لقد لبست أمير المؤمنين بها ... حليا نظاماه بيت سار أو مثل

(٤) من قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان : ٢ / ١٧٥) وهو فى وصف شعره ، وقبله — مما يوضح معناه — قوله :

ونبئتك استبطأت شكرى لأنعم ... تتابع عندى سيبها ونوالها

فكيف وقد سارت غرائب لم يزل ... يفوت فعال المنعمين مقالها

ورواية البيت فى الديوان « ضوارب فى الآفاق ليس ببارح »

(٥) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن رجاء ، ويطلب منه فرسا (الديوان ١٧٩) وخامره : خالطه ، والأولق : شبه الجنون ، وهامته : رأسه ، والخندريس : الخمر

فقال البحترى :

وَتَخَالُ رَيْعَانَ الشَّبَابِ يَرُوعُهُ   مِنْ جِنَّةٍ أَوْ نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلِ (١)

٢٨ — وقال أبو تمام :

حَمْدٌ حُبِيتَ بِهِ وَأَجْرٌ حَلَّقَتْ   مِنْ دُونِهِ عَنْقَاءُ لَيْلٍ مُغْرِبُ (٢)

فقال البحترى :

فَأَنْتَ تُصِيبُ الْحَمْدَ حَيْثُ تَلَأْلَأَتْ

كَوَاكِبُهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تُصِبِ الأَجْرَا (٣)

٢٩ — وقال أبو تمام :

تُدْعَى عَطَايَاهُ وَفْراً وَهْيَ إِنْ شُهِرَتْ   كَانَتْ فَخَاراً لِمَنْ يَعْفُوهُ مُؤْتَنِفَا (٤)

فقال البحترى :

وإذا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ   يَهَبُ الْعُلَى فِي سَيْبِهِ الْمَوْهُوبِ (٥)

---

(١) لم أجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ، ويصف غلاما أهداه إليه (الديوان ٤٢) وحبيت به : أعطيته ، والعنقاء : حيوان لاوجود له .

(٣) من كلمة له كتبها إلى محمد بن على القمى (الديوان ٢ / ٣٥) وكان محمد قد كتب إلى البحترى ببيت ، وهو :

هجرت كأن الوصل أعقب هجرة   وما خلت وصلا قبلها يعقب الهجرا

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠١) والوفر : الكثير ، ويعفوه : يسأله ويطلب رفده ، ومؤتنفا : معيدا ، يريد أن السائل ليست هذه أولى استمناحاته منه

(٥) من قصيدة له يمدح فيها يعقوب بن إسحاق النوبختى (الديوان ١ / ٥٧) وفيه « يهب العلى فى نيله » وسيبه : عطاؤه ، ومثله فى المعنى « نيله » واجتداه : طلب جدواه ، وهى العطاء

٣٠ — وقال أبو تمام :

وَتَلْبَسُ أَخْلاقًا كِرَامًا كَأَنَّهَا
على العِرْضِ مِنْ فَرْطِ الحصَانَةِ أَدْرُعُ (١)

فقال البحترى :

قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الدُّرُوعَ لِمَوْقِفٍ لَبِسُوا مِنَ الأحْسَابِ فِيهِ دُرُوعَا (٢)

٣١ — وقال أبو تمام :

لَمَّا أَظَلَّتْنِي غَمَامُكَ أَصْبَحَتْ تِلْكَ الشُّهُودُ علىَّ وَهْيَ شُهُودِى (٣)

فقال البحترى :

وَمُعْتَرِضُونَ إنْ حَاوَلْتُ أمْراً بِهِمْ شَهِدُوا عَلَىَّ وَهُمْ شُهُودِى (٤)

٣٢ — وقال أبو تمام :

---

(١) من قصيدة له يرثى فيها بنى حميد (الديوان ٣٧٣) وقبله — مما يتصل بمعناه — قوله :

ألم تك ترعانا من الدهر إن سطا وتحفظ من أموالنا ما يضيع ؟

(٢) من قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢ / ٨٥) وروايته فى الديوان هكذا :

قوم إذا لبسوا الدروع لموقف لبستهم الأعراض فيه دروعا

وأحسبه أدل على الأخذ من معنى أبى تمام مما حكاه المؤلف ، وفى الخطية «لبستهم الأجساد» .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٨٤) وبعده — مما يتصل بالمعنى — قوله :

من بعد ما ظنوا بأن سيكون لى يوم ببغيهم كيوم عبيد
أمنية ما صادفوا شيطانها فيها بعفريت ولا بمريد
نزعوا بسهم قطيعة يهفو به ريش العقوق فكان غير سديد
وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

(٤) من قصيدة له يعاتب فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان ١ / ١٩٨) وفيه « ومعترضين إن عظمت أمرا » .

أَنضَرَتْ أَيْكَتِي عَطاياكَ حَتَّى صارَ ساقاً عُودِى وكانَ قَضِيباً(١)

فقال البحترى :

حَتَّى يَعُودَ الذِّئْبُ لَيْثاً ضَيْغَماً والْغُصْنُ ساقاً والْقَرَارَةُ نِيقاً(٢)

٣٣ — وقال أبو تمام :

* فَمَا تَصْطَادُ غيْرَ الصِّيدِ(٣) *

فقال البحترى :

* وتَصْطَادُ الفَوَارِسَ صيدها(٤) *

٣٤ — وقال أبو تمام :

الآنَ حِينَ غَرَسْتُ فِى كَرْمِ النَّدَى
تِلْكَ الْمُنَى وبَنَيْتُ فَوْقَ أَسَاسِ(٥)

فقال البحترى :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢٨) والأيكة : الشجرة ، وأنضرتها : جعلتها ناضرة شديدة الخضرة ، والساق : جذع الشجرة الخضراء والقضيب : الغصن الذى قطع فيبس ، وفى الحطية « عاد غصنى ساقا وكان قضيبا »

(٢) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢ / ١٢٧) والليث : الأسد ، وأراد بالضيغم هنا المفترس ، والساق والغصن : تقدم شرحهما فى بيت أبى تمام الذى هو أصل هـذا البيت ، والقرارة : القاع المستدير ، وهو أيضا المستوى من الأرض ، والنيق : أعلى مكان فى الجبل .

(٣) كذا فى الأصول بغير تمام البيت ، ولأبى تمام فى هذا المعنى قوله من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٠٩) :

رجا صيدا فردته المنايا إلى أنياب مقتنص الأسود

(٤) كذا وقع فى أصول الكتاب بغير تكملة .

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن المعتصم أمير المؤمنين (الديوان ١٧٥) وفيه « غرست فى كرم الثرى »

غُفْلُ الرِّجَالِ بَنَوْا عَلَى جَدَدِ الثَّرَى لَمَّا بَنَوْا، وبَنَيْتَ فَوْقَ أَساسِ (١)

٣٥ — وقال أبو تمام :

فَعَلَامَ الصُّدُودُ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ والصُّدُودُ الْفِرَاقُ قَبْلَ الْفِرَاقِ (٢)

فقال البحترى :

على أنَّ هِجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ النَّوَى لَدَىَّ، وَعِرْفَانَ الْمَشِيبِ هُوَ العَذْلُ (٣)

٣٦ — وقال أبو تمام :

وَفَتًى إذا جَنَفَ الزَّمَانُ فَمَا يُرَى إلاَّ إلى عَزَمَاتِهِ يَتَظَلَّمُ (٤)

فقال البحترى :

وَلَوْ أَنْصَفَتْنِي سُرَّ مَرَّاه لَمْ أَكُنْ إلى العِيسِ مِنْ قُطَّانِهَا أَتَظَلَّمُ (٥)

٣٧ — وقال أبو تمام :

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن بن عبد الملك (الديوان ٢ /٦٠) وروايته فيه هكذا :

فإذا بنى غفل الرجال بنى على جدد بنيت على ذرى وأساس

(٢) هو رابع أربعة أبيات له فى الغزل (الديوان ٤٥٣) والصدود : الهجر ، وقد ذكر صاحب الوساطة ١٨١ مأخذ البحترى لهذا المعنى من بيتين لأبى تمام غيرهذا البيت

(٣) من قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله أمير المؤمنين ، ويذكر فيها حرب ربيعة وعفو المتوكل عنهم بواسطته (الديوان ٢ / ١٦٣) وفيه « هو النوى المشت وعرفان — إلخ » ورواه فى الوساطة ١٧١ كما هنا .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن حسان الضبى (الديوان ٢٨٤) وفيه « وفتى إذا ظلم الزمان » وجنف : ظلم ومال .

(٥) هو ثانى بيت من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان ويعاتبه (الديوان ٢/٢٢٦ ووقع فى المطبوعات محرفا « إلى العيش من أوطانها » والعيس — بكسر العين وآخره سين مهملة — جمع أعيس ، وهو الكريم من الإبل ، وأراد بها هنا الرجال الكرام .

مِنْ دَوْحَـــةِ الْـكَلِمِ الَّذِى لَمْ يَنْفَـكِكْ
وَقْفاً عَلَيْكَ رَصِـــينُهُ مَحْبُوسا(١)

فقال البحترى :

وَلَكَ السَّلاَمَةُ والسَّـلامُ ؛ فإننِي غادٍ ، وَهُنَّ على عُلاَكَ حَبائِسُ(٢)

٣٨ — وقال أبو تمام :

وكَذَاكَ لَمْ تُفْرِطْ كآبة عاطِلٍ حَتى يُجَاوِرَها الزَّمَانُ بِحَالِ(٣)

فقال البحترى :

وَقَدْ زادَها إفْرَاطَ حُسْنٍ جِوَارُهَا خَلائِقَ أَصْفَارٍ مِنَ الَمْجْدِ خُيَّبِ(٤)

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٧٨) وفيه «الـكلم التى» و «رصينها» والدوحة : الشجرة العظيمة ، ورصين الـكلام : محكمه

(٢) من كلة له يقولها لعلى بن يحيي المنجم (الديوان ٢ / ٥٩) .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله ، ويذكر أخذه بابـكا الخرمى (الديوان ٢٦٠) وقبله — مما يتضح به المعنى — قوله :

فلأذربيجان اختيال بعد ما كانت معرس عبرة ونـكال

سمجت ، ونبهنا على استسماجها ما حولها من نضرة وجمال

والاختيال : الـكبر ، والمعرس : المنزل ، والعبرة : الاعتبار ، والنـكال : العذاب ، وسمجت : قبحت ، والنضرة : الحسن ، وتفرط : تزيد وتـكثر ، والـكآبة : الحزن ، والعاطل : الخالى من المحاسن ، والحالى : المتحلى ، وهو مقابل العاطل .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان ١ / ٥٠) ووقع فى المطبوعات « من المجد خلب » وماأثبتناه عن الديوان ، وقبل البيت — مما يتضح به المعنى — قوله :

فماذا يغر الخائنين وقد رأوا ضرائب ذاك المشرفى المجرب ؟

غرائب أخلاق هى الروض جاده ملث العزالى ذو رباب وهيدب

فـكم عجبت من ناظر متأمل وكم حيرت من سامع متعجب

والأصفار : جمع صفر ، وهو الخالى ، والخيب : جمع خائب ، يريد أن أخلاق =

٣٩ — وقال أبو تمام :

وما العُرْفُ بالتَّسْويفِ إلاّ كَخُلّةٍ   تَسَلَّيْتَ عَنْها حِينَ شَطّ مَزارُها(١)

فقال البحترى :

وكُنْتُ وَقَدْ أمَّلْتُ مُرًّا لِحَاجَــتِي   كَطالِبِ جَدْوَى خُلّةٍ لاتُوَاصِلُ(٢)

٤٠ — وقال أبو تمام :

آســـادُ مَوْتٍ مُخْدِراتٌ مالَها   إلا الصَّــوَارِمَ والقَنَا آجامُ(٣)

فقال البحترى :

حُشِدَتْ حَوْلَها سِبَاعُ المَوَالِى   وَالعَوَالِى غابٌ لِتِلْكَ السِّباعِ(٤)

٤١ — وقال أبو تمام :

ولاذَتْ بِحقْوَيْهِ الخِلافَةُ، والتَقَتْ   عَلى خِدْرِها أَرْماحُهُ ومَناصِلُهْ(٥)

فقال البحترى :

= هذا الممدوح قد زادت وضوحا ، وتبين حسنها ، لمجاورتها لأخلاق قوم لاصلة بينهم وبين المجد ، والضد كما قيل يظهر حسنه الضد .

(١) من كلمة له يعاتب فيها ابن أبى دؤاد (الديوان ٣٩٩) وفيه « وما النفع بالتسويف » والتسويف : المطل ، والخلةهنا : الصديقة ، ويقال بلفظ واحد للرجل والمرأة .

(٢) من كلمة له يهجو فيها مر بن على بن مر (الديوان ٢ / ٢٠٩)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها المأمون (الديوان ٢٨١) والمخدرات : الداخلات الخدور ، وأصل الخدر المسكن الذى تحبس فيه النساء ، واستعير هنا للأسد ، وتقول : ليث خادر ، ومخدر ، والآجام : جمع أجمة بالتحريك ، وهى الحظيرة من القصب ، وأراد هنا الغابات ، وهى مساكن الأسود .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتز بالله (الديوان ٢ / ٨١)

(٥) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ٢٣١) وفيه « فالتقت » والحقو — بكسر فسكون — الإزار .

لاذَتْ بِحِقْوَيْهِ الخِلافَةُ ؛ إنَّهَا قسمٌ لأفْضَلِ هاشِمٍ فالأفضلِ(١)

٤٢ — وقال أبو تمام :

قَدْ جاءنَا الرَّشَأُ الذى أهْدَيْتَهُ خِرْقًا ، وَلَوْ شِئْنَا لَقُلْنَا المَرْكَبُ(٢)

فقال البحترى :

حَمَلَتْ عَلَيْهِ فى سَبيلِ فُتُوَّةٍ هِيَ الثَّغْرُ خَلْفَ المَجْدِ بَلْ تفضُلُ الثَّغْرَا(٣)

٤٣ — وقال أبو تمام :

وَقَدْ تَألَفُ العَيْنُ الدُّجَى وَهْوَ قَيْدُها وَيُرْجَى شِفَاءُ السُّمِّ وَالسُّمُّ قَاتِلُ(٤)

فقال البحترى :

وَيَحْسُنُ دَلُّها والمَوْتُ فيهِ وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ(٥)

٤٤ — وقال أبو تمام :

أوْرَقْتَ لِي وَعْداً وَثِقْتُ بِنُجْحِهِ بِالأمْسِ ، إلاّ أنّهُ لَمْ يُثْمِرِ(٦)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل (الديوان ٢ / ١٤٦) وفيه « عاذت بحقويك »

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف غلاما أهداه إليه (الديوان ٤٠) والرشأ : الغزال ، والخرق — بكسر فسكون — الفتى الحسن الكريم الخلقة، وقال الصولى : هو الذى دهش وتحير .

(٣) من كلمة أرسل بها إلى محمد بن على القمى ، جوابا على بيت من الشعر أرسله إليه (الديوان ٢ / ٣٥)

(٤) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ٢٥٩) والدجى : الليل .

(٥) لم أجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر

(٦) لا يوجد هذا البيت فى ديوانه بهذه الصيغة ، وله فى هذا المعنى بيت من قصيدة له يعاتب فيها عياش بن لهيعة (الديوان ٣٩٧) وهو قوله :

أفديك مورق موعد لم يفدنى من قول باغ : إنه لم يثمر

وبيت آخر من قصيدة يقولها فيه أيضا (الديوان ٣٩٩) وهو قوله :

وأعوذ باسمك أن تكون كعارض لا يرتجى ، وكنابت لم يثمر

ومن العجائب أن يقع أول هذين البيتين فى الخطية منسوبا للبحترى على أنه مأخوذ من أبى تمام

فقال البحترى :

والوَعْدُ كالوَرَقِ الجَنِيِّ تأوّدَتْ منهُ الغصُونُ وَنُجْحُهُ أنْ يُثْمِرَا(١)

٤٥ — وقال أبو تمام :

إنَّ الهِلاَلَ إذا رأيْتَ نموَّهُ أيقَنْتَ أنْ سيكونُ بَدْراً كامِلاَ(٢)

فقال البحترى :

مِثْلُ الهِلالِ بَدَا ؛ فلَمْ يَبْرَحْ بِهِ صَوْغُ اللَّيالِى فيهِ حَتَّى أقْمَرَا(٣)

٤٦ — وقال أبو تمام :

نَرْمِى بأَشْبَاحِنا إلى مَلِكٍ نأخُذُ مِنْ مالِهِ وَمِنْ أدَبِهْ(٤)

فقال البحترى :

نَغْدُو فإمَّا اسْتَمَحْنَا مِنْ مَوَاهِبِهِ فَضْلاً ، وَإمَّا اسْتَفَدْنَا مِنْهُ آدَابَا(٥)

٤٧ — وقال أبو تمام :

وَمَا خَيْرُ بَرْقٍ لاَحَ فِى غَيْرِ وَقْتِهِ وَوَادٍ غَدَا مَلآنَ قَبْلَ أَوَانِهِ(٦)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن كنداج عندما توج وقلد السيفين (الديوان ٢ / ٢١) وفيه « كالورق النضير » و « نجحها أن يثمرا »

(٢) من قصيدة له يرثى فيها ابنين لعبد الله بن طاهر ماتا صغيرين (الديوان ٣٨٠) وقد تقدم ذكر هذا البيت فى سرقات أبى تمام (انظر ص ٧٨ من هذا الكتاب)

(٣) من مدحته فى إسحاق بن كنداج التى منها البيت السابق (الديوان ٢ / ٢٢)

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى (الديوان ٥٢)

(٥) لم أعثر على هذا البيت فى ديوانه المطبوع فى مصر

(٦) من قصيدة له يمدح فيها الحسن وسليمان ابنى وهب (الديوان ٣٢٠) وقبله قوله :

رأيتكما من ريب دهرى هضبة وما زلتما — لا زلتما — من رعانه

فأصبح لى تحت الجران فريسة ولولا كما أصبحت تحت جرانه =

فقال البحترى:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِى إبَّانِهِ[١]

٤٨ — وقال أبو تمام:

لا يَكْرُمُ النَّائِلُ المُعْطَى وَإنْ أُخِذَتْ بِهِ الرَّغَائِبُ حَتَّى يَكْرُمَ الطَلَبُ[٢]

فقال البحترى:

عَلَّمْتَنِي الطَلَبَ الشريفَ، وَإنَّمَا كُنْتُ الْوَضِيعَ مِنَ اتِّضَاعِ مَطَالِبِي[٣]

٤٩ — وقال أبو تمام:

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى، وَتَنَفَّسَتْ نَفَسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفَا[٤]

فقال البحترى:

رَاحَتْ لأَرْبُعِكِ الرِّيَاحُ ضَعِيفَةً وَأَصَابَ مَغْنَاكِ الْغَمَامُ الصَّيِّبُ[٥]

= وملكتماني صعبة وخشاشها وأمكنتما من طامح وعنانه

لئن رمت أمرا ساءنى عند بكره لقد سرنى فعلا كما فى عوانه

ريب الدهر: حوادثه، والهضبة: الجبل المنبسط، والرعان: هى الجبال الطويلة، والجران: مقدم عنق البعير

(١) من قصيدة له يعاتب فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢ / ٣١٥) وإبان الشىء: وقته.

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبى مروان الزيات (الديوان ٤٨) وفيه «لا يكرم الظفر» وفى المطبوعات «السائل» و «أخذت منه الرغائب»

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديون ١ / ٦٧) وفيه «وربما كنت الوضيع» وهى أحسن.

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف، ويعرض بوال ولى الثغر بعده (الديوان ٢٠٦) وقد سبق ذكر هذا البيت (انظر ص ١٤٣ من هذا الكتاب) وأرسى: ثبت وأقام، والعرصة: ساحة الدار، والندى: الكرم، والعقوة: الساحة أيضا.

(٥) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان ١/ ٦١) وفيه «الرياح مريضة» والأربع: جمع ربع، وهو المنزل.

٥٠ — وقال أبو تمام :

الْوُدُّ لِلْقُرْبَى ولـكِنْ رِفْـدُهُ لِلأَبْعَدِ الأَوْطَانِ دُونَ الأَقْرَبِ (١)

فقال البحترى :

بَلْ كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْ سَيْبِهِ سَبَباً
مَنْ كَانَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِماً (٢)

٥١ — وقال أبو تمام :

شَرْخٌ مِنَ الشرَفِ الْمُنِيفِ يَهُزُّهُ هَزَّ الصفِيحَةِ شَرْخُ غَمْرٍ مُبْقِلِ (٣)

فقال البحترى :

أَدْرَكْتَ مافاتَ الـكُهُولَ مِنَ الْحِجَى
فِى عُنْفُوَانِ شَبَابِكَ الْمُسْتَقْبَلِ (٤)

٥٢ — وقال أبو تمام :

(١) من قصيدة له يمدح فيها عمر بن طوق التغلبى (الديوان ١٤) وفيه « ولـكن عرفه» وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ١٥٥ من هذا الـكتاب)والرفد — بكسر فسكون — العطاء ، والعرف — بضم فسكون — المعروف .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها رافع بن هرثمة (الديوان ٢ / ٢٦٠) وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ١٦٦ من هذا الـكتاب) والجذم — بكسر الجيم وسكون الذال — الأصل ، والسيب : العطاء .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا الوليد أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٢٣٧) ووقع فى الأصول « شرخ عمر مقبل » والتصحيح عن الديوان ، والشرخ الأول : العرق ، والمنيف : العالى ، والصفيحة : السيف العريض ، والشرخ الثانى : أول الشباب ، والغمر — بالغين معجمة — الـكريم ، والمبقل : الذى نبت شعر وجهه .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن صالح الهاشمى (الديوان ٢ / ٢١٨) وعنفوان الشباب : أوله ، أو أول بهجته ، ووقع فى المطبوعات « مافات الـكهول من الدجى» وهو تحريف صوابه عن الديوان ، ووقع فى الخطية مكان هذا البيت قوله :

فاسلم لشرخ مـكارم مستقبل أنف وبرد شبيبة مستقبل

بَعَثْنَ الْهَوَى فى قَلْبِ مَنْ لَيْسَ هَائِماً
فَقُلْنَ فى فُؤَادٍ رُعْنَهُ وَهْوَ هائِمُ(١)

فقال البحترى :

فَبَعَثْنَ وَجْداً لِلْخَلِيِّ ، وَزِدْنَ فى بُرَحَاءِ وَجْدِ الْهَائِمِ الْمُسْتَهْتَرِ(٢)

٥٣ — وقال أبو تمام :

غُرَّةٌ بُهْمَةٌ ، ألاَ إنَّمَا كُنْتُ أغَرًّا أيَّامَ كُنْتُ بَهِيمَا(٣)

فقال البحترى :

عَجِبَتْ لِتَفْوِيفِ الْقَذَالِ ، وَإنَّمَا تَفْوِيفُهُ لَوْ كانَ غَيْرَ مُفَوَّفِ(٤)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٢٨٥) ورعنه : أخفنه، تقول : راعه يروعه ، إذا أخافه .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ١ / ٢١٣) وفيه «وجد العاشق المستهتر» والوجد : الشوق ، والخلى : الفارغ من الحب ، والبرحاء — بضم الباء وفتح الراء — الشدة والمشقة ، تقول : أخذته برحاء الشوق ، وقد برح به الهوى ، والمستهتر بالشىء : المولع به .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢٩١) والغرة — بضم الغين — أراد مقدم الشعر ، والبهمة — بفتح الباء وسكون الهاء — الشديدة السواد ، والأغر : الأبيض ، والبهيم : الأسود ، يريد أنه كان مرضيا مقبولا أيام كان شابا أسود الشعر ، وقبل البيت — مما يتضح به المعنى — قوله :

أصبحت روضة الشباب هشيما وغدت ريحه البليل سموما
شعلة فى المفارق استودعتنى فى صميم الفؤاد ثكلا صميما
تستثير الهموم ماا كتن منها صعدا وهى تستثير الهموما

(٤) من قصيدة له يمدح فيها يوسف بن محمد (الديوان ٢ / ١٢٠) وأصل التفويف من الفوف — بضم الفاء — وهو نقط بياض فى أظفار الأحداث ، وأراد هنا ابيضاضه ، والقذال : جماع مؤخر الرأس ، يقول : عجبت من بياض شعرى .

٥٤ — وقال أبو تمام :

وَما زالَتْ تُجِدُّ أَسًى وَشَوْقًا لَهُ وَعَلَيْهِ أَخْلاَقُ الرُّسُومِ (١)

فقال البحترى:

فَهَيَّجَ وَجْدِى رَبْعُهَا وَهْوَ ساكِنٌ وَجَدَّدَ شَوْقِى رَسْمُها وهْوَ مُخْلَقُ (٢)

٥٥ — وقال أبو تمام :

تَرَاهُ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ الْمَعالِى فَتَحْسِبُهُ يُدَافِعُ عَنْ حَرِيمِ (٣)

فقال البحترى :

حَامٍ عَنِ الْمَكْرُماتِ مُجْتَهِدًا ذَبَّ الْمُحامِى عَنْ مَالِهِ وَدَمِهْ (٤)

٥٦ — وقال أبو تمام :

تَنَصَّلَ رَبُّهاَ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ إِلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ وَالْوِدَادِ (٥)

---

(١) لايوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع ، والأخلاق : جمع خلق ، وهو البالى

(٢) من قصيدة يمدح فيها محمد بن على القمى (الديوان ٢ / ١٣٨) وفيه «فحرك بثى » والبث : الحزن ، ومخلق : بال .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها بعض بنى عبد الكريم الطائيين (الديوان ٢٨٨) يذب : يدافع ، وحرم المعالى : كناية عما تستدعيه من كريم الصفات ، وحريم الرجل: حرمه الذى يجب أن يدفع عنه .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها ابن ثوابة (الديوان ٢ / ٢٣٩) وفيه « جهد المحامى » والذب : الدفع .

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٨١) وتنصل : تبرأ ، وربها : صاحبها ، والجرم — بضم الجيم — الخطيئة والذنب ، والبيت فى وصف قصيدته ، وقبله :

إليك بعثت أبكار المعانى يليها سائق عجل وحاد
جوائر عن ذنابى القوم حيرى هواد للجماجم والهوادى
شداد الأسر سالمة النواحى من الإقواء فيها والسناد

فقال البحترى :

أُقِرُّ بِمَا لَمْ أَجْنِهِ مُتَنَصِّلاً إِلَيْكَ ، عَلى أَنِّى إِخَالُكَ أَلْوَمَا(١)

٥٧ — وقال أبو تمام :

وَتَندُّ عِنْدَهُمُ الْعُلَى إِلاَّ عُلًى جُعِلَتْ لَهَا مُرُرُ الْقَصِيدِ قُيُودَا(٢)

فقال البحترى :

وَالْمَجْدُ قَدْ يَأْبِقُ عَنْ أَهْلِهِ لَوْلا عُرَى الشِّعْرِ الَّذِى قَيَّدَهْ(٣)

٥٨ — وقال أبو تمام :

شَكَّ حَشَاهَا بِخُطْبَةٍ عَنَنٍ كَأَنَّهَا مِنْهُ طَعْنَةٌ خَلْسُ(٤)

فقال البحترى :

فَرَّجْتَ جونتها بِخُطْبَةِ فَيْصَلٍ مِثْلٌ لَهَا فى الرَّوْعِ طَعْنَةُ فَيْصَلِ(٥)

٥٩ — وقال أبو تمام :

= يذللها بذكرك قرن فكر إذا حزنت ؛ فتسلس فى القياد

لها فى الهاجس القدح العلى وفى نظم القوافى والعماد

منزهة عن السرق المورى مكرمة عن المعنى المعاد

(١) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان ويعاتبه (الديوان ٢ / ٢٢٨)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٩٠) وتند : تشذ وتنفر ، والمرر : جمع مرير ، وهو الحبل المحكم فتله .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها عبدون بن مخلد (الديوان ١ / ١٦٠) وفيه « يأبق من أهله » .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١٦٨) وقبله قوله :

وحومة للخطاب فرجها والقوم عجم فى مثلها خرس

وخطبة عنن ، بالتحريك : ظاهرة بينة المعانى ، أو معترضة خطب القوم ، وطعنة خلس: سريعة نافذة

(٥) لم أجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع بمصر .

جَمُّ التَّوَاضُعِ والدنيَا بِسُؤْدَدِهِ تَـكادُ تَهْتَزُ مِنْ أَقْطَارِها صَلَفَا(١)

فقال البحترى :

أَبْدَى التَّوَاضُعَ لمـا نَالَهَا رِعَةً عَنهَا ، وَنَالَتْهُ فَاخْتَالَتْ بِهِ تِيهَا(٢)

٦٠ — وقال أبو تمام :

إذَا أَطْلَقُواعَنْهُ جَوَامِـعَ غُـلِّهِ تَيقَّنَ أنَّ المَنَّ أيضاً جَوَامِـعُ(٣)

فقال البحترى :

وَفى عَفْوِهِ - لَوْ يَعْـلَمُونَ - عُقُوبَةٌ
تُقَعْقِــعُ فى الأعْرَاضِ إنْ لَمْ يُعَاقِبِ(٤)

٦١ — وقال أبو تمام :

قَصِّرْ بِبَذْلِكَ عُمْرَ وَعْدِكَ تَحْوِلِى شُكْراً يُعَمِّرُ عُمْرَ سَبْعَةِ أَنسُرِ(٥)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠١) وفيه « والدنيا لسؤدده » والصلف : الكبر .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل ، ويصف البركة (الديوان ٢ / ٣٢٠) وفيه « نالها دعة » وماهنا هو الصواب ، والرعة - بكسر الراء - الورع ، تقول : ورع الرجل يرع — من باب ضرب — وورع يرع — من باب علم - ورعا ورعة ، كوصف وصفة ، والرعة : مفعول لأجله عامله أبدى فى قوله « أبدى التواضع »

(٣) من قصيدة له يصف فيها قومه ، ويفتخر بهم (الديوان ٤٨٠) وفى المطبوعات « إذا أطلقوه عن جوامع » وكان فى المطبوعات أيضا « علة » بالعين المهملة وآخره تاء وتصويبه عن الديوان والخطية ، والجوامع : جمع جامعة ، وهى ضرب من الحلى يجمع اليدين إلى العنق ، والغل — بالضم — القيد ، والمن : ذكر المنعم نعمته بما يكدرها على المنعم عليه .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ١ / ٧٤) وفيه « لو تعلمون »

(٥) من قصيدة له يعاتب فيها عياش بن لهيعة (الديوان ١٩٧) وفيه « عمر =

فقال البحترى :

وَجَعَلْتَ نَيْلَكَ تِلْوَ وَعْدِكَ قَاصِرًا ... عُمْرَ الْعَدُوِّ بِهِ وَعُمْرَ الْمَوْعِدِ(١)

٦٢ — وقال أبو تمام :

دَعَا شَوْقَهُ يا ناصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً ... فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِى وَوَابِلُهْ(٢)

فقال البحترى :

نَصَرْتُ لَهُ الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِعَبْرَةٍ ... تَوَاصَلُ فى أَعْقَابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا(٣)

٦٣ — وقال أبو تمام :

مِنْ لَيْلَةٍ فى وَبْلِهَا لَيْلَاءَ ... فَلَوْ عَصَرْتَ الصَّخْرَ صَارَ مَاءَ(٤)

فقال البحترى :

= مطلك تحولى حمدا » ووقع فى المطبوعات « قصر بذلك » وتصويبه عن الديوان والبذل : العطاء ، وتحوى : تشمل .

(١) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان ١ / ١٧١) وفيه « وجعلت فعلك تلو قولك » .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٣٢٠) وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ١٩٦ من هذا الكتاب)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها سليمان بن عبد الله بن طاهر (الديوان ٢ / ٢٤٧) وروايته فيه :

نصرت لها الشوق اللجوج بأدمع ... تلاحقن فى أعقاب وصل تصرما

(٤) هذا بيت من الرجز يصف فيه الأمطار (الديوان ٤١٣) وترتيبه فيه على عكس ماهنا ، وروايته تختلف بعض الاختلاف ، وهاك البيت مع ماقبله ومابعده برواية الديوان :

ألا ترى ما أصدق الأنواء ... قد أفنت الحجرة واللأواء

فلو عصرت الصخر صار ماء ... من ليلة بتنا بها ليلاء

إن هى عادت ليلة عداء ... أصبحت الأرض إذن سماء

والأنواء : جمع نوء ، وهو النجم الذى يظهر المطر عند ظهوره ، والحجرة السنة المجدبة ، واللأواء : الشدة ، وليلة ليلاء : طويلة شديدة الظلمة ، وهو تأكيد =

أَشْرَقْنَ حَتى كادَ يَقْتَبِسُ الدجَى وَرَطِبْنَ حَتى كادَ يَجْرِى الْجَنْدَلُ[(١)]

٦٤ — وقال أبو تمام :

بِرٌّ بَدَأْتَ بِهِ وَدَارٌ بابُهَا لِلخَلْقِ مَفْتُوحٌ وَوَجْهٌ مُقْفَلُ[(٢)]

فقال البحترى :

إلاَمَ بابُكَ مَعْقُودٌ على خُلُقٍ وَرَاءَهُ مِثْلُ مَدِّ النَّيلِ مَحْلُولِ[(٣)]

هذا ما أخذه البحترى من أبى تمام .

* * *

ولعل قائلا يقول : قد تجاوزت فى هذا الباب ، وقَصَّرْت ، ولم تَسْتَقص جميع ما خرَّجَه أبو الضياء بشر بن تميم[(٤)] من المسروق ، وليس الأمر كذلك ، بل قد استوفيتُ جميعه ، فأوضحت ، وساحمت بأنْ ذكرتُ ما لعلّه لا يكون مسروقاً ، وإن اتفق المعنيَانِ أو تقارَباَ ، غير أنى اطّرحت سائر ما ذكره أبو الضياء بعد ذلك لأنه لم يقنع بالمسروق الذى يشهد التأملُ الصحيحُ بصحّته ، حتى تعدَّى ذلك إلى

= كليل أليل ويوم أيوم وشعر شاعر ، وأراد بقوله « إن هى عادت لبلة عداء » إن هى عادت مرة أخرى ، وأصل العداء الطلق الواحد

(١) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ٢ / ١٥٨) وقبله قوله :

فكأنما الدنيا هنالك روضة راحت جوانبها تراح وتوبل

أو ماترى حسن الزمان ومابدا وأعاد فى أيامه المتوكل

(٢) هو ثانى بيت من سبعة أبيات يمدح فيها أبا دلف ويعاتبه (الديوان ٢٤٠) والذى قبله قوله :

عجب ، لعمرى ، أن وجهك معرض عنى ، وأنت بوجه نفعك مقبل

(٣) هو أول ستة أبيات يعاتب فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان٢/ ١٨٠) وفيه « وراءه مثل ماء المزن » ومحلول : صفة لخلق ، وبعد البيت قوله :

إذا أتيتك إجلالا وتكرمة رجعت أحمل برا غير مقبول

فاليوم أكسب نفسى نية قذفا عن اعتلال على بالأباطيل

فإن أردتك عرضت الرسول لما أخشى من الرد واستأذنت من ميل

(٤) فى الخطية « بشر بن يحي — إلخ » .

التكثير ، وإلى أن أدخل فى الباب ما ليس منه ، بعد أن قدَّم مقدمةً افتتح بها كلامه .

وقال : ينبغى لمن نظر فى هذا الكتاب أن لا يَعْجَل بأن يقول : ما هذا مأخوذ من هذا ، حتى يتأمل المعنى دون اللفظ ، ويُعْمِل الفكر فيما خفى ، فإنما السَّرَقُ فى الشعر ما نُقل معناه دون لفظه ، وأُبْعِدَ آخذُه [فى أَخْذِهِ] .

قال : ومن الناس من يبعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرىء القيس وطَرَفة حين لم يختلفا إلا فى القافية ، فقال أحدهما « وتحمَّلِ » ، وقال الآخر « وتجلَّدِ »(١) .

قال : وفى الناس طبقة أخرى يحتاجون إلى دليلٍ من اللفظ مع المعنى ، وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر ، وهم قليل .

فجعل هذه المقدمة توطئةً لما اعتمده من الإطالة والحَشْد(٢) ، وأن يُقْبَلَ منه كلُّ مايورده ، ولم يستعمل مما وصّى به — من التأمل وإعمال الفكر — شيئاً ، ولو فعل ذلك لرجوتُ أن يُوَفَّقَ لطريق الصواب ؛ فيعلم أن السَّرَقَ إنما هو فى البديع المخترع الذى يختص به الشاعر ، لا فى المعانى المشتركة بين الناس التى هى جارية فى عاداتهم ، ومستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظِّنّة فيه عن الذى يورده أن يقال : أخذه من غيره .

غير أن أبا الضياء استكثر من هذا الباب ، وخَلَطَ به ما ليس من السَّرَقِ فى شىء ، ولا بين المعنيين تناسُبٌ ولا تقارب ، وأتى بضَرْبٍ آخَرَ ادّعى فيه أيضاً السرق والمعانى مختلفة ؛ وليس فيه إلا اتّفاق ألفاظ ليس مثلها مما يحتاج واحد أن

(١) قال امرؤ القيس فى طويلته المعلقة :

وقوفا بها صحبي على مطيهم ... يقولون : لاتهلك أسى وتحمل

وقال طرفة بن العبد البكرى فى طويلته المعلقة :

وقوفا بها صحبي على مطيهم ... يقولون : لاتهلك أسى وتجلد

(٢) تقرأ فى الخطية « والحشو » وكلتاهما تصح .

يأخذه من آخر ؛ إذ كانت الألفاظ مُبَاحَةً غير محظورة ، فبلغ غرضَهُ فى توفير الورق وتعظيم حجم الـكتاب .

وأنا أذكر[فى كل بابٍ] من هذه الأبواب أمثلة تدل على صحة ما ذكرناه ، ونجعلها قياساً على ما لم نذكره ؛ فإن فى البعض غِنًى عن الإطالة بذكر الـكل .

* * *

١ — فمما أورده أبو الضياء من المعانى المستعملة الجارية مجارى الأمثال وذكر أن البحترى أخذه من أبى تمام قولُ أبى تمام :

جرَى الُجودُ مَجْرَى النَّوْمِ مِنْهُ ؛ فَلَمْ يَكُنْ
بِغَيْرِ سَمَـاحٍ أَوْ طِعَـانٍ بِحَالِمِ(١)

وقال البحترى :

وَيَبِيتُ يَحْلُمُ بالمـكارِمِ وَالعُلَى حتى يكُونَ المجـدُ جُلَّ مَنَامِهِ(٢)

وهذا الـكلام(٣) موجود فى عادات الناس ، ومعروف فى معانى كلامهم ، وجارٍ كالمَثَلِ على ألسنتهم ، بأن يقولوا لمن أحبَّ شيئاً أو استكثر منه : فلان لا يحلم إلا بالطعام ، وفلان لا يحلم إلا بفلانة من شدة وَجْده بها ، وهذا الزَّنْجِى ما حُلْمه إلا بالتمر ؛ ولا يقال لمن كانت هذه سبيله : سَرَقَ ، وإنما يقال له : اتفاق ؛ فإن كان واحد سمع هذا المعنى أو مثله من آخر فاحْتَذاه فإنما ذكر معنًى قد عرفه واستعمله ، لا أنه أخذه أخذ سرقة .

(١) من قصيدة له يرثى فيها هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعى (الديوان ٣٨٥) وفيه « جرى المجد » والباء فى قوله « بحالم » زائدة فى خبر يكن المنفى مثل قول الشنفرى :

وإن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن بأعجلهم ؛ إذ أجشع القوم أعجل

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الرحمن الحرانى ويصف فرسا (الديوان ٢/٢٥١) .

(٣) فى الخطية « وهذا المعنى — إلخ » ويتكرر ذلك فيما يلى .

٢ — وأنشد لأبى تمام :

إذا القَصَائِدُ كانَتْ مِنْ مَدَائِحِهِمْ يَوْماً فَأَنْتَ لَعَمْرِى مِنْ مَدَائِحِهَا(١)

فذكر أن البحترى أخذه فقال :

وَمَنْ يكُنْ فَاخِراً بالشِّعْرِ يُذْكَرُ فى أَضْعَافِهِ فَبِكَ الأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ(٢)

وهذا غلط على البحترى ؛ لأن الناس لا يزالون يقولون : فلان يَزِينُ الثياب ولا تزينه ، ويجمِّل الولايةَ ولا تجمله ، وفلانة تزيدُ فى حسن الحلى ولا يزيد فى حسنها ، وفلان تفتخر به الأنسابُ ولا يفخَر بها ، وهذا ليس من المعانى التى يجوز أن يَدَّعى أحد من الناس أنه ابتدعها واخترعها أو سَبَقَ إليها ، ولا يجوز أن يكون مثل هذا — إذا اتفق فيه خطيبان ، أو شاعران — أن يقال : إن أحدهما أخذه من الآخر .

* * *

٣ — وأنشد لأبى تمام :

ثمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السِّنُونَ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ(٣)

وذكر أن البحترى أخذه فقال :

وَأَيَّامُنَا فِيكَ اللَّوَاتِى تَصَرَّمَتْ مَعَ الوَصْلِ أَضْغَاثٌ وَأَحْلَامُ نَائِمِ(٤)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الفضل بن صالح الهاشمى (الديوان ٧٤) وقبله قوله :

لئن قليبك جاشت بالسماحة لى لقد وصلت بشكرى حبل مائحها

وهل رأتنى قريش ساحبا رسنى إليك عن طلقها وجها وكالحها

(٢) من قصيدة له يمدح فيها على بن مر الأرمنى (الديوان ٢ / ٤٤) وفيه « يمدح فى أضعافه » وأضعاف الشىء : أثناؤه .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم — ويقال المأمون — (الديوان ٢٧٩) .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا مسلم بن حميد (الديوان ٢ / ٢٥٢) ورواية عجزه فيه « مع الوصل أم أضغاث أحلام نائم »

وكأنه ما سمع الناس يقولون : ما كان الشباب إلا حلماً ، وما كانت أيامه إلا نومة نائم ، وما أشبه ذلك من اللفظ ، فكيف يجوز أن يكون ذلك مسروقاً ؟

* * *

٤ — وذكر أن من ذلك قول أبى تمام :

* قَدْ يُقْدِمُ العَيْرُ مِنْ ذُعْرٍ عَلَى الأسَدِ *(١)

وقول البحترى :

فَجَاءَ مَجِيءَ العَيْرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ إلى أهْرَتِ الشِّدْقَيْنِ تَدْمَى أظَافِرُهْ(٢)

أوَلم يسمع ما هو كالمجمع عليه من أن العَيْر إذا رأى السبعَ أقبل إليه من شدة خوفه منه ، حتى صار مثلا يتمثل به ، كما يُتَمثل بالفَرَاشة إذا تهافَتَتْ فى النار ، وفى ذلك أمثال وأشعار كثيرة ، فما أظن علمها سَقَط عن البحترى .

* * *

٥ — ومن ذلك قول أبى تمام :

هَيْهَاتَ لم يَعْلَمْ بأنَّكَ لَوْ ثَوَى بالصِّينِ لم تَبْعُدْ عَلَيْكَ الصِّينُ(٣)

وقول البحترى :

يُضْحِي مُطِلاًّ عَلَى الأعْدَاءِ لَوْ وَقَعُوا فى الصِّين فى بُعْدِهَا ما اسْتَبْعَدَ الصِّينَا(٤)

---

(١) هو عجز بيت من كلمة له يهجو فيها محمد بن يزيد (الديوان ٤٩٥) وصدره قوله :

* أطلت روعك حتى صرت لى غرضا *

(٢) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢ / ١٢) والعير – بفتح العين وسكون الياء – الحمار ، وتقول : أسد أهرت ، وأسد هرت ، إذا كان واسع الشدقين ، وتدمى أظافره : كناية عن قرب عهده بافتراس فريسته ، فدمها عالق بأظافره

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الأفشين (الديوان ٣٢٨) وثوى : أقام ، والحديث عن بابك الخرمى .

(٤) لم أعثر على هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر ، وأحسب أن الأصل «فى الصين مع بعدها» ووقع فى المطبوعات «فى الصين من بعدها» وأثبتنا ما فى الخطية

وهذا جار على أفواه العامة والخاصة والنساء والصبيان أن يضربوا المثل فى البعد بالصين ، وأن يوقعوا التهديد به ؛ فيقولوا : لو أنك بالصين لما بعدت علىّ ، فكيف لا يهتدى البحترى إلى مثل هذا ؟

* * *

٦ — ومن ذلك قول أبى تمام :

كَأَنَّ بَنِى نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ ... نُجُومُ سَمَاء خَرَّ مِنْ بينها البَدْرُ(١)

وقول البحترى :

فإذا لَقِيتَهُمُ فَمَوْكِبُ أَنْجُمٍ ... زُهْرٍ وَعَبْدُ اللهِ بَدْرُ المَوْكِبِ(٢)

وهذا معنى متقدِّم مبتذَل : جاء به النابغة وغيره ، وكثر على الألسُنِ حتى صار أشهر من كل مشتهر ، و بيت أبى تمام خاصة فإنما سَرَقه على سياقِهِ من مريم بنت طارق ترثى أخاها :

كُنَّا كأَنْجُمِ لَيْلٍ بَينها قَمَرٌ ... يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا القَمَرُ(٣)

[أو من قول جرير يرثى الوليد بن عبد الملك :

أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا القَمَرُ]

* * *

٧ — ومن ذلك قول أبى تمام :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَـدٌّ ... آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ(٤)

وقول البحترى :

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعَزْمٍ قَائِمٍ ... فى كلِّ نَائِبَةٍ وَجَدٍّ قَاعِدِ(٥)

(١) من قصيدة له يرثى فيها بنى حميد الطوسى (الديوان ٣٦٩) وقد تقدم ذكر هذا البيت فى سرقات أبى تمام (انظر ص ٦٤ من هذا الكتاب) .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا صالح بن يزدان الديوان (١ / ٦٠)

(٣) قد سبق ذكر هذا البيت (انظر ص ٦٤ من هذا الكتاب)

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٨١) وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ١١٧ من هذا الكتاب)

(٥) من قصيدة له يصف فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان ١/١٦٩) وفيه «فى كل نازلة»

وهذان المعنيان جنسهما واحد ، ولفظهما مختلف ، وهما شائعان فى الـكلام ، وجاريان فى الأمثال ، يقال : فلان عالى الهمة ، وهمته فى الثريا وحاله فى الحضيض ، وفلان يُسَامِى بهمته النجمَ ولـكن قَعَدَ به حَظّه ، ونحو هذا من اللفظ ؛ فليس يجوز أن يَعْتَوِرَ هذا المعنى شاعران فيقال : أحدهما أخذه من الآخر .

* * *

٨ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إلاّ ... لِمَوْقُوفٍ على تَرَحِ الوَدَاعِ[(١)]

وقول البحترى :

ما لِشىء بَشَاشَةٌ بَعْدَ شىء ... كَتَلَاقٍ مُوَاشِكٍ بَعْدَ بَيْنِ[(٢)]

وهذا معنى مستفيض معروف ، ومنه قول الحجاج بن يوسف : لولا فَرْحَة الأوبات لما عَذبتهم إلا بالأسفار ، وغرض كل واحد من هذين الشاعرين فى هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه ؛ لأن أبا تمام ذكر أنه لايفرح بالقدوم إلا مَنْ شَجَاهُ وأحزنه التوديع ، وأراد البحترى أنه ليس شىء من المسرة والجذل إذا جاء فى أثر شىء ما كالتلاقى بعد التفرق ؛ فليس — وإن كان جنس المعنيين واحداً — يصح أن يقال : إن أحدهما أخذ من الآخر ؛ لأن هذا قد صار جارياً فى العادات وكثيراً على الألسن ؛ فالتهمة ترتفع عن أن يأخذ أحد عن آخرَ .

* * *

٩ — ومن ذلك قول أبى تمام :

لَهُمْ نَشَبٌ ، وَلَيْسَ لهمْ سَمَاحٌ ... وَأَجْسَـامٌ ، وليس لَهُمْ قُلُوبُ[(٣)]

(١) من غزل قصيدة له يمدح فيها ابن أصرم (الديوان ١٩٣) والأوبات : جمع أوبة ، وهى العودة والرجعة ، تقول : آب المسافر يؤوب أوبا وأوبة ومآبا وإيابا ، والترح : الحزن .

(٢) لم أعثر على هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر .

(٣) لايوجد هذا البيت فى ديوان أبى تمام المطبوع فى بيروت وفى مصر ، وقدوقع فى المطبوعات كلها «بين بعد» وكأنه انعكس اللفظ على القارىء ، وتصويبه عن الخطية

وقول البحترى :

خَلْقٌ مُمَثَّلَةٌ بِغَيْرِ خَلَائِقٍ تُزْجَى ، وَأَجْسَامٌ بِلاَ أَرْوَاحِ (١)

وهذا الكلام أيضاً هو أعْرَفُ فى كلامهم وأشهرُ من أن يحتاج شاعرٌ أن يأخذه من الآخر ، وهم دائماً يقولون : ما فلان إلا شَبَحٌ من الأشباح ، وما هو إلا صورة فى حائط ، أو جَسَدٌ فارغ ؛ ونحو هذا من القول الشائع المشتهر .

* * *

١٠ — ومن ذلك قول أبى تمام :

لا تَدْعُوَنْ نُوحَ بْنَ عَمْرٍو دَعْوَةً لِلْخَطْبِ إلا أَنْ يكُونَ جَلِيلاَ (٢)

وقول البحترى :

يا أبا جعفرٍ ! وَمَا أَنْتَ بِالْمَدْ عُوِّ إلاَّ لِكُلِّ أَمْرٍ كُبَارِ (٣)

ونسى قولَ الناس: اخْتَرْ لعظيم الحوائج العظيمَ من الناس ، ولكبير الأمور كبيرهم ، وقال رجل لابن عباس : إن لى إليك حاجةً صغيرة ، فقال : اطْلُبْ لها رجلا صغيراً .

* * *

١١ — ومن ذلك قول أبى تمام :

بِيضٌ فَهُنَّ إذا رُمِقْنَ سَوَافِراً صُوَرٌ ، وَهُنَّ إِذَا رَمَقْنَ صِوَارُ (٤)

---

(١) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها نوح بن عمرو السكسكى من كندة (الديوان ٢٤٤) ووقع فى المطبوعات «إلا أن يكون جليله» وهو تحريف صوابه عن الديوان، والخطب: الأمر والشأن ، والجليل : العظيم .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاما (الديوان ٢/٢٥) والكبار ـ بضم الكاف بزنة غراب ـ الكبير

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ١٤٥) والبيض : جمع بيضاء ، ورمقن ـ بالبناء للمجهول ـ أديم النظر إليهن ، وسوافر : جمع سافرة ، وهى التى لم تضع على وجهها نقابا ، والصور : جمع صورة ، وأراد بها الدمية ، ومن عادتهم أن يشبهوا النساء بالدمى لافتنان الصناع فى تجميلها ، والصوار ـ بكسر الصاد بزنة الكتاب ـ القطيع من بقر الوحش ، تشبه به النساء فى سعة عيونهن .

وقول البحترى :

أَنَّى لَحَظْتِ فَأَنْتِ جُؤْذَرُ رَمْلَةٍ و إذا صَدَدْتِ فَأَنْتِ ظَبْيُ كِنَاسِ (١)

وهذا تشبيه أعين النساء بأعين البقر ، وتمثيلهن بالصِّوَار ، و بالظباء ؛ وجُلّ كلام العرب عليه يجرى ، فلا تكون الشعراء فيه إلا متفقين .

* * *

١٢ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَلَقَدْ جَهَدْتُمْ أَنْ تُزِيلُوا عِزَّهُ فإذا أَبَانٌ قَدْ رَسَا وَيَلَمْلَمُ (٢)

وقول البحترى :

وَلَنْ يَنقُلَ الْحُسَّادُ مَجْدَكَ بَعْدَمَا تَمَكَّنَ رَضْوَى وَاطْمَأَنَّ مُتَالِعُ (٣)

وهذا المعنى أيضاً شائع من معانيهم ، وكثير من أشعارهم ، ومنه قول الفرزدق :

فادْفَعْ بِكَفِّكَ إنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا ثَهْلَانَ ذَا الهَضَبَاتِ ، هَلْ يَتَحَلْحَلُ (٤)

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن بن عبد الملك (الديوان ٢ / ٥٩) وفيه وفى الخطية « إما لحظت » ولحظت : نظرت ، والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، وتشبه به الحسان فى سعة العين ، وصددت : هجرت ، والكناس ـ بزنة الكتاب ـ بيت الظباء فى الغابة ، وتقول : ظبى كانس ، وظباء كوانس ، وكنست الظباء ، واكتنست ، وتكنست .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق حين عزل عن الجزيرة (الديوان ٣٧٤) وأبان ويلملم : جبلان .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان ٢ / ٧٧) ورضوى ومتالع : جبلان

(٤) أنشده فى اللسان (ح ل ل) وفيه فى آخره « مايتحلحل » ووقع فى المطبوعات « فادفع بكفك إن أردت بقاءنا » وهو تحريف صوابه عن اللسان وثهلان : جبل ، ويتحلحل : يتحرك ويذهب عن موضعه ، وفى ثهلان يقول امرؤ القيس :

* عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ شَمَارِيخِ ثَهْلَانِ *

وقوله يخاطب جريرا أيضاً :

* فَرُمْ حَضَناً فَانْظُرْ مَتَى أَنْتَ نَاقِلُهْ[(١)] *

أفترى البحترى ما سمع هذا من قول الفرزدق ولا من قول غيرِه فنقله كما سمعه أبو تمام فنقله[(٢)] ؟

١٣ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَفِى شَرَفِ الْحَدِيثِ دَلِيلُ صِدْقٍ ... لِمُخْتَبِرٍ عَلَى شَرَفِ الْقَدِيمِ[(٣)]

وقول البحترى :

عَلَى أَنَّا نُوَكِّـلُ بِالأَدَانِى ... وَتُخْبِرُنا الفُرُوعُ عَنِ الْأُصُولِ[(٤)]

وهذا مَعْنًى شائعٌ فى الكلام أيضاً ، مشهور كثير على الأفواه أن يقولوا : إن العروقَ عليها ينبتُ الشجر ، ومَنْ أشبه أباه فما ظلم ، والعصَى من العُصَيَّـة ، والغصن من الشجرة ، ودلّتْ على الأم السَّخْلةُ ، ومثل هذا لايكون مأخوذاً مستعاراً

١٤ — ومن ذلك قول أبى تمام :

ولِذَاكَ قِيلَ : مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ ... صِدْقٌ ، وَفِى بَعْضِ القُلوبِ عُيُونُ[(٥)]

وقول البحترى :

وَإِذا صَحَّتِ الرَّوِيَّةُ يَوْماً ... فسواء ظَنُّ امْرِىءٍ وَعِيانُهْ[(٦)]

(١) حضن — بفتح الحاء والضاد جميعا — جبل معروف بنجد ، وأراد بقوله « فرم حضنا » حاول أن تنقل حضنا عن مكانه ، والغرض أن هجاءه فيهم لن يؤثر فى كرامتهم على الناس إلا بمقدار تأثيره فى حضن إذا حاول نقله عن مكانه ، يريد أنه من أمحل المحالات

(٢) فى المطبوعات « ولا من قول غيره حتى سمعه أبو تمام فنقله »

(٣) من قصيدة له يمدح فيها بعض بنى عبد الكريم الطائيين (الديوان ٢٨٩) وقوله « لمختبر » يتعلق بمحذوف صفة لدليل ، و « على شرف القديم » مثله أو يتعلق بدليل إذا نظرت إلى أنه فى الأصل مشتق .

(٤) لم أعثر على هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر .

(٥) من قصيدة له يمدح فيها الواثق بالله (الديوان ٢٢٩) .

(٦) من قصيدة له يمدح فيها عبدون بن مخلد (الديوان ٢ / ٢٨٧) .

وهذا أيضاً من الأمثال المشهورة المتَدَاوَلَةِ السائرة ، وهو قولهم : ظَنُّ العاقِلِ كيقين غيرِهِ ، ومن ذلك قول أوْس بن حَجَر :

الأَلْمَعِيّ الّذِى يَظُنُّ بِكَ الظَّـــنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا(١)

***

١٥ — وقال أبو تمام :

لاَ نَجْمَ مِنْ مَعْشَرٍ إلاَّ وَهِمَّتُهُ عَلَيْكَ دَائِرَةٌ يأَيُّهَا الْقُطبُ(٢)

بقى بيت البحترى لم يذكره ، وهو هذا :

وَدَارَتْ بَنُو سَاسَانَ طُرًّا عَلَيْهِمُ
مَدَارَ النُّجُومِ السَّائِرَاتِ عَلَى الْقُطْبِ(٣)

وكأنه ماسمع قول الناس : فلانٌ قُطْبُ هذا الأمر ، وعلى فلان مَدَار القصة ، ونحو هذا من القول الذى يستغنى الإنسانُ بما جَرَى منه فى عاداته أن يستعيره من غيره .

***

١٦ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَأَقَلُّ الأَشْيَاءِ مَحْصُولَ نَفْعٍ صِحَّةُ الْقَوْلِ وَالْفِعَالُ مَرِيضُ(٤)

(١) من قصيدة له يرثى فيها فضالة بن كلدة ، وأولها قوله :

أيتها النفس ، أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا
إن الذى جمع السماحة والـــنجدة والحزم والقوى جمعا
أودى ،وهل تنفع الإشاحة من أمر لمن قد يحاول البدعا؟

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبى مروان الزيات (الديوان ٥٠)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها عبد الله بن دينار بن عبد الله (الديوان ١ / ٥٣) . ووقع فى الخطية بعد بيت أبى تمام « وقول البحترى :

مادارت المكرمات من فلك إلا وزاكى أفعاله قطبه »

(٤) هذا البيت آخر أبيات قصيدة له يمدح فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٨٣)

وقول البحترى :

وَمَا لِمِثْلِي فِي الْقَوْلِ مِنْكَ رِضاً
وَالْقَوْلُ فِي الْمَجْدِ غَيْرُ مَحْسُوبِ(١)

وأبو تمام زَعَم أن رَوْنَق القول بالمواعيد لا يتحصَّل منه نفع إذا لم يكن فعال ، وجَعَل الصحة فى القول والمرض فى الأفعال مثلين فى الاستعارة ، والبحترى إنما ذكر أنه لا يرضى بالقول ؛ لأن القول لا يُحْتَسَب به للماجد بغير فعل ؛ فالغرضان مختلفان ، والمعنى معنى واحد شائع جارٍ فى عادات الناس أن يقولوا : إنما زيد كلام ، وإنما عمرو قول بلا فعل ، ومثل هذا — مع كثرته على الألْسُنِ — لا يقال : إنه مسروق .

* * *

١٧ — ومن ذلك قولُ أبى تمام :

سَتَرَ الصَّنِيعَةَ وَاسْتَمَرَّ مُلَعَّناً يَدْعُو عَلَيْهِ النَّائِلُ الْمَظْلُومُ(٢)

وقول البحترى :

أَكَافِرٌ مِنْكَ فَضْلَ نُعْمَى وَسَتْرُ نُعْمَى الْكَرِيمِ كُفْرُ(٣)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها عبد الرحمن بن نهيك (الديوان ١ / ٦٠) وفيه « ولا لمثلى » وفى الخطية « وما كمثلى » وقبله قوله :

لست على غرة بمشتمل ولا إلى مطمع بمنسوب

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٣٠١) وفيه «سرق الصنيعة فاستمر بلعنة » وكان فى المطبوعات «واستحر» وهو تحريف الذى أثبتناه ، والنائل : العطاء .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ١ / ٢١٧) وهو — مع ماقبله الذى يتضح به معناه — برواية الديوان هكذا :

إنى — وإن كنت ذا وفاء لا يتخطى إلى غدر —
لذاكر منك فضل نعمى وستر نعمى الكريم كفر

ووقع فى الخطية « لكافرمنك — إلخ » وليس بشىء

فذكر أبو تمام رجلا ذمَّهُ بسَتْرِ الصنيعة ، وجعله مُلَعَّنًا يدعو عليه النائل المظلوم ، على الاستعارة ، والبحترى ذكر أن سَتْرَ النُّعمى كفر ، وكِلاَ اللفظين مستعملان شائعان(١) على الألْسُنِ ؛ فلا يقال لمن تكلم بأحد اللفظين : إنه استعارةُ من الآخر .

***

١٨ — ومن ذلك قول أبى تمام :

شَهِدْتُ جَسِيماتِ العُــلَى وَهْوَ غَائِبٌ
وَلَوْ كَانَ أَيْضًا شَاهِداً كَانَ غَائِباً(٢)

وقول البحترى :

بَشِــيراً لَكُمْ فِيهَا ، نَذِيراً لِغَــيْرِكُمْ
لَهُ شَاهِدٌ عَنْ مَوْضِــعِ الْفَهْمِ غَائِبُ(٣)

(١) كلا وكلتا : لفظهما مفرد ومعناهما مثنى ، والكثير فى الاستعمال مراعاة لفظهما ؛ فيكون خبرهما مفردا والضمير العائد على كل منهما مفردا ، ومن ذلك قوله تعالى (كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا) وقول الشاعر :

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن — إذا متنا — أشد تغانيا

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن سهل (الديوان ١٧) وقبله قوله :

وملآن من ضغن كواه توقلى إلى الهمة القعسا سناما وغاربا

والضغن : الحقد ، وتوقلى : صعودى ، وأراد به استشرافه وتطلعه للمعالى ، والهمة القعساء : الثابتة المنيعة ، وأصل السنام : المرتفع من ظهر الإبل ، والغارب : مابين السنام والعنق ، ويعبر بهما عن أعالى الأشياء .

(٣) البيت على هذه الصورة غير موجود فى الديوان ، وله من قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ١ / ٧٤) فى هذا المعنى قوله :

نصحتكم لو كان للنصح موضع لدى سامع عن موضع النصح غائب
نذيرا لكم منه ، بشيرا لكم به ، ومالى فى هاتين قولة كاذب

وأكبر الظن أن مافى الأصل محرف عن هذا ، ووقع البيت فى خطية الدار :

بشيرا لكم فيه نذيرا لغيركم لدى شاهد ... ...

وهذا المعنى أيضاً جارٍ على الأفواه ، ومستعمل فى الكلام ، تعرفه العامة كما تعرفه الخاصة(١) ، وذلك قولهم : فلان شاهد كغائب ، وحاضر كمَنْ لم يحضر ، وفلان سَوَاء والعَدَمُ .

* * *

١٩ — ومن ذلك قول أبى تمام :

دَعِينِى عَلَى أَخْــــلاَقِ الصُّمِّ لِلَّتِى
هِىَ الْوَفْرُ أَوْ سِرْبٍ تَرِنُّ نَوَادِبُهْ(٢)

وقول البحترى :

وَخْدُ القِلاَصِ يَرُدُّنِى لَكَ بِالْغِنَى فِى بَعْضِ ذَا التَّطْوَافِ أَوْ يُرْدِينِى(٣)

وهذان المعنيان أصلهما واحد ، وهو قول امرىء القيس :

* نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا(٤) *

وشهرته وكثرة استعمال الناس إياه يُغْنِى البحترىَّ عن أن يقال : إنه استعاره ، أو أخذه .

* * *

(١) فى الخطية « يعرفه العام كما يعرفه الخاص »

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب (الديوان ٤٤) ووقع فى أصول هذا الكتاب وفى بعض نسخ الديوان رواية البيت هكذا :

دعينى على أخلاق الصمل التى هى الوفر أو سرب ترن نوادبه

والتى أثبتناها أظهر وأوضح معنى ، يقول : إنى معتزم عزما لاتردد معه على أن أرتحل ؛ فإما أن تهيء لى أخلاق الصم تمولا ، وإما أن تسلمنى إلى الموت فيقوم على سرب من النساء يندبنى

(٣) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر .

(٤) هذا عجز بيت ، وصدره قوله:

* فقلت له لاتبك عينك ، إنما *

وانظر العقد الثمين (٧٩) .

٢٠ — ومن ذلك قول أبى تمام :

كُحِلَتْ بِقُبْحِ صُورَتِهِ فَأَمْسَى لَهَا إِنْسَانُ عَيْنِي فِي السِّيَاقِ(١)

وقول البحترى :

شَكَوْتَ قَذًى بِعَيْنِكَ بَاتَ يَدْمَى

كَأَنَّكَ قَدْ نَظَرْتَ إِلَى طمَاسِ(٢)

وهذا أيضاً من المعانى التى تمنع شهرتُهَا وأبتذالُ العامة والخاصة لها من أن يقال : إنها مسروقة ، وإن واحداً أُتْتَمَّ فيها بآخر .

* * *

٢١ — ومما جاء به أبو الضياء على أنه مسروق ، والمعنيان مختلفان ليس بينهما اتفاق ولا تناسب ، قولُ أبى تمام :

فَاقْسِمِ اللَّحْظَ بَيْنَنَا ؛ إِنَّ فِي اللَّحْظِ لَعُنْوَانَ مَا يُجِنُّ الضَّمِيرُ(٣)

---

(١) من أبيات له يهجو فيها ابن الأعمش (الديوان ٥٠١) وبعده قوله :

مساو لو قسمن على الغوانى لما جهزن إلا بالطلاق

قبحت وزدت فوق القبح،حتى كأنك قد خلقت من الفراق

(٢) هو ثانى بيت من أبيات يهجو فيها من اسمه «طماس» (الديوان ٢/٥٣)وقبله قوله

أقول لصاحب من سر عبس أرى وردى برؤيته وآسى

(٣) من أبيات له فى العتاب (الديوان ٢٩٨) وقبله قوله :

ليس يدرى إلا اللطيف الخبير أى شىء تطوى عليه الصدور

ويقولون : إنك المرء بالغيب محام عن الصديق نصور

فإذا جئت زائرا حجبت وجهك عنى كآبة وبسور

فتطلق مع العناية ؛ إن البشر فى أكثر الأمور بشير

إنما البشر روضة ؛ فإذا كان ببذل فروضة وغدير

والكآبة : الغم ، والبسور : العبوس، وتطلق : مأخوذ من الطلاقة وهى البشر وانفراج أسارير الوجه ، والبذل : العطاء ، ويجن : يستر ويكن ، وانظر ص ٣٢٨ الآتية

وقال البحترى :

سَلامٌ وَإنْ كَانَ السَّلَامُ تَحِيَّـةً ... فَوَجْهُكَ دُونَ الرَّدِّ يَكْفِى المُسَلِّمَا(١)

وأبو تمام سأل مَنْ يُخاطبه أن يُقبِلَ عليه ، ويجعل له قِسْطاً من النظر ؛ فإنّ إدامة النظر تدلُّ على المودة ، كما أن الإعراضَ يدل على البغض . والبحترىُّ إنما سَلّم على الهيثم الغَنَوِىِّ ، وذكر أن السلام تحية ، وأن وجهه لجماله وطلاقته يكفى المسلم قبل رَدِّه ، والمعنيان مختلفان ، وليس لواحد منهما من الرقة والغرابة ما ينسب أحدها إلى أنه مَحْذُوٌّ على الآخر أو مسروق منه .

***

٢٢ — ومن ذلك قولُ أبى تمام :

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوَ أنَّ الأَرْضَ وَاسِعَةٌ

كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ(٢)

وقول البحترى :

مَفَازَةُ صَدْرٍ لَوْ تُطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ ... لِيَسْلُكَهَا فَرْداً سُلَيْكُ الْمَقَانِبِ(٣)

وأبو تمام ذكر أن رَحْبَ صَدْرِ الممدوح وسَعَته تزيد على سعة الأرض ، فأسْرَفَ ، وأخطأ فى المعنى بما قد ذكرته فى باب خطائه فى المعانى ، والبحترىُّ ذكر سَعَة صدر الممدوح ، وجعل له مفازة على الاستعارة ، وذكر أنه لو تُطَرَّقُ لم يكن ليسلكها سُلَيْكٌ الذى لم يكن ليكبر عليه سلوكُ الأرض وإن عَرُضت

(١) من قصيدة له يمدح فيها الهيثم الغنوى (الديوان ٢ / ٢٣٤)

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى (الديوان ٩٧) وقد تقدم ذكر هذا البيت فى بيان أخطاء أبى تمام (انظر ١٨١ من هذا الكتاب)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ١ / ٧٣) وقد سبق ذكر هذا البيت (انظر ص ١٨٢ من هذا الكتاب)

وطالت ، و إنما أرادا جميعاً سَعَةَ صدر الممدوح ، كما جرت العادة بهذا الضرب من المدح ، فأفرطا ، ولـكن سَلَكَ كل واحد منهما معنًى غير معنى صاحبه كما ترَى .

* * *

٢٣ — ومن ذلك قول أبى تمام :

إنَّمَا البِشْرُ رَوْضَةٌ ؛ فإذا ما كانَ بِرٌّ فَرَوْضَةٌ وَغَدِيرُ(١)

وقول البحترى :

فإنَّ العَطاء الجَزْلَ ـ ما لَمْ تُحَلِّهِ بِبِشْرِكَ ـ مِثْلُ الرَّوْضِ غَيْرَ مُنَوَّرِ (٢)

فأراد أبو تمام البشر مع البر كالروضة والغدير ، وأراد البحترى أن العطاء ما لم يكن معه بشر كان كالروض غير منور ؛ فليس بين المعنيين اتفاق إلا فى ذكر البشر والروض ، والألفاظ غير محظورة على واحد .

* * *

٢٤ — ومن ذلك قول أبى تمام :

و إنِّىَ مَا حُورِفْتُ فِى طَلَبِ الغِنَى ولـكِنَّمَا حُورِفْتُمُ فى المـكَارِمِ(٣)

(١) من أبيات له فى العتاب ، وقد مضى ذكر بيت منها وذكرنا معه بقية الأبيات ومنها هذا البيت (انظر الهامشة رقم ٣ من ص ٣٢٦ من هذا الـكتاب) .

(٢) من قصيدة له يقولها وقد كان له غلام اشتراه منه إبراهيم بن الحسن بن سهل فلم يزل به حتى رده إلى البحترى (الديوان ٢/١٥) وفيه «وكان العطاء الجزل» وقبل هذا البيت قوله :

وهبت الذى لو لم تهبه لما التوى بك اللوم ؛ إن العذر عند التعذر
وأعطيت ماأعطيت والبشر شاهد على فرح بالبذل منك مبشر

(٣) لايوجد هذا البيت فى ديوان أبى تمام ، وقدتقدم ذكره فى سرقات أبى تمام (انظر ص ٩٤ من هذا الـكتاب) :

فقال البحترى :

إذا أُبْتَدَا بُخَلَاءُ النَّاسِ عارِفَةً يَتْبَعُهَا المَنُّ فالمَرْزُوقُ مَنْ حُرِمَا[(١)]

فأراد أبو تمام أنه ليس بمَحْدود ولا مُحارَفٍ فى ملتمساتِهِ ومطالبِهِ ، ولكن الذين أمَّلَهم وطلب ما عندهم حُورِفوا فى مكارمهم ؛ فأحْسَنَ فى المعنى واللفظ كلَّ الإحسان ؛ وأراد البحترى أن البخيلَ إذا امتنّ بمعروفه فالمرزوقُ من حُرِم ذلك المعروف ؛ فهذا المعنى غير معنى أبى تمام ، وليس بينهما اتفاق ولا تقارب .

* * *

٢٥ — ومن ذلك قول أبى تمام :

إذا شَبَّ ناراً أقْعَدَتْ كلَّ قَائم وقامَ لها مِنْ خَوْفِهِ كلُّ قَاعِدِ[(٢)]

وقول البحترى :

ومُبَجَّلٌ وَسَطَ الرِّجَالِ ، خُفُوفُهُمْ لِقِيَامِهِ ، وَقِيَامُهُمْ لِقُعُودِهِ[(٣)]

وليس أحد المعنيين من الآخر فى شىء ؛ لأن أبا تمام أراد أن الممدوح إذا شبَّ نار الحرب أقعدت كل قائم لقتاله ومنابذته : أى تُزْعِجُ كلَّ واحد خوفاً وفرَقاً ؛ وذلك مأخوذ من قول الفرزدق :

أتاَنِى وَرَحْلِى بالمدِينَةِ وَقْعَةٌ لآلِ تَمِيمٍ أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمِ

وقوله «وقام لها من خوفه كل قاعد» أى : زال عن الطمأنينة [والهُدُوِّ] والقَرَارِ فقام ، و إنما يريد انزعاج الخائفِ ؛ فجعل ذلك قياماً له ، والبحترى إنما ذكر أن الرجال

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها رافع بن هرثمة (الديوان ٢ / ٢٥٩) وفيه « إذا بدا بخلاء الناس » والعارفة : الصنيعة .

(٢) من قصيدة له يرثى فيها خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى (الديوان ٣٦٦) وشب النار يشبها : أوقدها وأججها ، وأراد — كما قال المؤلف — نار الحرب .

(٣) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

يخفُّونَ لقيام ممدوحه ، أى : يُسْرِعون بين يديه إذا قام ، فإذا قعد قاموا إجلالا وهَيْبَةً ، وأن من شأنه أن لا يجلس أحد بجلوسه وأن يكون الناس كلهم قياماً إذا جلس ، والمعنيان مختلفان ، وليس بينهما اتفاق إلا فى ذكر القيام والقعود ، والألفاظ مباحة .

* * *

٢٦ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَرُبَّ يَوْمٍ كَأيَّامٍ ، تَرَكْتَ بِهِ مَتْنَ القَنَاةِ وَمَتْنَ القِرْنِ مُنْقَصِفَا(١)

وقول البحترى :

فى مَعْرَكٍ ضَنْكٍ تَخَالُ بِهِ القَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْثَنَيْنَ ضُلُوعَا(٢)

وليس بين المعنيين اتفاق إلا فى أن الشاعرين وَصَفَا حال الطعن بالقنا كيف يقع ؛ فذكر ذلك أن ممدوحه يَقْصِفُ متن القِرْن ومتن القناة ، وشبَّه هذا انطواء الرماح واعوجاجها — إذا وقعت بضلوع القوم — باعوجاج ضلوعهم ، وهذا من التشبيهات الظريفة العجيبة ، وهو المعنى الذى استغرب به واستحسنه أبو تمام [لما أنشد البحترىُّ محمدَ بن يوسفَ القصيدةَ ، وذلك أول اجتماعهما وتعارفهما] على مايرويه الشاميون .

* * *

٢٧ — ومن ذلك قول أبى تمام :

بَيَّنَ البَيْنُ فَقْدَهَا ، قَلَّمَا يُعْـــرَفُ فَقْدٌ لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيبَا(٣)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠٣) وفيه « ومتن القرن متصفا » وهو تحريف عما أثبتناه هنا ، ومتن القناة : وسطها ، ومتن الإنسان : ظهره ، ومنقصفا : منكسرا .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢ / ٨٥) وفيه « إذا انحنين » وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ١٣ من هذا الكتاب) .

(٣) من غزل قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى (الديوان ٢٥) وفيه « قلما تعرف فقدا » وبين : أظهر ، والبين : البعد والفراق .

وقول البحترى :

فَاضَـلَ بَيْنَ الإخْوَانِ عُسْرِىَ فى
ظَلْمـاءِ لَيْــــلٍ تَفَاضَلَتْ شُهُبُهْ(١)

وليس بين المعنيين تناسبٌ ؛ لأن أبا تمام ذكر أن موضع فقدها بَانَ ، وأنه قلما يُعْرف فَقْدُ الشمسِ إلا بعد غروبها ، وهذا جارٍ فى عادات الناس واستعمالهم أن يقولوا : لا يُعرف فَضْلُ الإنسان حتى يفقد ، ولا يعرف فضل العافية إلا عند البَلِيَّة ، ولاقَدْرُ الدرهم إلا عند الحاجة إليه ؛ والبحترى أراد أن عُسْرَه بَيَّنَ له عن مراتب إخوانه ، وفَضْلِ بعضهم على بعض [فى مَعُونته و بِرِّهِ ، كما يتفاضل الشهُبُ فى ظلمة الليل] ، وأراد بالشهب الـكواكب ، وهذا معنى لطيف جداً ، وليس من معانى أبى تمام فى شىء .

* * *

هذا ، ومما ادعى أبو الضياء على البحترىفيه السَّرَقَ،والاتفاقُ فىأكثر ذلكإنما هو فىالألفاظ التى ليست محظورة على أحد ، وقد مضى فيما قبل منهذا الباب أبيات .

٢٨ — فمن ذلك قول أبى تمام :

إنَّ الصَّفَائِحَ مِنْكَ قَدْ نُضِـدَتْ عَلى
مَلْقَى عِظَامٍ — لَوْ عَلِمْتَ — عِظَامِ(٢)

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس بن بسطام (الديوان ١/٣٣) وفيه «فاضل بين الإخوان عدمى » والعدم — بضم فسكون — الفقر .

(٢) من أوائل قصيدة يهنىء فيها أمير المؤمنين الواثق بالله بالخلافة ، ويعزيه عن وفاة أبيه المعتصم بالله (الديوان ٢٧٥) وقبله — مما يتضح به معناه — قوله :

ما للدموع تروم كل مرام والجفن ثاكل هجعة ومنام
ياتربة المعصوم ، تربك مودع ماء الحياة وقاتل الإعدام

والثاكل : الفاقد ، والهجعة : الهجوم والنوم ، والصفائح : الحجارة العريضة التى يسد بها القبر ، ونضدت : ركبت فوق بعضها ، والعظام الثانية : جمع عظيم .

وقول البحترى :

مَسَــاعٍ عِظامٌ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهَا
وإنْ بَلِيَتْ مِنْهُمْ رَمَائِمُ أَعْظُمِ [١]

فأراد أبو تمام أن عِظَامَ الرجل الذى[٢] رثاه عِظَامُ القدر ، وأراد البحترى أن مساعى القوم عظام لا يبلى جديدها و إن بَلِيَتْ عظامهم ، وليس ههنا اتفاق إلا فى لفظ العظام لا غير .

* * *

٢٩ — ومن ذلك قول أبى تمام :

لا يَدْهَمَنَّكَ مِنْ دَهْمَائِهِمْ عَدَدٌ فإنَّ أَكْثَرَهُمْ أَوْ جُلَّهُمْ بَقَرُ [٢]

وقول البحترى :

عَلَيَّ نَحْتُ القَوَافِى مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ البَقَرُ [٣]

فأراد أبو تمام أنه لا يجب أن ينظر إلى كثرة عددهم ؛ فإن أكثرهم بقر ، وذكر البحترى أن عليه أن يُجيد القول ، وليس عليه أن تفهمه البقر ، وما هٰهنا اتفاق إلاّ فى لفظة البقر .

* * *

(١) من قصيدة له يرثى فيها بنى حميد الطائيين ، ويخص من بينهم أبا مسلم (الديوان ٢ / ٢٥٦)

(٢) فى الخطية « الذى رباه » تحريف ماأثبتناه .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها عمر بن عبد العزيز الطائى (الديوان ١٥٠) وفيه « فإن جلهم أو كلهم بقر » ويدهمنك : يفاجئك ، والدهماء : العدد الكثير ، وجلهم : معظمهم ، ولايحسن الكلام به ، وإنما كان ينبغى أن يقول « فإن أكثرهم أوكلهم » وانظره فى أخبار أبى تمام ٥١ و ١٠١ .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها على بن مر الأرمنى (الديوان ٢ / ٣٤) وفيه « عن مقاطعها » وقد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ٢٨٥ من هذا الكتاب) .

٣٠ — ومن ذلك قول أبى تمام :

* لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلاَ *(١)

وقول البحترى :

إنَّ الْخَلِيفَةَ لَيْسَ يَرْقُبُ فى الذى حاوَلْتُ إلاَّ أَنْ نَقُولَ وَيَفْعَلاَ(٢)

والاتفاق ههنا إنما هو فى القول والفعل(٣) .

* * *

٣١ — ومن ذلك قول أبى تمام :

ومَا يَوْمُ زُرْتُ اللحْدَ يَوْمُكَ وَحْدَهُ

عَلَيْنَا ، ولَـٰكِنْ يَوْمُ زَيْدٍ وَحَاتِمِ(٤)

وقول البحترى :

بِأَبْيَضَ وَضَّاحٍ كَأَنَّ قَمِيصَـــهُ يُزَرُّ على الشَّيْخَيْنِ زَيْدٍ وَحَاتِمِ(٥)

أَفَتَرَى البحترى ما سمع بذكر زيد الخيل ولا حاتم الطائى اللذين يَفْخَر بهما اليمن كلها فيشبه ممدوحه بهما إلا من بيت أبى تمام ؟

* * *

(١) هذا صدر مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ٢٥٢) وعجزه قوله :

* ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا *

(٢) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر ، وفيه من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتز بالله (٢ / ١٦٩) من هذا المعنى قوله :

قد قلت فافعل مارأيت ، وإن من عادات جودك أن تقول وتفعلا

(٣) فى الخطية « فالاتفاق هنا إنما هو فى يقول ويفعل »

(٤) من قصيدة له يرثى فيها هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعى (الديوان ٢٨٦) وفيه « ولـكن يوم عمرو وحاتم »

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أبا مسلم بن حميد الطائى (الديوان ٢ / ٢٥٣) وفيه « بأروع من طى كأن قميصه » .

٣٢ — ومن ذلك قول أبى تمام :

لَعَمْرُكَ مَا كَانُوا ثَلَاثَةَ إخْوَةٍ ولـكِنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَ قَبَائِلِ (١)

وقول البحترى :

كانُوا ثَلَاثَةَ أَبْحُرٍ أَفْضَى بهِمْ وَلَعُ المَنُونِ إلى ثَلَاثَةِ أَقْبُرِ (٢)

فجعلهم أبو تمام ثلاثَ قبائل ، وجعلهم البحترى ثلاثة أبحر ؛ فليس ههنا اتفاق إلا فى ذكر ثلاثة .

* * *

٣٣ — ومن ذلك قول أبى تمام :

كَسَاكَ مِنَ الأنْوَارِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ وأَحْمَــــرُ سَاطِعٌ وَأَصْفَرُ فاقِعُ (٣)

وقول البحترى :

مِنْ وَاضِحٍ يَقَقٍ وَأَصْفَرَ فاقِعٍ وَمُضَرَّجٍ جَسَــدٍ وَأَحْمَرَ قَانِى (٤)

أفترَى البحترى لم يكن ليهتدى إلى أصفر فاقع وأحمر قانٍ لولا بيت أبى تمام ؟

* * *

(١) سادس ستة أبيات يرثى فيها بنى حميد : أبا نصر ، ومحمدا ، وقحطبة (الديوان ٣٨١)

(٢) من قصيدة له يرثى فيها قومه (الديوان ٢ / ٤٥) وفيه « أفضى بها » وإضافة « ولع » إلى « المنون » من إضافة المصدر إلى فاعله : أى شغفها بالعظام من الناس .

(٣) من قصيدة له يفخر فيها بقومه (الديوان ٤٧٨) وقد وقع فى مطبوعات هذا الكتاب « كتابا من الألوان » و « وأحمر قان » وهو تصحيف ، وقد تقدم ذكر البيت على الصواب (انظر ص ٢٦٩ من هذا الكتاب) وعجز البيت على ما هنا فى المطبوعات السابقة غير مستقيم الوزن ، وهو فى الموضع السابق صحيح الوزن وإن كان فيه ما ذكره المؤلف هناك .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها عبيد الله بن يحيى بن خاقان (الديوان ٢ / ٣١٢) والجسد : الدم ، وأراد كلون الدم

٣٤ — ومن ذلك قول أبي تمام :

لَوْلاَ مُنَاشَدَةُ القُرْبَى لَغَادَرَكُمْ فَرِيسَةَ الْمُرْهَفَيْنِ السَّيْفِ وَالقَلَمِ(١)

وقول البحترى :

زِنْتَ الخِلاَفَةَ إِشْرَافاً وَقَدْ حَبِطَتْ وَذُدْتَ عَنْ حَقِّهَا بالسَّيْفِ والقَلَمِ(٢)

وكذلك أيضاً لم يكن البحترى يهتدى إلى الجمع بين السيف والقلم لو لم يجمعهما له أبو تمام !

* * *

٣٥ — ومن ذلك قول أبي تمام :

أَبَى لِيَ نَجْرُ الغَوْثِ أَنْ أَرْأَمَ الَّتِي أُسَبُّ بِهَا ، والنَّجْرُ يُشْبِهُهُ النَّجْرُ(٣)

وقول البحترى :

سَيِّدٌ نَجْرُ المَعَالِي نَجْرُهُ يَمْلِكُ الْجُودُ عليهِ ما مَلَكْ(٤)

وقد كان ينبغى لأبى الضياء أن لا يُخَرِّج مثل هذا فى السَّرَقِ ، ولا يفضح نفسه ! !

* * *

(١) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٢٧٠) وفيه « حصائد المرهفين » والمرهفين : المحددين الرقيقين ، وإذا كانا كذلك كانا قاطعين .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها عبيد الله بن يحيى بن خاقان (الديوان ٢ / ٢٦٥) وفيه « سست الخلافة إشرافا » .

(٣) من قصيدة له فى الفخر (الديوان ٤٧٥) والنجر — بفتح النون وسكون الجيم — الأصل ، والغوث — بفتح الغين وسكون الواو — هو الغوث بن طيء جده الأعلى ، وأرأم : أحب ، ووقع فى الخطية « بحر الغوث » تحريف.

(٤) من قصيدة له يمدح فيها عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر (الديوان ٢/١٥١)

٣٦ — ومن ذلك قول أبى تمام :

مُتَوَاطِئُو عَقِبَيْكَ فِى طَلَبِ الْعُلَى
وَالْمَجْدِ ، ثُمَّةَ تَسْتَوِى الأَقْدَامُ[(١)]

وقول البحترى :

حُزْتَ الْعُلَى سَبْقاً ، وَصَلَّى ثَانِياً ثُمَّ اسْتَوَتْ مِنْ بَعْدِهِ الأَقْدَامُ[(٢)]

* * *

٣٧ — ومثله قول أبى تمام :

فِى غَدَاةٍ مَهْضُوبَةٍ كَانَ فِيهَا نَاضِرُ الرَّوْضِ لِلسَّحَابِ نَدِيمَا[(٣)]

وقول البحترى :

قَدْ تَعَالَتْ بِكَ الْمُرُوءَةُ حَتَّى قَدْ حَسِبْنَاكَ لِلسِّمَاكِ نَدِيمَا

وما يجعل مثل هذا مسروقا إلا مَنْ لا معرفة له بجلىّ المعانى فَضْلاً عن خفيها .

* * *

٣٨ — ومن ذلك قول أبى تمام يصف الفرس :

---

(١) هذا البيت آخر أبيات قصيدة يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله — ويقال : المأمون (الديوان ٢٨٢) .

(٢) من قصيدة له يرثى فيها أبا سعيد (الديوان ٢ / ٢٥٨) وقبله — مما يتضح به معناه — قوله :

لاتبعدن ، وكيف يقرب نازل بالغيب تفنى دونه الأعوام؟
ولقد كفاك المكرمات مهذب يرضيك منه النقض والإبرام

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أباسعيد (الديوان ٢٩٣) ووقع فى المطبوعات « فى غداة مهضومة » وتصويبه عن الديوان ، والمهضوبة : المطورة ، مأخوذ من الهضبة وهى المطرة ، والهضب — بفتح فسكون — حلبات القطر بعد القطر ، هذا وقد سقط من مطبوعات الكتاب بيت البحترى وهو ثابت فى الخطية كما ذكرناه .

مِنْ نَجْلِ كلِّ تَلِيدَةٍ أعراقُهُ طِرْفٍ مُعِمٍّ فىالسَّوَابِقِ مُخْوِلِ (١)

وقول البحترى :

وَافِى الضُّلُوعِ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ يَوْمَ اللِّقَاءِ عَلَى مُعِمٍّ مُخْوِلِ (٢)

وما فى « معمٍّ مخول » من الغرابة حتى يتلقنه البحترىُّ من أبى تمام ، على كثرته على الألسن ، وقولِ الناس فى مَدْحِ الفرس : كريم الآباء والأمهات ، وشريف الأنساب [ونحو هذا] ؟

* * *

٣٩ — ومن ذلك قولُ أبى تمام :

فأَذْرَتْ جُمَانًا مِنْ دُمُوعٍ نظامُهَا عَلى الْخَدِّ إلاَّ أنَّ صائِغَهَا الشِّعْرُ (٣)

وقول البحترى :

جَرَى فِي نَحْرِهَا مِنْ مُقْلَتَيْها جُمَانٌ يَسْتَهِلُّ عَلى جُمَانِ (٤)

فالاتفاق ههنا إنما هو فى لفظ « جُمَانٍ » وقول ذلك « نظامها على الخد » وقول هذا « جرى فى نحرها » فلا يقتضى أن يكون أحدهما مأخوذاً من الآخر ؛

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢٣٥) والنجل : الولد ، والتليدة : الأصيلة ، والأعراق : الأصول ، واحدها عرق ، والطرف : الكريم ، والمعم : الذى له عم ، والمخول : الذى له خال ، والمراد عم كريم وخال كريم ، بقرينة المدح.

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٣) من قصيدة له فى الفخر (الديوان ٤٧٤) وفيه « فأبدت جمانا » ووقع فى مطبوعات هذا الكتاب « إلا أن طالعها الشفر » وفى الخطية «إلا أن صائغه الشفر» وماأثبتناه عن الديوان ، وقبل هذا البيت — مما يتضح به معناه — قوله :

تصدت وحبل البين مستحصد شزر وقد سهل التوديع ما أوعر الهجر

بكته بما أبكته أيام صدرها خلى ، وما يخلوله من جوى صدر

وقالت : أتنسى البدر ؟ قلت تجلدا : إذا الشمس لم تغرب فلا طلع البدر

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابنى المدبر (الديوان ٢ / ٢٨٠)

لأن الدمع على الخد جَرْيُه ، و إلى النحر يَصِلُ ، وهذهِ حال لا يجهلها أحد ممن وصف الدمع .

***

٤٠ — ومن ذلك قول أبى تمام :

وَهَلْ لِلقَرِيضِ الْغَضِّ أَوْ مَنْ يَحُـوكُه
عَلى أحَدٍ — إلا عَلَيْكَ — مُعَوَّلُ[(١)]

وقول البحترى :

وَعَلَيْكَ سُقْيَاهُمْ لنَا إذْ لَمْ يَكُنْ فِى نَوْبَةٍ إلاَّ عَلَيْكَ مُعَوَّلُ[(٢)]

فحظَرَ على البحترى لفظة « معول » وحَرَّمَها عليه من أجل أن أبا تمام لَفظ بها !.

***

٤١ — ومن ذلك قولُ أبى تمام :

وَ إذا امْرُؤٌ أَهْدَى إليْكَ صَنِيعَةً مِنْ جاهِهِ فَـكأنها مِنْ مَالِهِ[(٣)]

وقول البحترى :

حَازَ حَمْدِى ، وَلِلـرِّيَاحِ اللَّوَاتِى تَجْلِبُ الْغَيْثَ مِثْلُ حَمْدِ الْغُيُومِ[(٤)]

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا المستهل محمد بن شقبق الطائى (الديوان ٢٤٥) وفيه « فهل للقريض الغض أو من يصوغه » والقريض : الشعر ، والغض : أصله الطرى وأراد به الطريف المبتدع .

(٢) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر .

(٣) سادس ستة أبيات يمدح فيها إسحاق بن أبى ربعى كاتب أبى دلف ، ويسأله أن يشفع له (الديوان ٢٤٠) والصنيعة : المكرمة .

(٤) من أبيات له يمدح فيها أحمد بن عبد الرحمن الحرانى ، ويستعينه فى قضاء حاجة (الديوان ٢ / ٢٥٠) ووقع فى المطبوعات « خان حمدى » وهو تحريف شنيع تصويبه عن الديوان ، وفى الحطية «حاز شكرى» وقبله — مما يوضح معناه — قوله :

وكريم عدا فأعلق كفى مستميحا فى نعمة من كريم

فمعنى أبى تمام مشترك بين الناس ، وليس مخترعاً ؛ لأنك أبداً تسمع قول القائل ـ إذا بلغ حاجته بشفاعة ـ أن يقول للشفيع : ما أعتدُّ هذه إلا من الله ومنك ؛ فليس لأبى تمام فيه شىء أكثر من أن عَبَّر فيه بعبارة حسنة مكشوفة ؛ فالبحترى لم يأخذ المعنى منه لأنه فى العادات موجود ، ولكنه أحسن فى التمثيل ، وأغرب وأبدع .

***

وهذا الآن ما أخطأ فيه البحترى من المعانى

١ — قال البحترى :

ذَنَبٌ كمَا سُحِبَ الرِّدَاء يَذُبُّ عَنْ
عُرْفٍ ، وَعُرْفٌ كالْقِنَاعِ الْمُسْبَلِ (١)

هذا خطأ من الوصف ؛ لأن ذَنَب الْفَرَس — إذا مسَّ الأرض كان عيبا ، فكيف إذا سَحَبه ، وَإنما الممدوح من الأذناب ما قَرُبَ من الأرض ولم يمسَّها ، كما قال امرؤ القيس :

* بِضَافٍ فُوَيْقَ الأرْضِ لَيْسَ بِأعْزَلِ (٢) *

فقال « فويق الأرض » [أى : فوق الأرض] بقليل .

وقد عِيبَ على امرىء القيس قولُه :

لَهَا ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعَرُوسِ ... تَسُدُّ بِهِ فَرْجَها مِنْ دُبُرْ (٣)

(١) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر .

(٢) هذا عجز بيت من طويلته المعلقة يصف فيه فرسا ، وصدره قوله :

* ضليع إذا استدبرته سد فرجه *

والضليع : القوى المنتفخ الجنبين ، وفرجه : ما بين رجليه ، والضافى : السابغ وأراد به ذنب الفرس ، و « ليس بأعزل » ليس ذنبه إلى جانب .

(٣) قد تقدم ذكر مابعد هذا البيت فى مآخذ العلماء على الشعراء ، وانظر (ص ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ من هذا الكتاب) وانظر العقد الثمين ٨٦

وما أرى العيب لحق امرأ القيس فى هذا ؛ لأن العروس إذا كانت تَسْحَبُ ذيلها ، وكان ذنب الفرس إذا مَسَّ الأرضَ فهو عيبٌ ؛ فليس ينكر أن يُشَبَّه الذنب به إن لم يبلغ أن يمس الأرض ؛ لأن الشىء إنما يشبه بالشىء إذا قرب منه ، أو دَنَا من معناه ، فإذا أشبهه فى أكثر أحواله فقد صح التشبيه ، ولاَقَ به ، ولأن امرأ القيس لم يقصد طولَ الذنب أن يشبهه بطول ذَيْلِ العروس فقط ، وإنما أراد السبوغَ والكثرةَ والكثافة ، ألا تراه قال « تسد به فرجها من دُبُرْ » وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفا ، بل يكون رقيقاً نَزْرَ الشعر خفيفاً ؛ فلا يَسُدُّ فرج الفرسِ ، فلما قال «تسد به فرجها» علمنا أنه إنما أراد الكثافة والسبوغ مع الطول ، فإنما أشبه الذنبُ الطويلُ ذيلَ العروسِ من هذه الجهة ، وكان فى الطول قريباً منه ؛ فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجب للعيب ، ولا أن يكون ذنبُ الفرَسِ من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضاً أنه قصد إلى أن الفرس يسحبه على الأرض ، وإنما العيب فى قول البحترى « ذنَبٌ كما سُحِبَ الرداء » فأفصح بأن الفرسَ يسحبُ ذَنبَه .

ومثلُ قول امرىء القيس قولُ خِداش بن زهير :

لَهَا ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْهَدِىِّ   إِلَى جُؤْجُؤٍ أَيِّدِ الزَّافِرِ

الهدىّ : العروس التى تُهْدَى إلى زوجها ، وأيّد : شديد ، والزافر : الصدر ؛ لأنها تزفر منه ، فإنما أراد بذيل العروس طولَه وسُبُوغَه ؛ فشبه الذنبَ [الطويل] السابغ به ، وإن لم يبلغ فى الطول إلى أن يمسّ الأرض

ومما يصحح ذلك قولهم : فرسٌ ذَيَّال ؛ إذا كان طويلا طويل الذنب ، فإذا كان قصيراً طويل الذنب قالوا : ذائل ، وإنما قالوا ذلك تشبيهاً للذنب بالذَّيلِ لا غير ، قال النابغة [الذبيانى] :

بِكُلِّ مُدَجَّجٍ كاللَّيْثِ يَسْمُو   إلى أَوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ(١)

رفنّ ورفلّ واحِدٌ ، وهو الطويل الذنب

(١) فى الحطية « بكل مدجج فى الناس »

وقد استقصيت الاحتجاجَ لبيت امرىء القيس فيما بينته[1] من سَهْوِ أبى العباس عبد الله بن المعتز فيما ادعاه على امرىء القيس من الغلط فى كتابه الذى جمع فيـــه سرقات الشعراء.

* * *

٢ — وقال البحترى:

هَجَرَتْنَا يَقْظَى وَكَادَتْ عَلَى عَا دَتِهَا فِى الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى[2]

وهذا عندى غَلَطٌ؛ لأن خيالها يَتَمَثَّلُ له فى كل أحوالها، يَقْظَى كانت أو وَسْنَى، والجيدُ قولُه:

أُرَدُّ دُونَكِ يَقْظَانًا، وَيَأْذَنُ لِى عَلَيْكِ سُكْرُ الكرى إنْ جِئْتُ وَسْنَانَا[3]

فصحح المعنى، وأتى به على حقيقته

وكذلك قوله:

إذا ما تَبَاذَلْنا النَّفَائِسَ خِلْتَنَا مِنَ الجِدِّ أَيقاظًا ونَحْنُ نِيَامُ[4]

(١) لعل ذلك البيان قد ذكره المؤلف فى كتابه الذى صنفه فى تفضيل امرىء القيس على الشعراء الجاهليين.

(٢) هو ثانى بيت فى قصيدة له يمدح فيها ابن الفياض (الديوان ٢ / ٢٩٠) والبيت الذى قبله هو قوله:

ماتقضى لبانة عند لبنى والمعنى بالغانيات معنى

وانظر البيت فى العمدة لابن رشيق ٢ / ٢٤٧ بتحقيقنا

(٣) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر، وقد تقدم ذكره فى سرقات البحترى (انظر ص ٢٧٥ من هذا الكتاب)

(٤) من قصيدة له يعتذر فيها إلى يعقوب بن أحمد بن صالح (الديوان ٢ / ٢٤٩) وفى المطبوعات «إذا ماتبادلنا» بالمهملة، وتباذلنا — بالمعجمة — بذل كل منا لصاحبه، وقبله قوله:

ومانلتقى إلا على حلم هاجد يحل لنا جدواك وهى حرام

وقوله :

* نُعَذَّبُ أَيْقاظًا وَنَنْعَمُ هُجَّدًا[(١)] *

جيدٌ أيضاً ؛ لأنه حملها على أن حالها مع خياله إذا نامت كحاله مع خيالها إذا نام ، وأن كل واحد منهما ينعَم مُفْرَدا مع خيال صاحبه ؛ لا أنهما ينعمان معا فى حال واحدة إذا نام أحدهما فرأى خيال الآخر . و إنما أخذ معنى بيته الأول ـ وعليه بنى أ كثر أوصافه للخيال ـ من قول قيس بن الخطيم[(٢)]

أَنَّى سَرَبْتَ وَكُنْتَ غَيْرَ سَرُوبِ ... وَتُقَرِّبُ الأَحْلامُ غَيْرَ قَرِيبِ
مَاتَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تُؤْتِينَـــهُ ... فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ

وما أظن أحداً سبق قيساً إلى هذا المعنى فى وصف الخيال ، وهو حسن جداً ، ولـكنْ فيه أيضا مقال لمعترض ، وذلك هو الذى أوقع البحترى فى الغلط ؛ لأن قَيْساً قال «ماتمنعى يقظى فقد تؤتينه فىالنوم » فأراد أيضا أنها تؤتيه نائمة ، وخيال المحبوب يتمثل فى حال نوم المحب ويقظته كما ذكرت ، وكان الأجود لو قال : ماتمنعى فىاليقظة فقد تؤتينه فىالنوم : أى ماتمنعينه فى يقظتى فقد تؤتينه فىحال نومى ، حتى يكون النوم واليقظة معا منسو بين إليه ، إلا أنه يتّسع من التأويل لقيس مالا يتسع للبحترى ؛ لأن قيسا قال «فقد تؤتينه فىالنوم» [ولم يقل : فقدتؤتينه نائمة] فقد يجوز أن يُحْمل على أنه أراد ما تمنعى يقظى وأنا يقظان فقد تؤتينه فى النوم : أى فى نومى ، ولايسوغ مثل هذا فى بيت البحترى ؛ لأنالبحترى قالوَسْنَى ولميقلفىالْوَسَنِ

* * *

(١) هذا عجز بيت من قصيدة له يمدح فيها المعتز بالله ويستشفعه إلى ابنه عبد الله (الديوان ١ / ١٧٤) وصدره — مع بيتين قبله ـ قوله :

إذا ماالـكرى أهدى إلى خياله ... شفى قربه التبريح أو نقع الصدى
إذا انتزعته من يدى انتباهة ... عددت حبيبا راح منى أو غدا
ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا ... نعذب أيقاظا وننعم هجدا

(٢) قد مضى ذكر ثانى هذين البيتين فى هذا الـكتاب (٢٧٦) وذكرنا أولهما فى الهامشة رقم ١ فارجع إليها هناك .

٣— وقال البحترى فى مدح المعتز بالله :

لا الْعَذْلُ يَرْدَعُهُ وَلا التَّعْنِيفُ عَنْ كَرَمٍ يَصُدُّهْ(١)

وهذا عندى من أهْجَنِ ما مُدِحَ به خليفة وأقبحه ، ومن ذا يُعَنِّفُ الخليفةَ [على الكرم] أو يصُده ؟ إن هذا بالهجو أولى منه بالمَدْحِ

* * *

٤—وقال البحترى :

تَشُقُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ جُيُوبَ الْغَمَامِ بَيْنَ بِكْرٍ وَأَيِّمٍ(٢)

وهذا أيضا غلط ؛ لأنه ظن أن الأيم هى الثيب ، وقد غلط فى مثله أبو تمام ، وذكرته فى أغاليطه(٣) ، وسها فيه أيضاً بعضُ كبار الفقهاء(٤) ؛ فظن البحترى أن الأيم هى الثيب ، فجعلها فى البيت ضدَّ البكر ، والأيم : هى التى لا زَوْجَ لها ، بكراً كانت أو ثيبا ، قال الله تعالى : (وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ)(٥) أراد جل ثناؤه اللواتى لا أزواج لهن ؛ فالبكر والثيب جميعا داخلتان تحت الأيِّم ؛ فتكون بكراً وتكون ثيبا ، و إنما أراد الثيب .

فإن قيل : إن الأيم قد تكون ثيبا ، و إنما أراد الثيب .

قيل : أجل إنها تكون ثيبا وتكون بكراً ومعنسا وكَعَابا ، إلا أن لفظة « أيِّم » لا تدل على شىء من هذه الأوصاف ، وليست عبارة إلا عن التى لا زوج لها لا غير ؛ وقد شرحت هذا المعنى شرحا شافيا فى غلط أبى تمام(٣)

* * *

(١) الديوان (١ / ١٦٢)

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

(٣) ارجع إلى ص ١٤٧ وما بعدها من هذا الكتاب فقد أطال المؤلف فى هذه المسألة.

(٤) هو الإمام الحجة محمد بن إدريس الشافعى ، وقد بينا ذلك فى الموضع السابق عند الكلام على أخطاء أبى تمام ص ١٤٩

(٥) من الآية ٣٢ من سورة النور

٥ — وقال البحترى :

شَرْطِىَ الإنْصَافُ إنْ قِيلَ اشْتَرِطْ وَصَدِيقِى مَنْ إذا قَالَ قَسَطْ (١)

وكان يجب أن يقول « أقسط » أى : عَدَلَ، وقسَط ـ بغير ألف ـ معناه جار ، قال الله تبارك وتعالى : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطباً (٢)) وقال : (إنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٣))

* * *

٦ — وقال البحترى :

صِبْغَةَ الأُفْقِ بين آخرِ لَيْلٍ مُنْقَضٍ شأنُهُ وأوّلِ فَجْرِ (٤)

يصف فرسا أشقر أو خلوقيا . والحمرة لا تكون بين آخر الليل وأول الفجر وهو عندى فى هذا غالط ؛ لأن أول الفجر الزرقة ، ثم البياض ، ثم الحمرة عند بُدُوّ قَرْنِ الشمس . كما أن آخر النهار عند غيبوبة الشمس الحمرةُ ، ثم البياض ، ثم الزرقة وهى آخر الشفق ؛ وقال البحترى :

وَأَزْرَقُ الْفَجْرِ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ رَشٌّ ثُمَّ يَنْسَكِبُ (٥)

وقال آخر :

وأن يسجع القمرىُّ فيها إذا غدا بركبانه قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ أَزْرَقُ

وكأن البحترى أراد أن يقول بين آخر ليل منقض شأنه وأول نهار ؛ فيكون

(١) أول كلمة له يمدح فيها العلاء بن صاعد (الديوان ٢ / ٣٣٢) وفيه « وخليلى من إذا صافى قسط »

(٢) الآية ١٥ من سورة الجن .

(٣) من الآية ٤٢ من سورة المائدة

(٤) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن بدر (الديوان ٢ / ٢٠)

(٥) من قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب سليمان بن وهب (الديوان ١ / ٦٥) وروايته فيه:

وأزرق الفجر يأتى قبل أبيضه وأول الغيث طل ثم ينسكب

قد قابل بين الليـل والنهار ، والحمرة قد تـكون بين آخر الليل وأول النهار ، كما تـكون بين آخر النهار وأول الليل ، فقال « وأول الفجر » ، والجيدُ فى مثل هذا المعنى قولُ أبى تمام يصف فرساً أشقر :

كأنْ قَدْ كُسِفَتْ فِى أدِيمِهِ الشَّمْسُ(١)

***

٧ — وقال البحترى :

قِفِ الْعِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطاهاَ كَلاَلُهاَ
وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إنْ شَفَاكَ سُؤَالُهاَ(٢)

هـذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد ؛ لأنه قال « قد أدْنَى خُطَاهَا كلالُهاَ » أى : قَارَبَ من خَطْوِها الـكَلال ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الدار التى تعرّض لأن يشفيه سؤالها ، و إنما وقف لإعياء المطىّ

والجيد قولُ عنترة ؛ لأنه لمـا ذكر الوقوف على الدار احتاط بأن شبه ناقته بالقَصْر ، فقال :

فَوَقَفْتُ فِيها نَاقَتِى ، وَكَأنها فَدَنٌ ؛ لِأَقْضِىَ حاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ(٣)

قال ذلك ليعلم أنه لم يقف بها ليريحها . وقد كشف ذو الرمة عن هذا المعنى وأحسن فيه وأجاد ، فقال :

(١) هذه قطعة من بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١٦٨) وهو بتمامه هكذا :

ضمخ من لونه فجاء كأن قد كسفت فى أديمه الشمس

وضمخ — بالبناء للمجهول — لطخ بالطيب ونحوه ، والأديم : الجلد .

(٢) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان٢/١٧٩) والـكلال — بزنة السحاب — التعب والإعياء ، وسيذكره المؤلف ص ٣٨٧

(٣) هو من طويلته المعلقة (انظر شرح القصائد العشر ص ١٧٣) والفدن — بفتح الفاء والدال جميعا — القصر ، والمتلوم — بتشديد الواو مكسورة — المتمهل وسينشده المؤلف مرة أخرى فى ص ٣٨٨ .

أَنَخْتُ بِهَا الْوَجْنَاءَ لاَ مِنْ سَآمَةٍ
لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ اثْنَيْنِ جَاءٍ وَذَاهِبِ (١)

يقول : أنخت لأصلّى ، لا من سآمة بهـا ، وقوله «لثنتين» يريد اللتين يَقصُرهما المسافر « بين اثنين جاء » يريد الليل «وذاهب» يريد النهار

فإن قيل : فإنما قال « قد أدنى خُطَاهَا كَلالها » ليعلم أنه قصد الدار من شُقّةٍ بعيدة .

قيل : العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتاز بها ، فيقول الرجل لصاحبه أو صاحبيه : قِفْ ، وقِفَا ، [ولو كان هناك قصدٌ إليهـا لكانوا إذا وصَلوا لا يقولون : قِفْ ، ولا قِفَا] وإنما ذلك تعريج على الديار فى مسيرها ، وسأزيد فى شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار .

* * *

٨ — وقال البحترى (٢) :

غَرِيبُ السَّجَايَا مَا تزَالُ عُقُولُنَا مُدَلَّهَةً فِي خَلَّةٍ مِنْ خِـلالِهِ
إذَا مَعْشَرٌ صانُوا السَّماحَ تَعَسَّفَتْ بِهِ هِمَّةٌ مَجْنُونَةٌ فِي ابْتِذَالِهِ

قوله « إذا معشر صانوا السماح » معنًى ردىء ؛ لأن البخيل ليس من أهل السماح فيـكون له سماح يَصُونه ، وسواء عليه قال : صانوا السماح ، أو صانوا السخاء؛ أو صانوا الْجُودَ ، أو صانوا الـكرم ؛ فإن هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئاً ، وهو منهم بعيد ، فـكيف يَصُونونه ؟

فإن قيل : إنما أقام السَّماحَ مقام الشىء الذى يُسْمَح به ، وفى مَجَازات العرب ما هو أبعد من هذا .

---

(١) سينشده المؤلف مرة أخرى فى ص ٣٨٨ ويشرح مفرداته كما ذكر هنا .
(٢) من قصيدة له يمدح فيها على بن يحيى (الديوان ٢ / ١٧٣) .

قيل : البحترى لا يُسَوَّغ مِثْلَ هذا ، ولا يجوز له ؛ لأنه متأخر ، ولا سيما أن ليست ههنا ضرورة ؛ لأنه قد كان يمكنه أن يقول « صانوا الثراء » مكان « صانوا السماح » .

* * *

وهذا ما عِيبَ به البحترىُّ وليس بعَيْبٍ

وإنما ذكرته لئلا يظن ظان أنه صحيح ، وأنى تخطِّيته ، فمن ذلك ما نعاه عليه أصحابُ أبى تمام ، وهما بيتان ، وقد ذكرت احتجاج أصحاب البحترىِّ فيهما فى الجزء الأول من هذا الكتاب ، وأنا أعيد ذكرهما ههُنَا لزيادةٍ عندى فى الاحتجاج يحتاج إليها .

* * *

١ — أنكروا عليه قوله :

يُخْفِى الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكأنها ... فِى الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إنَاءِ(١)

وقالوا : لو ملىء الإناء دِبْسًا لكانت هذه حاله ، والمعنى عندى صحيح : لاعيب فيه ، ولا قَدْح ، وذلك أن الرجل قد دَلّ بهذا الوصف على أن شُعَاع الشراب فى [غاية الغلبة ، وأن الكأس] غاية فى الرقة ؛ فاعتمد أنْ وَصَفَ الإناء وما فيه وَصْفَ الهيئةِ على ماهى عليه ، وإنما أخذ المعنى من قول على بن جَبَلَةَ :

كأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنهَا ... شُعَاعًا لا تُحِيطُ عَلَيْهِ كاسُ(٢)

ألا ترى أن هذا أيضاً قد دل على أن الكاس فى غاية الرقة ، ومثله قول الآخر :

إنما نعجتنا مَوْسُومَةٌ ... ضمنت حمراء ترْمِى بِالزَّبَدْ(٣)

---

(١) قدمضى ذكر هذا البيت (انظر ص٢٧ و ٣١ و ٣٢و٢٧٤ منهذا الكتاب)

(٢) انظر (٣٣ و ٢٧٤ من هذا الكتاب) أيضا .

(٣) قد أنشد المؤلف ثانى هذين البيتين فيما مضى (٣٣) عن أبى الحسن الأخفش ، وفيه « وإذا مامزجت » ، وفى الخطية هنا « إنما لقحتنا » و « وإذا مابذلت »

وإذا ما نزَلَتْ في كأسها فهْيَ وَالْكأسُ مَعَاشِىٌ لأَحَدْ

وقد أنشد أبو العباس ثعلب بيت البحترىّ هذا فى أماليه ، وقال : إنه أخذ المعنى من قول الأعشى :

تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونها وَهْيَ دُونَهُ إذَا ذاقَهَا مَنْ ذاقَهَا يَتَمَطقُ(١)

قال أبو العباس : وهذا البيت أجود ما قيل فى وصف الخمرة ؛ لأنه جمع بين اللون والطعم ، ونحوه قول الآخر ، وهو الأخطل :

وَلَقَدْ تُبَاكِرُنِي عَلَى لَذَّاتِهَا صَهْبَاء عَارِيَةُ الْقَذَى خُرْطُومُ

يريد أنها صافية ؛ فالقذى فيها لا يستتر ، ولم يَعِبْ ثعلبٌ البحترىَّ ، ولا طعن فى بيته ، بل يدُلُّك إنشاده وذِكْرُهُ فى موضع السرق على استجادته له ، واستحسانه إياه .

***

٢ — وأنكروا قوله :

ضَحِكَاتٌ فِي إثْرِهِنَّ الْعَطَايَا وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهْ(٢)

وقالوا : أقام الرعود مُقَام العطايا ، وإنما كان ينبغى له أن يقيم الغيوث مُقَام العطايا ، وهذا جهل ممن قاله بمعانى كلام العرب ، ومعنى التمثيل فى البيت صحيح ؛ لأن الرعد مُقَدِّمة الغيث ، وقلَّ رعدٌ لا يتلوه المطر ، وإذا كان هذا هكذا فقد صار المعنى كأنه أوّلٌ ، وإنما أخذ البحترى المعنى من قول بشار :

وَعْدُ الْجَوَادِ يَحُثُّ نَائِلَهُ كَالْبَرْقِ ثُمَّ الرَّعْدِ فِي أَثَرِهْ

فأقام الرعد مقام الغيث ، ونحوه قول بشار :

حَلَبْتُ بِشِعْرِي رَاحَتَيْهِ فَدَرَّتَا
سَمَاحاً ، كَمَا دَرَّ السَّحَابُ عَلَى الرَّعْدِ

---

(١) انظره فى ديوان الأعشى (١٤٧) ويتمطق : يتلمظ .

(٢) انظر (ص ٢٧ و٣٣ من هذا الكتاب) .

وأظنهما جميعاً أخذا المعنى من قول الأعشى :

وَالشِّعْرُ يستَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا اسْـتَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلاَ(١)

وأنشد ابن الأعرابى فى نوادره :

فَإِنْ لَمْ أُصَدِّقْ ظَنَّهُمْ بِتَيَقُّنِي فَلاَ سَقَتِ الأَوْصَالَ مِنِّى الرَّوَاعِدُ

فجعل التى تسقى هى الرواعد ، وقال الكميت :

وَأَنْتَ فِى الشَّتْوَةِ الْجَمَادِ إِذَا أَخْلَفَ مِنْ أَنْجُمٍ رَوَاعِدُهَا(٢)

ومثلُ هذا كثيرٌ فى كلامهم لا ينكره منكر ، وقال أبو تمام :

وَكَذَا السَّحَائِبُ ، قَلَّمَا تَدْعُو إِلَى

مَعْـرُوفِهَا الرُّوَّادَ مَالَمْ تُبْرِقِ(٣)

فجعل البرق عند الرُّوَّاد دليلَ الغيثِ ، وقد يكون برق لا مطر معه كثيراً ، وبرقُ الخلَّب هذه حاله ؛ فالبحترى فى أن أقام الرعد مُقَامَ الغيث أعْذَرُ من أبى تمام لأنه قد يرتفع سحاب ويبرق ولا يُمْطِر ، فإذا أرعد لا يكاد يُخْلِفُ .

* * *

٣ — ومن ذلك قول البحترى :

يَا هِلاَلاً أَوْفَى بِأَعْلَى قَضِيبٍ وَقَضِيباً عَلَى كَثِيبٍ مَهِيلِ(٤)

وقالوا : هـذا خطأ ؛ لأن الكثيب ـ إذا كان مَهِيلاً ـ فإنه يذهب ولا يستمسك ، وذلك مذموم من الوصف ، قالوا : والجيد قولُه :

كالبَدْرِ غَيْرَ مُخِيل وَالغُصْن غَيْـرَ مُمَيَّلٍ وَالدِّعْصِ غَيْرَ مهيل(٥)

(١) قد سبق ذكره فى (ص ٣٣ من هذا الكتاب) :
(٢) ومضى ذكر هذا أيضا فى (ص ٣٣ من هذا الكتاب) .
(٣) قد تكرر ذكر هذا البيت (انظر ص ٨٦)
(٤) من غزل قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب بن طوق (الديوان ٢ / ٢٠٥)
(٥) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع فى مصر .

وقالوا : قد تراه هنا كيف شرط فى الدِّعْصِ ـ لما شَبَّهَ العَجُزَ به ـ أنْ جَعَلَه غير مهيل ؛ لأن العرب إذا شبهت أعجاز النساء بِكُثبان الرمل شَرَطت فيها أن تكون ندية ، وأن تكون ممطورة ، كما قال الراجز :

جُبْنَ بأعْجَازٍ لَهُنَّ نَاوِيَهْ كَأَنَّهَا الـكُثْبَانُ غِبَّ سَارِيَهْ

ناوية : سِمَانٌ ، من النىّ وهو الشحم ، وكقول الآخر :

* مِثْلُ الْـكَثِيبِ إِذَا مَا بَلَّهُ الْمَطَرُ[(١)] *

وكما قال مِرْداس بن أبى عامر السُّلَمِىُّ :

إِذَا هِىَ قَامَتْ فِى النِّسَاءِ حَسِبْتَ مَا
فُوَيْقَ نِطَاقِ الْعِقْدِ صَعْدَةَ سَاسِمِ[(٢)]
وَأَسْفَلُ مِنْـهُ ظَهْرُ دِعْصٍ أَصَابَهُ
نجاء السماكِ فِى الْـكَثِيبِ الْمُخَيِّمِ[(٣)]

وقال الأخضر بن جابر الفزارى :

تَلُوثُ أَثْنَاءَ اللِّفَاعِ الأَتْحَمِى بِمِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْمُدَيَّمِ[(٤)]

---

(١) الـكثيب ـ بفتح الـكاف ـ التل من الرمل ، سمى بذلك لأنه انـكثب أى انصب فى مكان فاجتمع فيه ، ويجمع على كثب كسرر ، وعلى أكثبة كأرغفة ، وعلى كثبان ، بضم الـكاف كرغفان .

(٢) الصعدة : القناة المستوية تنبت هكذا ، ولا تحتاج إلى تثقيف ، وتجمع على صعاد كجفان ، شبه عنقها فى استوائه بها .

(٣) الدعص ـ بكسر الدال وسكون العين ـ كثيب الرمل المجتمع ، وجمعه أدعاص ودعصة .

(٤) اللفاع : كل ما تجلل به المرأة جسدها ، كساء كان أو غيره ، والأتحمى : ضرب من البرود ، هذا أصله ، وقد أشربه هنا معنى الوصف ، كما اشتقوا منه فعلافقالوا تحمت الثوب ، يريدون معنى وشيته ، وذكر فى اللسان أن الأتحمى من البرود هو الأحمر ؛ فيـكون قد استعمله هنا فى الأحمر لجرده عن بعض معناه ، والدعص: الـكثيب =

أراد الذى قد بلّته الدِّيمة ، وهى السحابة ؛ وقال جَنْدَل بن المثنى الطُّهَوِيُّ :

لاَ بَلْ كَدَعْصَاءِ نَدَاهَا مُثْرِى عَفْرَاء حُفَّتْ بِرِمَالٍ عُفْرِ(١)

وقال امرؤ القيس :

كَحِقْفِ النَّقَا يَمْشِى الوَلِيدَانِ فَوْقَهُ

بِمَا احْتَبَسَا مِنْ لِينِ مَسٍّ وَتَسْهَالِ(٢)

والحقف : المستـــدير من الرمل ؛ لأن الريح تنخله وتجمعه ، وقال « يمشى الوليدان فوقه » لأن الندى أصابه فهو صلب وفيه مع ذلك لين ونعومة ، وقد شبه امرؤ القيس أيضاً كَفَلَ الفرس بالدِّعْصِ النَّدِى فقال :

لَهُ كَفَلٌ كالدِّعْصِ لَبَّدَهُ النَّـــدَى

إلى كاهِلٍ مِثْلِ الرِّتَاجِ المُضَبَّبِ(٣)

= والمديم : الذى أصابته الديمة — بكسر الدال — وهى المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق يكون أقله ثلث النهار أو ثلث الليل ، وقال ابن مقبل :

رَبِيبَةُ رَمْلٍ دَافَعَتْ فِى حُقُوفِهِ رَخَاخَ الثَّرَى وَالأَقْحُوَانَ المُدَيَّمَا

ومن هنا تعرف أن تفسير المؤلف الديمة بالسحابة فيه قصور .

(١) أراد بالدعصاء القطعة من الدعص ، ونداها : أراد بللها ورشها ، وفى نسخة « نفاها » مأخوذ من قولك : نفت السحابة الماء نفيانا ، إذا مجته ، وقال الأزهرى : نفيان السحاب : مانفاه السحاب من مائه فأساله ، والمثرى : اسم الفاعل من قولك « أثرى المطر » إذا بل الثرى ، فكأنه قال كقطعة من الرمل رشها المطر بمائه .

(٢) انظره فى العقد الثمين (١٠١) وقبله قوله :

إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها تميل عليه هونة غير مجبال

(٣) انظره فى العقد الثمين أيضا (٦٦) وفيه « له حارك كالدعص » والكفل — بفتح الكاف والفاء جميعا — العجز أو الردف ، والحارك : أعلى الكاهل ، وهو مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق ، والرتاج — بزنة الكتاب — الباب العظيم ، والمضبب : الذى جعلت له ضبة ، وهى حديدة عريضة .

[وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وَإنْ مَالَ الضَّجِيعُ بِهَا فَدِعْصٌ مِنَ الكُثْبَانِ مُلْتَبِدٌ مَطِيرُ[1]]

قالوا : هذا الوصف المجوَّد ، والمعنى الصحيح من معانى العرب ، ولولا أن تشبيه الردف بالكثيب المُنْهَال خطأ لما قال البحترى فى بيته الآخر : « والدعص غير مهيل » .

وهذا المذهب الذى ذهبوا إليه لعمرى صحيحٌ من مذاهبهم ، إلا أن الشعراء إذا شبهت أعجاز النساء بكثبان الرمل ووصفتها بالانهيال فإنما تقصد إلى تحرك أعجازهن عند المشى ، كما قال رؤبة بن العجاج:

إذا وَصَلْنَ العَوْمَ بالهِرْكَلِّ رَجْرَجْنَ مِنْ أَعْجَازِهِنَّ الْخُزْلِ[2]

* أَوْرَاكَ رَمْلٍ وَالِجٍ فِى رَمْلِ *

فقال « أوراك رمل والج فى رمل » وولُوجه تحرُّكه ودخول بعضه فى بعض ، وكما قال الأعشى[3]:

(١) ملتبد : لاصق بعضه ببعض حتى يصير كاللبد ، وذلك من أثر الماء ، ومطير : ممطور ، فعيل بمعنى مفعول

(٢) أصل العوم السباحة فى الماء ، ويشبه بها المشى اللين الهادىء ، والهركل — بكسر الهاء وسكون الراء وفتح الكاف وتشديد اللام — ضرب من المشى فيه اختيال وبطء ، وقال الراجز :

قَامَتْ تَهَادَى مَشْيُهَا الهِرْكَلاَّ بَيْنَ فِنَاءِ البَيْتِ وَالمُصَلَّى

ورجرجن: حركن ، والأعجاز : جمع عجز ، والخزل: جمع أخزل ، وهو كقول الأعشى:

* إذَا تَأَتَّى يَكَادُ الخَصْرُ يَنْخَزِلُ *

(٣) انظرها فى ديوان الأعشى (ص ٢٦٦) وقبله قوله :

يَنُوءُ بِهَا بُوصٌ إذا ما تَفَضَّلَتْ تَوَعَّبَ عَرْضَ الشَّرْعَبِيِّ المُغَيَّلِ

وينوء بها : يثقلها ، والبوص — بضم الباء — العجيزة ، وتفضلت : لبست الثياب التى تبتذل للنوم ، وتوعب : استوعب ، والشرعبى : ضرب من البرود ، والمغيل : الذى صنع واسعا ، والضمير المستتر فى « توعب » يعود إلى البوص .

رَوَادِفُهُ تَثْنِي الرِّدَاءَ تَسَانَدَتْ إلى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ المُتَهَيِّلِ (١)

نِيَافٌ كَغُصْنِ البَانِ تَرْتَجُّ إنْ مَشَتْ

دَبِيبَ قَطَا البَطْحَاءِ فى كُلِّ مَنْهَلِ (٢)

فدلَّ بقوله « ترتج إن مشت » على أن قوله « إلى مثل دعص الرملة المتهيل » إنما أراد تحرك عجزها فى حال مشيها ، وكذلك قول رؤبة (٣):

مَيَّالَةٌ مِثْلُ الكَثِيبِ المُنْهَالْ عَزَّزَ مِنْهُ وَهْوَ مُعْطِى الأسْهَالْ (٤)

* ضَرْبُ السَّوَارِى مَتْنَهُ بالتَّهْتَالْ * (٥)

التهتال والتهتان واحد ، فقال « مثل الكثيب المنهال » لما قال « ميالة » أى:أنها تتثنَّى فى مشيتها وتتحرك روادفُها ، ثم شرط أنه «عزز منه ضرب السوارى» أى شدَّهُ ليمنع من سيلانه وذهابه ، وإنما أراد حالا بين الحالين ، ألا تراه قال : « وهو معطى الإسهال ضرب السوارى » أى شدَّه ضربُ السوارى وهو مع ذلك يتهيل ؛ وقال ابن أبى سفيان الغامدى (٦) :

ذَاتَ شَوًى عَبْلٍ وَخَصْرٍ أبْتَلِ وَكَفَلٍ مثلِ الكَثِيبِ الأهْيَلِ (٧)

(١) وقع فى مطبوعات هذا الكتاب «ورادفة» وفى الخطية «ورابية تثنى – إلخ» وقد أثبتنا مافى الديوان ، والضمير البارز المتصل فى « روادفه » يعود إلى البوص .

(٢) وقع فى مطبوعات هذا الكتاب « فياف » وهو تحريف أثبتنا صوابه عن الخطية والديوان ، ونياف : خبر مبتدأ محذوف ، يريد هى نياف ، والنياف – بزنة الكتاب – التامة الطول والحسن

(٣) نسبه فى اللسان (ه ت ل) إلى العجاج

(٤) عزز : قوى وصلب

(٥) وقع فى المطبوعات والخطية « صوب السوارى » ولها وجه ، وأراد بالسوارى السحائب الممطرة

(٦) فى المطبوعات « ابن أخى سفيان » وأثبتنا مافى الخطية

(٧) الشوى : اليدان والرجلان وأطراف الأصابع ، وعبل : ضخم ، وأبتل : منقطع ، يريدأنه ناحل يكاد ينقطع ، وباقى المفردات تقدم فى شواهدهذه المسألة مشروحا

فأراد بالأهيل الذى يَتَرَجْرَجُ(١) عند المشى ، وقال المقنع الكندى :

إِذَا قَامَتْ تَنُوءُ بِمُرْجَحِنٍّ كَدِعْصِ الرَّمْلِ يَنْهَالُ انْهِيَالَا(٢)

فحسن ذكر(٣) الانهيال من أجل ذكره للقيام ، ولو لم يذكره لكان غرضه فيه معروفاً . وقال عبد الرحمن بن الحكم :

كَأَنَّ مَا بَيْنَ قُصْرَاهَا وَخِنْصَرِهَا مِنْهَا نَقًا دَمِثٌ مِنْ عَالِجٍ هَارِ(٤)

فقُصْرَاها : آخر الأضلاع ، وهى القُصْرَى والقُصَيْرَى ؛ فدلّ بقوله « هارِ » على أنه أراد تحرك روادفها ، فكذلك قول البحترى :

* وَقَضِيب عَلَى كَثِيب مَهِيلِ *

إنما أراد تحرك أردافه ، وقد دل على المشى بقوله :

* يَا هِلَالاً أَوْفَى بِأَعْلَى قَضِيبٍ *

فالمعنيان لا يتناقضان ؛ لأن الشاعر إن ذكر الانهيال فإنه أراد الحركة عند المشى ، وإن لم يذكر ذلك وشَرَطَ فى الكثيب الندى وإصابة الغيث فإنما قصد أن يَنُصّ على اجتماعه واستمساكه كما قال رؤبة :

* مَيَّالَةٌ مِثْلُ الكَثِيبِ المُنْهَالْ *

ثم قال :

عَزَّزَ مِنْهُ وَهْوَ مُعْطِى الأَسْهَالْ ضَرْبُ السَّوَارِى مَتْنَهُ بِالتَّهْتَالْ

---

(١) فى المطبوعات « يتدحرج » .

(٢) المرجحن : اسم الفاعل من قولك : ارجحن الشىء ، إذا اهتز أو مال ، وقال الشاعر :

وَشَرَاب خُسْرُوَانِىّ إِذَا ذَاقَهُ الشَّيْخُ تَغَنَّى وَارْجَحَنْ

وأراد بالمرجحن هنا عجزها

(٣) وفى المطبوعات « لجاء بذكر » .

(٤) القصرى — بضم فسكون — الضلع التى تلى الشاكلة بين الجنب والبطن ، والقصيرى — مصغرة — مثله ، وأراد بما بين قصراها وخنصرها بطنها ، وعالج : مكان كثير الرمل ، وهار : منهار .

فانتظم الوجهين جميعاً . والذى شَرَح هذين المعنيين أتَمَّ الشرح ، وأبرَّ[١] فى الوصف على كل محسن ، تميمُ بن أبَىّ بن مُقْبِل فى قوله يصف مَشْىَ النساء :

يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ
يَنْهَالُ حِيناً وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِيناَ[٢]

إنمـا أراد بقوله « ينهال حينا » تحركَ أعجازهنَّ إذا مَشَيْنَ كما يتحرَّكُ جانب الرملة للانهيال فينهاه الثرى وهو ما تحته من التراب أو الرمل الندى ، وهذا لا شيء أوضح منه .

***

٤ — ومن ذلك قوله :

مَتَى أرَدْنَا وَجَدْنَا مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَسْعَاتِهِ أوْ فَقَدْنَا مَنْ يُدَانِيهِ[٣]

وقالوا : ليس هذا بالجيد ؛ لأنه وَصْفٌ يَشْرَكُ ممدوحَه فيه البقَّالُ [والحمَّالُ] والمراق وباعةُ الدواء ولُقَّاط النوى ؛ لأن هؤلاء أيضاً متى شِئْنا وجَدْنا من يقصر عن مسعاتهم ، وهو الحَجَّام والـكناس والنباش .

والبيت عندى صحيح ، وغرض البحترى فيه معروف ، ومثله [أو نحوُهُ] قول الأعشى :

وَأخُو النِّسَاءِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ وَيَعُدْنَ أعْـــدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ[٤]

---

(١) أبر : زاد .

(٢) الهيل : الرمل الذى لايثبت مكانه حتى يسقط .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن ثوابة (الديوان ٢ / ٣٢٢) وقبله قوله :

نغدو فإما استعرنا من محاسنه فضلا ، وإما استمحنا من أياديه
برز فى السبق حتى مل حاسده طول العناء وخلاه مجاريه

(٤) انظر ديوان الأعشى ميمون (ص ٩٨) وفيه « ويكن أعداء » ويروى « وأخو الغوان » و « يصرن أعداء » وهو من قصيدة له أولها قوله :

أجبير ، هل لأسيركم من فاد ؟ أم هل لطالب شقة من زاد ؟

وهو لا يشاء ذلك ، إنما أراد أنَّ ذلك سَهْلٌ موجود فى النساء ، وكذلك قول البحترى « متى أردنا وجدنا » أى : أن ذلك موجود سهل حاصل ، وإن لم يكن هناك إرادة ولا طلب ؛ لأن تلك حَالٌ قد عُلمت منه ، وقد صَحَّح المعنى ووكَّدَ المدحَ بقوله « أوفقدنا من يدانيه » والبقال والمرَّاق وأمثالها غير مفقود مَنْ يدانيهم ؛ فجعل البحترىُّ أحَدَ القسمين فى البيت معلقاً بالآخر : أي ذلك كله سهل موجود ، ولو اقتصر على النصف الأول كان لعمرى فيه متعلَّق .

* * *

٥ — ومن ذلك قوله :

تَهَاجُرٌ أَمَمٌ لاَ وَصْلَ يَخْلِطُه إلاّ تَزَاوُرُ طَيْفَيْنَا إذَا هجدَا[(١)]

قالوا : والطيفانِ لا يهجدان ، وإنما أراد إذا هجدنا ، فقالَ « إذا هجدا » .

وقد سمعت مَنْ يحتج فيه بما لا يبعد عندى من الصواب ، وهو أن قال : إنه أراد إلا تزوار نفسينا إذا هجدا ؛ فأقام الطيف مقام النفس وقال « هَجَدَا » ولم يقل « هجدتا » للفظ الطيف وهو مذكر ، وقال : إن النفس تنام على الحقيقة كما قال تعالى : (اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)[(٢)] .

فقيل له : النفس لعمرى يطلق عليها النوم ، فإذا نامت رأت خيالاتِ الأشياء التى ترى حقائقها فى اليقظة ؛ فالنفس غير الخيال ، وقد تتمثل للنفس فى حال يقظتها وإن لم ترها العين ؛ فليس النفسُ من الخيال فى شىء .

قال : فإذا كانت النفس والخيال يلتقيان فى النوم ، فلم لا أسميهما خيالَيْنِ ـ وإن كان أحدهما خيالا والآخر نفساً ـ على المجاز الذى تفعله العرب ؟

وهذا عندى احتجاج صحيح ، ويصح عليه معنى البيت .

* * *

(١) فى المطبوعات « إذا هجرا » وأثبتنا ما فى الخطية موافقا لما فى الديوان ، والبيت من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (١ / ١٣٤) وأولها قوله :

أما معين على الشوق الذى غريت به الجوانح والبين الذى أفدا

(٢) من الآية ٤٢ من سورة الزمر .

٦ — ومما نسبوا فيه البحترى إلى سوء التقسيم قوله :

فَكَأَنَّ مَجْلِسَهُ الْمُحَجَّبَ مَحْفِلٌ
وَكَأَنَّ خَلْوَتَهُ الْخَفِيَّةَ مَشْهَدُ (١)

وقالوا : إنه ليس فى المصراع الثانى من الفائدة إلا ما فى الأول ؛ لأن مجلسه المحجّب هى خلوته الخفية ، وقوله « محفل » كقوله « مشهد » .

والمعنى عندى صحيح ؛ لأن المجلس المحجّب قد يكون فيه الجماعة الذين يَخُصُّهم ، وفى الأكثر الأعم لا يسمى مجلساً إلا وفيه قوم ، ألا ترى إلى قول مُهَلْهِل :

* وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ (٢) *

أى : أهلُ المجلسِ ، على الاستعارة ، فجعل البحترىُّ مجلسَه الذى احتجَب فيه مع ما يخصه كالمحفل ، والمحفِلُ : هو الجمع الكثير ، والخلوة الخفية قد يكون فيها منفرداً ، وقد يكون معه محبوب ، فبينها و بين المجلس والمحفل فرق ؛ فكأنه إذا خلا خلوة خفية وفيها معه من يشاهده — ومن يشاهده يجوز أن يكون واحداً أو اثنين — والمحفل لا يكون إلا عدداً كثيراً ، فهذا أيضاً فرق صحيح [بين المحفل والمشهد] ، و إنما أراد البحترى أنه لا يفعل فى مجلسه المحجَّب إلا ما يفعله فى المحفل ، ولا يفعل فى خلوته الخفية إلا ما يفعله مع مَنْ يشاهده ، ينسبه إلى شدة التصوُّن وكرم السريرة .

* * *

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب ابن أخت أبى الوزير (الديوان ١ / ١٧٦) وقد تكفل المؤلف ببيان مفردات البيت .

(٢) هذا عجز بيت من قصيدة له يرثى فيها أخاه كليب وائل ، وصدره قوله :

* أُنْبِئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ *

وروى الجاحظ فى الحيوان ٣ / ١٢٨ صدره هكذا * أودى الخيار من المعاشر كلهم * وانظر ديوان المعانى ١/ ٢٠٤ والصناعتين ٢٠٣ .

٧ — ومثله قوله :

أَمِينَ اللهِ ، دُمْتَ لَنَا سَلِيما وَمُلِّيتَ السَّلَامَةَ وَالدَّوَامَا(١)

قالوا : وقوله « دُمْتَ لنا سليما » هو قوله « مُلِّيت السَّلامة والدواما » فإن هذا قبيح جداً .

وليس الأمر عندى كذلك ، بل القسمة صحيحة ؛ لأنه لما تقدّم ذكر السلامة والدوام فى أول البيت قال فى عجزه « ومُلِّيت السَّلامة » أى : أديمت لك تلك السلامة وذلك الدوام(٢) .

[وأجْوَدُ من هذا أن يكون لمَّا قال دمت لنا سليما ــ وذلك بذكر السلامة وفيها الألف واللام ؛ لأنها اسم الجنس ، وكذلك الدوام ــ فكأنه قال : مُلِّيتَ السلامة كلها والدوام كله] وليس بمنكر أن يقول القائل فى الدعاء «دام لك الدوام» كما يقول : طال طولك ، وقر قرارك ، وضل ضلالك ، وزال زوالك ، وذلك كلام مستعمل حسَن ، ومعنى « مُلِّيت » أطيلت [لك] وأديمت ، مثل تَمَلَّيت ، وهو مأخوذ من المَلَاوَة والمَلْوَةِ ، وهما الدهر ، والمَلَوَانِ : الليل والنهار . ومنه قولهم : وَقَفْتُ مَلِيًّا .

* * *

٨ — وقال البحترى :

الْيَوْمَ أَطْلَعَ لِلْخِلَافَةِ سَعْدَهَا وَأَضَاءَ فِينَا بَدْرُهَا الْمُتَهَلِّلُ(٣)

لَبِسَتْ جَلَالَةَ جَعْفَرٍ ؛ فَكَأَنَّهَا سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهَارُ الْمُقْبِلُ

وقالوا : هذا معنى فاسد ؛ لأن السَّحَر طُرَّة النهار وأوله و بَدْء ضيائه ، والشىء

(١) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ٢ / ٢٢٥)

(٢) فى المطبوعات هنا زيادة «والملاوة بكسر الميم وضمها وفتحها ، ذكر ابن السكيت لها ثلاث لغات ، وذلك الدوام » وهو كلام لا محصول له فى هذا الموضع

(٣) البيتان من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ٢ / ١٥٨) وفيه فى عجز الأول « وأضاء فيه بدرها » .

فى مثل هذا لا يتجلل أوله ؛ لأن التجلل هو أن يشتمل عليه ويُغَطِّيه ، والسحر أمام النهار أبداً ؛ فلا يجوز أن يتغشَّاه ؛ لأنه المتصل بالظلمة والمختلط بها والطارد لها ، فهو يدور حول كرة الأرض دائماً على صورة واحدة لا يتغير .

وهذا عندى معارضة صحيحة ، إلا أن هذا معنى يُتَجَاوز فى مثله ؛ لأن البحترى إنما أراد تجـلّله النهار فى رأى أعيننا وما نشاهده ؛ لأن زُرقة السحر لما استطار الضوء صار كأنه شىء غَطَّى عليها ، وإن كانت حقيقتها أنها انقلبت إلى قطر آخر من الأرض .

***

٩ — وقال البحترى :

لم أرَ كالْهَجْرِ لمْ يُرْحَمْ مُعَذَّبُهُ وَالْوَصْلِ لم يَعْتَمِدْ مُعْطَاهُ بِالحسَدِ(١)

وهذا كان بعضهم يراه سهواً ، ويقول : إن المعذب بالهجر مرحوم ، فأما الذى يواصله حبيبه فمغبوط أبداً ومحسود ، وقد قيل فى ذلك من الأشعار ما هو أشهر وأكثر ؛ فمنها قولُ يزيد بن الطَّثْرِية :

أعُوذُ بِخَدَّيْكِ الْكَرِيمَيْنِ أنْ يَرَى لَنَا حَاسِدٌ فى غُبَّرِ الْوَصْلِ مَطْمَعَا(٢)

وقول أبى صخر الهذلى :

فَقَدْ تَرَكْتِنِى أحْسُدُ الطَّيْرَ أن أرَى أَليفَيْنِ مِنهَا لَمْ يُرَوِّعْهُمَا النَّفرُ(٣)

وقول جرير :

وَيُحْسَدُ أنْ يَزُورَكُمْ، وَيَرْضَى بِدُونِ الْبَذْلِ لوْ عَلِمَ الْحَسُودُ

(١) هذا البيت ثانى أبيات قصيدة له يمدح فيها أبا مسلم البصرى (الديوان ١ / ١٧٨) ووقع فى المطبوعات فى آخره «لم يعتمد معطاه بالجود» وهو تحريف صوابه عن الديوان ، والذى قبله قوله :

عهد المشوق بوصل الأنس الخرد يكاد يشركـ نجم الليـل فى البعد

(٢) غبر الوصل — بضم الغين وتشديد الباء مفتوحة — أعقابه .

(٣) يروى — وهو المحفوظ — « أحسد الوحش » و « لا يروعهما النفر »

وقول جميل بن معمر :

لَوْلاَ الوُشاةُ لزُرْتكمْ ببِلاَدِكمْ ... لـكنْ أخَافُ مَقَالَةَ الْحُسَّـادِ

وقول عتبة بن بجير الحارثى :

أيَّامَ تَهْجُـرُنِي لَيْـلَى وَأحْسُـدُهَا

وَأطْيَبُ العَيْشِ عِنْدِي مُضْغَةُ الْحَسَـدِ

أى : هى تهجرنى ، وأنا أحسُدُها : أى أحْسَد عليها .

وليس الأمر عندى فى هذا البيت على ماتأوَّله هذا المتأول وظَنَّه ، وذلك أن البحترى لم يرد بقوله « لم أر كالهجر لم يرحم مُعَذْبه » جنس الهجر ، ولا جنس الوصل ، فيخرج الـكلام مخرج العموم لـكل هجر وكل وصل ، كما يقال : أهْلَكَ الناسَ الدينارُ والدرهم ، و إنما أراد « لم أر كالهجر لم يرحم معذبه » أى : كالهجر الذى هذه حالُه [على طريق التعجب «والوصل لم يعتمد مُعْطاه بالحسد» أى والوصل الذى هذه حالُه ، وهذا كما تقول : « لم أر كالرجل يُسيء فلا يُذَمُّ ، ويُحسن فلا يشكر » أى كالرجل الذى هذه حالُه] ، ولم يرد كل الرجال ، وكيف يظن مثل هذا بالبحترى وهو يقول(١) :

وَنُحْسَـدُ أنْ يَسْرِى إلَيْنَا مِنَ الْهَوَى

عَقَابيلُ يَعْتَـادُ الْهَـوَى باعْتِيادِها

فَـكَمْ نَافَسُـوا فِى حُرْقَةٍ إثْرَ فُرْقَةٍ

تَعَجَّبُ مِنْ أنْفَاسِـنا وَامْتِـدادِها

فقد ترى كيف يزعم أنه يُحْسَد على الْجَوَى وعلى الْحُرَقِ ، فـكيف على الوصل ؟

* * *

(١) البيتان من غزل قصيدة له يمدح فيها المهتدى بالله (الديوان ١/ ١٣٠) ووقع فى المطبوعات فى عجز أولها « عقائل يعتاد الهوى » وهو تصحيف أثبتنا صوابه عن الديوان ، وقبلها قوله :

يكثر فينا الـكاشحون ، وبيننا ... حواجز من سلمى وبرك غمادها

١٠ — وقال البحترى :

أىُّ لَيْلٍ يبهى بِغَـيْرِ نُجُومٍ وَسَحَابٍ يَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ ؟(١)

عابَه بعضهم بهذا ، وقالوا : قد يكون بَرْقٌ ولا غيث معه ، وهو برقُ الخلّب ، والرجل لم يقل لا برق إلا ومعه مطر ، وإنما قال لا مطر إلا ومعه برق

***

١١ — وسمعت مَنْ يعيب قولَه :

كالرَّوْضِ مُؤْتَلِقاً بِحُمْرَةِ نَوْرِهِ وَبَياضِ زَهْرَتِهِ وَخُضْرَةِ عُشْبِهِ(٢)

ويقول : النَّور هو الأبيض ، والزهر هو الأصفر لا محالة ، فإذا قلت « فى هذا الروض أنوار مختلفةٌ » جاز ذلك ؛ لأنك تضم إلى البياض غيره فيجرى الأسم على الجميع ، على سبيل المجاز ، كما تقول « الْعُمَرَانِ » لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، و « الْقَمَرَان » للشمس والقمر ، وما أشبه ذلك ، وكذلك إذا قلت « فيها أزهار كثيرة » جاز ذلك وإن كان فيها أبيض وأحمر وما سواهما من الصفرة تَوَسُّعاً ومجازاً ؛ فإذا فصلت مُعْتمدا لأن تخص كل جنس باسم ، كما فعل البحترى ، ولم يجز أن يعدل بكل جنس عن اسمه المخصوص ؛ فتقول حينئذ : يعجبنى

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل (الديوان ٢ / ١٣٥) وفيه « وسحاب تندى بغير بروق » وقبل هذا البيت قوله :

عذلتنا فى عشقها أم عمرو هل سمعتم بالعـــاذل المعشوق ؟
ورأت لمـــة ألم بها الشيـــب فريعت من ظلمة فى شروق
ولعمرى لولا الأقاحى لأبصر ت أنيق الرياض غـــير أنيق
وسواد العيون لو لم يحجر ببياض ما كان بالمومـوق
ومزاج الصهباء بالماء أملى بصبوح مستحسن وغبوق

(٢) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١ / ٦٨) ووقع فى الأصول « بحمرة لونه » وما أثبتناه عن الديوان ، وهو الذى يتطابق مع اعتراض المعترضين على هذا البيت .

مِنْ هذا الموضع صفرةُ زَهْرِهِ ، و بياضُ نَوْرِهِ ، وحُمْرة شقائقه ، ولا يجوز أن تقول : يعجبنى حُمْرة نَوْره ، ولا بياض زهره ، كما قال البحترى ؛ لأن ذلك خطأ فى اللغة على ما استعملته العرب .

ولعمرى إن هذا هو الأشهر فى كلامهم ، والأغلب فى المأثور عنهم ، إلا أنهم قد جعلوا الزَّهَر نَوْراً ، والنَّوْرَ زَهَراً ، وجاء ذلك فى الشعر ، قال عدى بن زيد :

حتى تعاوَنَ مُسْـــتَكٌ لَهُ زَهَرٌ مِنَ التَّناوِيرِ شَـكْلَ الْعِهْنِ فى اللُّؤَمِ (١)

اللؤَم : جمع لأمة ولُؤْمَة ، وهى مَتَاعُ الرحْلِ (٢) من الأشِلَّة (٣) والولايا (٤) تكون مُوَشَّاة بالعِهْن ــ وهو الصوفُ المصبوغُ بالحمرة ــ وغير ذلك من الألوان ؛ فقال « زهر » ثم قال « من التناوير » وقال « شكل العهن » . وقال زُهَير ابن مسعود [الضبى] :

مُتَنَوِّرٌ غَـــدِقُ النَّـــدَى قُرْيانُهُ
مِثْـــلُ الْعُهُونِ مِنَ الخـواطر مُقْمِـرُ (٥)

---

(١) أنشده فى اللسان (هـ و ل ــ ل أ م) ووقع فى المطبوعات «حتى تهول مستكا» وما أثبتناه عن اللسان فى الموضعين والخطية ، وأراد بالمستك روضا التفت أغصانه قال ابن منظور : « استك النبت : التف وانسد خصاصه ، وقال الأصمعى : استكت الرياض ؛ إذا التفت ، قال الطرماح يصف عيرا :

صُـــنْتُعُ الْحَاجِبَيْنِ خَرَّطَهُ الْبَقْـــلُ بَدِيًّا قَبْلَ اسْتِكَاكِ الرِّيَاضِ

(٢) فى المطبوعات « وهى متلع الرجل » وهو تصحيف لايقضى العجب منه .

(٣) الأشلة : جمع شليل ، وهو مسح من صوف أو شعر يجعل على عجز البعير من وراء جله ، قال جميل بن معمر :

تَشُجُّ أَجِيجَ الرَّحْلِ لَمَّا تَحَسَّرَتْ مَنَاكِبُهَا وَابْتَزَّ عَنها شَـــلِيلُهَا

(٤) الولايا : جمع ولية ، وهى البرذعة .

(٥) متنور : ذو نور ، وغدق الندى : كثير الماء ، والقريان : جمع قرى ــ بفتح القاف والراء جميعا ــ وهو مجرى الماء إلى الروض ، وأراد بالخواطر الخطر =

وقال أبو النجم :

فالرَّوْضُ قَدْ نَوَّرَ فى حُوَّائِهِ مُخْتَلِفَ الأَلْوَانِ فى أَسْمَائِهِ[١]
نَوْراً تحارُ الشَّمْسُ فى حَمْرَائِهِ مُكَلَّلاً بِالنَّوْرِ مِنْ صَفْرَائِهِ

فقال « بالنَّوْر من صَفْرائه » . وقال حُمَيْدُ بن ثَوْر :

كأَنَّ عَلى أَشْدَاقِهِ نَوْرَ حَنْوَةٍ إذا هُوَ مَدَّ الجِيدَ مِنْهُ لِيَطْعَمَا[٢]

يصف فرخ الحمامة وصُفْرة أشداقه ، ويشبهها بصفرة نَوْر الحَنْوَة [لامحالَة ؛ فقال « نور حنوة »] ؛ ولم يقل زهر حنوة ، وقال الأعشى :

وَشَمُول تَحْسِبُ الْعَيْنُ — إِذَا
صُفِّقَتْ — وُرْدَتَها نَوْرَ الذُّبَحْ[٣]

والذُّبَح : نبت ، ونَوْره أحمر شديد الحمرة ، ويقال له « الذِّبَح » وهذا كله دليل على أن هذه الأسماء تستعمل فى هذه الألوان كما ترى على اختلافها .

* * *

= وهى جمع خطرة ، مثل سدرة وسدر ، والخطرة : عشبة معروفة لها قضبة يجهدها الماء ويغزر عليها ، وفى الحطية « من الحواضر مقفر » .

(١) الحواء ـ بضم الحاء وتشديد الواو ـ نبت يشبه لونه لون الذئب ، وقال أبو خنيمة : الحواءة بقلة لازقة بالأرض ، وهى سهلية ، ويسمو من وسطها قضيب عليه ورق أدق من ورق الأصل ، وفى وسطه برعومة طويلة فيها بزرها .

(٢) الحنوة ـ بفتح الحاء وسكون النون ـ نبات سهل طيب الريح ، قال النمر بن تولب يصف روضة :

وكأَنَّ أَنْمَاطَ الْمَدَائِنِ حَوْلَهَا مِنْ نَوْرِ حَنْوَتِها وَمِنْ جَرْجَارِها

(٣) انظر ديوان الأعشى (ص ١٦٢) وقد أنشده فى اللسان (ذ ب ح) ببعض اختلاف ، وما هنا كرواية الديوان ، والوردة ـ بضم فسكون ـ اللون ، والذبح ـ بضم الذال المعجمة وفتح الباء الموحدة ـ الجزر البرى ، وله لون =

١٢ — وسمعت من يعيب قوله :

[فَمُجَدَّلٌ ومُرَمَّلٌ وَمُوَسَّدٌ ... وَمُضَرَّجٌ ومُضَمَّخٌ وَمُخَضَّبُ](١)

ويقولون : إن قوله « مضرج ومضمخ ومخضب » بمعنى واحد ، وذكر أنه إن أراد رجلاواحداً أنه مُضَرَّج ومضمخ ومخضب جاز ؛ لأن كلَّ لفظةٍ تكون مؤكدةً للأخرى ، قال : ولكنه أراد فمنهم مضرَّج [ومنهم مضمخ] ومنهم مخضب ، كما قسَّم فى صدر البيت .

ولعمرى إن البحترى كذلك أراد ، وليس بمنكر ؛ لأن المضرَّجَ من التضريج وهى الحمرة المشرقة التى ليست بقانية ، والمضمَّخ يريد به غلظ الدم وأنه فى متانة الطيب الذى يتضمخ به ، والمخضب أراد أن الدم قد خَضَّبه كما يخضب بالحناء ؛ ففى كل لفظة ما ليس فى الأخرى ، وإن كانت الحمرة قد شَمِلت الجميع ؛ لأن المضرج يجوز أن يكون أراد به طراوة الدم : أى منهم حديثُ عهدٍ بالقتل ، والمضمخ مَنْ قد خَثُرَ عليه الدم كأن قتله قد تقدم قَبل الآخر ، والمخضَّب يجوز أن يكون مضى لقتله يومٌ وأكثر فقد اسودَّ عليه الدم ، وهذه معانٍ كلها محتملة ، وقد يجوز أن يريد بقوله « مضرج » سائر جسده ، وبالمضمخ أن السيف أخذ عوارضَه وتحت لحيته ، وذلك موضع من مواضع التضمخ بالطيب . وأراد بالمخضَّب أن السيف أخـــذ فى

= أحمر ، وقيل : هو نبات يأكله النعام ، قال ثعلب : « الذبحة والذبح (بضم ففتح فيهما) هو الذى يشبه الكمأة ، ويقال له الذبحة والذبح (بكسر الذال فيهما) والضم أكثر ، وهو ضرب من الكمأة بيض » اه ، قلت : والذى يتناسب فى بيت الأعشى تفسير الذبح بالجزر ؛ فإن الخمر تشبه فى لونها بما كان أحمر ، ومنه قول الأعشى نفسه :

* كدم الذبيح سلبتها جريالها *

ولم يذكروا فى معاجم اللغة فى الجزر اللغتين ، ومنه تعلم ما فى كلام المؤلف .

(١) سقط هذا البيت من بعض أصول الكتاب ، وأثبتناه عن بعضها الآخر ، وعن الديوان ، وأخذا من اعتراض المعترضين عليه ، وهذا البيت من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان ١/٦٣) .

رأسه وفى يديه ورجليه . وذلك مواضع الخِضاب . وقد يكون المضرج المقطع ؛ يقال: « ضَرَّجْته » إذا قطعته . وهذه معانٍ لطيفة ، وقد يجوز أن يعتدّ بها ، والوجه القوىُّ هو الأول .

* * *

١٣ — وسمعت قوماً ينكرون قوله فى وصف الخمر :

وفواقع مِثْل الدُّمُوعِ تَرَدَّدَتْ فِى صَحْنِ خَدِّ الْكَاعِبِ الْحَسناءِ(١)

ويقولون : إن الدموع لا تتردَّد فى الخد كما يتردد الْحَباب فى الكأس ، وإنما الدمع يجرى ويتتابع .

والمعنى صحيح ، ولا عيب فيه ؛ لأن التردُّد قد يكون الْجَوَلان ، وقد يكون التتابع والتواتر ، يقال : قد تَتَابعت كُتُبى إليك ، وتردَّدت ؛ بمعنًى ، وتَوَاترت رُسُلى وتتابعت ، والكتابُ الأول هو غير الثانى . وكذلك قد يكون الرسول الأول غير الرسول الثانى ، وإنما حَسُن أن يقال تتابعت وتردَّدت لأن كل واحد [من الكتب يقال له « كتاب » ويقال لكل واحدٍ] من الرسل رسول ؛ فلما ضَمَّهم اسم واحد حَسُن استعمالُ التتابع والتردد . وإن كانت أشخاصاً متباينة ، وكل واحد غير الآخر ؛ فكذلك الدمع ، حَسُن أن يقال : قد تَتابعت دموعُه على خده ، وتردَّدت ، وإن كانت كلُّ دمعة غير الأخرى . والْحَبَابُ وإن جال فى الْقَدَح دائراً فيه(٢) فإنه ربما جَرَى فيه على جهةٍ واحدة ؛ كما يجرى الدمع على جهة

(١) البيت من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١ / ٤) وقبله قوله :

فاشرب على زهر الرياض يشوبه زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الشـوق الذى قد ضل فى الأحشاء
يخفى الزجاجة لونها ، فكأنها فى الكأس قائمة بغير إناء
ولها نسيم كالرياض تنفست فى أوجه الأرواح والأنداء

(٢) فى المطبوعات « حائرا فيه » .

واحدة ، وهذا من أحسن التشبيه وألْيَقِهِ ؛ لأن الخمر قد يكون منها ماهو أحمر إلى التوريد الخفيف كحمرة الخد ، وخاصة إذا أُرِقَّتْ بالماء ؛ كما قال الشاعر :

كُمَيْتٌ إذا فُضَّتْ ، وفى الكأسِ وَرْدَةٌ ... لها فى عِظَامِ الشارِبينَ دَبِيبُ

فإذا شُبِّهَت الحمرة بالخدِّ وذكر الْحَبَاب فمن ألْيَقِ ما شبه به وأحْسَنِهِ وأصحه الدمع ؛ لأن الدمع قد يقف فى الخد كوقوف الحباب فى صحن الكأس ، وباب اختلاف حركة الحباب وحركة الدمع فليس كل شىء يُشَبَّه بشىء يقع التشبيه فيه من جميع الجهات حتى لا يغادر منها شيئاً ، وقد يكون إنما شبه به ببعض ما فيه لا بكله .

* * *

١٤ — ورأيت مَنْ عاب قوله :

وَصَبَغْتُ أخلاق برَوْنَقِ خُلْقِهِ ... حَتَّى عَدَلْتُ أُجَاجَهُنَّ بِعَذْبِهِ(١)

وقالوا : إنما كان ينبغى لمَّا ذكر الأجاج والعذب أن يقول « فمزجت » لا أن يقول « وصبغت » أو لما قال « وصبغت » أن يقول « حتى عدلت ألوانهن بحسن لونه » .

وليست هذه المعارضَةُ بشىء ، والمعنى صحيحٌ ، ولذلك أنه ليس هناك صَبْغ على الحقيقة فيقابل بذكر لون حتى يتكافأ المعنيان ، ولا مشروب عذبٌ ولا أجاج على الحقيقة فيستعمل بذكر المزاج ، وهذه استعارات ينوب بعضها عن بعض ، ويقوم بعضها مقام بعض ؛ لأنها ليست بحقائق فيما استعيرت له ، ألا ترى أنك تقول : فلان قد شارك فلاناً ، وخالطه ، ومازجه ، وانصبغ به ، بمعنى واحد ، وإن

---

(١) البيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١ / ٦٨) وقبله — مما يتضح به معناه — قوله :

كاثرته فإذا المروءة عنده ... تعدى المفاوض من أقاصى صحبه

ووجدت فى نفسى مخايل سؤدد ... أن كنت يوما واحدا من شربه

كان بعضها أوكد من بعض ، ولا يكون هناك مُداخلة ولا ممازجة لجسم فى جسم ، ولا مخالطة على الحقيقة .

* * *

١٥ — ومما عيب عليه من التعسُّف والتعقيد فى اللفظ قوله :

فَتًى لَمْ يَمِلْ بالنَّفْسِ مِنْهُ عَنِ العُلَى ... إلى غَيْرِهَا شَيْءٌ سِوَاهُ مُمِيلُهَا [(١)]

وكان بعضُ الناس يرى أنه لاحِنٌ ، و يقول : إنه إنما أراد فتى لم يمل بنفسه عن العلى شىء مميلُ نفسٍ سواه ، أى : ما يميل النفسَ عن المعالى [من] اللهو واللعب والدَّعَةِ وحبِّ الراحه والضَّنِّ بالمال ، ونحو هذا من الأشياء الشاغلة عن السؤدد ، فقدم «سِوَاه» وكَنَى عن النفس بقوله «مميلها» بعد أن حذفها ، قال : وذلك غير جائز ؛ لأنك إذا قلت «لن يضرب هامةَ عمرو [أحدٌ ضارب هامةَ غيره» فقدمْتَ «هامة غيره»] فقلت : لن يضربَ هامةَ عمرو واحدٌ هامة غيره ضار بها، وجعلت الهاء فى «ضار بها» كنايةً عن الهامة لتقدمها جاز ؛ إلا أن البصريين من النحويين يقولون : « هامة غيره ضار بها هو » كما أنه لو قال : « شىء نفسُ سِوَاهُ مميلها هو » جاز ، فإن فـكَكْتَ[(٢)] الإضافة وأسقطت هامة وقدمت «غير» فقلت: «لن يضربِ هامةَ عمرو واحدٌ غير ضار بها » لم يجز ؛ لإسقاطك الهامة التى كنايتها الهاء فى قولك «ضار بها» ولا تجوز الـكناية عن غير مذكور فى مثل هذا ، فـكذلك لا يجوز فى البيت « شىء سواه مميلها » وهو يريد شىء نفس سواه مميلها ؛ لأن الهاء فى قوله « مميلها » كناية عن النفس ؛ فلا يجوز إسقاط النفس[(٣)] .

وهذا لعمرى إن كان البحترى أراده فهو غالط ، غير أنه — والله أعلم — إنما أراد فتى لا يميل بالنفس منه عن العلى إلى غيرها شىء بخفض « شىء » على أن

(١) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر. (٢) فى المطبوعات «فصلت»

(٣) هـذا كلام يحس قارئه بأن كاتبه ينزعه من أعمق أغواره ، والأدب لا يحتمل مثل ذلك ، وماذا ترك هذا الناقد للفلسفة !؟ وقد اعترف المؤلف بأن البحترى قد تعسف فى نظم هذا البيت .

الممدوح هو الذى لم يمل بنفسه عن العلى إلى شىء غيرها ، ثم قال « سواه مميلُهاَ » على الابتداء والخبر : أى لـكن سواه من الناس مميلُها ، فأضمر « لـكن » وهذا سائغ ؛ وأنشد سيبويه :

عَلَى الْحَكَمِ الْمَأْتِيِّ يَوْماً إذاقَضَى قَضِيَّتَهُ أَنْ لا يَجُورَ ، ويَقْصِدُ[(١)]

قال : أراد ولـكنه يقصد ، فأضمر « لـكن » فلذلك رفع « يقصد » ، وعلى أنه مستعمل كثير فَاشٍ فى الـكلام أن تقول : زيد لا يقعد عن المكارم وعمرو يقعد عنها ، وأنا لا أجفوك إنما بكر الجافى لك ؛ فيكون الـكلام مستغنياً بنفسه ؛ فلا يحتاج إلى إضمار .

فإن سلِم البيت من عيب اللحن لم يسلم من عيب التعسف ، ولست أعرف بيتاً تعسف فى نظمه غير هذا .

* * *

١٦ — ومن ردىء التجنيس وقبيحه [قوله] :

أَمِنَّا أَنْ تُصَرَّعَ عَنْ سَمَاحٍ وللآمَالِ فى يَدِكَ اصْطِرَاعُ[(٢)]

يقول : أمنا أن يغلبك غالبٌ يَصْرَعُكَ عن السماح و يمنعك منه ، وللآمال فى يدك اصطراع : أى تنافسٌ وتغالب وازدحام ، وقوله « فى يدك » لأن العطاء إليها يُنْسَبُ ، وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر فقال يصف أخلاق الممدوح :

يَتَصَرَّعْنَ لِلرِّجَاءِ دُنُوَّ الْمُزْنِ ، وَالْوَدْقُ خَارِجٌ مِنْ خِلاَلِهْ[(٣)]

---

(١) البيت لعبد الرحمن بن أم الحكم ، وأنشده سيبويه (١ / ٣٤١) وهو شاهد على أنه قطع « ويقصد » عما قبله .

(٢) هذا البيت من كلمة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان ٢ / ٨٢)

(٣) من قصيدة له يمدح فيها بعض بنى حميد (الديوان ٢ / ٢٠١) وفيه «يتصرعن للرجال » ولـكل منهما وجه صحيح . وفيه أيضاً « دنو الغيم » ووقع فى المطبوعات « والودق خارج خلله » وهو تحريف ، وقبل البيت ـ مما يتضح به المعنى ـ قوله :

=

وهى ههنا أَقلُّ قبحاً منها فى البيت الأول ، ولو قال « يتدانين للرجاء دُنُوَّ المزن » كان أحْسَنَ فى اللفظ ، وأوفقَ من أجل التجنيس ، ولـكن « يتصرعن » أوْكَدُ فى المعنى ؛ لأنه بمعنى يتساقطن و يتطرحن ، يريد الإسراع إلى الرجاء من غير ترفق ولا توقٍّ للانحطاط والوقوع ؛ ليدل على الحرص والشهوة .

وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر ، وأوقعها مَوْقِعَ الذم ، فقال :

مَنْ يَتَصَرَّعْ فِي إِثْرِ مَكْرُمَةٍ فَدَأْبُهُ فِي اتِّبَاعِهَا دَأَبُهْ(١)

يريد مَنْ يتساقط فى أثر مكرمة إذا سعى لطلبها ولم يكن له نهوضٌ فيها فدأب الممدوح دأبه المعروف المشهور منه ، أى : جِدُّه ولحاقه ، وحركَ الدأب الثانى وسكن الأول ، ومعناهما واحد ، و يجوز أن يكون أراد فَدَأْبه فى اتبـاعها ـ أى عادته فى اتباعها ـ دأبه ، أى : سعيه وحركته ، وهو أجود .

***

١٧ — ومن ردى التجنيس أيضاً قوله :

حُيِّيتِ بَلْ سُقِّيتِ مِنْ مَعْهُودَةٍ عَهْدِي غَدَتْ مَهْجُورَةً مَا تُعْهَدُ(٢)

و يروى « سقيت من معمورة » يخاطب الدِّمَنَ ، أى : عهدى بهـا معمورة معهودة ، ومن روى « معهودة عهدى » أى : عهدى بهـا معهودة فغدت معهودة

= كأخيك ابن جعفر بن حميد فى احتمال الجليل واستقلاله
موسر من خلائق تتراءى من ضروب الربيع أو أشكاله

(١) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس بن بسطام (الديوان ١ / ٣٣) وفيه « فدأبه فى ابتغائها دأبه » .

(٢) من قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب ابن أخت أبى الوزير (الديوان : ١/ ١٧٦) وقبل هذا البيت — مما يتضح به المعنى — قوله :

أسند صدور اليعملات بوقفة فى المائلات كأنهن المسند
دمن تقاضاهن أعلام البلى هوج الرياح الباديات العود
حتى فنين ، وما البقاء لواقف والدهر فى أطرافه يتردد؟
هل مغرم يعطى الهوى حق الهوى منكم فينفد دمعه أو مسعد ؟

ما تعهد ، وقد يكون العهد من التعهُّد ، ويكون قوله «ما تعهد» أى : قد نُسِيَتْ ، وهذا يشبه تجنيسات أبى تمام.

***

باب

فى اضطراب الوزن

وما رأيت شيئاً مما عيبَ به أبو تمام إلا وَجَدْتُ فى شعر البحترى مثله ، إلا أنه فى شعر أبى تمام كثير وفى شعر البحترىّ قليل : من ذلك اضطراب الأوزان فى شعر أبى تمام .

١ — وقد جاء فى شعر البحترى بيتٌ هو عندى أقْبَحُ من كل ما عيب به أبو تمام فى هذا الباب ، وهو قوله(١) :

ولماذا تَتَبَّعُ النَّفْسُ شَيْئاً جَعَلَ اللهُ الفِرْدَوْسَ مِنْهُ بَوَاءَ

وكذلك وجدته فى أكثر النسخ(٢) وهذا خارج عن الوزن ، والبيت من

(١) البيت من قصيدة له يعزى فيها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسى عن ابنته (الديوان ١ / ٦) وفيه « بجعل الله الفردوس » ولا يزال — على هذه الرواية — فى البيت زيادة السبب الخفيف على الوزن .

(٢) قوله « وكذلك وجدته فى أكثر النسخ » لايلزم من وجدانه فى أكثر النسخ أن تكون لفظة الفردوس فى البيت من نظم البحترى ؛ لاحتمال أنها من الكاتب الأول وقعت سهوا ؛ لأن البحترى أجل من أن يجهل أوزان الشعر ؛ فلو كان الرواة رووا عنه هذا لأمكن التأويل باحتمال السهو منه حال الرواية ثم قوله « وجدته فى أكثر النسخ » مشكل ، ومن أين له أن الذى وقف عليه من النسخ كان أكثر النسخ ؛ فإن الأكثرية لاتعلم إلا إذا علم عدد النسخ جميعها الموجودة فى ذلك الوقت ، وهو أمر متعذر ، وإن أراد بالنسخ النسخ التى وصلت إليه ، وأن أكثرها كان هكذا والأقل منها مستقيم فالاعتراض حينئذ لامحل له ؛ لظهور أن الغلط من الكاتب الأول لبعض النسخ . هكذا كان فى هامش نسخة خطية ، فوضعها كل من نشر الكتاب فى صلبه ، وأثبتناه هنا فى هذه الهامشة لندل على هذا الصنيع .

العروض هو البيت الأول من الخفيف وهو سُدَاسِى وزنُهُ :

فَاعِلاَتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلاَتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاَتُنْ

وتقطيعه :

وَلِمَاذَا * تَتَبَّعْنَ * نَفْسُشَيْئاً جَعَلَلاَهُلْ * فِرْدَوْسَمِنْ * هُبَوَاءِ

فَعِلاَتُنْ * مَفَاعِلُنْ * فَاعِلاَتُنْ فَعِلاَتُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * فَعِلاَتُنْ

فحذف ألف « فاعلاتن » الأولى والثانية والأخيرة فصــارت فعلاتن ، وسين « مستفعلن » الأولى فصارت مَفَاعلن ، وذلك كله زحاف جائز ، وزاد فى البيت سبباً ، وهو حرفان : الهاء من اسم الله عز وجل ، واللام من لفظ الفردوس ، وهو إكفاء ، ولا أعرف مثل هذا البيت ، وقد رأيت فى بعض النسخ « جعل الله الخلد منهُ بوَاء »[1] فإن يكن هكذا قال فقد تخلص من العيب ويكون تقطيع البيت :

* جَعَلَلْلاَ * هُلْخُلْدَ مِنْ * هُبَوَاءِ *

٢ — وقال البحترى[2] :

حَلأَتنا عَنْ حاجَةٍ مَمْنُوعٍ مُبْتَغَاهَا ، وحاجَةٍ مَمْطُولَهْ

وهذا من العروض هو البيت الأول من الخفيف ، وتقطيعه :

حَلْلأَتْنَا * عَنْحَاجَتِنْ * مَمْنُوعِنْ مُبْتَغَاهَا * وَحَاجَتِنْ * مَمْطُولَهْ

فَاعِلاَتُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفْعُولُنْ فَاعِلاَتُنْ * مَفَاعِلُنْ * مَفْعُولُنْ

---

(١) فى الكتاب المنسوب إلى أبى العلاء المعرى المسمى «عبث الوليد» (ص ٢٦) ذكر البيت بالخلل الذى تحدث عنه المؤلف ، وفيه مايفهم منه أن الذى أصلح البيت بذكر الخلد فى مكان الفردوس هو ابن العميد ، وقد ذكر أبو العلاء بيتا آخر فيه هذه الشناعة عينها ، وهو قوله:

وأحق الأيام بالحسن أن يؤ ثر عنه يوم المهرجان الكبير

(٢) البيت من غزل قصيدة له يمدح فيها حمولة (الديوان ٢/١٩٢) وفيه «حلأتنا عن رفده فى منام » وأظنه من تصحيح بعض القراء فى النسخ المطبوع عنها ، على أنه ليس فيه كبير فضل ، فإن قوله «مبتغاها» بعيدة مماقبلها على هذا التصحيح ، وحلأتنا : صدتنا ومنعتنا ، ومبتغاها : ابتغاؤها وطلبها ، ومطولة : قد سوف فى قضائها

وكان يجب أن تكون عروض البيت ــ وهى مفعولن الأولى ــ فاعلاتن ، ولا يجوز فيها مفعولن ، بلى لو كان البيت مُصَرَّعاً لجاز فى عروضه مفعولن كما جاز فى ضربه ــ وهى القافية ــ وذلك قوله « ممطوله » فأمَّا جَعْله مفاعلن فى موضع مستفعلن الثانية فى البيت فذلك جائز من الزحاف ، وقد غير قومٌ هذه اللفظة فى البيت ــ وهى ممنوع ــ فقالوا « بمَنُوعٍ مبتغاها » أى : حلأتنا عن حاجة بمانعٍ منع مبتغاها من عائقٍ أووالٍ عليها ، ويكون « مبتغاها » فى موضع نصب بمنوع ، وهو محتمل .

* * *

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرِ بن يحيى الآمِدِىُّ :

وأنا أذكر بإذن الله الآن فى هذا الجزء المعانىَ التى يتفق فيها الطائيــان ؛ فأُوازِنُ بين معنًى ومعنًى ، وأقول : أيهما أشعر فى ذلك المعنى بعينه ، فلا تطالبنى أن أتعدَّى هذا إلى أن أفصِحَ لك بأيهما أشعر عندى على الإطلاق ، فإنى غير فاعل ذلك ؛ لأنك إن قلدتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد ، وإن طالبت بالعلل والأسباب التى أوجبت التفضيل ، فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمى من نَعْتِ مذهبيهما ، وذكر مساويهما فى سرقة معانى الناس(1) وانتحالها ، وغلطهما فى المعانى والألفاظ ، وإساءة مَنْ أساء منهما فى الطِّباق والتجنيس والاستعارة ، ورَدَاءة النظم واضطراب الوزن ، وغير ذلك مما أوضحته فى مواضعه وبينته ، وما سيرد ذكره فى الموازنة من هذه الأنواع على ما يقوده القول وتقتضيه الحجة ، وما سنراه من محاسنهما وبدائعهما وعجيب اختراعهما ؛ فإنى أوقع الكلامَ على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما فى الأشعار التى أرتبها فى الأبواب ، وأنُصُّ على الجيد وأفضِّله على الردىء ، وأبين الردىء وأرذله ، وأذكر من علل الجميعِ ما ينتهى إليه التلخيص ، وتحيط به العبارة ، ويبقى ما لا يمكن إخراجه إلى البيان ، ولا إظهاره إلى الاحتجاج ، وهى علة ما لا يُعْرَف إلا بالدُّرْبَة ودائم التجربة وطول الملابسة ،

(1) فى الخطية « وسرقة المعانى من الناس وسقطت منها كلمة « وانتحالها »

وبهذا يَفْضُل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة مَنْ سواهم ممن نقصت قريحته[1]، وقلّتْ دُرْبَتُه، بعد أن يكون هناك طَبْع فيه تَقَبُّلٌ لتلك الطباع وامتزاج بها، وإلا فلا يتم ذلك، ثم أَكِلُكَ بعد ذلك إلى اختيارك، وما تقضى عليه فِطْنَتك وتمييزك؛ فينبغى أن تُنْعِمَ النظر فيما يرد عليك، ولن ينتفع بالنظر إلا من يُحسن أن يتأمل، ومن إذا تأمل علم، ومن إذا علم أنصف.

ثم إن العلم بالشعر قد خُصّ بأن يدَّعيه كلّ أحد، وأن يتعاطاه مَنْ ليس من أهله؛ فلم لايدعى أحد هؤلاء المعرفةَ بالعَيْنِ والوَرِق والخيل والسلاح والرقيق والبز والطيب وأنواعه؟ ولعله قد لابس من أمر الخيل وركوبها والسلاح والعلم بذلك أو الرقيق واقتنائه أو الثياب ولبسها أوالطيب واستعماله أكْثَرَ مما عاناه من أمر الشعر وروايته؛ فلا يتَّهم نفسَه فى المعرفة بالشعر تُهَمته إياها بالمعرفة ببعض هذه الأشياء مما عاناه وتناوله، وما بالُه وقد رُكب الخيلَ كثيراً لَمَّا راقه من الفرس ملاحةُ سَبِيبه، واستدارةُ كفَلِه، وبريقُ شعره، وحسن إشراقه [وجَوْدة خَصْره — توقفَ عن ابتياعه حتى يشاور من يخبره عن عتقه]، وموضع نتاجه، وصحة قوائمه، وسلامة أعضائه، وبراءته من العيوب الظاهرة والباطنة، وكذلك السيف لمَّا بَهره جلاؤه، وصِقَاله وصَفاء حديدتِهِ — لم يُمْض فيه اختياره على غيره من السيوف، حتى شاور مَنْ يعرف حسنه وطبعه وجوهره وفِرِنْدَه ومضاءَهُ، وكذلك لما أعجبه من ثوب الوشى حسنُ طَرْزِه، وكثرة صوره، وبديع نقوشه، واختلاط ألوانه — لم يبادر إلى إعْطاء ثمنه حتى رجع إلى أهل العلم بجوهره وكثرة مائه وجَوْدة رُقعته وصحة نساجته وخلاص إبْرَيْسَمِه. فكيف لم يفعل مثل ذلك بالشِّعْر لما راقه حسنُ وَزْنه وقوافيه، ودقيق معانيه، وما يشتمل عليه من مواعظ وآداب وحكم وأمثال؛ لم يتوقَّف عن الحكم له على ما سواه حتى يرجع إلى من هو أعلم منه بألفاظه، واستواء نظمه، وصحة سبكه، ووضع الكلام منه فى مواضعه، وكثرة مائه ورَوْنقه؛

(١) فى الخطية «ممن نقصت تجربته»

إذ كان الشعر لا يُحكم له بالجودة إلا بأن تجتمع هذه الخلال فيه . ألا ترى أنه قد يكون فرَسَان سليمين من كل عيب ، موجودٌ فيهما سائرُ علامات العِتْق والجودة والنجابة ، ويكون أحدهما أفضلَ من الآخر بفَرْق لا يعلمه إلا أهلُ الخبرة والدربة الطويلة ، وكذلك الجاريتان البارعتان فى الجمال ، المتقاربتان فى الوصف، السليمتان من كل عيب ، قد يَفْرق بينهما العالمُ بأمر الرقيق، حتى يجعل بينهما فى الثمن فضلا كبيرا ، فإذا قيل له وللنخّاس : من أين فَضَّلْت أنت هذه الجارية على أختها ؟ ومن أين فضلت أنت هذا الفرس على صاحبه ؟ لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما ، وإنما يعرفه كلٌّ واحد منهما بطبعه ، وكثرة دُرْبَتِه ، وطول ملابسته . فكذلك الشعر : قد يتقارب البيتان الجيّدان النادران ، فيعلم أَهْلُ العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناهما واحداً ، أو أيهما أجود فى معناه إن كان معناهما مختلفاً .

وقد ذكر هذ المعنى بعينه محمد بن سَلاّم الْجُمَحى وأبو على دِعْبِل بن على الخُزَاعى فى كتابيهما

وحكى إسحاق المَوْصِلِىُّ قال : قال لى المعتصم : أخبرنى عن معرفة النَّغَم وَبيِّنْهَا لى ، فقلت : إن من الأشياء أشياء تحيط بها المعرفة ، ولا تؤديها الصفة .

قال : وسألنى محمد الأمين عن شعرين متقاربين ، وقال : اخْتَرْ أحدهما ، فاخترت ، فقال : من أين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان ؟ فقلت : لو تَفَاوتا لأمكننى التبيين ، ولكنهما تقاربا وفَضَل هذا بشىء تشهد به الطبيعة وَلا يعبر عنه اللسان .

وقد قيل لِخَلَفٍ الأحمر : إنك لا تزال تردُّ الشىء من الشعر ، وتقول : هو ردىء ، والناس يستحسنونه ! فقال : إذا قال لك الصَّيْرَفى إن هذا الدرهم زائفٌ فاجهد جَهْدَك أن تنفقه فإنه لا ينفعك قولُ غيرِه : إنه جيد

فمِنْ سبيل مَنْ عرف بكثرة النَّظَر فى الشعر والارتياض فيه وطول الملابسة له أن يُقْضَى له بالعلم بالشعر والمعرفة بأغراضه ، وأن يسلَّم له الحكم فيه ، ويُقْبل منه

مايقوله ، و يعمل على مايمثله . ولا يُنازَعُ فى شىء من ذلك ؛ إذ كان من الواجب أن يُسَلَّمَ لأهل [كلٍّ] صناعة صناعتهم ، ولا يخاصمهم فيها ، ولا ينازعهم إلا مَنْ كان مثلهم نظراً فى الخبرة وطول الدربة والملابسة ؛ فإنه ليس فى وُسْع كل أحدٍ أن يجعلك ـ أيها السائلُ المتعنتُ والمسترشد المتعلم ـ فى العلم بصناعته كنفسه ، ولا يجد إلى قَذْفِ ذلك فى نفسك ولا فى نفس ولده ومَنْ هو أخص الناس به سبيلا ، ولا أن يأتيك بعلة قاطعة ، ولا حجة باهرة ، و إن كان ما اعترضْتَ فيه اعتراضاً صحيحاً وما سألت عنه سؤالا مستقيما ؛ لأن مالا يدرك إلا على طول الزمان ومرور الأيام لا يجوز أن تحيطَ به فى ساعةٍ من نهار .

ثم إن العلم بالذى لا يُعْلم به فى أكثر أحواله إلا بالرؤية والمشاهدة لايعرف حق المعرفة بالقول والصفة ، وقد قيل : ليس الخبر كالمُعَاينة ، وعلة ذلك بينة واضحة ، ومعلومة ظاهرة ، وهى أنه لا يمكن أن يشاهد بك جميع المعلومات التى احتواها وعلم علمه منها بملابستها فى السنين الطويلة ؛ فمن المحال أن يقدر أن يصف لك عشرة آلاف فرسٍ أو عشرة آلاف جارية أو عشرة آلاف سيف مختلفات الأجناس والجواهر والأوصاف فيجعلك مشاهداً لذلك كله فى لحظة واحدة ووقت واحد ، ومخبراً لك(١) بكل علة وكل حجة وكل نَعْتٍ وصفة فى كل نوع من ذلك وكل جنس فى تلك الساعة ، وهو إنما عَلِم ذلك على مرور الأيام وطول الزمان . وهذا مجال لا يمكن ولا يَسُوغ ولا يقدر عليه إلا خالق الخلق و بارىء النَّسَمِ(٢) .

و بعد ؛ فلم لاتصدق نَفْسَك أيها المدعى ، وتعرفنا من أين طرأ عليك العلم بالشعر ، أمن أجل أن عندك خزانَةَ كتب تشتمل على عدة من دواوين الشعراء وأنك ربما قَلَّبْتَ ذلك أو تصفحته أو حفظت القصيدة أو الخمسين منه ؟ فإن كان ذلك هو الذى قوَّى ظنك ، ومَكَّن ثقتك بمعرفتك ، فلم لاتدعى المعرفةَ بثياب بدنك ورَحْل بيتك ونفقاتك ؟ فإنك دَأْباً تستعمل ذلك وتستمتع به ، ولا تخلو من

(١) فى الخطية « ومجريا لك كل علة » (٢) فى المطبوعات « وبارئ البشر » .

ملابسته كما تخلو فى كثير من الأوقات من ملابسة الشعر ودراسته و إنشاده حتى إذا رُمْتَ تصريف دينار بدراهم أو تصريف دراهم بدينار أو ابتياعَ ثوبٍ أو شىء من الآلة لم تثق بفهمك ولا علمك حتى ترجع إلى مَنْ يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك ؟ ولم لَمَّا خِفْتَ الغَبِينةَ فى مالك فأذعنت وسلّمت وأقررت بقلّة المعرفة ، ولم تخش الغبينة والوَكْسَ فى عقلك فتسلّم العلم بالشعر إلى أهله ؟ فإن الضرر فى غَبن العقل أعظم من الضرر فى غبن المال .

فإن قلت : وما العلم بالخيل والبزّ والرقيق والذهب والفضة التى لم يُطبَع الإنسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديئها كما طُبِع على الكلام ؛ فكان كل أحد يكون متكلّما ، وليس كل أحد صيرفيا ولا بزازاً ولا نَخّاسا ؟ .

قيل : ولا كل أحد يكون شاعراً ، ولا خطيباً ، ولا مِنطِيقا بليغا ، ولا بارعا[1] ، ولو كان ذلك كذلك لما رأيت أحداً يتكلم [فيُسْتحسن كلامه ، وآخر يتكلم] فيُضْحَك منه ؛ فالإنسان المتكلم يعلم معانى ألفاظ لغته ، ولا يعلم جيدها من رديئها ، ومُتخيَّرَها من مرذولها ، كما أنه يعلم أيضاً أنواع الثياب والجواهر والخيل والرقيق ، و يميز بين أجناسها ، ولا يعلم جيد كل جنس من رديئه ، وأرْفعَه من أدْوَنِه ، فكما أن المعرفة بكل جنس من هذه صناعة ، فكذلك المعرفة بكل جنس من أجناس الكلام والشعر والخطابة صناعة ، فإذا رجعت فى المعرفة بتلك إلى أهلها فارجع أيضاً فى المعرفة بهذه إلى أهلها .

و بعد ؛ فإنى أدُلُّكَ على ماينتهى بك إلى البصيرة والعلم بأمر نفسك فى معرفتك بأمر هذه الصناعة أو الجهل بها ، وهو أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة فى علم الشعر من تفضيل بعضِ الشعراء على بعض ، فإنْ عَرَفت علّة ذلك فقد علمت ، و إن لم تعرفها فقد جهلت ، وذلك بأن تتأمل شِعرَىْ أوْس بن حَجَر والنابغة الجعدى ؛ فتنظر من أين فَضَّلوا أوساً ، وتنظر فى شعرىْ بشر بن أبى خازم وتميم

(١) فى الخطية « ولامنطيقا بارعا ولا بليغا »

ابن أبى بن مقبل ، فتنظر من أين فَضَّلوا بشرا . وأخبرَنى بعضُ الشيوخ عن أبى العباس ثعلب عن ابن الأعرابى عن المفضّل أن سائلا سأله عن الراعى وذى الرمة أيهما أشعر ، فصاح عليه صَيْحَةً منكرة : أى لا يقاس ذو الرمة بالراعى ، وكذلك غَيْرُ المُفَضّل لا يقيسه به ولا يقارب بينهما ، فتأمل أيضاً شعرَىْ هذين فانظر من أين وقع التفضيل ؛ فهذا الباب أقرب الأشياء لك إلى أن تعلم حالك فى العلم بالشعر ونقده . فإن علمت من ذلك ما علموه ، ولاح لك الطريقُ التى بها قَدَّموا من قَدَّموهُ وأخَّرُوا من أخروه ؛ فَثِقْ حينئذ بنفسك، واحكم يُسْتَمَعْ حكمك وإن لم ينته بك التأمُّلُ إلى علم ذلك فاعلم أنك بمَعْزِل عن الصناعة ، ثم إن كنت شاعرا فلا تظهر شعرك ، واكتمه كما تكتم سرك ، فإن قلت إنك قد انتهى بك التأملُ إلى علم ما علموه لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والأسباب ، فإن لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك حتى تعلم شواهد ذلك من فهمك ودلائله من اختياراتك وتمييزك بين الجيد والردىء[(١)]

ثم إنى أقول بعد ذلك : لعلك — أكرمك الله — اغتررْت بأن شارَفْتَ شيئاً من تقسيمات المنطق ، وجُمَلا من الكلام والجدال ، أو علمت أبواباً من الحلال والحرام ، أو حفظت صَدْراً من اللغة ، أو اطلعت على بعض مقاييس العربية ، وأنك لما أخَذْتَ بطَرَف نوع من هذه الأنواع مُعَاناة ومزاولة ومُتَّصِل عِناية فتوحَّدْتَ فيه ومُيِّزْتَ[(٢)] — ظننت أن كل ما لم تلابسه من العلوم ولم تزاوله يجرى ذلك المجرى ، وأنك متى تعرَّضت له وأمْرَرْتَ قريحتك عليه نَفَذْتَ فيه ، وكشفت لك عن معانيه ، وهيهات ! لقد ظننت باطلا ، ورُمْت عسيراً ؛ لأن العلم — أىَّ نوع كان — لايدركه طالبه إلا بالانقطاع إليه ، والإكباب عليه ، والجد فيه ، والحرص على معرفة أسراره وغوامضه ، ثم قد يتأتى جنسٌ من العلوم

(١) جواب الشرط فى هذه العباره محذوف للعلم به مما قبله من الكلام ، وكأن تقديره : فتوقف فى ادعاء المعرفة ، أو نحوه . (٢) فى الخطية «فتوجهت فيه ومهرت»

لطالبه ويتسهل عليه ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر ؛ لأن كل امرىء إنما يتيسر له ما فى طبعه قبولُه ، وما فى طاقته تعلُّمه ؛ فينبغى — أصلحك الله — أن تَقِفَ حيث وُقِف بك ، وتقنع بما قُسِمَ لك ، ولا تتعدى إلى ما ليس من شأنك ولا من صناعتك .

***

باب
فى فضل أبى تمام

وَجَدْتُ أهل النَّصَفَةِ[1] من أصحاب البحترى ومَنْ يُقَدِّمُ مطبوعَ الشعر دون متكلفه لا يَدْفَعُونَ أبا تمام عن لطيف المعانى ودقيقها ، والإبداع والإغراب فيها ، والاستنباط لها ، ويقولون : إنه وإن اخْتَلَّ فى بعض ما يورده منها فإن الذى يوجد فيها من النادر المستحسن أَكْثَرُ مما يوجد من السخيف المسترْذَل ، وإن اهتمامه بمعانيه أكثر من اهتمامه بتقويم ألفاظه ، على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة ، وإنه إذا لاح له أخرجه بأى لفظ استوى من ضعيف أو قوىٍّ .

وهذا من أعدل كلامٍ سمعته فيه ، وإذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشىء الذى هو ضالة الشعراء وطَلِبَتُهُمْ ، وهو لطيف المعانى ، وبهذه الخلة دون ما سواها فُضِّل امرؤ القيس ؛ لأن الذى فى شعره من دقيق المعانى وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما فى أشعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام ، حتى إنه لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع أو أنواع ، ولولا لطيفُ المعانى واجتهاد امرىء القيس فيها وإقباله عليها لما تقدم على غيره ، ولكان كسائر شعراء أهل زمانه ؛ إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ولا لألفاظه من الجزالة والقوة ما ليس لألفاظهم ، ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احْتَجُّوا فى تقديمه بأن قالوا : هو أول من شَبَّهَ الخيل بالعِصِىِّ ، وذكر الوحش

(١) فى المطبوعات « أهل البصرة »

والطير ، وأول من قال « قَيْدُ الأوابد » وأول من قال كذا ، وقال كذا ، فهل هذا التقديم له إلا لأجل معانيه ؟

وقالوا : وإذا كان قد اضطرب لفظُ أبى تمام واختلّ فى بعض المواضع ، فهل خلا من ذلك شاعر قديم أو مُحْدَث؟ هذا الأعشى يختل[(١)] لفظه كثيراً ، ويُسَفْسِفُ دائماً ، ويرقّ ويضعف ، ولم يجهلوا حقه وفضله حتى جعلوه نظير النابغة ، وألفاظ النابغة فى الغاية من البراعة والحسن ، وعديلاً لزهير الذى صَرَف اهتمامه كُلَّه إلى تهذيب ألفاظه وتقويمها ، وألحقوه بامرىء القيس الذى جمع الفضيلتين ؛ فجعلوهم طبقةً ، وصار فضلُ كل واحد من غير الوجه الذى فَضَلَ به صاحبه ، ولو أن أبا تمام حتى يخلو من كل لفظ جيد البتة أو لو أنه قال بالفارسية أو الهندية :

وإذا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاح لَهَا لِسَانَ حَسُودِ[(٢)]
لَوْلاَ اشْتِعَالُ النَّارِ فِيما جَاوَرَتْ ما كَانَ يُعْرَفُ فَضْلُ عَرْفِ العُودِ

أو قال :

هِيَ البَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدُ وَجْهِهَا
إلى كلِّ مَنْ لاَقَتْ ، وَإِنْ لَمْ تَوَدَّدِ[(٣)]

أو ما أشبه هذا من بدائعه حتى يفسره لنا مفسر بكلام عربى منثور ، أما كان هذا يكون شاعراً محسناً باعثاً شعراء زمانه من أهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه ؟ فكيف وبدائعه مشهورة ، ومحاسنه متداولة ، ولم يأتِ إلا بأبلغِ لفظٍ وأحسنِ سَبْكٍ ؟

* * *

(١) فى المطبوعات « هذا يحيل لفظه كثيرا » .

(٢) سبق ذكر هذين البيتين فارجع إليهما فى (ص١٢٤ و ٢٨٧ من هذا الكتاب)

(٣) البيت من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٠٠) و« تودد » فى آخر البيت أصله تتودد فحذفت منه إحدى التاءين ، وهذا كثير فى كلام العرب جار فى الفصيح منه .

باب

فى فضل البحترى

ووجدت أكْثَرَ أصحاب أبى تمام لا يَدْفَعُونَ البحترىَّ عن حُلْو اللفظ ، وجَوْدة الرَّصف[(١)] ، وحُسن الديباجة ، وكثرة الماء ؛ وأنه أقربُ مأخذاً ، وأسلم طريقاً من أبى تمام ، ويحكمون ـ مع هذا ـ بأن أبا تمام أشعَرُ منه ، وقد شاهدتُ وخاطَبْتُ منهم على ذلك عدداً كثيراً ، وهذا مذهبُ جُلٍّ مَنْ يُرَاعى مما يراعيه من أمرِ الشعرِ دقيقَ المعانى ، ودقيقُ المعانى موجود فى كل أمةٍ ، وفى كل لغة ، وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حُسْنَ التأتّى ، وقُرْبَ المأخذ ، واختيار الكلام ، ووَضْع الألفاظ فى مواضعها ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل فى مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه ؛ فإن الكلام لا يكتسى البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف ، وتلك طريقة البحترى.

قالوا : وهذا أصل يحتاج إليه الشاعر والخطيب صاحب النثر ؛ لأن الشعر أجوده أبلغه ، والبلاغة إنما هى إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سَهْلَة عَذْبَة مستعملة سليمة من التكلف ، لاتبلغ الهَذَرَ الزائد على قدر الحاجة ، ولا تنقصُ نقصاناً يقف دون الغاية ، وذلك كما قال البحترى :

والشعر لَمحٌ تكفى إشَارَتُهُ   وَلَيْسَ بالْهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ[(٢)]

وكما قال أيضا[(٣)] :

وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلَتْهَا القَوَافِى   هَجَّنَتْ شِعْرَ جَرْوَلٍ وَلَبِيدِ

---

(١) فى المطبوعات « الوصف » تحريف

(٢) البيت من قصيدة له يجيب فيها عبيد الله بن عبد الله عن قصيدة كان قد أرسلها إليه (الديوان ١ / ٣٨)

(٣) هذه ثلاثة أبيات من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ١ / ٢٠٦) وجرول : هو الحطيئة

حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الـكلامِ اخْتِيَاراً وتَجَنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيـــدِ
وَرَكِبْنَ اللَّفْظَ الغَرِيبَ فَأَدْرَكْـــنَ بِهِ غايَةَ المَرَامِ البَعِيـــدِ

فإن اتفق — مع هذا — معنى لطيف ، أو حكمة غريبة ، أو أدب حسن ؛ فذلك زائد فى بهاء الـكلام ، و إن لم يتفق فقد قام الـكلامُ بنفسه ، واستغنى عما سواه .

قالوا : و إذا كانت طريقةُ الشاعرِ غيرَ هذه الطريقة ، وكانت عبارته مُقَصِّرة عنها ، ولسانه غير مدركٍ لها حتى يعتمد دقيق المعانى من فلسفة يونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس ، و يكون أكثر ما يورده منها بألفاظ متعسِّفة ونَسْج مضطرب ، و إن اتفق فى تضاعيف ذلك شىء من صحيح الوصف وسليم النظم قلنا له : قد جئت بحكمة وفلسفة ومعانٍ لطيفة حسنة ، فإن شئت دعوناك حكيما ، أو سميناك فيلسوفا ، ولـكن لا نسميك شاعراً ، ولا ندعوك بليغاً ؛ لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ، ولا على مذاهبهم ، فإن سَمَّيناك بذلك لم نُلحقك بدرجـة البلغاء ، ولا المحسنين الفصحاء ، و ينبغى أن تعلم أن سوء التأليف وردىء اللفظ يذهَبُ بطلاوة المعنى الدقيق و يفسده و يعميه حتى يحتاج مستمعه إلى طول تأمل ، وهـذا مذهب أبى تمام فى عظم شعره ، وحُسْنُ التأليف و براعةُ اللفظ يزيد المعنى المـكشوفَ بهاء وحسناً ورَوْنَقاً حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادةً لم تعهد ، وذلك مذهب البحترى ، ولذلك قال الناس : لشعره ديباجة ، ولم يقولوا ذلك فى شعر أبى تمام ، و إذا جاء لطيف المعانى فى غـير بلاغة[1] ولا سَبْك جَيِّدٍ ولا لفظ حسن كان ذلك مثل الطِّرَاز الجديد على الثوب الخَلَقِ ، أو نفث العبير على خد الجارية القبيحة الوجه .

وأنا أجمع لك معانى هذا الباب فى كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر : زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة

(١) فى المطبوعات « فى غير غرابة »

أشياء ، وهى : جودة الآلة ، و إصابة الغرض المقصود ، وصحه التأليف ، والانتهاء إلى نهاية الصَّنْعَة[1] من غير نقص منها ولا زيادة عليها .

وهذه الخِلالُ الأربع ليست فى الصناعات وحدها ، بل هى موجودة فى جميع الحيوان والنبات .

ذكرتِ الأوائلُ أن كل مُحْدَث مصنوعٍ محتاجٌ إلى أربعة أشياء : علة هَيُولاَنية وهى الأصل ، وعلة صورية ، وعلة فاعلة ، وعلة تمامية .

فأما الهَيُولىٰ فإنهم يَعْنُونَ الطينةَ التى يبتدعها البارى تبارك وتعالى ويخترعها ليصور ما شاء تصويره من رجل أو فرس أو جَمَلٍ أو غيرها من الحيوان ، أو بُرَّة أو كَرْمَة أو نخلة أو سِدْرَة أو غيرها من سائر أنواع النبات .

والعلة الفاعلة هى تأليف البارى جلّ جلاله لتلك الصورة .

والعلة التمامية هو أن يُتِمَّهَا تعالى ذكره ويفرغ من تصويرها من غير انتقاصٍ منها .

وكذلك الصانع المخلوق فى مصنوعاته التى علّمه الله عز وجل إياها : لا تستقيم له وتَجُود إلا بهذه الأربعة ، وهى : آلة يستجيدها ويتخيرها مثل خشب النجّار وفضة الصائغ وآجُرّ البنّاء وألفاظ الشاعر والخطيب ، وهذه هى العلة الهيولانية التى قدموا ذكرها وجعلوها الأصل ، ثم إصابة الغرض فيما يقصد الصانع صَنْعَتَه ، وهى العلة الصورية التى ذكرتها ، ثم صحة التأليف حتى لا يقع فيه خلل ولا اضطراب ، وهى العلة الفاعلة ، ثم أن ينتهى الصانعُ إلى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها ، وهى العلة التمامية .

فهذا قولٌ جامع لكل الصناعات والمخلوقات ، فإن اتفق الآن لكل صانع بعدَ هذه الدعائم الأربع أن يُحْدِثَ فى صنعته معنى لطيفا مستغربا كما قلنا فى

(١) فى الخطية « إلى تمام الصنعة »

الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد فى حُسْن صنعته وجَوْدتها ، وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها .

وقد ذكر بُزُرْجَمِهْرُ فضائل الكلام ورذائله ، وبعض ذلك دليل فى الشعر ، فقال : إن فضائل الكلام خَمْسٌ لو نَقَصَ منها فضيلة واحدة سَقَطَ فضلُ سائرها ، وهى : أن يكون الكلام صدقا ، وأن يوقع موقع الانتفاع به ، وأن يتكلم به فى حينه ، وأن يحسن تأليفه ، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة . قال : ورذائله بالضد من ذلك ؛ فإنه إن كان صدقا ولم يوقع موقع الانتفاع به بَطَلَ فضلُ الصدق منه ، وإن كان صدقا وأوقع موقع الانتفاع به [ولم يتكلم به فى حينه لم يُغْنه الصدق ولم ينتفع به ، وإن كان صدقا وأوقع موقع الانتفاع به] وتكلم به فى حينه ولم يحسن تأليفه لم يستقرّ فى قلب مستمعه ، وبطل فضل الخلال الثلاث منه ، وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به وتكلم به فى حينه وأحسن تأليفه ، ثم استعمل منه فوق الحاجة خرج إلى الهَذَر ، أو نقص عن التمام صار مبتورا وسقط منه فضل الخلال كلها .

وهذا إنما أراد به بُزُرْجَمِهر الكلامَ المنثور الذى يخاطَبُ به الملوك ، ويقدّمه المتكلم أمام حاجته ، والشاعر لا يُطَالَبُ بأن يكون قوله صدقاً ، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به ؛ لأنه قد يقصد إلى أنه يوقعه موقع الضرر ، ولا أن يجعل له وقتاً دون وقت ، وبَقِيَت الخلّتَانِ الأخْرَيان ، وهما واجبتان فى شعر كل شاعر ، وذلك أن يحسن تأليفه ، ولا يزيد فيه شيئاً على قدر حاجته ؛ فصحة التأليف فى الشعر وفى كل صناعة هى أقوى دعائمه بعد صحة المعنى ، فكلُّ مَنْ كان أصحَّ تأليفاً كان أقْوَمَ بتلك الصناعة ممن اضطرب تأليفه .

وقد انتهيْتُ الآن إلى الموازنة بينهما ، ولله الحمدُ والمِنَّةُ ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

وقد انتهيت الآن إلى الْمُوَازَنةِ ، وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين ، إذا اتفقتا فى الوزن والقافية و إعْرَاب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعانى التى إليها المَقْصِدُ ، وهى المَرْمى والغرض .

و بالله أستعين على مجاهدة النفس ، ومخالفة الهوى ، وتَرْك التحامل ؛ فإنه جَلّ اسمُهُ حسبى ونعم الوكيل .

وأنا ابتدىء بإذن الله من ذلك بما افتتحا به القول : من ذكر الوقوف على الديار والآثار ، ووَصْف الدِّمَن والأطلال ، والسلام عليها ، وتَعْفية الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها ، والدعاء بالسُّقْيا لها ، والبكاء فيها ، وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وما يَخْلُف قَطِينها الذين كانوا حُلُولاً بها من الوَحْشِ ، وفى تعنيف الأصحاب ولومهم على الوقوف بها ، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها . وأقدّم من ذلك ذكر ابتداءات قصائدهما فى هذه المعانى ، إن شاء الله .

* * *

الابتداءاتُ بذكر الوقوف على الديار

قال أبو تمام :

مَا فِى وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ   نَقْضِى حُقُوقَ الأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ (١)

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن المعتصم بالله (الديوان ١٨٨) وفيه وفى الخطية « نقضى ذمام الأربع الأدراس » وسينشده المؤلف على هذا الوجه قريباً ، (ص٣٨٩) والذمام : العهد ؛ والأربع : جمع ربع ،وهو الدار ، والأدراس: جمع دارس — كما قال المؤلف - والدارس : العافى المتغير .

وهذا ابتداء جيد صالح ، وقوله « الأدراس » جمع دارس ، وقَلَّما يُجمع فاعل على أفعال ، ومنه : شاهد وأشهاد ، وماجد وأمجاد ، وصاحب وأصحاب .

وقال أيضاً :

قِفُوا جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بِالْمَعَاهِدِ
وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدَانِ نَاشِدِ(١)

أراد لنشدان الناشد الذى يقول : أين أهْلُكِ يا دَارُ ؟ كما ينشد الناشد الضَّالَّةَ إذا طلبها .

وقال أيضاً :

قِفْ بِالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ عُلاَثَا أَضْحَتْ حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَاثَا(٢)

عُلاَثة : اسم صاحبه ، أراد قف يا عُلاَثة ، وهذان ابتداءان صالحان .

وقال أيضاً :

قِفْ نُؤَبِّنْ كِنَاسَ هٰذَا الْغَزَالِ إِنَّ فِيهِ لَمَسْرَحًا لِلْمَقَالِ(٣)

التأبين : مَدْح الهالك ، والكِنَاس هنا : الرَّبْع ، و إنما يريد الخَيْمة أو البيت من بيوتهم ، سماه كِناساً لأنه جعَل المرأة غزَالا : أى قِفْ بنا نَنْدبه فإن المقال يَتَّسِع فيه ، وهذا أيضاً بيتٌ جيد ومعنى حسن مستقيم .

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم (الديوان ١١٦) والعهد : الموثق ، والمعاهد: جمع معهد ، وهو المنزل الذى كنت تعهده ورجعت إليه بعد مافارقته .

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٦٤) والطلول : جمع طلل ، وهو مابقى شاخصا من آثار الديار ، والدارسات : جمع دارس ، وقد تقدم شرحه فى الهامشة رقم ١ فى الصحيفة السابقة ، والقطين : الساكن ،فعيل بمعنى فاعل ، والرثاث : جمع رث ، وهو البالى .

(٣) لايوجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع ، وفى المطبوعات السابقة «إن فيها لمسرحا» .

وقال :

لَيْسَ الوُقُوفُ يَكُفُّ شَوْقَكَ فَانْزِلِ
وَأَبْلُلْ غَلِيلَكَ بِالْمَدَامِعِ يُبْلَلِ (١)

وهذا معنى ظريف ، وقد جاء مثله فى الشعر ، قال الأصم الباهليُّ ـ واسمه عبد الله بن الحجاج ـ ولا أعرف غيره ، وأظن أبا تمام عَثَرَ به واحتذى عليه ؛ لأنه كان مُولَعاً بغرائب الألفاظ والمعانى :

أَتَنْزِلُ اليَوْمَ بالأَطْلَالِ أَمْ تَقِفُ ؟
لاَ ، بَلْ قِفِ العِيسَ حَتى يَمْضِيَ السَّلَفُ

السلف : المتقدمون ، وإنما قال ذلك لأن الوقوف على الديار إنما هو وقوف المَطِيّ ، ولا يكادون يذكرون نزولاً .

وأنشد منشدٌ قول كُثَيرٍ وكثيرٌ يسمع :

وَقَضَّيْنَ مَا قَضَيْنَ ثُمَّ تَرَكْنَنِي بِفَيْفَا خُرَيْمٍ قَاعِداً أَتَبَلَّدُ (٢)

فقال كثير : أنا ما قلت كذا ، أتراني قاعداً أصنع ماذا ؟ قيل : فجالساً ؟ قال : ولا هذا ! أجالساً كنت أبول ، قيل : فما قلت ؟ قال : واقفاً ؛ يريد واقفاً على مطيته فهذا هو المعروف من عاداتهم .

وقد قال كثير :

خَلِيلَيَّ هَذَا رَبْعُ عَزَّةَ فَاعْقِلاَ قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ (٣)

(١) البيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢٣٣) وفيه «وابلل غليلا بالدموع فيبلل» وماهنا أحسن ، ويكف : يمنع ، والغليل : العطش .

(٢) هذا ثانى بيت من قصيدة له (انظر ديوان كثير ١ / ١١٤) وفيه « وأجمعن بينا عاجلا وتركننى » وفيه « قائما أتبلد » ووقع فى المطبوعات « بفيفا جريما » وهو تصحيف شنيع ، وخريم : ثنية بين جبلين بين المدينة والروحاء ، وسينشده المؤلف أول بيتين عند الموازنة بين قولهما فى البكاء على الديار ص ٤٢٦

(٣) انظر ديوان كثير (١/٣٦ طبع الجزائر) واعقلا قلوصيكما : شداها بالعقال ، والقلوص : الناقة الشابة

والقلوصُ لا يَعْقلها راكبُهَا إلا إذا نزل عنها ، والعَقْل فوق الركبة .

***

وقال البحترى :

مَا عَلَى الرَّكْبِ مِنْ وُقُوفِ الرِّكَابِ
فِى مَغَانِى الصِّبَا وَرَسْمِ التَّصَابِى ؟(١)

التصابى : التفاعل من صَبَا يَصْبُو إذا اشتاق ، وإذا فَعَلَ فِعْلَ الصبى .

وقال أيضاً :

ذاكَ وَادِى الأراكِ فَاحْبِسْ قَلِيلاً
مُقْصِراً مِنْ مَلاَمَتِى أَوْ مُطِيلاَ(٢)

وهذان ابتداءان فى غاية الجودة .

وقال أيضا :

قِفِ العِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطَاهَا كَلاَلُهَا
وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا(٣)

وهذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد ؛ لأنه قال « أدنى خطاها كلالها » أى : قارَبَ من خطوها الكلالُ ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الديار التى تعرَّض لأن يشفيه ، وإنما وقف لإعياء المطى .

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب (الديوان ١ / ٧٠) والركب : اسم جمع واحده راكب ، ويقال : هو جمع راكب ، وقد خصوه بركاب الإبل ، والمغانى : المنازل يقيم فيها أهلها ، وواحدها مغنى .

(٢) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن عيسى القمى (الديوان ٢ / ٢١٠) وفيه « مقصرا من صبابة أو مطيلا » .

(٣) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله (الديوان ٢ / ١٧٩) وقد تقدم ذكره فى ص ٣٤٥ وسيأتى فى ٣٩١ ، وفى الحطية هنا « قد أحفى خطاها » .

والجيد قولُ عنترة :

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا فَدَنٌ لأَقْضِيَ حَاجَةَ المُتَلَوِّمِ(١)

فإنه لما أراد [ذكر] الوقوف احتاط بأن شبّه ناقته بالفَدَن ، وهو القَصْر ؛ ليُعلم أنه لم يقفها ليريحها .

وقد كشف ذو الرُّمة هذا المعنى وأحسن فيه وأجاد ، فقال :

أَنَخْتُ بِهَا الوَجْنَاءَ لاَ مِنْ سَآمَةٍ لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ اثْنَيْنِ جَاءٍ وَذَاهِبِ(٢)

يقول : أنختها لأن أصَلِّيَ ، لا من سآمة ، هكذا فسروه ، وقوله « لثنتين » يعنى [ركعتى العَصْر] اللتين يقصرهما المسافر « بين اثنين جاء » يريد الليل « وذاهب » يريد النهار .

فإن قيل : إنما قال « أدْنَى خطاها كلالها » ليُعْلَمَ أنه قصد الدار من شقة بعيدة فيكون أبْلَغَ فى المعنى .

قيل : العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتاز بها ، فإن كانت واقعة على سَنَن الطريق قال الذى له أرَبٌ فى الوقوف لصاحبه أو أصحابه : قِفْ ، وقِفَا ، وقِفُوا ، وإن لم تكن على سَنَن الطريق قال : عُوجَا ، وعَرِّجَا ، وعُوجُوا ، وعَرِّجُوا ، كما قال امرؤ القيس :

عُوجَا على الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنَا
نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حِذَامِ(٣)

وإذا عرَّجوا كان التعريج أشقَّ على الركب والركاب من الوقوف ؛ لأن لها

(١) قد تقدم ذكر هذا البيت مشروحا (انظر ص ٣٤٥ من هذا الكتاب) .

(٢) وقد مضى ذكر هذا البيت أيضاً (انظر ص ٣٤٦ من هذا الكتاب)

(٣) الطلل المحيل ، ومثله المحول : الذى أتى عليه حول ، وقال الكميت :

أَأَبْكَاكَ بِالْعُرُفِ المَنْزِلُ وَمَا أَنْتَ وَالطَّلَلُ المُحْوِلُ

وقد اضطرب الرواة فى ضبط « ابن حذام » ؛ فمنهم من يجعله بالحاء المهملة ومنهم من يجعله بالخاء المعجمة ، ورواه فى اللسان (خ ذ م) بالخاء والذال المعجمتين

فى الوقوف حيث انتهت راحة ، والتعريج فيه زيادة فى تَعَبها وكَلاَلها ، وإن قلّتِ المســافة ، كما قال أبو تمام :

وما بِكَ إرْكَابِى مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَباً ... أَلاَ إنَّمَا حَاوَلْتَ رُشْدَ الرَّكَائِبِ (١)

لأن هذا القول منه دلّ على التعريج والتردد فى الرسوم ، أو أن أصحابه أرادوا أن يستمرّ فى السير ولا يَتَعَوَّقَ فى الوقوف فيعود عليها ذلك بضرر فى العاقبة وإن أكسبها راحة ما فى الوقوف ، فقال له أبو تمام « إنما حاولت رشد الركائب » لا رشـدى ، فأما الأصمعى فإنه يرى التعريج أيضاً وقوفا لا عدولا ، قال أبو حاتم : قلت له : ما معنى عَرِّجْ ؟ قال : قِفْ ، فقلت : يقال : عَرَّج إذا عَدَل ؟ فقال : لا ، وأنشد بيت ذى الرمة :

يَا حَادِيَىْ بنت فضاض أمَا لَـكُمَا ... - حَتَّى نُـكَلِّمَهَا - هَمٌّ بِتَعْرِيجِ

أى هَمٌّ بوقوف ، وهذا لا يمنع أن يكون هَمٌّ بعدول ، ونفس الاشتقاق يَدُلُّ على العدول ، والله أعلم .

وقال كثير يصف السَّيْلَ :

فَطَوْراً يَسِيلُ عَلَى قَصْـــدِهِ ... وطَوْراً يُعَرِّج ألاَّ يَسِيـــــلاَ

فلو كان هناك قصد إلى الدار من جماعتهم أو منه وحده لمـا لاموه ، ولا عنفوه على احتباسه وإطالته ، ولا استعجلوه وهو دائبا يسألهم التلوُّمَ عليه والتوقُّفَ معه .

وهذه طريقة القوم فى الوقوف على الديار ، ولهم فيها من الأشعار ما هو أشهر وأكثر من أن أحتاج إلى ذكره ، وتلك سبيل سائر المحدَثِينَ ، وطريقة الطَّائِيَّيْنِ ما عَدَلاَ عنها ، ولا خرجا إلى غيرها ، ألا ترى إلى قول أبى تمام :

ما فى وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ ... نَقْضِى ذِمَامَ الأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ (٢)

كيف سأل صاحبه أن يقف عليه ساعةً ؟ ثم قال بعد بيت آخر :

---

(١) البيت خامس أبيات قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسي العجلى (الديوان ٤١) .

(٢) قد مضى ذكر هذا البيت قريباً (انظر ص ٣٨٤ من هذا الكتاب) .

لا يُسْعِدُ الْمُشْتَاقَ وَسْنَانُ الهَوَى يَبِسُ الْمَدَامِعِ بارِدُ الأنْفَاسِ

وقوله :

لا تَمْنَعَنِّى وَقْفَةً أَشْفِى بهـا دَاءَ الفِرَاقِ فإنهـا ماعُونُ(١)

وقال البحترى :

يا وَهْبُ هَبْ لأخيكَ وَقْفَةَ مُسْعِدٍ يُعْطِى الأَسَى مِنْ دَمْعِهِ المَبْذُولِ(٢)

وقال أيضا :

قِفْ بِهَا وَقْفَةً تَرُدُّ عَلَيْهَا أَدْمُعاً رَدَّهَا السُّرَى أَنْضَاءَ

وقال أيضا :

ماذا عليكَ مِنَ انتظار مُتَيَّمٍ بَلْ ما تَضُرُّكَ وَقْفَةٌ فى مَنْزِلِ

وقال أيضاً :

خَلِيـلَاهُ وَقْفَةً فِى الرُّسُومِ يَخْلُ مِنْ بَعْضِ بَثِّهِ المَكْتُومِ(٣)

ثم إنا ماعلمنا أحداً قصَدَ داراً عفَتْ من شُقَّةٍ بعيدة ، واحداً كانَ أو فى جماعة ، للتسليم عليها ، والمسألة لها ، ثم انصرفوا راجعين من حيث جاءوا ، و إن هذا ما سُمِـع به ، ولا هو من أغراضهم ؛ إذ ليس فيه جَدْوَى ، ولا يؤدِّى إلى فائدة ، لأن المحبوب إن كان حيًّا موجوداً فقصْد رِباعه ومَوَاطنه التى هو قاطنها والإلمامُ به فيها أولى وأحْرَى ، و إن كان ميتا فالإلمام بناحية الأرض التى فيها حُفرته أولى وأحْرَى ، وعلى أنهم لايكادون يَزُورُونَ القبورَ ، و إنما وقفوا على الديار ، وعَرَّجوا عليها عند الاجتياز بها والاقتراب منها ؛ لأنهم تذكروا عند مُشَارَفتها أوطارَهم فيها ، فنازعتهم

(١) البيت ثالث أبيات قصيدة يمدح فيها أبو تمام الواثق بالله (الديوان ٣٢٨) والماعون : كل شىء ينتفع به ، وهو يشير إلى قوله تعالى فى ذم بعض الناس : (الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) يعنى أنه مما يجمل بذله لطالبه ويذم مانعه .

(٢) البيت ثالث أبيات قصيدة يمدح فيها البحترى المفضل بن إسماعيل الهاشمى (الديوان ٢/٢٠٥) .

(٣) البيت سادس أبيات قصيدة يمدح البحترى فيهـا إبراهيم بن المدبر (الديوان ٢/٢٦٠)

نفوسهم إلى الوقوف عليها ، والتلوُّم بها ، ورأوا أن ذلك من كَرَم العهد وحُسْنِ الوفاء ، ألا ترى إلى قول أبي تمام :

أَمَوَاطِنَ الفتيان نَطْوِى لَمْ نَزُرْ   شَوْقًا ولَمْ نَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدًا ؟(١)

ويروى « لم نزر شَعَفًا » أى : كيف نطوى الرسوم والدمن التى هى مواقف أهل الفتوة ، يريد الكرام ، ولم نزر حَزْنًا لها ولا سهلا ، لأنه أراد بالشعف ما ارتفع من الأرض وعلا ، وأراد بالصعيد ما اطمأنَّ من الأرض وسفل ، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذى فيه التراب ، وأكثر ما يكون فيما اطمأن من الأرض ، لا فيما عَلاَ ، فكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوَّة والمروءة ، وأن طَيَّها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسوء العهد .

وما أحسن ما قال أبو نُوَاس :

وإذا مَرَرْتَ على الدِّيَارِ مُسَلِّمًا   فَلِغَيْرِ دَارِ أُمَيْمَةَ الهِجْرَانُ

على طريقة القوم المعتادة .

وقال البحترى يخاطب نفسه أو صاحباً معه:

قِفِ العِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطَاهَا كَلاَلُهَا

وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا(٢)

فمن زعم أن البحترى بهذا القول كان قاصداً للدار وغير مجتازٍ احتاج إلى دليل من لفظ البيت يدل عليه ، ولا سبيل له إلى ذلك .

فإن قيل : ولم لا يكون للمطية حق على من بَلَّغته منازلَ الأحباب يوجب أن يكرمها ويريحها كما قال أبو نُوَاس :

وإذا المَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا   فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ

قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الحَصَى   فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وذِمَامُ

---

(١) البيت خامس أبيات قصيدة يمدح أبو تمام فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٨٧)

(٢) سبق قريباً ذكر هذا البيت (انظر ص ٣٤٥ و ٣٨٧ من هذا الكتاب) .

قيل : هذا أصلٌ آخرُ طريقُه غيرُ طريقِ الوقوف على الديار ، ولا يقاس أصلٌ على أصلٍ ، و إنما يقاس على الأصل فروعُه التى تتفرّع منه ، وهذا الشرط فى كل علم . وقال أبو نُواس فى موضع آخر يخاطب ناقته أيضاً :

فلَمْ أجْعَلْكِ للغــــربان نَحْلاً وَلَمْ أقُلِ أشْرَقِى بدَمِ الْوَتِينِ

يريد قول الشماخ ، والشماخ إنما قال :

إذَا بَلّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فَاشْرَقِى بدَمِ الْوَتِينِ

لأنه رأى ناقته قد شفّها السيرُ وهَزَلها وأنضاها حتى دَبِرَت ، وذلك قوله :

إلَيْــكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِي تَشَــكّى كُلوماً بَعْدَ مَحْفدِها السَّمِينِ (١)

فيقول : إذا بلغتنى عَرابةَ فلا أبالى أن تَهْلِكى ، وهذا ليس بدُعَاء عليها ، و إنما أراد أنك إذا بَلّغتنيه فقد بلغتُ الغنى وأدركتُ العوض منك ؛ فهذا معنى وقولُ أبى نواس له معنى آخر ، وليس بضد لقول الشماخ ، و إنما يُضَاده قولُ المرأة التى قالت : يارسول الله ، إنى نَذَرْتُ إن بَلّغَتْنى ناقتى هذه إليكَ أن أنحرَها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَبِئْسَ مَا جَزَيْتِها » لأن هذه قصدَتْ أنْ جعلت جزاء التبليغ النّحْرَ ؛ فهذان المعنيان يتضادان ، وقول الشماخ خارج عنهما ، فإنه أصل ثالث ، والوجه الذى جاء به البحترى فى الوقوف على الديار وتحرّزَ منه عنترة وذوالرمة وجه غير هــذه الوجوه ، وطريقة غير هذه الطرق ، ولم أقل إنه خطأ ، و إنما قلت : إن المعنى غير جيد ، فإن التمست العذر للبحترى قلنا : إنه وصف حقيقة أمر العيسِ عند الوصول إلى الدار ، وهذا مذهبٌ من مذاهب العرب عامٌّ فى أن يَصِفُوا الشىء على ماهو ، وعلى ما شوهد ، من غير اعتماد لإغراب ولا إبداع ، وربما ورد هذا الوجه على ألسنتهم أحْسَنَ من كل معنى بديع مستغرب ، وربما وقع فيــه مثلُ هــذا الخلل لقلة التحرُّز ، وسترى للبحترىِّ وغيره فى هذا الــكتاب مِنْ هذا النوع فى مواضعه ماهو أجود من كل جيد ، إن شاء الله .

---

(١) المحفد ـ بزنة المجلس ، أو بزنة المنبر ـ شىء كالمكتل تعلف فيه الإبل .

وقال البحترى :

عَرِّجْ بِذِى سَلَمٍ فَثَمَّ الْمَنْزِلُ فَيَقُولُ صَبٌّ مَا أَرَادَ وَيَفْعَلُ[1]

وهذا ابتداء جيد ، وقد رواه قوم « ليقول صبٌّ ما أراد ويَفْعَلُ » والنصب أجود فى الروايتين ، والرفع له وجه ، والمتأخرون لا يكادون يَسْلَمُون من اللحن ، وهو فى أشعارهم كثير جداً .

وقال :

كَمْ مِنْ وُقُوفٍ عَلَى الأَطْلَالِ وَالدِّمَنِ
لَمْ يَشْفِ مِنْ بُرَحَاءِ الشَّوْقِ ذَا شَجَنِ[2]

وهذا أيضاً ابتداء جيد .

وقال أيضاً :

أُسْتَوْقِفِ الرَّكْبَ فِى أَطْلَالِهِمْ وَقِفَا
وَإِنَّ أَجَدَّ بِلَى مَأْثُورِهَا وَعَفَا[3]

يقال : أجَدَّ فى أمره من الانكماش ، وجَدَّ ، وهذا ابتداء صالح .

[وقال] :

قِفَا فِى مَغَانِى الدَّارِ نَسْأَلْ طُلُولَهَا عَنِ النَّفَرِ اللَّائِينَ كَانُوا حُلُولَهَا[4]

وهذا الابتداء ليس بالجيد ؛ من أجل قوله « اللائين » ؛ لأنها لفظة ليست بالحلوة [ولا مُشتهَاة] ، وليست مشهورة .

---

(١) الذى فى ديوان البحترى المطبوع بمصر ، فى مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ٢/١٥٧) قوله :

لولا تعنفنى لقلت المنزل معنى تبينه ومعنى مشكل
وبوقفة يشفى غليل صبابة ويقول صب ما أراد ويفعل

وفى الخطية « عرج بذى سلم ففيه المنزل »

(٢) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن مخلد (الديوان ٢ / ٣٠٦)

(٣) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع فى مصر .

(٤) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان ٢ / ١٩٩)

فهذا ما ابتدأ به من ذكر الوقوف ، وأجعلهما فيه متكافئين ؛ من أجل براعة بيتى البحترى الأوَّلَيْنِ ، وأنهما أجود من سائر أبيات أبى تمام ، ولأن للبحترى فى الباب التقصيرَ الذى ذكرته له ، وليس لأبى تمام مثله(١) .

***

التسليم على الديار

قال أبو تمام :

دِمَنٌ أَلَمَّ بِهَا فَقَالَ : سَلاَمُ كَمْ حَلَّ عُقْدَةَ صَبْرِهِ الإِلْمَامُ(٢)

هذا المصراع الأول فى غاية الجَوْدة والبَرَاعة والحسن والصحة والحلاوة ، وعجز البيت أيضاً جيد بالغ .

وقال :

سَلِّمْ عَلَى الرَّبْعِ مِنْ سَلْمَى بِذِى سَلَمِ
عَلَيْهِ وَسْمٌ مِنَ الأَيَّامِ وَالقِـــدَمِ(٣)

وهذا ابتداء ليس بالجيد ؛ لأنه جاء بالتجنيس فى ثلاثة ألفاظ ، وإنما يحسن إذا كان بلفظتين ، وقد جاء مثله فى أشعار الناس ، والردىء لا يُؤْتَمُّ به .

وقال الأُبَيْرِد بن المعذل الرياحى :

جَزِعْتَ وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الْبَيْنِ مَجْزَعَا
وَكُنْتَ بِذِكْرِ الْجَعْفَرِيَّةِ مُـــولَعَا

وقد جعل بعض الرُّواة هذا البيت أوّل قصيدة لامرىء القيس على هذا

---

(١) فى مطبوعات هذا الكتاب السابقة « ولأن البحترى فى الباب القصير الذى ذكرته » وهو كلام أعجمى ، وما أثبتناه عن المخطوطة ، وهو مستقيم له معنى مرضى .

(٢) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المأمون كما فى الديوان (٢٧٩) والدمن : جمع دمنة ، وهى أثر الديار ، وألم بها : نزل .

(٣) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان ٢٦٧) ، والربع : المنزل ، وذو سلم : موضع ، والوسم : العلامة .

الوزن ، وذلك باطل ، وما ينبغى للمتأخر أن يحتذى الأخذ إلا للجيد المختار ؛ لسَعَةِ مجاله ، وكثرة أمثلته .

وقال البحترى :

هٰذِى المَعَاهِدُ مِنْ سُعَادَ فَسَلِّمِ ... وَاسْأَلْ وَإِنْ وَجَمَتْ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ (١)

وقال أيضاً :

أَمَحَلَّتَىْ سَلْمَى بِكَاظِمَةَ اسْلَمَا ... وَتَعَلَّمَا أَنَّ الهَوَى مَا هِجْتُمَا (٢)

وهذان ابتداءان جيدان .

وقال أيضاً :

حُيِّيتُمَا مِنْ مَرْبَعٍ وَمَصِيفِ ... كانَا مَحَلَّىْ زَيْنَبٍ وَصَدُوفِ (٣)

وهذا ابتداء صالح

وقال أيضاً :

مِيلُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ لَيْلَى نُحَيِّيهَا ... نَعَمْ ، وَنَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِيهَا (٤)

وهذا البيت ردىء ؛ لقوله « نعم » وليس بالمعنى إليها حاجة ، جاء بها حَشْواً . ومن الحشو مالا يقبح ، و « نعم » ههنا قبيحة ، وقد أولع بها كُثَيِّر بن عبد الرحمن فى ابتداءاته فقال :

أَمِنْ أُمِّ عَمْرٍو بِالْخَرِيقِ دِيَارُ ... نَعَمْ دَارِسَاتٌ قَدْ عَفَوْنَ قِفَارُ

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الهيثم الغنوى (الديوان ٢/٢٣١) ووقع فى الأصول « هذى المعاهد من سليم » وأثبتنا رواية الديوان .

(٢) هــذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابنى المدبر (الديوان ٢/٢٣٩) وسينشده المؤلف أول ثلاثة أبيات فى البكاء على الديار ص ٤٢٨ وفى الخطية هنا « أن الجوى ماهجتما »

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها وصيفا الكبير (الديوان ٢ / ١١٦) وفيه « حييت من متربع ومصيف » .

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله ، ويصف البركة (الديوان ٢ / ٣١٨) .

وقال :

أَمِنْ آلِ سَلْمَى الرَّكْب أَمْ أَنْتَ سَائِلُ

نَعَمْ ، وَالْمَغَانِى قَدْ دَرَسْنَ مَوَائِلُ

وقال :

أَهَاجَتْكَ لَيْلَى إِذْ أَجَدَّ رَحِيلُهَا نَعَمْ ، وَثَنَتْ لَمَّا احْزَأَلَّتْ حُمُولُهَا

احْزَأَلت : انتصبت وارتفعت .

وقال :

أَبَائِنَةٌ سُعْدَى ؟ نَعَمْ سَتَبِينُ كَمَا انْبَتَّ مِنْ حَبْلِ القَرِينِ قَرِينُ

وهى فى كل هذه الأبيات رديئة ، وموضعها من هذا البيت الأخير أصلح ؛ لأن إسقاطها من الجميع يَحْسُن ، ولا يحتاج الاستفهام فيها إلى جواب ، إلا هـذا البيت فإن الاستفهام فيه يقتضى أن يكون « نعم » جوابا له ، ومع هذا فليس لهـا حلاوة ولا حسن ، ولـكثير استفهامات لا جواب لها على عادات الشعراء المحسنين

ومنها قوله :

مِنْ آلِ قَيْلَةَ بِالدَّخُولِ رُسُومُ وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدِيمُ

وكل أبيات كُثَيِّرٍ أجود من بيت البحترى ؛ لأن « نعم » فيها جواب ، وهى فى بيت البحترى حشْو ، وقال البحترى فى بيته «نحييها » والأجود « نحيها » جُزِمَ لأنه جواب الأمر ، وقد يكون « نحييها » رفعاً على الحال ، والجواب ههنا أجود من الحال .

فهذا ما وجدته من تسليمهما على الديار ، وأبو تمام عندى فى قوله « دمن ألم بهاَ فقال سلام » أشعر من البحترىّ فى سائر أبياته

وما سمعت من التسليم على الديار أحسن من قول أبى نُوَاس :

وَإِذَا مَرَرْتُ عَلَى الدِّيَارِ مُسَلِّماً فَلِغَيْرِ دَارِ أُمَيْمَةَ الهِجْرَانُ

* * *

ما أبتدآ به من ذكر تعفية الدهور والأزمان للديار

قال أبو تمام :

لَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ دَارِ مَاوِيَةَ الْحُقْبُ
أَنُحْلُ الْمَغَانِي لِلْبِلَى هِيَ أَمْ نَهْبُ ؟(١)

أراد أَنُحْلٌ المغانى لِلْبِلَى ، فحذف التنوين ، والْحُقْبُ : الدهر ، وجمعه أحقاب ، والحِقَبُ : السِّنُون ، واحدتها حِقْبَة ، وقال « لقد أخذت » فأنَّثَ والْحُقْبُ مذكر ، وأظنه أراد أيام الدهر ولياليه ، ويقال : الحقب ثمانون سنة ؛ فعلى هذا قال « أَخَذَتْ »

وقال أيضاً :

قَدْ نَابَتِ الْجِزْعَ مِنْ مَاوِيَةَ النُّوَبُ وَاسْتَحْقَبَتْ جِدَّةً مِنْ رَبْعِهَا الْحِقَبُ(٢)

« واستحقبت » أى جعلت الحِقَبُ ـ وهى السنون ـ جِدَّةَ الربع فى حقيبتها ، والحقيبة : ما يحتقبه الراكب ، وهو وعاء يجعله خلفه إذا ركب ويُحْرِزُ

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى (الديوان ٣٠) والنحل : العطاء بلا عوض ، والمغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل الذى يقيم فيه أصحابه ، وقول المؤلف فى التعليق على هذا البيت « أراد أنحل المغانى » هو بالتنوين ، ويجوز هذا الوجه ، ويكون « نحل » مبتدأ ، و « المغانى » فاعل أغنى عن الخبر ، أو يكون « نحل » خبرا مقدما ، و « المغانى » مبتدأ مؤخراً . وهذا الوجه الذى ذكره ليس بلازم ، بل يجوز أن يكون « نحل » خبرا مقدما و « المغانى » مضافا إليه ، و « هى » مبتدأ مؤخرا ، وكأنه يستغرب أن يكون دور ماوية من بين سائر الدور نحلا للدهر يعصف بها ، ولا يكون قد حذف التنوين إلا للاضافة .

(٢) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ٤٦) وفيه « قد نابت الجزع من أروية » ونابت : أصابت ، والجزع : منعطف الوادى ، والنوب : المصائب ، واحدها نائبة ، وقد فسر المؤلف بقية مفردات البيت .

فيه متاعه وزاده ، وهذه استعارة حسنة ، و إنما يريد أن الحقب سَلَبَتِ الربع جِدَّته وذهبت بها .

وقال البحترىُّ :

أرسُومُ دَارٍ أمْ سُطُورُ كِتَابِ دَرَسَتْ بَشَاشَتُهَا على الأحْقَابِ (١)

أى: على مر السنين، وهذا البيت أبرع من بيتى أبى تمام لفظا، وأجود سَبْكا وأكثر ماء ورَوْنقاً ، وهو من الابتداءات النادرة العجيبة، والمشبهة لكلام الأوائل؛ فهو فيه أشعر من أبى تمام .

* * *

وفى إقْوَاء الديار وتَعَفِّيها

قال أبو تمام :

طَلَلَ الجْمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيداً

وَكَفَى عَلى رُزْئِى بِذَاكَ شَهِيدَا (٢)

أراد « وكفى بأنه مضى حميداً شاهداً على أنى رزئت » وكان وجه الكلام أن يقول : وكفى برزئى شاهداً على أنه مضى حميداً ، وقد استقصيت الكلام فى هذا فيما تقدم فى غلط أبى تمام وقال أيضاً :

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الخطاب الطائى (الديوان ١/١٦) وبعده :

يجتاز زائرها بغير لبانة ويرد سائلها بغير جواب

ولربما كان الزمان محببا فينا بمن فيه من الأحباب

أيام روض العيش أخضر، والهوى ترب لأدم ظبائها الأتراب

(٢) قد تقدم ذكر هذا البيت واعترض المؤلف عليه اعتراضا طويلا (انظر ص ١٩٣ من هذا الكتاب) ثم انظر مبحث الموازنة بين ماقالاه فى أوصاف الديار والبكاء عليها ص ٤٢٤ .

أجَـــلْ أيهَا الرَّبْعُ الذِى بَانَ آهِلُهْ
لَقَدْ أدْرَكَتْ فِيكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهْ[(١)]

وهذا أيضاً ابتداء جيد.

وقال أيضاً:

شَـهِدْتُ لَقَدْ أقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدِى
وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ[(٢)]

وهذا بيت ردىء مَعيب؛ لأن الوشيعة والوشائع هو الغَزْلُ الملفوف من اللُّحْمَة التى يُدْخلها الناسجُ بين السَّدى، والبرد الذى قد تمت نساجته ليس فيه شىء يسمى وشيعة ولا وشائع، وقد ذكرت هذا فى أغاليطه.

وقال البحترى:

تِلْكَ الدِّيَارُ وَدَارِسَاتُ طُلُولِهَـا   طَوْعُ الْخُطُوبِ دَقِيقِهَا وجَلِيلِها[(٣)]

وقال أيضاً:

يَا مَغَانِى الأحْبَابِ صِرْتِ رُسُومَا   وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِى مَلُومَا[(٤)]

وقال أيضاً:

لَمْ يَبْقَ فِى تِلْكَ الرُّسُومِ بِمَنْعِجِ   إمَّا سَأَلْتَ مُعَـــرَّجٌ لِمُعَرِّجِ[(٥)]

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان ٢٩٩) وفيه « خف آهله » وأجل: حرف جواب بمعنى نعم، والربع: المنزل، وآهله: ساكنوه، وخفوفهم: ارتحالهم، والنوى: الفراق.

(٢) قد تقدم ذكر هذا البيت واعتراض المؤلف عليه (انظر ص ١٧١ من هذا الكتاب)

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن الهاشمى (الديوان ٢ / ١٨٤)

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن سهل (الديوان ٢ / ٢٤١)

(٥) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل ويصف فرسا وبغلا (الديوان ١٠١/١)

وقال أيضاً :

هَــــلاَّ سَأَلتَ بِجَوٍّ ثَمْهَدْ طَلَلاً لِمَيَّـــــةَ قَدْ تَأَبَّدْ(١)

هذه كلها ابتداءات جياد بارعة اللفظ صحيحة المعنى ، وأبيات أبى تمام أيضاً رائعة ، وَلـكن فيها ما ذكرته .

* * *

تعفية الرياح للديار

قال أبو تمام :

عَفَتْ أَرْبَعُ الْحَلاَّتِ لِلأَرْبَعِ المُلْدِ لِـكُلِّ هَضِيمِ الـكَشْحِ مُغْرِبَةِ القَدِّ(٢)

الحلات : جمع حِلَّة ، وهو الموضع الذى يَحُلُّونه ، يقال : حِلَّة ومَحلة ، والأربع الملد : يريد أَرْبَعَ نساء مُلْدٍ ، من قولهم : غُصْنٌ أُمْلُود ، وهو الناعم ، و «أملود» لا يجمع على « مُلْد » وإنما هو جمع أَمْلد ، و « هضيم الـكشح » يريد ضامرة البطن وقوله « مغربة القد » يريد أَغْرَبَ قدُّها : أى لها قَدٌّ غريبٌ فى الحسن ، وإنما أراد عَفَتْ أَرْبَعُ حِلال : أى مواطن ، لأربع نسوةٍ ، وهذا تـكلف شديد ، وقد جاءت بلَفْظٍ غير حسن ولا جميل ، وكذلك « مغربة القد » من قول الشـــعراء المتأخرين : غريبُ الحسنِ ، وغريب القد ، والـكلمة إذا لم يؤتَ بها على لفظها المعتاد

(١) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن مخلد (الديوان ١/١٤٣) وتأبد : صار منزلا للأوابد ، وهى الوحوش ، وفى الخطية « بجو ثهمد » .

(٢) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها حفص بن عمر الأزدى (الديوان ١٣٠) وفيه « مجدولة القد » وعفت : ذهبت معالمها ، و « أربع الحلات » أراد المنازل الأربعة أو جمع الربع وإن أنـكره المؤلف ، و « للأربع الملد » أراد التى كانت سكنا لأربع فتيات ملد، والملد : جمع ملداء ، وهى اللينة القوام الناعمة ، وليس جمعا للأملود كما قال المؤلف ، وتقول : ملد الغصن يملدملدا – مثل فرح يفرح فرحا – فهو أملد ، والشجرة ملداء ، وذلك إذا اهتزت ، وإنما يكون ذلك فى نضارتها ، والـكشح : مابين الخصر إلى الضلع ، ويراد به البطن ، وهضيمه : ضامرته .

هجنت وقبحت ، وقوم يروونه « أرْبُع الحِلاَّتِ » جمع رَبْع ، وذلك غلط ، وإنما أراد الرجلُ العدَدَ : أى عفت أرْبَعٌ لأربَعٍ ، ولا أعلم لأبى تمام ابتداء ذكر فيه الرياح غير هذا البيت ، وهو ردىء اللفظ قبيح النَّسْجِ . وقال البحترى :

بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فاللِّوَى والأجْرَعِ دِمَنٌ حُبِسْنَ على الرِّياحِ الأرْبَعِ (١)

وهذا من ابتداءاته العجيبة النادرة وإحسانه فيه الإحسان المشهور ، وقوله « بين الشقيقة فاللوى » كقول امرىء القيس « بَينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ » (٢) والأصمعى يرويه بالواو ، وأهل العربية يقولون : الدخول مواضع متفرقة [وأكثر الشعراء يستعملون الفاء فى هذا الموضع] (٣) . وقال البحترى :

أَصَبَا الأصَائِلِ إنَّ بُرْقَةَ مُنْشِدِ تَشْكو اخْتِلاَفَكِ بالْهُبُوب السَّرْمَدِ (٤)

ما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون : إنهم ما سمعوا لمتقدم

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها يوسف بن محمد (الديوان ٢ / ١٠٠)

(٢) هذه قطعة من بيت ، وهو بتمامه :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهذا البيت مطلع طويلة امرىء القيس المعلقة ، وكان الأصمعى يعيبه ، والسر فى ذلك أن كلمة « بين » إنما تضاف إلى متعدد لفظا ومعنى نحو قولك : جلست بين محمد وعلى ، أو معنى دون لفظ نحو قولك : جلست بين العلماء ، وفى المثال الأول لا يجوز العطف بالفاء ؛ لأن الفاء تدل على أن مابعدها قد تعلق به العامل بعد تعلقه بما قبلها ، وأنت تريد أن تدل على أن العامل تعلق بهما معا فى وقت واحد ، وقد عطف امرؤ القيس بالفاء ، فهذا وجه الاعتراض ، والنحويون يقولون : إن « الدخول » المراد به أماكن متعددة فيكون من نوع المثال الثانى ، هذا تلخيص ماأشار المؤلف إليه وانظر ص ٤٠٤ .

(٣) بالغ المؤلف فى هذا الكلام بفرض ثبوته عنه ، ولا يمكن أن يكون أكثر الشعراء يستعملون الفاء ؛ لأن استعمال الفاء خطأ ، ومامن المقبول القول بخطأ أكثر الشعراء .

(٤) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبى (الديوان ١ / ١٧٠) وفى مخطوطة الدار والديوان « برقة منشد »

ولا متأخر فى هذا المعنى أحْسَنَ من هذا البيت ، ولا أبرعَ لفظاً ، ولا أكثر ماء ولا رونقاً ، ولا ألطف معنًى .

وقال البحترى :

لا أرَى بِالْبِرَاقِ رَسْمًا يُجِيبُ   أَسكَتَتْ آيَهُ الصَّبا وَالْجَنُوبُ(١)

وهذا ابتداء صالح .

* * *

وفى البكاء على الديار

قال أبو تمام :

عَــــلى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلاَعِبِ
أُذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّـوَاكِبِ(٢)

قد أنكر « مَصُونات الدموع السواكب » بعضهم ، وقال : كيف يكون من السواكب ما هو مَصُون ، وإنما أراد أبو تمام أُذِيلَتْ مصونات الدموع التى هى الآن سواكب ، ولفظه يحتمل ما أراده ، والبيت جيد لفظاً ومعنى ونظماً .

وقال أيضاً :

أما الرسُومُ فقَدْ أذْكَرْنَ ما سَلَفَا   فَلاَ تَــكُفَّنَّ مِنْ شَأنِيكَ أوْ يَكِفَا(٣)

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها جعفر بن عبد الغفار (الديوان ١ / ٨١) وفيه « لاأرى بالعقيق رسما يجيب » وما أثبتناه موافق لما فى الخطية .

(٢) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبادلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٤٠)

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠٠) والرسوم : جمع رسم ، وهو ما بقى لاصقا فى الأرض من آثار الديار ولا تــكفن : يريد لاتنهين ، والشانى : المبغض لك ، وأصله الهمز فقلبت همزته ياء لانــكسار ماقبلها ، ويكف : مضارع وكف ومعناه يسكب الدمع ، يقول : لا تترك شانئك حتى يبكى كما تبكى ، وقد يكون « شأنيك » مثنى الشأن بالهمز ، وهو مجرى الدمع ، والألف فى « يكفا » على الوجه الأول هى ألف الإطلاق ، وهى على الوجه الثانى ضمير التثنية عائد على الشأنين ، وانظر ما قالاه فى أوصاف الديار والبكاء عليها ص ٤٢٥

هذا ابتداء حسن .

وقال أيضاً :

أَزَعَمْتَ أَنَّ الرَّبْعَ لَيْسَ يُتَيِّمُ ... وَالدَّمْعَ فى دِمَنٍ عَفَتْ لا يُسْجَمُ[(١)]

وقال أيضاً :

قِرَى دارِهِمْ مِنِّى الدُّموعُ السَّوَافِكُ

وَإِنْ عادَ صُبْحِى بَعْدَهُمْ وَهْوَ حالِكُ[(٢)]

وهذان ابتداءان جيدان .

وقال أيضاً :

تَجَرَّعْ أَسًى قَدْ أَقْفَرَ الجَرَعُ الفَرْدُ

وَدَعْ حِسْىَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ ماءَهُ الوَجْدُ[(٣)]

الجَرَعُ والأجرع والجرعاء : أرض ذاتُ رملٍ وحجارة مختلطة خَشِنة ، وقد قيل : رملة سهلة ، والحِسْىُ : ماء المطر يغيض فى الرمل قليلا ثم يصير إلى الصلابة فيقف فيحفر عنه ويشرب ، وجمعه أحساء .

وقال البحترى :

مَتَى لاحَ بَرْقٌ أَوْ بَدَا طَلَلٌ قَفْرُ ... جَرَى مُسْتَهِلٌّ لا بَكِىءٌ وَلا نَزْرُ[(٤)]

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن حسان الضبى (الديوان ٢٧٣) ويتيم : يذل ويستعبد ، والدمن : جمع دمنة ، وهى أثر الديار ، وعفت : ذهبت وامحت ، ولا يسجم : لاتقطعه العين ، ولاتكف عن إسالته .

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد بن يوسف الثغرى (الديوان ٢٢٣) والقرى : مايقدم للضيف ، أوهو الضيافة، والسوافك: المنسكبة ، والحالك: المظلم

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٢٠) وتجرع: ابتلع ،والأسى: الحزن ، والوجد : الغرام ، وقدشرح المؤلف بقيةمفردات البيت

(٤) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ١/٢١٧) وأراد بالمستهل الدمع ، والبكىء : القليل ، ومثله النزر .

وهذا بيت حَسْبُك به جودةً [وحُسْناً] وبراعة وفصاحة .

ونحوهُ قولُه :

لَهَا مَنْزِلٌ بَينَ الدَّخُولِ فَتُوضِحِ ... مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتَيَّمِ تَسْفَحِ (١)

هذا مثل قول امرىء القيس « بين الدخول فحومل » وهذا أيضاً بيت جيد ، وليس كالأول .

وقال أيضاً :

أَفِى كُلِّ دَارٍ مِنْكَ عَيْنٌ تَرَقْرَقُ ... وَقَلْبٌ عَلَى طُولِ التَّذَكُّرِ يَخْفُقُ (٢)

وهذا أيضاً غاية فى جودته و براعته وكثرة مائه .

وقال أيضاً :

أَلَمَّا يَكْفِ فِى طَلَلَىْ زَرُودِ ... بُكَاؤُكَ دَارِسَ الدِّمَنِ الْهُمُودِ (٣)

وقال أيضاً :

أَعَنْ سَفَهٍ يَوْمَ الْأُبَيْرِقِ أَمْ حِلْمِ ... وُقُوفٌ بِرَبْعٍ أَوْ بُكَاءٌ عَلَى رَسْمِ (٤)

هذه الأبيات الثلاثة كأنه منكر على نفسه البكاء ، وقد أحسن فيما اعتمد من ذلك وأجاد ، وهو ضد ما ذهب إليه أبو تمام فى أبياته .

وقال البحترى ، وهو حسن جداً :

وُقُوفُكَ فِى أَطْلَالِهِمْ وَسُؤَالُهَا ... يُرِيكَ غُرُوبَ الدَّمْعِ كَيْفَ انْهِمَالُهَا (٥)

---

(١) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المعتز بالله (الديوان ١ / ١١١) وقد تكلمنا قريبا عن قول المؤلف « هذا مثل قول امرىء القيس بين الدخول فحومل » (وانظر الهامشة رقم ٢ فى ص ٤٠١ من هذا الكتاب) ثم انظر ص ٤٣٥ .

(٢) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن على القمى (الديوان ٢ / ١٣٨)

(٣) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع فى مصر .

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الصقر (الديوان ٢ / ٢٣٦)

(٥) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان ٢ / ١٧٤)

وقال :

عِنْدَ الْعَقِيقِ فَمَاثِلاَتِ دِيَارِهِ   شَجَنٌ يَزِيدُ الصَّبَّ فِي اسْتِعْبَارِهِ (١)

وقال :

يَأْبَى الْخَلِيُّ بُكَاءَ الْمَنْزِلِ الْخَالِي
وَالنَّوْحَ فِي دِمَنٍ أَقْوَتْ وَأَطْلاَلِ (٢)

وقال :

أَبُكَاءً فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ   وَسُلُوًّا عَنْ زَيْنَبٍ بِنَوَارِ (٣)

وهذا من البحترى تَصَرُّفٌ فى البكاء على الديار حسن ، ومَعَانٍ فيه مختلفة عجيبة ، كلها جيد نادر ، وأبو تمام لزم طريقة واحدة لم يتجاوزها ، والبحترى فى هذا الباب أشعر .

* * *

سؤال الديار واستعجامها عن الجواب

قال أبو تمام :

الدَّارُ نَاطِقَةٌ وَلَيْسَتْ تَنْطِقُ   لِدُثُورِهَا ؛ إِنَّ الْجَدِيدَ سَيَخْلُقُ (٤)

وقال فى مثل معناه :

وَأَبِي الْمَنَازِلِ إِنَّهَا لَشُجُونُ   وَعَلَى الْعُجُومَةِ إِنَّهَا لَتُبِينُ (٥)

وهذا معنى (٦) شائع على أَلْسُنِ العرب أن تقول لمن يعقل : وأبيك لقد أجملت ،

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا عامر الخضر بن أحمد (الديوان ٢/٨)

(٢) لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر ، وهو ساقط من الخطية أيضا.

(٣) هذا مطلع قصيدة يمدح فيها أبا جعفر محمد بن حميد ، ويستوهبه غلاما (الديوان ٢ / ٢٤) وفيه « وسلوا بزينب عن نوار » وانظر ص ٤٣١ الآتية فى قولهما فى البكاء على الديار .

(٤) هذا البيت لا يوجد فى ديوان أبى تمام المطبوع .

(٥) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الواثق بالله (الديوان ٢٣٨)

(٦) فى الخطية « وهذا قسم شائع — إلخ »

وكثرت على الألسن حتى تعدَّوْا بها إلى مالا يعقل ، قَسَماً وغير قسم ، وكذلك قالوا : لأمك الْهَبَل ، ولأُمِّكَ الْوَيْلُ(١) ، ثم قالوا مثل ذلك لما لا أمَّ له ، وقال محرز بن المكعبر يرثى بسطام بن قيس :

لِأُمِّ الأَرْضِ وَيْلٌ مَا أَجَنَّتْ ... بِحَيْثُ أَضَرَّ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ

فجعل للأرض أمًّا .

وقد قال البحترى :

لَعَمْرُ أَبِي الأَيَّامِ مَا جَارَ حُكْمُهَا ... عَلَيَّ ، وَلاَ أَعْطَيْتُهَا ثِنْيَ مِقْوَدِي(٢)

فجعل للأيام أباً ، وقوله « شجون » جمع شَجَن ، وما أقلَّ ما يجمع فَعَلٌ على فُعُول ، قالوا : أسد وأسود ، وليس هو بابه ، والشجن : الحاجة ، والشجن : الهم والحزن .

وقال أبو تمام :

مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَنْ لاَ تُجِيبَا ... فَصَوَابٌ مِنْ مُقْلَتِي أَنْ تَصُوبَا(٣)

هذا البيت صَدْرُه جيد ، وقوله « فصواب » ليست بالجيدة فى هذا الموضع ، وإنما أراد التجنيس .

وقال البحترى :

لاَ دِمْنَةٌ بِلِوَى خَبْتٍ وَلاَ طَلَلُ ... تَرُدُّ قَوْلاً عَلَى ذِى لَوْعَةٍ يَسَلُ(٤)

(١) فى المطبوعات « ولأبيك الويل » .

(٢) هذا بيت من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن المدبر (الديوان ١٩٧/١)

(٣) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢٥) وقد تقدم ذكر هذا البيت (ص ١٤)

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢١٤/٢) وفيه « يرد قولا » وقوله « يسل » أراد يسأل ، فحذف الهمزة ، والمشهور فى العربية حذفها من فعل الأمر نحو قوله تعالى : (سل بنى إسرائيل) وفى المضارع المجزوم نحو قولك : لم يسل .

وهذا ابتداء جيد لفظه ومعناه .

وقال البحترىّ :

صَبٌّ يُخَاطِبُ مُفْحَمَاتِ طُلُولِ مِنْ سَائِلٍ بَاكٍ وَمِنْ مَسْئُولِ[(١)]

أراد أنه باكٍ والطلول باكية ، وهذا ابتداء صالح .

وقال :

عَزَمْتُ عَلَى المَنَازِلِ أنْ تُبِينَا وَإنْ دِمَنٌ بَلِينَ كَمَا بَلِينَا[(٢)]

أى : عزمت عليها أن توضح لنـا ، ويكون « تبين » بمعنى تُفْصِح هى فى نفسها ، يقال : بَانَ الشىء وأبَانَ ، وقوله « وإن دِمَن بلين كما بلينا » أى : عزمت عليها أن تُبين لنا القولَ و إن كانت قد بَلِيَتْ كما بلينا نحن ، وهذا بيت ردىء العجز .

وقال البحترى :

أقِمْ عَلَّهَا أنْ تَرْجِـعَ الْقَوْلَ أوْ عَلِّى
أُخَلِّفُ فِيهَا بَعْضَ مَا بِى مِنَ الْخَبْلِ[(٣)]

وهذا أيضاً بيت ردىء الصَّدْرِ لفظُه ومعناه ؛ لأنه أراد أن يقول : قف لعلها أن تَرْجع القولَ أو لعلِّى ، فقال « أقم » مكان قِفْ ، وليست هذه اللفظة نائبةً عن تلك ؛ لأن الإقامة ليست من الوقوف فى شىء ، والدليل على أنه أراد أن يقول قف قولُه بعد هذا :

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المفضل بن إسماعيل الهاشمى (الديوان ٢٠٥/٢) ووقع فى المطبوعات « ضيف يخاطب » وما أثبتناه عن الخطية والديوان .
(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إذكوتكين (الديوان ٣٠١/٢) .
(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا صالح بن عمار (الديوان ١٨٧/٢)

فَإِنْ لَمْ تَقِفْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِكَ سَاعَةً
فَقِفْهَا عَلَى تِلْكَ الْمَعَالِمِ مِنْ أَجْلِي

وقال « عَلَّها أو عَلِّ » وهما وإن كانتا لفظتين عربيتين فلعل أحسن من عَلَّ وأبرع ، وزاد فى تهجينها أنه كررها فى مصراع ، وقوله « أخلف فيها بعض مابى من الخبل » عجز حسن ، أى : أطرحه عنى ، أى : لعلِّى أبكى فأخفف بعض مابى من البكاء ، وإلى هذا المعنى ذهب ، وإن لم يكن البكاء فى البيت فقد ذكره من بعد .

وقال :

بِاللهِ يَا رَبْعُ لَمَّا زِدْتَ تِبْيَانَا فَقُلْتَ لِي الْحَيُّ لَمَّا بَانَ لِمْ بَانَا(١)

وقال أيضاً :

هبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ مَا أَنْتَ سَائِلُهْ
وَأَبْدَى الْجَـوَابَ الرَّبْعُ عَمَّا تُسَائِلُهْ(٢)

وهذا بيت غير جيد ؛ لأن عجز البيت مثل صدره سواء فى المعنى ، وكأنه بنى الأمر على أن الدار غير الربع ، وأن السؤال إن وقع وقع فى محلين اثنين ، والبيت أيضا لا يقوم بنفسه ؛ لأنه جعله معلقا بالبيت الثانى وهو قوله :

أَفِى ذَاكَ بُرْءٌ مِنْ جَوًى أَلْهَبَ الْحَشَا تَوَقُّدُهُ وَاسْتَغْزَرَ الدَّمْعَ جَائِلُهْ(٣)

وقال أيضا :

هَلِ الرَّبْعُ قَدْ أَمْسَتْ خَلَاءً مَنَازِلُهْ مُجِيبٌ صَدَاهُ أَوْ مُخَـبِّرٌ سَائِلُهْ ؟(٤)

وهذا ابتداء صالح .

---

(١) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع فى مصر .

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ١٦٢/٢) وفيه وفى الخطية « رجع ما أنت قائله »

(٣) فى الخطية « واستغزر العين خابله » وأثبتنا ما فى الديوان .

(٤) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر :

وقال أيضاً :

عَسَتْ دِمَنٌ بِالأبْرَقَيْنِ خَوَالِي   تَرُدُّ سَلَامِي أوْ تُجِيبُ سُؤَالِي (١)

وهذا ابتداء حسن .

فهذا ما وجدته لهما من الابتداءات فى الباب ، وليس لهما فيه بيت بارع ، والجيد للبحترى قوله :

* لاَ دِمْنَةٌ بِلِوَى خَبْتٍ وَلاَ طَلَلُ *

وقوله :

* عَسَتْ دِمَنٌ بِالأبْرَقَيْنِ خَوَالِي *

والجيد لأبى تمام بيتاه الأولان ، ومعناهما غير معنى هذين البيتين ، وبيتا البحترىّ أجود لفظاً ، وأصح سَبْكاً ، وهما فى هذا الباب متكافئان (٢) .

* * *

ما يَخْلُفُ الظاعنين فى الديار من الوحش وما يقارب معناه

قال أبو تمام :

أَطْلاَلُهُمْ سُلِبَتْ دُمَاهَا الْهِيفَا   وَاسْتُبْدِلَتْ وَحْشاً بِهِنَّ عُكُوفَا (٣)

وهذا بيت جيد لفظه ومعناه .

---

(١) هـذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا طلحة منصور بن مسلم ، ووقع فى المطبوعات « عفت دمن بالأبرقين خوالى » وماأثبتناه عن الديوان ، وهو الصواب .

(٢) فى الخطية « فاجعلهما فى الباب متكافئين » .

(٣) هذا مطلع قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف ، ويعرض بوال ولى الثغر من بعده (الديوان ٢٠٥) والأطلال : جمع طلل ، وهو مابقى شاخصامن أثر الديار ، والدمى ـ بضم الدال وفتح الميم ـ جمع دمية ، وهى فى الأصل الصورة المنقوشة (التمثال) وأراد بها ههنا النساء الحسان ، والهيف ـ بكسر الهاء ـ جمع هيفاء ، وهى الضامرة البطن الدقيقة الخصر ، وعكوفا: مقيمات

وقال أيضاً :

أَأَطْلَالَ هِنْدٍ سَاء مَا اعْتَضْتِ مِنْ هِنْدِ
أَقَايَضْتِ حُورَ الْعِـــيْنِ بِالْعِينِ وَالرُّبْدِ(١)

العِينُ : بقر الوحش والظباء ، والرُّبد : النعام ، وقايضت : أبدلت ، وهذا البيت ليس بالجيد ولا بالردىء .

وقال أيضاً :

أرَامَةُ كُنْتِ مَأْلَفَ كُلِّ رِيمٍ لَوِ اسْتَمْتَعْتِ بِالأَنَسِ القَدِيمِ(٢)

وهذا بيت جيد .

وقال البحترى :

رَبْعٌ خَلاَ مِنْ بَدْرِهِ مَغْنَاهُ وَرَعَتْ بِهِ عِينُ المَهَا الأَشْبَاهُ(٣)

---

(١) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام (الديوان ١١٤) واعتضت : استبدلت ، من العوض وهو البدل ، وقايضت : بادلت ، من المقايضة ، وهى المبادلة على شىء بشىء آخر ، والحور : جمع حوراء وهى الشديدة سواد سواد العين مع شدة بياض بياضها ، وأراد بها النساء الجميلات العيون ، والعين بكسر العين ــ جمع عيناء ، وهى الواسعة العين ، وأراد بهاهنا بقر الوحش ، وقيل لبقر الوحش « عين » لسعة عيونها ، ووقع فى الديوان « بالعور » وليس بشىء ، والربد ــ بضم الراء وسكون الباء ــ جمع ربداء ، وهى التى لونها بين السواد والكدرة وأراد بها النعام ، يريد أستبدلت من النساء الجميلات العيون بقر الوحش والنعام ؟

(٢) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها بعض بنى عبد الكريم الطائيين (الديوان ٢٨٧) وقد تقدم ذكر البيت (انظر ص ٢٥٠ من هذا الكتاب ثم ٤٢٩) ووقع فى الديوان والخطية « بالأنس المقيم » ورامة : اسم مكان بعينه ، والريم ــ بكسر الراء ــ أصله الرئم خففه بقلب الهمزة ياء لانكسار ماقبلها ، والرئم : ولد الغزال ، والأنس ــ بفتح الهمزة والنون جميعا ــ الحى

(٣) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر

وهذا بيت حسن حلو .

وقال البحترى أيضاً :

عَهْدِى بِرَبْعِكَ مَأْنُوساً مَلاَعِبُهُ أَشْبَاهُ آرَامِهِ حُسْناً كَوَاعِبُهُ(١)

وهذا بيت فى غاية الجودة والبراعة لفظُه ومعناه .

وقال أيضاً :

عَهْدِى بِرَبْعِكَ مُثَّلاً آرَامُهُ يُجْلَى بِضَوْءِ خُدُودِهِنَّ ظَلاَمُهُ(٢)

وهذا بيت جيد اللفظ والمعنى ، ولفظ الأول أحلى وأبرع ، وقوله « يجلى بضوء خدودهن ظلامهُ » حسن جداً .

وقال أيضاً :

أَرَى بينَ مُلْتَفِّ الأَرَاكِ مَنَازِلاَ مَوَاثِلَ لو كانَتْ مَهَاهَا مَوَاثِلاَ(٣)

وهذا أيضاً بيت من أبرع ابتداءاته .

فهذا ما وجدته لهما فى هذا النحو ، والبحترى فى أبياته أشعر من أبى تمام فى أبياته .

* * *

(١) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن بدر (الديوان ١/٣٩) والآرام : جمع رئم ، وهو ولد الغزال ، وأصله أرآم فقلب قلبا مكانيا بتقديم الهمزة على الراء فصار أأرام فاجتمعت همزتان فى أول الكلمة وأولاهما مفتوحة والثانية ساكنة ،فقلبت الثانية ألفا مجانسة لحركة الأولى ، فصارت آرام ، والكواعب: جمع كاعب ، وهى الفتاة التى كعب ثديها واستدار

(٢) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر .

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديون ٢ / ٢١٢) والمواثل : جمع ماثل ، وهو الشاخص ، والمها : أصله بقر الوحش ، واحدها مهاة ، وأراد بها ههنا النساء الحسان .

وفيما تهيجه الديار وتبعثه من جوَى الواقفين بها

قال أبو تمام :

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَرَاكَ دَرِيساً تَقْرِى ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا(١)

وهذا بيت من جيد الابتداءات وبارعها .

وقال البحترى :

مَغَانِى سُلَيْمَى بِالْعَقِيقِ وَدُورُهَا أَجَدَّ الشَّجَى أخلاقُهَا ودُثُورُهَا(٢)

وهذا بيت فى جودة بيت أبى تمام وبراعته .

وقال :

لَعَمْرُ المَغَانِى يَوْمَ صَحْرَاءِ أَرْبَدٍ لَقَدْ هَيَّجَتْ وَجْداً على ذِى تَوَجُّدِ(٣)

وقال أيضاً :

مَا جَوُّ خَبْتٍ وإنْ نَأَتْ ظُعُنُهْ تَارِكَنَا أَوْ تَشُوقَنَا دِمَنُهْ(٤)

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٧٥) والقشيب : الجديد ، والدريس : البالى ، وتقرى : تقدم القرى ، والقرى — بكسر القاف — الضيافة أو ما يقدم للضيفان ، والرسيس : الحب الثابت ، وفى المطبوعات والديوان « وقرى ضيوفك لوعة ورسيسا » وانظر ص ٤٢٧ التى تأتى .

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها ابن بسطام (الديوان ٢/٣٦) والعقيق : اسم مكان بعينه ، والشجى : الحزن ، والأخلاق : جمع خلق ، والدثور : التى ذهب أثرها وامحت

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن المدبر (الديوان ١ / ١٩٦) وفيه وفى الخطية « يوم صحراء أرثد »

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا عيسى بن صاعد ويهجو ابن البريدى (الديوان ٣ / ٢٨٨) وخبت : اسم مكان بعينه ، ونأت : معناه بعدت والظعن — بضم الظاء والعين — جمع ظعينة ، وهى المرأة مادامت فى الهودج ، وتشوقنا : تبعث الشوق فى أنفسنا ، والدمن — بكسر الدال وفتح الميم — جمع دمنة ، وهى أثر الديار .

وقال أيضاً :

كُلَّمَا شَاءَتِ الرُّسُومُ الْمُحِيلَهْ هَيَّجَتْ مِنْ مَشُوقٍ صَدْرٍ غَلِيلَهْ(١)

وهذه كلها ابتداءات جياد ، وهى مع بيت أبى تمام متكافئة .

* * *

الدعاء للدار بالسقيا

قال أبو تمام :

أَسْقَى طُلُولَهُمُ أَجَشُّ هَزِيمُ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمُ(٢)

وقال أيضاً :

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى صَوْبُ الْعِهَادِ وَرَوَّى حَاضِرٌ مِنْهُمْ وَبَادِى(٣)

وهذان ابتداءان جيدان .

وقال أيضاً :

يا بَرْقُ طَالِعْ مَنْزِلاً بِالأَبْرَقِ وَاحْدُ السَّحَابَ لَهُ حُدَاءَ الأَيْنُقِ(٤)

---

(١) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها حمولة (الديوان ٢ / ١٩٢) وفيه « مشوق قلب غليله » والمحيلة – بضم الميم — التى أتى عليها حول ، وأراد هنا المتغيرة ، والغليل أصله العطش ، وأراد به ههنا حرارة الحب وتحرق الوجد .

(٢) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٢٩٩) والأجش : الخشن الصوت ، وأراد به ههنا الرعد ، والهزيم : صوت الرعد والنضرة — بفتح النون وسكون الضاد — الحسن .

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد (الديوان ٧٨) وفيه « سبل العهاد » والعهاد — بكسر العين ، بزنة الكتاب — مطر الربيع ، والحاضر : الذى يسكن الحضر ، والبادى : الذى يسكن البادية ، وانظر ص ٤٢٨

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ، ويصف فرسا حمله عليه(الديوان ٢١٦) وفيه« حداءالأنيق» وكلتاهما صحيحة ، والحداء ـ بضم الحاء وبزنة الغراب ـ سوق الإبل بالغناء ، والأينق ومثلة الأنيق : جمع ناقة ، وانظر ص ٤٢٧

قوله « طالع » لفظة رديئة فى هذا الموضع قبيحة ، وقوله « وأُخْذُ السحاب له حداء الأينق » لفظه ومعناه جيدان فصيحان ، وإنما خص البرق لأنه دليل الغيث

وقال أيضاً :

أيُّهَا البَرْقُ بِتْ بِأَعْلَى البِرَاقِ وَاغْدُ فِيهَا بِوَابِلٍ غَيْدَاقِ (١)

البِرَاق : جمعُ بُرْقة ، مثل بُرْمَة و بِرَام ، وهى الأرض ذات الطين والحَصَى تكون ذات ألوان مختلفة ، وهذا بيت جيد ، ووَصَلَه ببيت هو غاية فى الحسن والحلاوة نأتى به إن شاء الله تعالى فى بابه .

وقال :

يا دَارُ دَارَ عَلَيْكِ أَرْهَامُ النَّدَى
وَاهْتَزَّ رَوْضُكِ فى الثَّرَى فَتَرَأَّدَا (٢)

يقال : : أرهمت السماء ، إذا أتت بالرِّهَمة ، وهو المطر اللين ، يقال : رَهَمة وأرهام ، كأَكَمَة وآكام ، فإن قلت « أرهام الندى » كان ذلك سائغاً ، فترأد : تَثَنَّى لكثرة مائه وغَضَاضته ، ومنه « امرأة رُودُ الشباب » أى : غَضَّته ، وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النسْج .

وقال البحترى :

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن شهاب ويشكره (الديوان ٢٢٠) والوابل : المطر الغزير ، والغيداق : المنسكب ، وبعد هذا البيت قوله :

وتعلم بأنه مالأنوا ئك إن لم تروها من خلاق

والخلاق — بفتح الخاء ، بزنة السحاب — النصيب

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الكريم (الديوان ١٢٥) والأرهام : الأمطار الضعيفة الدائمة ، والثرى — بفتح الثاء ، بزنة العصى — التراب وأراد الأرض

نَشَدْتُكَ اللهَ مِنْ بَرْقٍ على أَضَمٍ لمَّا سَقَيْتَ جَنُوبَ الحَزْنِ فَالْعَلَمِ (١)

وهذا بيت بارع اللفظ ، جيد المعنى ، وزاد فى جَودته قوله « نشدتك الله » .

وقال أيضاً

سُقِيتِ الغَوَادِى مِنْ طُلُولٍ وَأَرْبُعٍ وَحُيِّيتِ مِنْ دَارٍ لأَسْمَاء بِلَقْعٍ (٢)

وهذا أيضاً بيت جيد اللفظ والمعنى ، ويدخل فى باب التسليم على الديار لقوله « وحييت من دار » .

وقال أيضاً :

أناشد الغَيْثَ هَلْ تَهْمِى غَوَادِيهِ على العَقِيقِ وَإِنْ أَقْوَتْ مَغَانِيهِ (٣)

وهذا بيت جيد

وقال أيضاً :

أَقَامَ كلُّ مُلِثٍّ الوَدْقِ رَجَّاسِ على دِيَارٍ بِعُلْوِ الشَّامِ أَدْرَاسِ (٤)

ملثّ : دائم كثير ، ورَجَّاس : مُصَوِّت ، يريد الرعد ، وهذا بيت كثير الماء والرَّوْنَقِ .

وقال أيضاً :

لا يَرِمْ رَبْعَكِ السَّحَابُ يَجُودُهْ تَبْتَدِى سَوْقَهُ الصَّبَا أَوْ تَقُودُهْ (٥)

---

(١) هذا البيتِ مطلع قصيدة له يمدح فيها عبيد الله بن يحيي بن خاقان (الديوان ٢ / ٢٦٤)

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان ٢ / ٧٨) ووقع فى بعض المطبوعات « من طلوع » محرفا عما أثبتناه .

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن ثوابة (الديوان ٢ / ٣٢١ وفيه وفى الحطية « كى تهمى غواديه »

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يرثى فيها موسى بن عبد الملك عن ابنة له توفيت (الديوان ٢ / ٦٥) وأدراس : بالية

(٥) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان ١ / ١٦٥) ولايرم : لاتبرح ، ويجوده : يسقيه ، والصبا : ريح

وقال أيضاً :

سَقَى دَارَ لَيْـلَى حَيْثُ حَلَّتْ رُسُومُهَا
عِهَادٌ مِنَ الوَسْمِىِّ وُطْفٌ غُيُومُهَا(١)

وهذان ابتداءان جيدان ، وليسا مثل ما تقدم .

وقال أيضاً :

سَقَى رَبْعَهَا سَحُّ السَّحَابِ وَهَاطِـلُهْ   وإنْ لَمْ يُخَبِّرْ آنِفاً مَنْ يُسَائِلُهْ(٢)

وهذا البيت ردىء العجز من أجل قوله « آنفاً » لأنه حَشْوٌ لا حاجة للمعنى به ؛ فهذا ابتداء من الدعاء للديار بالسقيا ، وهما عندى متكافئان .

* * *

في لوم الأصحاب فى الوقوف على الديار

قال أبو تمام :

أَرَاكَ أَكْبَرْتَ إدْمَانِ على الدِّمَنِ   وَحَمْلِىَ الشَّوْقَ مِنَ بَادٍ ومُكْتَمِنِ(٣)

[وهذا ابتداء صالح]

وقال أيضاً :

مَا عَهِدْنَا كَذَا نَحِيبَ المَشُوقِ   كَيْفَ والدَّمْعُ آيةُ المَعْشُـــوقِ(٤)

هذا بيت ردىء جدًّا ، وقد ذكرتُ ما فيه فى باب ما ذكرناه له فى وسـط

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المهتدى بالله (الديوان ٢ / ٢٠٠)

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان ٢ / ١٧٥)

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن على بن مرة (الديوان ٣٣٣) وأكبرت الأمر : عددته كبيرا واستعظمته ، والإدمان : المداومة على الشىء ، والدمن : آثار الديار ، والبادى ههنا : الظاهر ، والمكتمن : المختفى المستتر .

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢١٥) وفيه « ماعهدنا كذا بكاء المشوق »

الـكلام فى تعنيف الأصحاب على الوقوف على الديار ، وهذا البيت ابتداء ، وإنما ذكرته هناك لأن معناه يتضح بالأبيات التى بعده ؛ فجعلته فى ذلك الباب .

وليس لأبى تمام ابتداء صالح فى لوم الأصحاب غير هذين البيتين .

فأما البحترى فإنه تصرف فى ابتداءاتٍ جيـادٍ حسانٍ بارعةٍ حلوةٍ ؛ فمن ذلك قولُه :

فِيمَ ابْتِدَارُكُمَا المَلَامَ وَلُوعَا أَبَكَيْتُ إلاَّ دِمْنَـةً وَرُبُوعَا[1]

وهذا بيت حسن ، وفيه سؤال ، وهو أن يقال : إنمـا لاموه على بكائه على الدِّمْنَةِ والربوع ، فمـا وجه اعتذاره بأنه لم يبك إلا دمنـة وربوعا ؟ والجواب أنه أراد أبكيت إلا ما مِثْـلُهُ يُبْـكى ؟ وقد تَقَدَّمنى الناسُ فيـه ولم يُنْـكَرْ ذلك على أحد .

وقوله :

خُذَا مِنْ بُكائِى فِى المَنَازِلِ أوْ دَعَا وَرُوحَا عَلَى لَوْمِى بِهِنَّ أوِ ارْبَعَا[2]

وهذا بيت جيد .

وقوله أيضاً :

ذَاكَ وَادِى الأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلاَ مُقْصِراً من مَلاَمَـتِى أوْ مُطِيلاَ[3]

وهذا بيت جيد حسن ، بارع اللفظ والمعنى ، وقد ذكرته أيضاً فى باب الوقوف على الديار .

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢ / ٨٤) وفيه « فيم ابتداركم الملام » وقد تقدم هذا البيت (ص ١٣) وسيأتى فى ص ٤٢٦ .

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢ / ٩٧) واربعا : كفا عن لومى ، وتوقفا عن الاستمرار عليه .

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن على بن عيسى القمى (الديوان ٢/٣١٠) وفيه « مقصرا من صبابة » .

وقوله :

أَحْرَى الْخُطُوبِ بِأَنْ يَكُونَ عَظِيماَ قَوْلُ الْجَهُولِ : أَلاَ تَكُونُ حَلِيماَ(١)

وقوله :

مَا أَنْتَ لِلْكَلِفِ الْمَشُوقِ بِصَاحِبِ فَاذْهَبْ عَلَى مَهَلٍ فَلَيْسَ بِذَاهِبِ(٢)

وقوله :

فِى غَيْرِ شَأْنِكَ بُكْرَتِى وَأَصِيلِى وَسِوَى سَبِيلِكَ فِى السُّلُوِّ سَبِيلِى(٣)

وقوله :

بَعْضَ هٰذَا الْعِتَابِ وَالتَّفْنِيدِ لَيْسَ ذَمُّ الْوَفَاءِ بِالْمَحْمُودِ(٤)

ولهما فى تأنيب العُذَّال فى غير الوقوف على الديار ابتداءات ليس بضائرٍ ذِكْرُهاَ ههنا .

فمن ذلك قول أبى تمام :

تَقِى جَمَحَاتِى لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبِى وَلَيْسَ جَنِيبِى إِنْ عَذَلْتُ بِمُصْحِبِى(٥)

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان ٢/٢٤٢) وأحرى الخطوب : أحق الأمور وأجدرها .

(٢) هـذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ١/ ٦٥) والكلف — بفتح الكاف وكسر اللام — المحب الشديد الحب .

(٣) هـذا البيت مطلع قصيدة له يرثى فيها إسماعيل بن نيبخت (الديوان ٢/١٧١) .

(٤) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ١/ ٢٠٤) و « بعض » بالنصب مفعول لفعل محذوف : أى اتركا بعض هذا العتاب ، والتفنيد : مصدر فندت فلانا — بتشديد نون الفعل أى : كذبته ، يريد كفا من ملامكما لى واتهامى بالكذب فى المحبة .

(٥) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها عياش بن لهيعة الحضرمى (الديوان ٢٣) وتقى : فعل أمر ، وأصله « اتقى » بتشديد التاء ، ومثله قول الشاعر : =

وقوله أيضاً :

دَأْبُ عَيْنِي الْبُكَاءُ ، وَالْحُزْنُ دَابِي
فَاتْرُكِينِي - وُقِيتِ مَا بِي - لِمَا بِي (١)

وقوله أيضاً :

كُفِّي وغاكِ ؛ فَإِنَّنِي لَكِ قَالِي لَيْسَتْ هَوَادِي عَزْمَتِي بِتَوَالِي (٢)

وقوله أيضاً :

لاَمَتْهُ لاَمَ عَشِيرُهَا وَحَمِيمُهَا مِنْهَا خَلاَئِقَ قَدْ أَبَرَّ ذَمِيمُهَا (٣)

وقوله أيضاً :

= زِيَادَتَنَا نُعْمَانُ لاَ تَحْبِسَنَّهَا تَقِ اللهَ فِينَا وَالْكِتَابَ الَّذِي تَتْلُو

يريد « اتق الله فينا » وجمحاتى : عصيانى لك ونفورى منك وجموحى عن استماع نصحك ، ويروى « تقى جهلاتى » ووقع فى المطبوعات محرفا « تقى جهاتى » ومؤنبى : لائمى وعاذلى .

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يرثى فيها أحمد بن هرون القرشى (الديوان د ٣٥) والدأب : العادة ، وأصله الهمز خففه فى الثانية بقلب الهمزة ألفا لانفتاح ماقبلها لأجل التصريع ، وقوله : « وقيت مابى » أى حفظك الله من مثل ما ألاقيه من لوعة الحزن وحرارة الألم ، وقوله « لمابى » متعلق باتركينى ، يريد دعينى وما أنا فيه وقاك الله شر مثله .

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن رجاء (الديوان ٢٤٦) وفيه « يكفى وغاك » والوغى : أكثر ماتستعمل فى الحرب ، وأراد به ههنا جلبتها عليه فى لومها إياه وتعنيفه على الحب ، وقال : اسم الفاعل من قلاه يقلوه ويقليه -واوى ويائى- إذا كرهه ، والهوادى : الأوائل ، والتوالى : الأواخر

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها جماعة من كتاب عبد الله بن طاهر (الديوان ٣١٠) والحميم : الصديق ، والخلائق : جمع خليقة وهى الطبيعة والسجية ، وأبر : زاد ، وذميمها : مذمومها .

مَتَى كانَ سَمْعِي خلْسَـــةً لِلّوَائِمِ وَكَيْفَ صَغَتْ لِلْعَاذِلِينَ عَزَائِمِى (١)

وقوله أيضاً :

قَدْكَ اتئِبْ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلَوَاءِ كَمْ تَعْذِلُونَ وَأَنْتُمُ سُجَرَائِى (٢)

وهذه كلها ابتداءات صالحة ، إلا هذا البيت الأخير ؛ فإن الناس عابوه ، وذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتابه أن مما عيب من ابتداءات الطائى قوله :

* كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأَمْرُ *

وقوله :

* خَشُنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِى خُشَيْنِ *

فأما قوله « خشنت عليه » فهو لعمرى من تجنيساته القبيحة ، وعهدت مُجّانَ البغداديين يقولون : قليل نورة يذهب بالخشونة ، وأما قوله « كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر » فليس بمعيب عندى ، وقد ذكرته فى ابتداءات المراثى ، وأخبرت بمعناه ، وأما قوله « قدك اتئب أربيت فى الغلواء » فإنها ألفاظ صحيحة فصيحة من ألفاظ العرب ، مستعملة فى نظمهم ونثرهم ، وليست من متعسف ألفاظهم ، ولا وحشىّ كلامهم ، ولـكن العلماء بالشعر أنكروا عليه أنْ جمعها فى مصراع واحد ، وجعلها ابتـداء قصيدة ، ولم يفرق بينها بفواصل (٣) فقال : « قَدْكَ اتَّئِبْ أربيت فى الغلواء » ؛ فصـار قوله « قدك اتئب » كأنهما كلمة واحدة

(١) هذا البيت مطلع كلمة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان ٢٩٠) والخلسة : السلب والنهب فى سرعة . وصغت : مالت ، والعاذلين : جمع العاذل ، وهو الذى يلوم فى تسخط ، والعزائم : جمع عزيمة ، وهى القصد إلى الشىء قصدا موثقا .

(٢) هذا البيت مطلع كلمة له يمدح فيها يحيى بن ثابت (الديوان ٢) وقد مضى ذكره (انظر ص ٢٦ و ٢٦٥ من هذا الـكتاب) .

(٣) فى المطبوعات « ولم يفرق بينها إلا بفواصل » وكلمة « إلا » ساقطة فى الخطية ، وسقوطها هو الصواب .

على وزن مُسْتَفعلان ، وضَمَّ إليه « أر بيت فى الغُلَوَاء » فاستُهْجِنت ، ولو جاء هذا فى شعر أعرابى لما أنكروه ؛ لأن الأعرابى إنما ينظم كلامَه المنثورَ الذى يستعمله فى مخاطباته ومحاوراته ، ولو خاطب أبو تمام بهذا المعنى فى كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه إلا حَسْبُك استَحِ زِدْتَ وَغَلَوْتَ ، وهذا كلام حسن بارع .

قال : فمن شأن الشاعر الحَضَرِى أن يأتى فى شعره بالألفاظ [العربية] المستعملة فى كلام الحاضرة ؛ فإن اختار أن يأتى بما لا يستعمله أهلُ الحضرِ فمن سبيله أن يُقِلَّه من المستعمل فى كلام أهل البَدْوِ دون الوَحْشِىِّ الذى يقلّ استعمالهم إياه ، وأن يجعله متفرقا فى تضاعيف ألفاظه ، و يضعه فى مواضعه ؛ فيكون قد اتسع مَجالُه بالاستعانة به ، ودلَّ على فصاحته وعلمه ، وتخلّص من الهُجْنة ، كما أن الشاعر الأعرابى إذا أتى فى شعره بالوحشىّ الذى يقل استعماله إياه فى منثور كلامه وما يَجْرِى دائما فى عادته هَجَّنه وقَبَّحه ، إلا أن يضطر إلى اللفظة واللفظتين ، و يقلل ، ولا يستكثر ؛ فإن الكلام أجناس إذا أتى منه شىء مع غير جنسه بَايَنَه ونَافَرَه وأظهر قبحه .

وقد تَصَرّف البحترى فى هذا الباب أحْسَنَ تصرف وأبلغه وأعجبه ؛ فمن ذلك قوله :

أتَارِكِى أنْتَ أمْ مُغْـــرًى بِتَعْذِيبِى
وَلاَئِمِى فِى هَوًى إنْ كَانَ يُزْرِى بِى[(١)]

وقوله أيضاً :

يُفَنِّدُونَ وَهُمْ أدْنَى إلَى الفَنَدِ وَيُرْشِدُونَ وَمَا العُذَّالُ فِى رَشَدِ[(٢)]

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن محمد الطائى (الديوان ١ / ٦٩) ووقع فى المطبوعات « أن كان يردى بى » وتصويبه ماأثبتناه عن الديوان ، فإن « أردى » يتعدى بنفسه .

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا صالح (الديوان ١ / ١٣٣) وفيه « وما التعذال من رشدى » .

وقوله أيضاً :

إنّمَا الغَىُّ أَنْ يكونَ رَشِيدَا فَانْقُصَا مِنْ مَلامِهِ أوْ فَزِيدَا(١)

وقوله أيضاً :

أَلَمْ يَكُ فى وَجْدِى وَبَرْحِ تَلَدُّدِى نِهايَةُ نَهْيٍ لِلْعَذُولِ الْمُفَنِّدِ(٢)

وقوله أيضاً :

مَرَنَتْ مَسَامِعُهُ على التَّفْنِيدِ فَعَصَى الْمَلاَمَ لأَعْيُنٍ وَخُدُودِ(٣)

وقوله أيضاً :

شُغْلاَنِ مِنْ عَذْلٍ وَمِنْ تَفْنِيدِ وَرَسِيس حُبٍّ طارِفٍ وَتَلِيدِ(٤)

وقوله أيضاً :

أَقْصِرَا لَيْسَ شأْنِىَ الإِكْثَارُ وَأَقِلاَّ لَنْ يُغْنِىَ الإِكْثَارُ(٥)

وقوله أيضاً :

قُلْتُ لِلاَّئِم فِى الْحُبِّ أَفِقْ لا تُهَوِّنْ طَعْمَ شىء لَمْ تَذُقْ(٦)

وقوله أيضاً :

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يفتخر فيها (الديوان ١/١٨٣) ووقع المطبوعات « من ملامتى » وما أثبتناه عن الديوان ، وهو أقرب .

(٢) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر .

(٣) وهذا البيت أيضاً غير موجود فى ديوانه المطبوع بمصر .

(٤) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ١ / ١٢٥) .

(٥) هكذا وقع هذا البيت فى المطبوعات ، وروايته المستقيمة كما فى الديوان هكذا :

أقصرا إن شأنى الإقصار وأقلا لن يغنى الإكثار

وهو مطلع قصيدة له يمدح فيها المهتدى بالله (الديوان ١/٢٢٠)

(٦) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها صاعدا ويهجو يعقوب بن أحمد بن صالح (الديوان ٢/١٣١):

أَمَا كانَ فى تلكَ الدُّمُوعِ السوائل بَيَانٌ لِنَاءٍ أَوْ جَوابٌ لِسَائِلِ (١)

وقوله أيضاً :

أَكْثَرْتَ فى لوْمِ الْمُحِبِّ فأَقْلِلِ وَأَمَرْتَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ فأَجْمِلِ (٢)

وقوله أيضاً :

رُوَيْدَكَ إِنَّ شَأْنَكَ غيرُ شَانِى وَقَصْرَكَ لَسْتُ طاعَةَ مَنْ نَهَانِى (٣)

وقوله أيضاً :

يَكادُ عاذِلُنَا فى الْحُبِّ يُغْرِينَا فَمَا لَجَاجُكَ فى لَوْمِ الْمُحِبِّينا (٤)

وقوله أيضاً :

عَذِيرِى فِيكِ مِنْ لاَحٍ إذا مَا شَكَوْتُ الْحُبَّ قَطَّعَنِى ملاماَ (٥)

وقوله أيضاً :

طَفِقَتْ تَلُومُ وَلاتَ حِينَ مَلامِه لا عِنْدَ كَرَّتِهِ وَلا إِحْجَامِهِ (٦)

ولاخفاء بفضل البحترى [أيضا] على أبى تمام فى هذا الباب ، وقد مضت الموازنة

(١) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع فى مصر

(٢) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن صالح الهاشمى (الديوان ٢/٢١٧)

(٣) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الهيثم الغنوى (الديوان ٢/٢٧٨)
ورويدك : اسم فعل بمعنى أمهل ، وقصرك : معناه أقصر

(٤) لايوجد هذا البيت فى ديوان البحترى المطبوع بمصر .

(٥) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله (الديوان ٢/٢٢٤)
وفيه وفى الخطية « حرقنى ملاما » واللاحى : اسم الفاعل من لحاه يلحاه ويلحوه ؛ إذا لامه وعذله .

(٦) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الرحمن الحرانى ، ويصف فرسا (الديوان ٢/٢٥٠) ومعنى « لات حين ملامه » ليس الوقت وقت لومك إياه ، والكرة : الإقدام ، والإحجام : التأخر عن الشىء والنكوص عنه

بين الابتداءات بذكر الديار والآثار ، وأنا الآن أذكر ما جاء عنهما من ذلك فى وسط الكلام .

* * *

ما قالاهُ فى أوصاف الديار والبكاء عليها

قال أبو تمام(١) :

طَلَلَ الجَمِيعِ لقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا وَكَفَى على رُزْئِى بِذَاكَ شَهِيدَا(٢)
دِمَنٌ كأَنَّ البَيْنَ أصْبَحَ طالباً دِمَناً لَدَى آرَامِهَا وَحُقُودَا(٣)
قَرَّبْتَ نَازِحَةَ القلوبِ مِنَ الجَوَى وَتَرَكْتَ شأْوَ الدَّمْعِ فيكَ بَعِيدَا(٤)
خَضِلاً إذا العَبَرَاتُ لَمْ تَبرحْ لهَا وَطناً سَرَى قَلِقَ المَحَلِّ طَرِيدا(٥)

وقوله « وكفى على رزئى بذاك شهيدا » ليس بالجيد ، وقد ذكرت معناه [فيما تقدم من ذكر معانيه] فى باب الابتداءات عند ذكر البيت ، وقوله « قربت نازحة القلوب من الجوى » يريد القلوب التى بَعُد عهدها بمرض الحب فأدْنَيْتَها من ذلك عند الوقوف عليك ، يخاطب [الطلل و] الدمن ، وقوله « وتركت شأو

(١) الأبيات من أوائل قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيبانى (الديوان ٨٧)
(٢) قد تقدم ذكر هذا البيت فيما أخذه على أبى تمام (انظر ص ١٩٣ من هذا الكتاب ثم انظر ص ٣٩٨) .
(٣) فى الديوان « دمنا لدى آرامها » والدمن فى أول البيت : جمع دمنة ، وهى أثر الديار ، والدمن الثانية فى رواية الديوان — وهى الأشبه بأبى تمام — الحقد القديم ، والآرام : الغزلان ، واحدها رئم .
(٤) النازحة : البعيدة ، والجوى : الحزن ، والشأو : الغاية .
(٥) خضلا : هو حال من الدمع ، ومعناه الذى ترشش نداه ، يريد أن هذا الدمع فائض لايزال يسفح على الخدين ولا يقر له قرار ، فى حال أن غيره من الدموع لاتبرح محاجرها .

الدمع فيك بعيداً » أى : دائماً طويلا ، وقوله « خضلا إذا العبرات لم تبرح لها وطناً سَرَى قلق المحل طريداً » أى : مَنْ كان إنما يبكى فى وطنه على الحوادث التى تحدُث عليه فيه سَرَى هذا الدمعُ قلق المحل طريدا ، أى اُعتسف المسير لطوله حتى يحل بهذه الدمن ، وهذا نحو من قوله :

فمَا وَجَدْتُ على الأَحْشَاءِ أَبْرَدَ مِنْ دَمْعٍ على وَطَنٍ لى فى سِوَى وَطَنِى(١)

فقوله « على وطن » يعنى الرسوم والطلول التى يقف عليها ، وهذا من جيد ألفاظه وصحيح معانيه ، وغرضُه فيما وصف من الدمع غرضٌ حسن ، وأحسن منه وألطف وأغرب قولُه(٢) :

أَمَّا الرسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ ما سلَفَا فَلاَ تَكُفُّنَّ عن شانيكَ أَوْ يكِفَا(٣)

لا عُذْرَ للصَّبِّ أَنْ يَقْنِى السلوَّ وَلا للدَّمْعِ بَعْدَ مُضِىِّ الحىِّ أَنْ يَقِفَا(٤)

حَتى يَظَلَّ بِمَاء سَافِحٍ وَدَمٍ فى الرَّبْعِ يُحْسَبُ مِنْ عَيْنَيْهِ قَدْ رُعِفَا(٥)

وهذا المعنى ليس له ، وإنما أخذه من قول أبى وَجْزَة [السعدىّ] :

عُيُونٌ تَرَامَى بالرُّعَافِ كأنها مِنَ الشَّوْقِ صِرْدَانٌ تَدِبُّ وَتَلمَعُ

قيل فى تفسيره : شبه الدمع وقد عَصْفَرَه الدمُ بالرعاف ، وشَبَّهَ العيون ــ وهى

---

(١) هذا البيت سادس بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن على بن مرة (انظر ديوان أبى تمام ص ٣٣٣) وفيه « أوقد من دمع »

(٢) الأبيات من أوائل قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى (الديوان ٢٠٠)

(٣) قد مضى ذكر هذا البيت (انظر ص ٤٠٢ من هذا الكتاب)

(٤) « يقنى السلو » معناه يكتسب السلو أو يلزمه ، مأخوذ من قولك : قنى الرجل الشىء يقنيه ــ من باب ضرب ــ إذا اكتسبه ، وقنى الحياء يقنيه ــ من باب ضرب أيضاً ــ إذا لزمه

(٥) سفح الدمع والماء : سكبه وصبه ، وتقول : رعف الدم ، إذا خرج من الأنف ، وبابه فرح

تفيض بالدمع تارة وتحبسه أخرى ـ بالصردان تَنْتفض تارة وتظهر قريبا من الأرض تارة ، وبيت أبى تمام أجود لفظاً ونظماً ، ولا أظن البحترى ذهب إلى مثل هذا المعنى ، ولا للمعنى الذى قبله [فى وصف الدمع] ، ولكنه يعتذرُ مرةً بقِلّة دمعه ، ومرة يذكر كثرته ويفتخر بغزره ، وفى كل ذلك يُحْسِنُ ويجيد ؛ فمن اعتذاره قوله فى قصيدته التى أولها[1] :

فِيمَ ابْتِدَارُكُما الْمَلاَمَ وَلُوعَا ... أَبَكَيْتُ إلاّ دِمْنَةً وَرُبُوعَا[2]
يَا دَارُ غَيَّرَها الزَّمَانُ وَفَرَّقَتْ ... أَيْدِي الْحَوَادِثِ شَمْلَها المجمُوعَا[3]
لَوْ كانَ لى دَمْعٌ يحسن لوْعَتِي ... خَلَّيْتُهُ فى عَرْصَتَيْكِ خَلِيعَا[4]
لا تَخْطُبِي دَمْعِى إلىَّ ؛ فَلَمْ يَدَعْ ... فى مُقْلَتَىَّ جَوَى الْفِرَاقِ دُمُوعا

قوله فى ابتداء القصيدة « أَبَكَيْتُ إلا دمنةً وربوعا » قد أخبر أنه بكى ثم قال « لو كان لى دمع يحسن لوعتى » أى : لو كان لى دمع غزير يليق بلوعتى ويُنبىء عنها ، وكذلك قوله « فلم يدع فى مقلتىَّ جوى الفراق دموعا » أى : دموعا كافية أرضاها ، أو دموعا تشفينى ؛ لأنه استقلَّ دَمعه واستَنزَره ، أوأن يكون انقطع دمعه وفَنِىَ ، ولله در كُثَيِّر إذ يقول[5] :

وَقَضَّيْنَ مَا قَضَّيْنَ ثمَّ تَرَكْنَنِي ... بفَيفا خُرَيْم وَاقِفاً أَتَلَدَّدُ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْعَيْنِ ضَنَّتْ بمائِها ... عَلىَّ ، ولا مِثْلى عَلى الدَّمْعِ يُحسَدُ

---

(١) الأبيات من أوائل قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان ٢ / ٨٤)
(٢) تقدم ذكر هذا البيت مرارا (انظر ص ١٣ و ٤١٧ من هذا الكتاب)
(٣) فى الديوان « وفرقت * عنها الحوادث شملها » وما هنا أظرف .
(٤) فى الديوان « خلفته فى عرصتيك » والعرصة ـ بفتح فسكون ـ فناء الدار
(٥) قد سبق ذكر أول هذين البيتين (انظر ص ٣٨٦ من هذا الكتاب)

وقال أبو تمام(١) :

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَرَاكَ دَرِيسَا تَقْرِى ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا(٢)
وَلَئِنْ حُبِسْتَ عَلَى الْبِلَى لقدِ اغْتَدَى دَمْعِى عَلَيْكَ إلى المَمَاتِ حَبِيسَا
وأَرَى رُسُومَكَ مُوحِشَاتٍ بَعْدَمَا قَدْ كُنْتَ مألوفَ المَحَلِّ أنيسا(٣)
وَبَلاقِعًا حَتَّى كَأَنَّ قَطِينَهَا حَلَفُوا يَمِينًا أَخْلَفَتْكَ غَمُوسَا(٤)

وهذا كلام رَصِينٌ ، وقوله « حلفوا يمينا أخلفتك » أى : كأنهم حلفوا يمينا ألاّ يعودوا إليك ، فأخلفتك هذه اليمين .

ومن حلو معانيه وجيد ألفاظه فى البكاء على الديار قوله :

دِمَنٌ لَوَتْ عَزْمَ الْفُؤَادِ وَمَزَّقَتْ فيها دُمُوعُ الْعَيْنِ كلَّ مُمَزَّقِ(٥)

وقال أيضا(٦) :

---

(١) الأبيات من أوائل قصيدة له يمدح فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى (الديوان ١٧٥)

(٢) تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ٤١٢ من هذا الكتاب) وفى الديوان وما مضى من مطبوعات هذا الكتاب « وقرى ضيوفك » وما أثبتناه عن الخطية أملح وأبعد عن التكلف .

(٣) فى الديوان « وأرى ربوعك » وموحشات : خاليات من الأنيس ، وكأن قد سكنها الوحش ، وأنيسا : مأنوسا ، يعنى آهلا .

(٤) القطين : الساكن ، من قطن بالمكان إذا أقام ، والغموس : اليمين الكاذبة

(٥) هذا ثانى بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢١١) والذى قبله قوله : .

يابرق طالع منزلا بالأبرق واحد السحاب له حداء الأنيق

وقد تقدم ذكر هذا المطلع (٤١٣) والذى فى المطبوعات «دمن لوت عزم الديار» وهو تحريف ما أثبتناه عن الديوان

(٦) الأبيات من أول قصيدة له يمدح فيها أحمد بن أبى دؤاد ويعتذر إليه (الديوان ٧٨)

سَقَى عَهْدَ الحِمَى سَبَلُ العِهَادِ وَرَوَّضَ حَاضِرٌ مِنْهُ وَبَادِي[١]
نَزَحْتُ بِهِ رَكِيَّ العَيْنِ إنِّي رَأَيْتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ العَتَادِ[٢]

وهذا البيت فى غاية الجودة لفظُه ومعناه إلا أنه وَصَله بكلام غليظ[٣]، فقال :

فَيَا حُسْنَ الرسُوم وَمَا تَمَشَّى إلَيْهَا الدَّهْرُ فى صُوَرِ البِعَادِ

وهذا بيت فى غاية الرداءة والسخافة لفظه ومعناه ، يريد فياحسن الرسوم ولم يمش إليها الدهر : أى لم يُصِبها الدهرُ ببعد أهلها عنها ، فأخرجه هذا المخرج القبيح المستهجن .

ومن إحسان أبى عُبادة المشهور فى هذا قولُه[٤] :

أَمَحِلَّتَيْ سَلْمَى بِكَاظِمَةَ اسْلَمَا وَتَعَلَّمَا أَنَّ الهَوَى مَا هِجْتُمَا[٥]
هَلْ تُرْوِيَانِ مِنَ الأَحِبَّةِ هَائِمًا أَوْ تُسْعِدَانِ عَلى الصَّبَابَةِ مُغْرَمَا[٦]
أَبْكِيكُما دَمْعًا وَلَوْ أَنِّي عَلَى قَدْرِ الجَوَى أَبْكِي بَكَيْتُكُما دَمَا

---

(١) تقدم ذكر هذا البيت (ص ٤١٣ من هذا الكتاب) وفيما تقدم ورد فى عجزه « وروى حاضر » .

(٢) نزحت : أخذت ماءها كله ، والركى : البئر ، والعتاد ــ بزنة السحاب ــ العدة

(٣) فى الخطية « وصله بكل تخليط » .

(٤) الأبيات من أول قصيدة له يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابنى المدبر (الديوان ٢ / ٢٣٩) .

(٥) كاظمة : اسم لمكان بعينه ، وتعلما : معناه ههنا اعلما ، وهجتما : أثرتما ، وقد سبق ذكر هذا البيت فى (ص ٣٩٥ من هذا الكتاب) ، وفى الخطية « أن الجوى ما هجتما » .

(٦) تقول : روى فلان من الماء واللبن يروى ــ مثل فرح يفرح ــ إذا شرب وشبع ، وأرواه غيره ، إذا جعله ريان ، وأصل الهيام ــ بكسر الهاء ــ العطش ، ثم استعير للحب ؛ لأن له حرارة كحرارة العطش ، وأراد هنا من الهائم المحب ، وتسعدان : تعينان وتكونان له ساعدا .

ومن جيد شعر أبى تمام أيضا فى هذا الباب قوله[١] :

أَرَامَةُ كُنْتِ مَأْلَفَ كلِّ رِيمِ … لَوِ استَمْتَعْتِ بالأنَسِ الْقَدِيمِ[٢]

أدَارَ الْبُؤْسِ حَسَّنَكِ التَّصَابِى … إلىَّ فَصِرْتِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ[٣]

لَئِنْ أصْبَحْتِ مَيْدَانَ السَّوَافِى … لَقَدْ أصْبَحْتِ مَيْدَانَ الْهُمومِ[٤]

ومِمَّا ضَرَّمَ الْبُرَحَاءَ أنِّى … شَكَوْتُ وَمَاشَكَوْتُ إلىَ رَحِيمِ[٥]

أظنُّ الدَّمْعَ فى خَدِّى سَيُبْقِى … رُسُومًا مِنْ بُكائِى فى الرسُومِ[٦]

وهذا من أسهل كلامه وأسلس نظمه ، ومن أبعد قولٍ من التكلف والتعسف ، وأشبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة ، وقوله « فصرتِ جنات النعيم » معنًى حسنٌ ، ولكن فيه إسراف أن يجعل داراً خلَتْ من أهلها وسماها دارَ بؤس وهو بَاكٍ فيها جناتِ النعيم .

وقد أتى البحترىُّ بهذا المعنى متبعًا فيه أبا تمام ، ولكنه جاء به على سبيل اقتصادٍ واعتدالٍ ، واجتنب إفراطه ، فقال[٧] :

(١) الأبيات من أول قصيدة له يمدح فيها بعض بنى عبد الكريم الطائيين (الديوان ٢٨٧)

(٢) قد تقدم ذكر هذا البيت وشرحه (انظر ص ٢٥٠ و ٤١٠ من هذا الكتاب)

(٣) البؤس : الشدة ، والتصابى : إظهار الصبابة ، وهى الغرام

(٤) السوافى : جمع سافية ، وهى الريح التى تسفى التراب

(٥) ضرم : أشعل وأوقد ، والبرحاء ــ بضم الباء وفتح الراء ــ الشدة

(٦) وقع فى المطبوعات « سيفنى » وهو تحريف ماأثبتناه عن الديوان ، والرسوم الأولى : العلامات ، وهم يقولون « خدد الدمع خده » وإلى هذا ذهب أبو تمام ، والرسوم الثانية : آثارُ الديار

(٧) البيتان من أول قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل الديوان ٢ / ٢٤١)

يا مَغَانِى الأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُوماً وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِى مَلُوماَ[(١)]
أَلِفَ البُؤْس عَرْصَتَيْكِ وَقَدْ كُنْتِ بِعَيْنَىَّ جَنَّةً وَنَعِيماَ

فقال « ألف البؤسُ عرصتيك » ثم قال « وقد كنت بعينى جنة ونعيما » فجعلها جنة ونعيما فيما مضى ، ومع هذا فإنى أقول : إن بيت أبى تمام أحسن ، وهو فى سائر أبياته أشعر .

وقال البحترى[(٢)] :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الدَّارِسَاتِ لَقَدْ غَدَتْ بِرَيَّا سُعَادٍ وَهْىَ طَيِّبَةُ العَرْفِ[(٣)]
بَكَيْنَا فَمِنْ دَمْعٍ يُمَازِجُهُ دَمٌ هُنَاكَ ،وَمِنْ دَمْعٍ نَجُودُ بِهِ صِرْفِ[(٤)]

وهذا حَسَنٌ جداً ، و إنما أخذ قوله « برَيَّا سعاد وهى طيبة العَرْفِ » من قول الآخر ، أنشده الأخفش عن المبرد :

وَاُستُودِعَتْ نَشْرَهَا الدِّيَارُ ؛ فَمَا تَزْدَادُ إِلاَّ طِيباً على القِدَمِ

وهذا أجْوَدُ من بيت البحترى ؛ لما فيه من الزيادة الحسنة ، وهى قوله « فما تزداد إلا طيباً على القدم » .

وقال البحترى :[(٥)]

تَرَى اللَّيْلَ يَقْضِى عُقْبَةً مِنْ هَزِيعِهِ أو الصُّبْحَ يَجْلُو غُرَّةً مِنْ صَدِيعِهِ[(٦)]

---

(١) المغانى : جمع مغنى ، وأصله اسم المكان من « غنى فلان بالمكان يغنى فيه » إذا أقام فيه ، ثم قيل للدار مغنى لأنها مكان الإقامة ، ورسوما : آثارا ، وملوما : اسم المفعول من لامه يلومه ، إذا عتب عليه وعنفه .

(٢) البيتان من قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل ويعاتبه (الديوان ٢ / ١١٢)

(٣) رواية الديوان والحطية « لعمر الرسوم الدارسات » والريا : الريح الطيبة ، والعرف ـ بفتح العين وسكون الراء ـ الريح والنشر .

(٤) صرف ـ بكسر الصاد وسكون الراء ـ غير ممزوج بشىء آخر

(٥) الابيات من أول قصيدة له يمدح فيها محمد بن طاهر (الديوان ٢ / ٩٠)

(٦) رواية الديوان « أم الصبح » والعقبة ـ بضم العين وسكون القاف ـ الشدة ويقولون:لقيت من فلان عقبة الضبع ، يريدون لقيت منه شدة ، والهزيع من الليل: =

أو المَنْزِلَ العَافى يَرُدُّ أَنِيسَهُ بُكاءٌ على أطْلاَلِهِ وَرُبُوعِهِ
إذا ارْتفقَ المُشْتَاقُ كانَ سُهَادُهُ أَحَقَّ بجَفْنَيْ عَيْنِهِ مِنْ هُجُوعِهِ

وهذا لفظ فَحْلٌ ، ومعان فى غاية الصحة والاستقامة .

وللبحترى فى وصف الديار والبكاء عليها مذهب آخر ، وهو [حسنٌ جداً ، ومن ذلك] قوله[(1)]:

أَبُكاءً فى الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ ؟ وَسُلُوّاً بِزَيْنَبٍ عَنْ نَوَارِ ؟[(2)]
لا هناكَ الشُّغْلُ الجديدُ بِحُزْوَى عَنْ رُسُومٍ بِرَامَتَيْنِ قِفَارِ[(3)]
ما ظَنَنْتُ الأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمْحَى من صدورِ العُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيَارِ
نَظْرَةٌ رَدَّتِ الهوَى الشَّرْقَ غَرْباً وَأَمَالَتْ نَهْجَ الدُّمُوعِ الجَوَارِى[(4)]

وهذا غرض حُلْو ، ومعنى لطيف ، ومثله قوله[(5)]، ولكن ليس فيه ذكر البكاء :

أَبِيتُ بأَعْلَى الحَزْنِ والرَّمْلُ دُونَهُ مَغَانٍ لها مَجْفُوَّةٌ وَطُلُولُ[(6)]
وقد كُنْتُ أَرْجُو الرِّيحَ غَرْباً مَهَبُّها
فقَدْ صِرْتُ أَهْوَى الرِّيحَ وَهْىَ قَبُولُ[(7)]

= الطائفة منه أو نحو ثلثه أو ربعه ، وأصل الغرة بياض فى جبهة الفرس قدر الدرهم ويريد منه ههنا البياض مطلقا ، ويقال للصبح صديع ، من الصدع الذى هو الشق ؛ لأن الظلام ينشق عنه .

(١) الأبيات من مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاما (الديوان ٢ / ٢٤) وسيذكر ثالثها قريبا (ص ٤٣٢)

(٢) قد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص ٤٠٥ من هذا الكتاب)

(٣) « لا هناك » أصله «لاهنأك» بالهمز ، فقلب الهمز ألفا ؛ لانفتاح ماقبلها ، كما قال الشاعر فى هذه الكلمة بعينها :

* فَارْعَىْ فَزَارَةُ لاَ هَنَاكِ المَرْتَعُ *

(٤) فى الخطية « دمنة ردت الهوى » .

(٥) البيتان من أوائل قصيدة له يمدح فيها حمولة (الديوان ٢ / ١٨٣)

(٦) رواية الديوان « والرمل عنده »

(٧) رواية الديوان « وقد كنت أهوى الريح غربا مآبها »

وذلك لأن القَبول هى الصَّبا ، ومهبها من مطلع الشمس ، ونحوُه قولُه(١) :

كَلَّفَتْنِي أرْيَحِيَّـات الصِّبا طَلَقًا فى الحبِّ مُمْتَدَّ الرَّسَنْ(٢)
نَقَلَتْـنِي فى هَوًى بَعْدَ هَوًى وَابْتَغَتْ لِي سَكَنًا بعدَ سَكَنْ(٣)

وقولُه :

ما ظَنَنْتُ الأهْوَاءَ بَعْدَكَ تُمْحَى من صُدُورِ العُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيَارِ(٤)

معنًى حسنٌ ، وإنما أخذه من قول أبى تمام :

زَعَمَتْ هَوَاكَ عَفَا الغَـــدَاةَ كما عَفَتْ
منهـــا طُلُولٌ باللِّوَى وَرُسُـــومُ(٥)

وبيت البحترى أحلى وأبرع .

وقال البحترى فى وجه آخر ، وهو أيضاً حسن لطيف(٦) :

---

(١) من غزل قصيدة له يمدح فيها أحمد بن محمد الطائى (الديوان ٣ / ٣٠٩)

(٢) وقع فى مطبوعات هذا الكتاب هذا البيت محرفا هكذا :

كفتى أريحات الصبا كلفا فى الحب ممتد الرش

وأثبتنا صوابه عن الديوان والخطية ، والطلق ـ بفتح الطاء واللام جميعا ـ أصله الشوط الواحد فى جرى الخيل ، وقد تستعمل فى غيره استعمال الشوط ، ويقال : جرى طلقا ، وطلقين . والرسن ـ بفتح الراء والسين جميعا ـ أصله الحبل وما كان من زمام على الأنف ، ويجمع على أرسان وأرسن ، وتقول : رسن فلان دابته ـ من بابى ضرب ونصر ـ وأرسنها ، إذا جعل لها رسنا ، وفى الخطية «طلقا فى الشوق ممتد السنن »

(٣) السكن ـ بفتح السين والكاف جميعا ـ كل شىء تسكن إليه وتطمئن نفسك له ، وأراد هنا الحبيب .

(٤) من قصيدة له يمدح فيها أباجعفر بن حميد ويستوهبه غلاما (الديوان ٢/٢٤) وفيه « فى صدور العشاق » وانظر (ص ٤٣١) وفى الخطية « ماظننت الأهواء قبلك »

(٥) البيت من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ٢٩٩) وعفا : انمحى وذهبت معالمه ، والطلول : جمع طلل ، واللوى ـ بكسر اللام ـ اسم مكان بعينه ، والرسوم : جمع رسم

(٦) البيتان من غزل قصيدة له يمدح فيها أباأيوب بن أخت أبى الوزير (الديوان ١/١٧٥)

فى كلّ يومٍ دِمْنَةٌ مِنْ حُبِّهِمْ تُقْوِى ، وَرَبْعٌ بَعْدَهُمْ يَتَأَبَّدُ(١)
أَوَمَا كَفانا أَنْ بَكَيْنَا غربا حَتَّى شَجَتْنَا بالمَنَازِل شُهَّدُ(٢)

ومثله قوله :

هُوَ الدَّمْعُ مَوْقُوفاً على كلِّ دِمْنَةٍ تُعَرِّجُ فيها أو خَلِيطٍ تُزَايِلُه(٣)
تَرَادَفَهُمْ خَفْضُ الزَّمانِ وَلِينُهُ وَجَادَهُمْ طَلُّ الرَّبيعِ وَوَابِلُه(٤)

و إنما حذا البحترىُّ هذا المعنى على حَذْوِ قول كثير :

وكُنْتُ امرأً بالغَوْر منى صريمة وأخْرَى بنَجْدٍ ، ما تُعيدُ وما تُبْدِى
فطَوْراً أكر الطَّرْفَ نَحْوَ تِهَامَةٍ وطَوْراً أكر الطَّرْفَ كَرَّاً إلى نَجْدِ
وأبكى إذا فَارَقْتُ هِنْداً صَبَابَةً وأبكى إذا فارَقْتُ دَعْداً على دَعْدِ

وهذا ما لا مزيد فيه على حسنه وطلاوته(٥) ، ومثله قول جرير :

أخَالِدَ قد عَلِقْتُك بَعْدَ هِنْدٍ فَشَيَّبَنِى الخَوَالِدُ والهُنُودُ
هَوًى بِتِهَامَةٍ وَهَوًى بِنَجْدٍ فَقَتَّلَنِى التَّهَائِمُ وَالنُّجُودُ

---

(١) الدمنة ـ بكسر الدال وسكون الميم ـ أثر الدار ، و « تقوى » مضارع أقوت الدار ونحوها ، إذا خلت من ساكنيها ، والربع : المنزل ، و « يتأبد » يصير منزلا للأوابد ، وهى الوحش ، وفى الخطية «فى كل عام» وفيها وفى الديوان «وربع منهم».

(٢) فى المطبوعات «أن بكينا غردا» تحريف، وشجتنا : أورثتنا الشجى ، وهو الحزن

(٣) البيتان من غزل قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان ٢ / ١٦٢) ووقع فى الديوان « هو الدمع موقوف » وما هنا أحسن ، والدمنة : أثر الدار ، وتعرج فيها : تميل نحوها ، والخليط: الذى تخالطه وتعاشره ، وتزايله : تفارقه

(٤) فى الديوان « خفض النعيم » ووقع فى المطبوعات « ترافهم خفض الزمان » وهو تحريف ، وترادفهم : تتابع عليهم ، وتكرر لهم ، وخفض الزمان : الدعة وسعة العيش والخصب ، وجادهم : أمطرهم ، والطل ـ بفتح الطاء وتشديد اللام ـ المطر الخفيف ، أو أخف المطر وأضعفه ، أو هو الندى ، والوابل : المطر الكثير ، وفى التنزيل : (فإن لم يصبها وابل فطل)

(٥) فى الخطية « على حسنه وحلاوته »

وقال [جرير فى نحو هذا] :

[إلى اللهِ أَشكو أنّ بالغَوْرِ حاجَةً وأُخْرَى إذا أَبصَرْتُ نجداً بَدَالِيَا

ومثله قوله أيضاً :]

أُحِبُّ ثرَى نَجْدٍ، وَبالغَوْرِ حاجةٌ فغَارَ الهوَى يا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدَا

* * *

وهذا باب فى وصف أطلال الديار وآثارها

قال أبو تمام(1) :

قِفُوا نُعْطِى المَنَازِلَ مِنْ عيُونٍ لها فى الشَّوْقِ أَحْسَاءٌ غِزَارُ(2)

عَفَتْ آيَاتُهُنَّ ، وأىُّ رَبْعٍ يكُونُ لَهُ عَلَى الزَّمَنِ الخِيارُ؟(3)

أثَافٍ كالخدُودِ لُطِمْنَ حُزْناً ونُؤْىٌ مِثْلُ ما انْفَصَمَ السِّوَارُ(4)

قوله « أحساء » جمع حِسْيٍ ، وهو الماء يغيض فى الرمل ، فإذا وصل إلى الصلابة وقف ؛ فيحفر عنه و يشرب ، [وقد قال فى موضع آخر :

* وَدَعْ حِسْىَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ ماءَهُ الوَجْدُ *

وقوله « أثافٍ كالخدود لطمن حزناً » من قول المرار الفقعسىّ :

أثَرُ الوَقُودِ على جوَانِبِهَا بخُدُودِهِنّ كَأَنَّهُ لَطْمُ]

---

(1) ثلاثة الأبيات من غزل قصيدة له يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان ١٤٠) وقد تقدم ذكر ثالثها فى سرقات أبى تمام (انظر ص ٦٠ و ٨٣ من هذا الكتاب) .

(2) فى الديوان « قفا » وفيه «لها فى الشوق أنواء غزار» وأراد بالأنواءالأمطار والغزار : جمع غزير ، وهو الكثير .

(3) عفت : امحت ، والآيات : جمع آية ، وهى العلامة ، والربع : المنزل .

(4) الأثافى : جمع أثفية ، وهى حجارة توضع عليها القدر ، والنؤى : الحفيرة تصنع حول الخيمة لتمنع تسرب المطر إليها ، وانفصم : انقطع .

وقال البحترى(١) :

عِوَضٌ مِنهُمُ خَسِيسٌ ـ وَقَدْ حَلّـــوا اللِّوَى ـ مَـنْزِلٌ بِوَجْرَةَ عَافِى(٢)
لَمْ تَدَعْ مِنْـهُ مُبْلِياتُ الليالى غيرَ نُؤْىٍ تَسْفِى علَيْـهِ السَّـوَافِى(٣)
وَأَثَافٍ أَتَتْ لَهـــا حِجَجٌ دُو نَ لَظَى النَّـارِ مُثَّـلٌ كالأَثَافِى(٤)

وقوله «مُثَّل» أى قائمة ثابتة «كالأثافى» يريد الـكواكبَ التى عند الفرقدين وهى ثلاثة ، قيل لها أثاف لشبهها بالأثافى ، فشبه البحترى الأثافىَّ بها لثبوتها وأنها مُثَّلٌ على مرِّ الدهر(٥)؛ قال أبو حنيفة الدينورى فى كتابه فى الأنواء : إن فى تثليثها طولاً ، ولو شبهها البحترى بالنَّسر الواقع ـ لأنه أشهر وأظهر وأقرب شبهاً ـ لـكان ذلك أحْسَنَ [وأَلْيَقَ] وأَكْشَفَ المعنى من أن يشبهها بشىء إنما استعير له اسمها ، وليس يعرفه كل أحد ، ولـكنه جاء به من أجل القافية ، وقال البحترى(٦) :

لَهَا منزِلٌ بينَ الدَّخُولِ فَتُوضِحِ مَتَى تَرَهُ عَـــيْنُ المُتَيَّمِ تَسْفَحِ(٧)
عَفَا غَيْرَ نُؤْىٍ دَارِسٍ فى فِنَـائِهِ ثَلَاثُ أَثَافٍ كَالحَمَائِمِ جُنَّحِ(٨)

(١) ثلاثة الأبيات من غزل قصيدة له يمدح فيها أحمد بن على الإسكافى (الديوان ٢/١٠٨)

(٢) فى الديوان : « عرض منهم خسيس » وهو محرف عما هنـا ، واللوى ، ووجرة : موضعان .

(٣) مبليات جمع مبلية ، وهو اسم الفاعل المؤنث من أبليت الشىء إذا صيرته بالياً ، وتسفى : تجلب إليه السفا ، وهو التراب ، والسوافى : أراد بها الرياح

(٤) وقع فى المطبوعات محرفا « أقت » والحجج : جمع حجة ـ بكسر الحـاء ـ وهى السنة ، ولظى النار : التهابها . (٥) فى الخطية «لثباتها وأنها مثل على الدهر»

(٦) البيتان أول قصيدة له يمدح فيها المعتز بالله (الديوان ١/١١١) .

(٧) الدخول وتوضح : مكانان ذكرهما امرؤ القيس فى أول طويلته المعلقة فى قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمهـــا لما نسجتها من جنوب وشمـأل

وتسفح : مضارع سفحت العين دمعها ـ من باب فتح ـ سفحا وسفوحا ؛ إذا أرسلته . وانظر ص ٤٠٤ من هذا الـكتاب

(٨) عفا : تغير وامحى ، والنؤى : الحفيرة حول الخيمة ، والفناء ـ بكسر الفاء =

وهذا جيد حسن وعلى منهج الشعراء ، وأظنه أخذه من قول عدى بن زيد :

وَثَلَاثٌ كَالْحَمامات بِهـــا بَيْنَ مَجْثَاهُنَّ تَوْشِيعُ الْحُمَمْ[(١)]

قال ابن الأعرابى : لا يكون « مجثاهن » ، إنما هو « مجراهن » .

أو من قول أبى نُوَاس :

كما اقْتَرَنَتْ عند المَبِيتِ حمائم بَعِيدَاتُ مُمْسَى مَالَهُنَّ وُكُونُ

وهذا أجود من بيت عدى ومن بيت البحترى .

وقد شبه الأثافىَّ بالحمائم غيرُ واحدٍ من الشعراء ، والبديعُ النـادر فى وصف الأثافى قولُ كُثَيِّر[(٢)] :

أَمِنَ آلِ قَيْلَةَ بالدَّخُولِ رُسُومُ وبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدِيمُ؟
لَعِبَ الزَّمَانُ بِرَسْمِــهِ فَأَجَدَّهُ جُونٌ عَوَاكِفُ فى الرَّمَادِ جُثُومُ[(٣)]
سُفْعُ الْخُدُودِ كأنهنَّ ــ وقد مَضَتْ حِجَجٌ ــ عَوَائِدُ بَيْنَهُنَّ سَقِيمُ

قوله « فأجدَّه جُونٌ عَوَاكِف » يعنى الأثافى ؛ لأن الريح لما كشفت عنها فظهرت سوداء[(٤)] ، شبَّهها بالعوائد ، والجَوْن : الأسود ، والجوْن : الأبيض ،

= بزنة الـكتاب ــ الساحة أمام البيت ؛ ويقال : هو ما امتد من جوانب البيت ، وجنح : جمع جانحة ، وهى المائلة .

(١) هذا البيت ثالث أربعة أبيات يقولها عدى بن زيد العبادى ، وهى ــ فيما يقال ــ من أوائل شعره ، وهاك الأربعة :

لِمَنِ الدَّارُ تَعَفَّتْ بِخِيَمْ أصبحت غَيَّرَهَا طُولُ القِدَمْ
ما تُبِينُ العَيْنُ مِنْ آيَاتِهـا غيرَ نُؤْىٍ مثلَ خَطٍّ بالقَلَمْ
وثلاثٍ كالحمامات بهـــا بينَ مَجْثَاهُنَّ تَوْشِيعُ الحُمَمْ
أسألُ الدَّارَ وقد أنكرْتُهَا عن حَبِيبِى ، فإذا فيهـا صَمَمْ

(٢) انظرها فى ديوان كثير (ج ١ ص ٢٥٢) وفى أمالى المرتضى (ج ٣ ص ١٢٢)

(٣) فى الديوان «لعب الرياح برسمه» والجون ــ بالضم ــ جمع جون بفتح فسكون

(٤) هذا أحد وجهين ذكرهما السيد المرتضى فى شرح هذه الأبيات ، قال: «وقيل =

وهو من الأسماء المتضادة ، قال الأصمعى : يقال : غابَتِ الجونة ، وطلعت الغزالة ، يعنى مغيب الشمس وطلوعها ، وهما أسمان من أسماء الشمس ، وإنما سميت الشمس جونة عند الغروب لما يعرض فيها من تغير اللون إلى السواد .

وقال(١) حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ :

عَلَى أَنَّ سَحْقاً مِنْ رَمَادٍ كَأَنَّهُ   حَصَى إِثْمِدٍ بَيْنَ الصَّلاَءِ سَحِيقُ(٢)

وقال أبو سعيد المخزومى :

يَبْكِى ثَلاَثًا كَالحَمَامِ رُكَّدَا   تَسْفِى بِهَا الرِّيحُ رَمَاداً أَرْمَدَا

* كَأَنَّمَا يَطْحَنُ فِيهَا إِثْمِدَا *

وقال بشار بن برد(٣) :

ومَسْجِدِ شَيْخٍ كُنْتُ فى زَمَنِ الصِّبَا

أُحَيِّيهِ أَحْيَانًا وفِيهِ نُكُوبُ(٤)

= فى قوله فأجده جون عوا كف : يعنى الأثافى ؛ لأن الريح لما كشفت عنها وظهرت صارت كأنها هى أجدت الرسم ، ويحتمل وجه آخر ، وهو أن يكون معنى أجدت أنها حمات الرماد الذى أحاطت به من لعب الرياح ، فبقى بحاله يستدل بها المتوسم ، فكأن الرياح درست الربع ومحته إلا ما أجدته هذه الأثافى ومنعت الريح عنه » اه .

(١) من هنا إلى آخر الكتاب ساقط من جميع مطبوعات هذا الكتاب السابقة .

(٢) هذا سادس بيت من قصيدة لحميد بن ثور ، ولكن رواية صدره فى الديوان

* فَغَادَرْنَ مُسْوَدَّ الرَّمادِ كأنه *

وورد عجز هذا البيت مركبا على صدر آخر فى اللسان (ر ج ع) منسوبا إلى حميد بن ثور أيضا ، والإثمد : حجر يتخذ منه الكحل ، والصلاء : مداق الطيب ونحوه ، شبه مسود الرماد على أثر ذهاب المطر بحصى حجر الكحل المسحوق فى المداق .

(٣) البيتان ثالث ورابع أبيات قصيدة لبشار يشبب فيها بسعدى بنت صقر (الديوان ١ / ١٨١) وفيه « كنت فى سنن الصبا * تحييه » على الخطاب فى الفعلين

(٤) مسجد الشيخ : موضع سجوده ، وقيل : مراده هنا بالشيخ الجمل ، والسجود على هذا هو سقوطه ، أى إناخته ، ولاداعى لذلك ، ويروى « سنن الصبا » والسنن : العادة.

غَدَا بِثَلَاثٍ ما يَنَامُ رَقِيبُهَا وَأَبْقَى ثَلَاثًا ما لَهُنَّ رَقِيبُ

« غدا » يريد الشيخ « غدا بثلاث » أى بثلاث نسوة « ما ينام رقيبها » يعنى الشيخ أنه ما ينام عن رقبتها « وأبقى ثلاثا » يعنى الأثافىّ .

وأخذ أبو تمام قوله « ونؤى مثل ما انفصَمَ السِّوَارُ » من قول آخر :

نُؤْى كما نَقَصَ الهِلَالَ محاقُهُ أوْ مِثْلُ ما فَصَمَ السِّوَارَ المِعْصَمُ

وهذا العجز ماالحسنه نهاية . وقال كُثَيِّر (١) :

عَرَفْتُ لِسُعْدَى بَعْدَ عِشْرِينَ حِجَّةً بِمَا دَرْسَ نُؤْىٌ فى المحلَّةِ مُنْحَنِ (٢)
قَدِيمٌ كَوَقْفِ العَاجِ ، ثَبْتٌ حِوَاؤُهُ مُغَادِرُ أَوْتَادٍ بِرَضْمٍ مُوَضَّنِ

قوله « منحن » مستدير . والوقفُ : السِّوَار من الذبل ومن العاج . والرضم : صخور عظام . والرضم — أيضا — هضاب صغار . والموضن : هو الذى بعضه فوق بعض . يقول : ضربت الأوتاد بحجارة الرضمة .

وما أحسن قول بشار :

ونؤى كخَلْخَالِ الفَتَاةِ وَصَائِمٍ أَشَجُّ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ رَقُوبُ

الصائم الأشجُّ يعنى الوَتِدَ ، والصائم القائم .... قال النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ ، وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ العَجَاجِ ، وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللُّجُمَا

فجعله رقوبا لانفراده (٣) ، على الاستعارة . والمرأة الرقوبُ والشيخ الرقوبُ : الذى لا يعيش له ولد ، والذى لا وَلَدَ له فهو ينتظره . والمستعمل فى الرقبة أن يقال :

---

(١) البيتان خامس وسادس أبيات قصيدة لكثير يمدح فيها عبد الملك بن مروان (ديوان كثير ٢ / ٥٨ طبع الجزائر) .

(٢) درس : هو هنا بسكون الراء ، وأصله بفتحها وتسكين العين المفتوحة التى ليست حرف حلق يعد ضرورة من ضرورات الشعر ، ومعنى درس امحى .

(٣) يقصد بيت بشار بن برد فى تشبيه النؤى بالخلخال .

رَقِيبٌ ، ورَاقِبٌ . وأظنه ذهب إلى توكيد الفعل[1] ، مثل قولهم « ضارب » فإذا وَكَّدُوا قالوا « ضَرُوبٌ » . وكذلك « شارِبٌ وشَرُوبٌ ، وآكِلٌ وأَكُولٌ » أى كثير الأكل والشرب . وقال أبو تمام :

وَالنُّؤْىُ أَهْمِدَ شَطْرُهُ فَكَأَنَّهُ تَحْتَ الحَوادِثِ حَاجِبٌ مَقْرُونُ[2]

وهذا أيضا فى وصف النؤى حَسَنٌ ، ولست أعرف للبحترى فى مثل هذا شيئا إلا ما لا يشتبه فيه ، وهو قوله :

آثَارُ نُؤْىٍ بِالْفِنَـــاءِ مُثَـلَّمٍ وَرِمَامُ أَشْعَثَ بِالْعَرَاءِ مُشَجَّجِ[3]

وهذا على مذاهب الناس . وقال النابغة :

رَمَادٌ كَكُحْلِ العَيْنِ مَا إِنْ تُبِينُهُ
وَنُؤْىٌ كَجِذْمِ الحَوْضِ أَثْلَمُ خَاشِعُ[4]

ووصل البحترى بيته بأن قال :

دِمَنٌ كَمِثْلِ طَرَائِقِ الْوَشْىِ انْجَلَتْ لمعَاتُهُنَّ مِنَ الرِّدَاءِ المُنْهَجِ[5]
يَضْعُفْنَ عَنْ إِذْكَارِنَا عَهْدَ الصِّبَا أَوْ أَنْ يُهِجْنَ صَبَابَةً لم تَهْتَجِ
وَلَرُبَّ عَيْشٍ قَدْ تَبَسَّمَ ضَاحِكًا عَنْ طُرَّتَيْ زَمَنٍ بِهِنَّ مُدَبَّجِ

(١) أراد بالتوكيد هنا المبالغة ، ويؤيد هذا قوله فى آخر هذا الكلام «أى كثير الأكل والشرب »

(٢) البيت من قصيدة له يمدح فيها الواثق بالله (الديوان ٣٢٨) وأهمد : سكن ، وشطره : نصفه

(٣) هذا البيت من قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل ويصف فرسا وبغلا (الديوان ١ / ١٠١) .

(٤) البيت رابع بيت من قصيدة للنابغة الذبيانى (الديوان ٦٨ بيروت) والجذم — بكسر فسكون — الأصل ، وأثلم : متثلم ، وخاشع : لازق بالأرض .

(٥) المنهج : اسم المفعول فعله « أنهج فلان ثوبه» إذا أبلاه ، ويقال أيضا «أنهج الثوب » إذا بلى ؛ فهو لازم متعد .

وهذا كله على مذاهب الناس ، ونحوُ قوله « كمثل طرائق الوَشى » قولُ النابغة :

على الغصن الخالى كأنَّ رُسُومَهَا .... الركنَيْنِ وَشْىٌ مُرَجَّعُ(١)

« مرجع » بعضه على بعض فى النساجة ، وقال كثير :

مَغَانٍ دِيَارٍ لا تَزَالُ كأنها بأفنيـة الشَّطْآنِ رَيْطٌ مُضَلَّعُ(٢)

وقال كثير أيضا :(٣)

غشى الركب رَبْعهـــا فَعجبْنَا مِنْ بِلاَهُ ، وَمَا المَدَى بقَدِيمِ

كَحَوَاشِى الرِّدَاءِ قَدْ مُحَّ مِنْهُ بَعْدَ حُسْنٍ عَصَـــائِبُ التّسْهِيم

وهذا حسن جداً . وقول البحترى « يضعفن عن إذكارنا عهد الصِّبا » يعنى لطول عَهْدِهن ودروسهن .

وقد تصرَّف شعراء الجاهلية والإسلام فى وصف آثار الديار أحسنَ تصرُّفٍ ، وأتوْا فيه بكل تشبيه مستحسن ومعنى مُسْتَغرب ؛ فمنه قولُ طَرَفَة :

* تَلُوحُ كَبَاقِى الوَشْمِ فى ظاهِرِ اليَدِ *(٤)

(١) هذا البيت ليس فى نسخ ديوان النابغة الذبيانى التى بين يدى على تعددها واختلافها، ولم يتضح لى ، ولا أنا منه على ثبت .

(٢) هذا البيت ثامن بيت من قصيدة لكثير (ديوان كثير ١ / ٢٨) والشطآن واد من أودية المدينة ، والريط المضلع : ذو الأضلاع ،أراد أنه مخطط ، ويروى « بأصعدة الشطآن » وكذلك هو فى مخطوطة الدار .

(٣) البيت الثانى من هذين البيتين وقع ثانى خمسة أبيات فى ديوان كثير (١/ ١٦٠) والذى قبله قوله :

وَرُسُومُ الدِّيارِ تُعْرَفُ منهـا بالمَلاَ بَيْنَ تَعْلَمَيْنِ وَرِيم

وأما أول هذين البيتين فلا يوجد فى ديوان كثير ، لامع هذا البيت ولا منفردا عنه وأوله غير واضح فى خطية الدار تمام الوضوح

(٤) هذا عجز بيت هو مطلع قصيدة طرفة المعلقة ، وصدره قوله :

* لخوله أطلال ببرقة ثهمد *

الوشم : أثرُ الحناء . وخصّ ظاهرَ اليد لأن دُرُوسه أسرع . وقال لَبيد :

وَجلَا السُّيُولَ عَنِ الطُّلُولِ كأنها زُبُرٌ تُجِدُّ متونَهَـــا أقلامُهَا[1]

وهذا ما زلت أسمع العلماء تعجب من حسنه ولطافة معناه ، وكان الفرزدق إذا أنشده يسجد و يقول : إنا نعرف مكان السجود فى الشعر كما تعرفونه فى القرآن .

وقال آخر ، وأنشده إسحاق بن إبراهيم :

تَمَتَّعْ بِكَرِّ الطَّرْفِ فى رَسْمِ مَنْزِلٍ
تَحَمَّلَ عنـــهُ قَاطِنُوهُ فَأَقْفَرَا

تَرَى فِيـــهِ آثاراً ، و إنْ كانَ دَاثِراً
تُذَكِّرُكَ الشَّوْقَ القَدِيمَ فَتَذْكُرَا

قوله « فتذ كرا » ليس بالجيد ، ووجهه الرفع ، ولـكنه جاء به على إرادة التوكيد[2] ، وقد جاء مثله فى أشعارهم ، قال جَذِيمةُ الأبْرَشُ :

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فى عَلَمٍ تَرْفَعَنْ ثَوْبِى شَمَالَاتُ

وقال الجعدى :

وَأَقْبِلْ عَلَى مَجْدِى وَمَجْدِكَ نَبْتَحِثْ
مَسَـــاعِينَا حتى نَرَى كَيْفَ نَفْعَلَا

(١) هذا سابع بيت من معلقة لبيد (شرح التبريزى ١٢٨) وزبر : جمع زبور وهو الـكتاب ، وتجد : تجدد ، أى يعاد عليها الـكتاب بعد أن درست وامحت ، والمتون : الظهور ، واحدهامتن بفتح فسكون ، والهاء فى « كأنها » تعود إلى الطلول ، والهاء فى «أقلامها» تعود إلى الزبر يصف أن هذا السيل قد كشف عن بياض وسواد ، فشبهه بكتاب قد امحى بعضه فأعيد عليه وترك ماتبين منه .

(٢) كلمة التوكيد وقعت فى مخطوطة الدار « النوى » تصحيف ، والمراد أن فتح الراء فتحة البناء ، والألف منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة للوقف ، كما فى الشواهد التالية ، فى « ترفعن » فى بيت جذيمة و « نفعلا » فى بيت الجعدى .

ومثله قليلٌ . وأحسنُ من هذا ومن كل حَسَنٍ قولُ محمد بن عبيد الأزدى :

فَلَمْ تَدَعِ الأَرْوَاحُ والماءُ وَالْبِلَى مِنَ الدَّارِ إلا ما يَشُوقُ وَيَشْغَفُ

وأنشد إسحاق ، ووجدته فى التعليقات ليعلى الطائى :

لَبِسْنَ الْبِلَى حَتَّى كَأَنَّ رُسُومَهَا
طَعِمْنَ الهَوَى أوْ ذُقْنَ هَجْرَ الْحَبَائِبِ

وقال ابن وُهَيْب فى مثله يذكر منزلين :

لَبِسَا الْبِلَى فكأنما وَجَدَا بَعْدَ الأَحِبَّةِ مِثْلَ ما أجِدُ

وقال البحترى فى مثل هذا(١) :

صَبٌّ يُخَاطِبُ مُفْحَمَاتِ طُلُولِ مِنْ سَائِلٍ بَاكٍ وَمِنْ مَسْئُولِ
حَمَلَتْ مَعَالِمُهُنَّ أَعْبَاءَ الْبِلَى حتى كأَنَّ نُحُولَهُنَّ نُحُولِى

وأنشدنى غير واحد من الشيوخ(٢) :

ما غَيَّرَ الدَّارَ بَعْدَ بَيْنِهِمُ رِيحٌ عَفَتْ آيَهَا وَلاَ مَطَرُ
كَأَنَّمَا جَزْعَةٌ يمانِيَةٌ قد نُشِرَتْ فى عِرَاصِهَا الحِبَرُ

وقال آخر ، وأنشده حماد :

قد وَقَفْنَا . . . . . بِطُلُولٍ وَأَرْسُمِ
لاَئِحَاتٌ كَأَنَّهَا بُرْدُ وَشْىٍ مُنَمْنَمِ
وَسَأَلْنَا فَأَفْحَمَتْ عَنْ جَوَابِ الْمُكَلِّمِ

وهذا كله أحْلَى وألطفُ معانى ، وألْوَطُ بالنفس من كل ما قال الطائيان .

* * *

(١) هذان بيتان من ابتداء قصيدة له يمدح فيها المفضل بن إسماعيل الهاشمى (الديوان ٢ / ٢٠٥)

(٢) لم أعثر على نسبة هذين البيتين ، وكلمة « بعد » فى صدر أولهما غير ظاهرة فى مخطوطة الدار ؛ لانطماسها بالحبر .

فهرس الموضوعات

الواردة فى كتاب الموازنة بين الطائيين للآمدى

قد تم ـ بحمد الله تعالى ـ القسمُ الذى سبق نَشْرُه من كتاب « الموازنة » للعلامة الآمدى ، بعد ما رُوجِعَ أدَقَّ مراجعة وأكملها وأوفاها ، ونحن بصَدَد البحث عن أصول خطية دقيقة تامة كاملة لهذا الكتاب واجتلابها من مَوَاطِنِها ، لننشره تاماً كاملا ؛ نسأل الله تعالى أن يوفقنا لإدراك هذه البغية ، ويُسَدِّد خُطَانا ؛ إنه مولانا ونعم النصير ؟

والحمد لله أولا وآخرا ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه